
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
الجماعات الإسلامية
في
ضوء الكتاب والسنة

تأليف
أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الطبعة الشرعية الثانية

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

الطبعة الشرعية الثالثة

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجماعات الإسلامية



به نقتي وعليه اعتمادي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
فاتحة القول

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد : فإن الإسلام يمر بمنعطف خطير ، وبمفترق وعر ، تنهال عليه ضربات تترى من الداخل والخارج ، من أديائه قبل أعدائه .

وعلى الرغم من تعاضد قوى المكر الحديثة ، ومحاولاتها الحثيثة ؛ لتصيب من الإسلام مقتلاً - وهيئات - فتسوق الأمة الإسلامية بعصاها وتلقي بها في مهاوي الضياع ، فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة ؛ لقوله ﷺ : « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة »^(١) .

والمراقب للساحة الإسلامية يرى حركات إسلامية تحاول صدّ تيار الفساد ، وتنقذ البلاد والعباد من آثاره وأخطاره .

ووحدة الهدف قاسم مشترك بين هذه الحركات ، لكن مناهجها مختلفة ، وأساليبها متعددة ؛ فالمنهاج هو يحدد الأسلوب ، ويوجه الحركة ، فالأصل تتبعه الفروع ، فإذا ما رافق تقنين المنهاج وضوح في الرؤية ، وصفاء في فهم الإسلام اتجهت الحركة قدماً في مسارها الصحيح المرسوم لها من قبل الله عز وجل وآتت أكلها بإذن ربها وإن طال عليها الأمد ، وإلا فقد قيل : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » .

نظرنا فرأينا أهل الباطل اجتمعوا على باطلهم ، وأهل الحق افترقوا ، فإذا بالخلصين يفاجؤون بأنهم لا يزالون في مكانهم قد رجعوا بعد طول سير

(١) أخرجه ابن ماجه وأحمد وغيرهما بإسناد حسن من حديث أبي عتبة الخولاني رضي

الله عنه .

وَشِدَّةَ نَصَبٍ قَدْ أَضْنَاهُمْ الشَّرَى فِي بِيْدَاءِ الْعَوَائِدِ ، وَلَفَحَهُمْ سَمُومُهَا ،
وَاجْتَا حَتَّهُمْ يَبْدُهَا السَّافِيَاتِ ، وَدَمَدَمَ فِي كَيَانِهِمُ الْيَبَابُ ، وَاكْتَنَفَ أَرْوَاحَهُمُ الصَّقِيعُ ،
وَصَكَّ وَجُوهُهُمْ زَيْفُ الْتِيَارِ ، حَيْثُ يَنْقَلُونَ خَطَاهُمْ عَلَى الرَّمَالِ الْمَحْرَقَةِ ، وَتَحْتَ وَهَجِ
الشَّمْسِ الْمَلْتَهِيَةِ ، يَكْتَالُونَ الرِّيحَ مِنْ كُلِّ حُدُبٍ وَصُوبٍ ، قَدْ هَدَّاهُمْ اللُّغُوبُ ، وَقَدْ
تَلْظَتِ الْهَاجِرَةُ إِلَى نَقْطَةِ انْطِلَاقِهِمْ ، فَيَأْسِفُونَ لِذَلِكَ ، وَيَشْكُونَ حَزَنَهُمْ وَبِشْمَهُمْ إِلَى
اللَّهِ ، وَقَدْ يَبْأَسُونَ فَيَقْعَدُونَ مُتَوَاكِلِينَ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ ، أَوْ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَنَزُولِ عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١) ، أَوْ يَجْرِبُونَ سَبِيلًا أُخْرَى وَلَكِنْ تَجْرِبَتُهُمْ لَا تَكُونُ خَيْرًا مِنْ سَابِقَتِهَا ،
وَتَتَكَرَّرُ التَّجَارِبُ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ ، وَكَأَنَّهُمْ يَدُورُونَ فِي حَلَقَةٍ مَفْرُغَةٍ لَا يُدْرَى أَوَّلُهَا مِنْ
آخِرِهَا ، كَوَاحِدٍ يَمُنُّ شَمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ كَيْ لَا تَرَى الشَّمْسُ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ ، وَضُرِبَ عَلَى
أَذَانِهِمْ بَسَنِينَ عَدَدًا كَيْ لَا تَسْمَعَ حَدَاءَ الْعُنَادِلِ الْمُنْبَعِثِ مِنْ وَرَاءِ الْأَبْعَادِ ، الْمُتَنَاهِدِي فِي
ثَنَائِهَا الْأَفَقَ الْمَدِيدِ ، الْهَاتِفِ أَنْ وَرَاءَ اللَّيْلِ فَجَرٌ جَدِيدٌ مُسْتَطِيرٌ يَمَلَأُ الشَّعَابَ وَالْأَوْدِيَةَ
وَرُؤُوسَ الْجِبَالِ .

(١) أَحَادِيثُ نَزُولِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَوَاتِرَةٌ ، شَهِدَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْإِحْتِصَاصِ
كَأَمِنْ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ لآيَةِ سُورَةِ النَّسَاءِ : ١٥٩ ، وَالشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ :
« التَّوْضِيحُ فِي تَوَاتُرِ مَا جَاءَ فِي الْمُنْتَظَرِ وَالدَّجَالِ وَالْمَسِيحِ » ، وَشَيْخُنَا الْأَلْبَانِيُّ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ :
« الْحَدِيثُ حَبَّجَهُ بِنَفْسِهِ فِي الْعُقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ » (ص ٦٤) .

وَقَدْ ثَبَتَ نَزُولُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النَّسَاءُ : ١٥٩] فَسَرَّهَا بِذَلِكَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمَنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٤٧] فَإِذَا
كَانَ كُلُّ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ كَهَوْلًا فَمَا مَعْنَى تَخْصِيصِ عِيسَى بِذَلِكَ ؟ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَرَقًا لِلْمَأْتُوفِ
الْمُعْتَادِ ، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِنَزُولِهِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزَّخْرَفِ : ٦٢] أَيْ أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَابِهَا
بِنَزُولِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

كواحد من هؤلاء أقول : إن حال دعاة الإسلام في هذا الزمن كانت حافراً لكي تصدر كتاباً منذ سنوات دَعَوْنَا فيه إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وفهمهما على المنهج الذي فَيِّمَهُ السَّالِفُ الصَّالِح ، والعمل بهما ، والدعوة إليهما ، والثبات على أمرهما ، وإلى إصلاح الجماعات الإسلامية المعاصرة ، وتخليصها من آراء الفرق الضالة ، والسَّير بها نحو التقارب والتآلف على أساس الحجة الراجحة ، والدليل القويم ، دون التفات إلى آراء الرجال ، لأن الرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال ، فمن عَرَفَ الحقَّ عَرَفَ أهله ، ودون تعصب للأسماء .

وكان لهذا الكتاب أصداءً مختلفةً ؛ فأما أتباع الحق الذين يدورون مع الدليل حيث دار ، فلا يؤمنون بالأخوة الحزبية الضيقة المفرقة فقد تلقوه بِشَغَفٍ ، وتلقفوه بِقَرَمٍ ؛ لأنهم رأوا فيه ضالتهم من الوضوح ، والصراحة وقول الحق ، وتسمية الأشياء بأسمائها ، ولا تقبل رأياً ولا قولاً لأحد غير المعصوم محمد ﷺ إلا على قاعدة : « من أين لك هذا ؟ » .

لقد استقبلتهم واحدة خصبة ، وارفة الظلال ، رِقَاقَةُ النَّبْع ، نديَةُ النَّسِيم ، تتحدى الجوّ القاسي من حولها بما تنفث من شذى يفعم أرجاء ساحَةِ الحركة الإسلامية فسقطوا عليها ، فهدؤوا إلى السكينة والقرار والطمأنينة عبر مغازاتِ الضواري ، وأدغال الكواسر .

أفيكم من لا يحتضنها بِحَبَاتِ القلوب ، ويوسِّدها أهدابُ العيون ، ويسقيها دُمْعُ المآقي .

أما الذين عُمدوا في نهرِ التَّعَصُّبِ الحزبي ، فاحمرت أنوفهم غضباً لمشايخهم ورؤوسهم ، وانطلقت أفواههم تهذي بما يؤذي ، وامتدت أيديهم تحرف ما كُتِبَ وتضعه في غير موضعه ؛ لأنه واجههم بما في كُتُبِهِم بالحجة النيرة فنقض ما كانوا يَتَوَكَّنُونَ ، وكشف بهرجهم الذي به على الناس يُلَبَّسُونَ ، ووضح عمومياتهم التي خلفها يستترون .

وآخرون رأوه يزيد الأمور تعقيداً ، ويضفي على الخلاف مزيداً ، وهؤلاء الأخوة يريدون أن يمسكوا العصا من وسطها .

ورغم كلِّ العقباتِ والأخاديدِ التي وُضِعَتْ في وَجْهِ الكتابِ لِتَجِدَّ من انتشاره فقد طلب كثيرٌ من الدعاة المسلمين في كثير من أقطار الأرض إعادةَ طبعه ، لِيُعْمَ بين المسلمين نَفْعُهُ ، وإن اشتدَّ على بعض الأنفُسِ وَقْفُهُ .

وقد استشرت كثيراً من إخواننا من أهل العلم وطلابه الذين التقيت بهم في كثير من الأقطار من خلال جولتنا الدعوية ، واستخرت الله جلَّ جلاله فَشَرَحَ صَدْرِي وَنَشِيطُكَ إلى ذلك ، ولهُنَّذا أقدم الكتابَ في طبعة جديدة منقحة ومزينة بعد طول أناة مني وإلحاح من القراء ، ودونك عرضاً وبياناً لأبواب الكتاب .

أولاً : واقع البشرية : الجانب السَّياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي ، وفيه توضيح لطبيعة هذا الواقع الذي قد يخدع عامة المسلمين بحسن مظهره الأخاذ ، وبريقه النَّقَّاذ .

ثانياً : ثمار هذا الواقع : من ثمارهم تعرفونهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِداً ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

ثالثاً : الخير موجود : قد يتسرب اليأس إلى بعض النفوس ؛ فتقنط وتقعّد ، لكن رسول الله ﷺ بَشَّرَ العاملين المخلصين بالظفر والتمكين في الأرض مبيناً وعد الله في كتابه العزيز : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

رابعاً : صفات الفرقة الناجية : فيه بيان لصفات هذه الثَّلة المؤمنة ، والصفوة الحَيِّرة ، التي كان لها شرفُ حمل هذا الدين - بقضه وقضيضه - بأمانة وحرص وإخلاص وثبات .

خامساً : الجماعات الإسلامية المعاصرة : وفيه دراسة مقارنة لأفكار هذه الجماعات بعقيدة الفرقة الناجية ؛ السلف الصالح أهل الحديث ؛ لأنها المعيار . عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

وقد أخذنا عقائد الحركات الإسلامية وأفكارها من كتبها المثبناة ونشراتها الرسمية ، أما التخمين فهو بالردقمين ، وشعارنا قول سلفنا الصالح الذين سبقونا بالعلم والإيمان : « إن كنت ناقلًا فالصحة ، وإن كنت مُدَّعيًا فالدليل » .

سادساً : لقاء مع قادة الجماعات الإسلامية في الأردن وأهدافه :

أ - إقامة الحججة لله بالبيان الدائم لواقع الجماعات الإسلامية التي تحقق فيها قول الله عز وجل : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

وهذه الجماعات في صنيعها هذا إنما تتبع سنن أهل الكتاب الذين حذرنا الله من سلوك سبيلهم ، وقد نَصَّ على هذا الصنيع بشكل خاص في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَنبِيئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣١ - ٣٢] .

فإن قيل : هذه آيات صريحة في المشركين فكيف نزلتها على المسلمين ؟

ج : قلت : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والمنهي عنه هو التشابه في الأفعال ، وهو لا يقتضي أن تكون الجماعات الإسلامية منهم ، وإن كان لازم مذهبهم كذلك ؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب .

فكان لزماً دعوتها للاعتصام بحبل الله وسنة رسول الله ونبذ الخلافات القائمة بينهم ، هذا البيان لا يترك في الحق لباساً حتى ينقطع العذر ، ولا يكون لأحد العدول والعنود عن فعل الواجب وترك الحرام .

ب - الإعذار إلى الله بأداء الأمانة : إن تفرق المسلمين باطل ومنكر - يشاظرنا هذا القول صالحو الجماعات الإسلامية - . يجب أن نغيره بأيدينا فسعيناً لذلك فلم نستطع ، فلجأنا إلى اللسان فكان هذا الكتاب مخبراً عن الطائفتين الساكنة عن الحق والآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر كما أخبر سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

فكانت النتيجة : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون ﴿ [الأعراف : ١٦٥] .
والله أسأل أن يلهمني السدادة في القول ، والإخلاص في العمل ، وأن يضع
لهذا الكتاب وسائر مؤلفاتي القبول في الأرض ، وأن يتقبلها مني بقبول حسن نصرة
لدينه ، ويدخر لي ثوابها إلى يوم لقائه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم إنه سميع عليم .

وأرجو من كل أخ غيور ناصح أمين وجد ما يوجب النصيح فسارع إلى تذكيري
بالتي هي أحسن للتي هي أقوم ، فإني متقلد بمنته آخر عمري ، وإني أبرأ إلى الله من
كل أمر خالف كتابه وسنة نبيه ﷺ وفهم سلفنا الصالح وراجع عن ذلك في حياتي
وبعد مماتي : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما
استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] ، والله
الموعود .

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

رفع
عبد الرحمن (التعبد)
أسكنه الله الفردوس

بصائر في واقع البشرية المعاصر

تقف البشرية اليوم على شفا هاوية سحيقة ، حيث شبح الفناء ينتظرها ليقذف بها في غياهب الدمار ، وهذا المصير نتيجة حتمية تجنبها البشرية وذلك لخلو جفنتها من سهام الحق ، ولكنها أصبحت مترعة بسهام الباطل ، والواقع المشاهد أكبر دليل وأوضح برهان على هذا ؛ فعلامات المصير المحتوم ماثلة أمام ناظري كل ذي لب وبصيرة ، وقد أخبر النبي ﷺ أمته بأن أمرها سيؤول إلى تفرق وهوان : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء »^(١) .

وحديث الغرباء إجمال لتفصيل ؛ فهو يقرر : أن الإسلام سيضحي غريباً في واقع الحياة ، وهذا يستلزم أن تصبح البشرية في الحملة على جادة غير جادة الإسلام ، فتسلك مسلكاً وعزاً وشاقاً ، تلاقى فيه ضرورتا شتى من الدل والهوان ، وفي النهاية تعض أناملها من حرقه ندماً ، ولات حين مندم .

الجانب السياسي : لقد أقصى الظالمون وأعوانهم كتاب الله عن شدة الحكم ، واستبدلوه بشرائع أرضية وقوانين وضعية ؛ فجعلوها الفيصل في شتى مناحي الحياة . وخصّ الحكام أنفسهم بثروات المجتمع ، وصاروا يتحكمون في رقاب الناس ، كيف شاؤوا ، فالذي يمدحهم على نهجهم المغاير للشرعية قدموه ، ومن خالفهم

(١) متواتر ؛ ورد موصولاً عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن سنان ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الخير الفارسي ، وعوف المزني ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة الباهلي ، ووائل بن الأسقع .

ومرسلاً عن يحيى بن سعيد ، ومجاهد ، وعبيد بن شريح .

وقد أوعيت في تخريج أحاديثهم ، وبيان طرقها ، وبسط رواياتها في كتابي : « الغربة

والغرباء » (ص ١١ - ٣٥) نشر وتوزيع دار الهجرة .

وأنكر عليهم أعمالهم المنكرة وأفعالهم القبيحة هُضم حقه ، وانتقص قدره ، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ : « إنكم سترون بعدي أثره ، وأمورا تنكرونها » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم »^(١) .

وقال ﷺ : « أتاني جبريل فقال : إن أمتك مُفْتَنَّةٌ من بعدك ؛ فقلت : من أين ؟ قال : من قبل أمرائهم وقرائهم ؛ يمنع الأمراء الناس الحقوق ، فيطلبون حقوقهم فيفتنون ، ويتبع القراء هؤلاء الأمراء فيفتنون . قلت : فكيف يسلم من سلم منهم ؟ قال : بالكف والصبر ، إن أعطوا الذي لهم أخذوه ، وإن منعه تركوه »^(٢) .

فالأمانة ضيعت ، وأصبحت نسياً منسياً ، حيث وضعت الأمور في غير محلها ، وأسندت الأمور إلى غير أهلها .

وعلى الرغم من هذا الفساد العريض ، فإن هؤلاء الأمراء لم يغيروا حكم الإسلام ، لذلك لم يرشد رسول الله ﷺ لمقاتلتهم لأنهم لم يفعلوا ما يوجب القتال ، ولكن لا طاعة لهم في معصية الله الخالق .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « سيلي أموركم بعدي رجال ، يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون ، فلا طاعة لمن عصى الله »^(٣) .

أما إذا غيروا مَنَارَ الإسلام ، ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وضربوا بسنة محمد ﷺ غُرُضَ الحائط ، واشمأزت قلوبهم من ذكر الله وحده ، وحصلوا أنفسهم في القصور الفاخرة ، وجبت منابذتهم ومقاتلتهم حتى يغيثوا إلى أمر الله ، وكل ذلك ضمن قاعدة سدِّ الذرائع ومآلات الأفعال بحيث لا يصدر عن هذا الفعل منكر أكبر

(١ ، ٢) أخرجهما البخاري .

(٣) أخرجه الحاكم والطبراني بإسناد فيه ضعف ، وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود عند ابن ماجه وأحمد والطبراني بإسناد جيد ، فالحديث بمجموعهما صحيح ، والله أعلم .

وفتنة صلحاء تذر الديار بلاقع كما حدث ويحدث في كثير من بلاد المسلمين فليحذر البصير فإنه سَقَطَ على الخير .

ويدل على ذلك أحاديث منها ؛ حديث أم سلمة عن النبي ﷺ : « سيكون أمراء فيعرفون وينكرون ، من كره برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع » . قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلّوا »^(١) .

وفي رواية : « فمن نابذهم نجا ، ومن اعتزلهم سلم ، ومن خالطهم هلك » . فالحياة السياسية من أسوأ أوجه الحياة حالاً ، وأنظمة الحكم التي تسود الأرض من شرقها إلى غربها - إلا بلاد الحجاز وما حولها من ديار التوحيد على الجملة - من أقدر الأنظمة التي عرفت البشرية من لدن آدم عليه الصلاة والسلام حتى يوم الناس هذا ؛ أنظمة وضعية ، وأحكام وثنية مستوردة من وراء البحار وخلف الحدود .

الجانب الاجتماعي : لما تردّت الحياة السياسية ، وأصبحت في الحضيض ، تدنت الحياة الاجتماعية وأصبحت في الدرك الأسفل ؛ فمن المعلوم أن جوانب الحياة متداخلة بعضها ببعض .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيأتي أقوام قد مرجت عهودهم ، ومرقوا من الدين ، يفعلون ما لا يؤمرون ، ويشهدون ولا يستشهدون : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم يتسمنون ينطقون الشهادة قبل أن يسألوها »^(٢) .

وله لفظ آخر : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

« ففي هذا الحديث أخبر الرسول ﷺ أن خير القرون عصره ، ولا تكون الخيرية في الزمان والأيام ، إنما الخيرية تكون في الناس الذين يعاصرون تلك الأزمنة ، ورحم الله القائل :

(١) أخرجه مسلم .

(٢) حديث متواتر كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر في « الإصابة في تمييز الصحابة »

(١ / ١٢) .

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سيوانا
الذئبُ لا يأكلُ لحمَ ذئبٍ ويأكلُ بعضنا بعضاً عياناً

وأخبر الرسول ﷺ أنه سيأتي أناس فجار ضالون فقال : « كيف بكم بزمان أو يوشك أن يأتي زمن يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه - » . فقالوا : كيف بنا يا رسول الله ؟ قال : « تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر العامة » (١) .

وأفضل وصف لزماننا قولُ الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] .

وهذا وصف عام لأحوال الناس في هذا العصر ، فلقد أصبح الناس عبيداً لشهواتهم يلهثون وراءها كأنهم كلاب ، وباعوا ضمائرهم وأماناتهم سلعة رخيصة في سوق النخاسة والرديلة ، وقدموها قرايين على مذابح الشهوات ، فهم لا ينكرون منكراً ، ولا يعرفون معروفاً - إلا من رحم الله وقليل ما هم - ، بل إنهم يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف تحت شعارات براءة خادعة ، وعبارات منمقة محنطة على الشفاه الكاذبة والألسنة المناقفة ؛ فقد كثرت دور الأزياء وصالونات التجميل ، ومواخير البغاء إلى انتخاب ملكات الجمال إلى غير ذلك مما يندى له الجبين ، وتتشعر منه الأبدان ، وتتفزز منه النفوس الطاهرة بدعوى التحرر والحداثة والفن ... وهكذا دواليك ... فيا رب حنانيك .

الجانب الاقتصادي : ونتيجة للانحطاط السياسي والشذوذ الاجتماعي أصبح القولُ الفضل للدرهم والدينار ، حيث ألبسهما الناس هالةً من التبجيل والتقدیس ، وخَرَّوا لهما من دون الله سُجُوداً رُكُوعاً ، فأضحى شعار العصر القول المقول : من لا يملك قرشاً لا يساوي قرشاً ، وقيمة الإنسان بما يملك .

وحتى تتحقق لهم السعادة التي زينها لهم إبليس وجنوده أصبحت الغاية تسوُّغ الوسيلة ، فأنشأوا البنوك الربوية ، تحت شعار الفائدة ، ومؤسسات الإقراض بدعوى

(١) صحيح - كما بينته في كتابي « القابضون على الجمر » (ص ١٤ - ١٦) .

مساعدة الفلاحين والمزارعين وإعانة ذوي الدخل المحدود ، وشركات التأمين تحت شعارات التعويض ، والقمار تحت شعار اليانصيب الخيري ، وأنشأوا الملاهي والمسارح وصلات الخلاعة والمجون لابتزاز أموال الناس تحت شعار الفن عن طريق الجنس والتعري .

ناهيك عن تكاثر الفقراء بشكل يندر بخطر داهم حتى أن بعض الناس أصبح التسول ديدنهم ، وأراقه ماء الوجه معدنهم ، وهذه الظاهرة يسمونها بـ « تفشي البطالة » ولا تزال الأحوال تتردى ... فإلى الله المشتكى .

الجانب الثقافي : ولكي يتمكن الطغاة في العالم الإسلامي من السيطرة على الشعب المسلم أقصوا الثقافة التي تميز الإنسان وتسمو به ، وتحرك في نفسه مواطن العزة ، واستبدلوها بسخافات وترهات وأكاذيب فأنتجت أجيالاً قاصرة عن إدراك ما يحيط بها ، وليس لها حظ من المعرفة ولم تشم رائحة العلم ، فأتخذوا رؤوساً جهالاً ، فإذا استفنأهم الناس افتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، كما أخير الصادق المصدوق عليه السلام : « إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من العباد ، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) .

وقد يقول قائل ما هي النهضة العلمية على أشدها ، وما هم حملة الشهادات العليا يملأون الرحب ، نقول لهم أن هؤلاء : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم : ٧] .

أين علماء الحديث ، كدت لا أراهم إلا في كتاب ، أو تحت تراب ، فهم ورثة الأنبياء .

أين الفقهاء المجتهدون ، فأفضل العلوم ما تعلق بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه ؟ كما قال الشافعي رحمه الله :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث أو التفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين
ولا يغرنكم الاندفاع الشديد نحو إصدار التواليف ؛ فإن أكثرها عجفاء لا تنقي

ولا يسمن ولا يغني من جوع ولعلها ما أشار إليه رسول الله ﷺ بين يدي الساعة من « فشو القلم » ومع ذلك ينزل الجهل ويرفع العلم: « إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم »^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا وهو مرفوع حكمًا : « كيف أنتم إذا لبتكم فتنة ، يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة إذا ترك منها شيء قيل : تركت السنة » . قالوا : ومتى ذلك ؟ قال : « إذا ذهبت علماؤكم ، وكثرت قراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتفقه لغير الدين »^(٢).

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه الدارمي والحاكم وغيرهما بإسنادين عنه ، وهو صحيح

ثمار الواقع^(١)

وانتج هذا الواقع لفيّفاً من الأحزاب والفرق المتباغضة المتدابرة ، وتفرقت الأمة الإسلامية أيدي سبا^(٢) ، وذهبت شذر مذر .

والفرقة تستلزم تدابيراً وانفصاماً في الصّف الواحد ، وتقاطعاً وتناحرًا في الأمة الواحدة ، ولقد حذر الإسلام الحنيف من الفرقة ، ودعا اتباعه إلى توحيد الصف وإلى الاعتصام بحبل الله ؛ لأن التفرق يؤدي إلى التنازع ، والتنازع يؤدي إلى الفشل ، والفشل يورث الضعف والهنوان : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

إن سبب الاختلاف ناشئ عن الاختلاف في المذاهب والآراء إن جعلنا التفرق معناه بالأبدان وهو الحقيقة ، وإن جعلنا التفرق في المذاهب فهو الاختلاف لقوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وهذا الاختلاف يرجع إلى أسباب :

أحدهما : راجع إلى سابق قدر ؛ كالاختلاف في الصور ، والحسن والقبح ، والطول والقصر وهذا لا نبحت فيه .

والآخر : ما كان من اختيار العباد ، لقوله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] .

فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً ، وأن قوله : ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ يعني للاختلاف خلقهم ، فالضمير في خلقهم عائِد على الناس ، فلا بُدَّ أن يقع منهم ما سبق في العلم ، وهذا الاختلاف هو الذي بعث الله من أجله النبيين ؛

(١) استفدت أصل هذا البحث من « اقتضاء الصراط المستقيم » لشيخ الإسلام ، و« الاعتصام » للشاطبي ، و« شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز .

(٢) العرب لا تهمزها في هذا المثل ؛ لكثرة الاستعمال ، وانظر لزماً : « لسان العرب »

(١ / ٩٤) .

ليحكموا بين المختلفين فيه ، كما قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

ذلك الاختلاف في الآراء والنحل بما يسعد به الإنسان ويشقى في الدنيا والآخرة هو المراد بالآية .

والاختلاف الناجم عن الاختلاف في الآراء والنحل ، على أوجه :

أولاً - اختلاف النوع : منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروطاً كما في القراءات القرآنية اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم فزجرهم الرسول ﷺ وقال : « كلاكما محسن »^(١) ، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان ، والاستفتاح ، والإقامة ، ومحل سجود السهو ، وغير ذلك مما شرع جميعه ، وإن كان بعض أنواعه أرجح وأفضل .

ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى الآخر لكن العبارتين مختلفتان ، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود ، والأدلة ، والتعبير عن المسميات ، وهذا اختلاف محمود ، وعلى وتيرته كان اختلاف الصحابة ، فإنما كان عن ضرورة واختلاف طبيعي منهم في الفهم ، لا اختياراً منهم للخلاف .

ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كلياً ، ولا يلحق أهله الذم والعقاب ؛ لعدم تحقق المؤاخذه وهو القصد أو الإصرار عليه .

قال ابن القاسم : سمعت مالكا والليث يقولان - في اختلاف الصحابة - : « ليس كما قال ناس فيه توسعة ، ليس كذلك ؛ إنما هو خطأ وصواب »^(٢) .

وقال أشهب : سئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ أترأه من ذلك في سعة ؟ فقال : « لا والله حتى يصيب الحق ما الحق إلا واحداً قولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً ؟ ما الحق والصواب إلا واحد »^(٣) .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) « جامع بيان العلم وفصله » (٢ / ٨١ ، ٨٢) .

(٣) المصدر السابق ، (٢ / ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩) .

فائدة : الرواية التي تنسب إلى مالك رحمه الله إنه قال حينما عرض عليه أن يكون موطأه مذهب الدولة العباسية إبان خلافة أبي جعفر المنصور : « إن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في =

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي : « وقد اختلف أصحاب رسول الله ؛ فخطأ بعضهم بعضاً ، ونظر بعضهم في أقاويل بعض ، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم لما اختلفوا »^(١) .

واختلاف الصحابة كان اضطراراً ، ومع ذلك كانوا ينكرون الاختلاف ، ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ويقع تحت قول رسول الله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد »^(٢) .

ثانياً - اختلاف التضاد : ويكون كل من القولين متناقضين ؛ إما في الفروع وإما في الأصول ، والخطب في هذا أشد ، لأن القولين يتنافيان ولا يلتقيان ألبتة ، لكن كثيراً من المختلفين قد يكون القول الباطل مع منازعه فيه حق ، أو معه دليل يقتضي حقاً ما ؛ فيرد الحق مع الباطل ، حتى يبقى الآخر مُبْطَلاً في بعض أقواله ، كما كان الأول في الأصل .

واختلاف التضاد هو ما حُجِّمَتْ فيه إحدى الطائفتين ، وذُمَّتِ الأخرى ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾ ، [البقرة : ٢٥٣] وهذا النوع بلغ أشده في عهد الخلف وبخاصة في القرآن وهو على نوعين .
أ - اختلاف التنزيل .

= الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب « مشهورة عن الإمام مالك ولكن الرواية : « وكل مصيب » ليس لها أصل إلا من طريق واحدة أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٣٢/٦) بإسناد فيه المقدم بن داود وهو ممن أوردتهم الذهبي في « الضعفاء » ومع ذلك فإن لفظها : « وكل عند نفسه مصيب » ؛ فقوله : « عند نفسه » يدل على أن الرواية الأولى غير صحيحة ، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفة لما رواه الثقات الأثبات عن الإمام مالك ؟!

(١) المصدر السابق (٢ / ٨٣) .

(٢) متفق عليه .

ب - اختلاف التأويل .

وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض ، فاختلاف التنزيل كالاختلاف في القرآن
أهو صفة أم مخلوق ؟ واختلاف التأويل الذي يتضمن الإيمان ببعض ما جاء كما هو ،
وبعضه الآخر بالتأويل والتفسير وهذا النوع من الاختلاف المذموم .

* ويزعم بعض الناس : أن الاختلاف رحمة وفيه توسعة على الأمة ويحتجون
بحديث لا أصل له : « اختلاف أمتي رحمة » ، وهذا الحديث ليس له سند صحيح
ولا ضعيف ولا موضوع^(١) ، ومتنه يخالف صريح القرآن : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا
من رحم ربك ﴾ [هود : ١١٨] ، فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون ، وإنما
يختلف أهل الباطل فكيف يعقل أن يكون الاختلاف رحمة ؟

* وعلى شاكلته حديث آخر : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »
فسنده موضوع ومتنه منكر^(٢) .

* وإن كان الأول مخالفاً لصريح النقل فهذا مخالف لصريح العقل فإننا نتساءل
وهل كل النجوم يهتدى بها ؟

والجواب : لا ، وإنما بالثوابت من النجوم ؛ كالجدي والثريا .
أسباب اختلاف التضاد :

أ - الاختلاف في أصل النحلة .

ب - اتباع النهى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ [آل عمران : ٧] .

ت - اتباع البدع والعوائد : ﴿ قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه
آباءكم قالوا أنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [الزخرف : ٢٤] .

(١) انظر لزمام كتابي : « سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها » (١٨) .

(٢) انظر « جامع بيان العلم وفضله » ، (٢ / ٩١) ، و « الأحكام في أصول الاحكام »

(٦ / ٨٢) .

* وهذه الأوجه الثلاثة ترجع إلى وجه واحد ؛ وهو : الجهل بمقاصد الشريعة : « خلا عمر ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونيبها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس ؛ فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونيبها واحد ، وقبلتها واحدة ، وكتابتها واحد ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ، ولا يدرون فيما نزل ، فيكون لكل أمة فيه رأي ، فإذا كان كذلك اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا . فزجره عمر وانتهره علي ، فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال ؛ فعرفه ، فأرسل إليه ، وقال أعد علي ما قلت ، فأعاد عليه ، فعرف عمر قوله وأعجبه^(١) . »

والجهل بمقاصد الشريعة يقتضي وجود شعب مختلفة ، وسبل متفرقة ، فإذا اتبع كل أناس سبيلاً تفرقوا ، وهذه الفرقة المشعة بتفرق القلوب ، المشعة بالعدواة والبغضاء ، ولذلك قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؛ فَيَبَيِّنُ أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد ، وهذه الجماعات المتعددة والفرق المختلفة لو كان ما تدعيه صحيحاً من أنها على الكتاب والسنة لما تفرقت ، لأن الحق واحد لا يتعدد ، وتعدد هذا دليل قاطع على اختلافهم ، ولو كانوا على سبيل واحدة لما تفرقوا ؛ لأن الإسلام واحد وأمره واحد ؛ فاقترض أن يكون حكمه الائتلاف التام لا على الاختلاف العام ، واختلافهم ناتج عن تعلق كل فرقة بحبل غير حبل الأخرى كما قال تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [الروم : ٣٢] ، وعندئذ لا بد من الاختلاف والتفرق والتدابير ، ويؤكداه قوله الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الانعام : ١٥٣] .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله خطاً وقال : « هذا سبيل الله » ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ، وقال : « هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه » ثم قرأ الآية السابقة^(٢) .

(١) انظر « الاعتصام » ، الشاطبي ، (٢ / ٦٩١ - بتحقيقي) .

(٢) أخرجه الحاكم وغيره ، وله شواهد كثيرة أوردها الحافظ ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (٢ / ١٩٠) وقد بيّنا صحته في « الجنة في تخريج السنة » .

وقد حذر رسول الله ﷺ من الفرقة والاختلاف ، وشدد النكير على ذلك ، وأخبر بأن ذلك إنما يكون اتباعاً لسنن اليهود ، وميلاً مع أهواء النصارى ، لأنهم افترقوا وفي الفتنة سقطوا ، وكانوا شيعاً وأحزاباً - ولا يزالون - فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ »^(١) . ومن سنن اليهود والنصارى أنهم اختلفوا على أنبيائهم ، وكثر سؤالهم ، فافترقوا شيعاً وأحزاباً .

قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »^(٢) .

ثمار الاختلاف : إن الأمر خطير ؛ لأنه باب شر مفتوح يؤدي إلى نار جهنم - والعياذ بالله - فوجب عدم التفرق والاختلاف ، ولن يكون ذلك إلا بالانضواء تحت راية الجماعة الحقة وهي : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، ورفض كل السبل المناهضة للفهم الإسلامي الصحيح .

وكذلك فإن الفرقة عذاب في الدنيا ، والمتفرقون دائماً أذلة مهانون مستضعفون ؛ لأن الفرقة تعني الضعف ، والوهن ، وهذا قانون شرعي كوني لا مفر منه : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

(١) متفق عليه .

(٢) حديث صحيح ، ورد عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم : أبي هريرة ، ومعاوية ، وأنس ، وعوف بن مالك ، وأبي أمامة الباهلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمر بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد صححه جمع من الأئمة منهم الترمذي ، والحاكم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والشاطبي ، وابن حجر ، وابن كثير . وقد خرجت طرقة ، وفصلت رواياته ، وتحققت شواهد في كتابي : « نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة » فانظره غير مأمور .

وواقع الأمة الإسلامية اليوم أكبر دليل محسوس مشاهد ، فهي كثير ولكن غشاء كغشاء السيل ، لأنها متفرقة متناحرة متدابرة ، ولذلك تمكن أعداؤها من الوثوب عليها ، فمزقوها شر ممزق ؛ كل منهم يريد نصيب الأسد من تركة الرجل المريض . وهذه الحالة وردت الإشارة إليها ، والتنبيه عليها صريحة دون لبس ، واضحة دون غموض ، مُدوية دون ضجيج يُبَيِّرُ النَّعَمَ فيحجب الرؤية في حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ حيث قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى^(١) عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ^(٢) إِلَى قَصْعَتِهَا^(٣) » . فقال قائل : أَوْ مِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُشَاءٌ^(٤) كَغُشَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ^(٥) اللَّهُ مِنْ ضُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ^(٦) مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ^(٧) » .

قالوا : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قَالَ : « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ »^(٨) وهذا الحديث الذي يشخص حالة الوهن يلقي بظلال ظلية ، ويوحى بدلالات ثقيلة على واقع الأمة الإسلامية منها :

أولها : أَنَّ أعداءَ الله من جُنْدِ إبليس وأعوانِ الشيطان يرصدون نموَّ أمةِ الإسلام

(١) تتابع وتجمع ؛ أي : يدعو بعضها بعضاً ، فتجيب .

(٢) جمع آكل .

(٣) وعاء ضخم يؤكل فيه ، ويترد ، ويشبع العشرة .

(٤) ما يجف فوق السيل مما يحمله الزبد من الوسخ وفئات الأشياء التي على وجه

الأرض .

(٥) يُخرج ، وأصل النزع : الجذب والقلع .

(٦) الإجلال .

(٧) الضعف في العسل والأمر .

(٨) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » من طريقين عنه ؛ وهو

بهما صحيح .

ودولتها حيث رأوا أَنَّ الوهنَ دبَّ إليها ، والمرضُ نَحَرَ جَسَمَهَا ؛ فَوَثَبُوا عَلَيْهَا وَكَتَمُوا
البَقِيَّةَ الْبَاقِيَّةَ مِنْ أَنْفَاسِهَا .

ولم يَزَلْ الكُفَّارُ ومُشْرِكُو أَهْلِ الْكِتَابِ يَقُومُونَ بِذَلِكَ مِنْذُ فَجَرِ الْإِسْلَامِ ،
حيثُ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ الْفَتِيَّةُ الَّتِي أَرَسَى أَرْكَانَهَا وَأَشَادَ بُيَانَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ
النَّبَوِيَّةِ وَمَا حَوْلَهَا ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْأَمْرُ صَرِيحاً فِي حَدِيثِ « الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا » ^(١)
كَمَا قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ... بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي سَوَاقِ الْمَدِينَةِ إِذَا
نَبْطِيٌّ ^(٢) مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى
كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟

فَطَفَقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ
كَاتِباً ، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : « أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ
يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعةٍ فَالْحَقُّ بِنَا نُؤَايِسُكَ » .

فَتَأَمَّلْتُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ اللَّيِّبُ ، وَتَدَبَّرْتُ أَيُّهَا الْأَخُ الْحَبِيبُ ، كَيْفَ يَرِصُدُ الْكُفَّارُ
الْمُحِيطُونَ بِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ أَخْبَارَهَا ، حَتَّى إِذَا سَنَحَتْ فُرْصَةً تَوَاتَبُوا عَلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِهَا ،
يُوضِّحُهُ :

الثَّانِيَةُ : أَنَّ أُمَّ الْكُفْرِ تَدْعُو بَعْضُهَا بَعْضاً وَتَجْتَمِعُ لِلتَّامْرِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَدَوْلَتِهِ ،
وَأَهْلِيهِ ، وَدُعَاتِيهِ .

وَمِنْ قَرَأَ تَارِيخَ الْحَمَلَاتِ الصَّلِيبِيَّةِ ، وَعَرَفَ خَبَايَا الْحَرْبِ الْكُونِيَّةِ الْأُولَى ؛
حيثُ جَيْشُ بَنِي الْأَصْفَرِ جِيوشَهُمْ لِلْقَضَاءِ عَلَى دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ ، اسْتَبَانَ لَهُ هَذِهِ
الدَّلَالَةُ وَضَوْحُ الشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ .

وَحَتَّى يَتِمَّ لَهُمْ ذَلِكَ فَقَدْ أُسِّسُوا « عُصْبَةً » ثُمَّ « هَيْئَةً » وَ « مَجْلِساً » ثُمَّ
« نِظَاماً عَالِماً جَدِيداً » ، يَلْهَبُ سَعَارَهُمْ طَمَعٌ وَجَشَعٌ ؛ يُوضِّحُهُ :

الثَّالِثَةُ : أَنَّ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ مَنبُعُ خَيْرَاتٍ وَبَرَكَاتٍ ، تُحَاوَلُ أُمَّ الْكُفْرِ الْاسْتِيلَاءَ

(١) متفق عليه .

(٢) هو الْفَلَاحُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يَسْتَنْبِطُ الْمَاءَ .

عليها ، ولذلك شبهها الرسول ﷺ بالقصعة المملوءة بالطيب من الطعام التي أغرت الأكلة ، فتواثبوا عليها ، كلُّ يُريد نصيب الأسد .

الرابعة : أنَّ أُمّ الكفر أكلت خيرات المسلمين ، وسرقت ثرواتهم بلا مانع ولا منازع ، وتناولتها عفواً وشفواً .

الخامسة : أنَّ أُمّ الكفر صيّروا بلاد المسلمين جنوداً مُجَنَّدَةً ، ودويلات مُتَقاطعة ، كما في حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ستجندون أجناداً ؛ جنداً بالشام ، وجنداً بالعراق ، وجنداً باليمن » . فقلت : خيّر لي يا رسول الله ! قال : « عليكم بالشام ، فمن أبى فليلحق بيمينه وليستق من غدرة^(١) ، فإنَّ الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهلها » .

قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس الخولاني يُحدث بهذا الحديث ويقول : ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه^(٢) .

ليس هذا واقع الأمة الإسلامية ؛ دويلات ليس لها من الأمر شيء ، وليس لها في توجيه شؤونها الداخلية أو الخارجية أمرٌ أو نهْيٌ ، وإنما تستمد قوتها وحمايتها وسياستها من أُمّ الكفر ، فالله المستعان وعليه التكلان .

السادسة : أنَّ أُمّ الكفر لم تعد تهاب المسلمين ؛ لأنَّهم فقدوا مهابتهم بين الأمم ، والتي كانت ترجف لها أوصال أُمّ الكفر ، وترتعد منها فرائص حزب الشيطان ؛ لأنَّ سلاح الرعب القتال لم يعد يملأ قلوب الكافرين ، ويُزلزل حصونهم .

قال الله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

(١) جمع غدِير ، وهو القطعة من الماء يُغادرها السيلُ ، والمراد : أن يشرب من مائه .

(٢) صحيح ، وله عدَّة طرق ذكرها شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني حفظه الله في

« تخريج أحاديث الشام ودمشق » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ » ^(١) .
وهذه الخصوصية تتعدى إلى الأمة الإسلامية بدليل قوله ﷺ في حديث ثوبان
الأنفي : « ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم » .

السابعة : عناصر قوة الأمة الإسلامية ليس في عدديها وعدديها ، وخيلها
وخيلاتها ، ورجلها ورجالها ، بل في عقيدتها ومنهجها ؛ لأنها أمة العقيدة وحاملة
لواء التوحيد .

ألم تسمع قول رسول الله ﷺ يُجيبُ السائل عن العدد : « بل أنتم يومئذ
كثيرٌ » ؟

وتأمل درس حنين تجده ماثلاً في كل عصر : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ [التوبة : ٢٥] .

الثامنة : أن الأمة الإسلامية لم يعد لها وزن بين أم الأرض كما أخبر رسول الله
ﷺ : « ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .
وهذه الدلالة تلقي بظلالها الآتية :

١ - أن الغثاء الذي يحمله السيل العرم يسير معه محمولاً مع تياره ، وهكذا
أمة الإسلام تجري مع تيار أم الكفر حتى لو نَعَقَ بهيئة « اللِّمَمِ » غراباً ، أو طنَّ في
مجلس « الفتن » ذباباً لحرواً على ذلك صمّاً وعمياناً ، وجعلوه كتاباً محكماً وتبياناً .

٢ - أن السيل يحمل زبداً رايماً لا ينفع الناس ، وكذلك أمة الإسلام لم تعد
تؤدي دورها الذي به تبوأ مقدمة الأمم ، وهو الأمر المعروف والنهي عن المنكر .

٣ - أن الزبد سيذهب جفاء ، ولذلك سيبدل الله من تولى ، ويمكّن للطائفة
المنصورة التي تنفع الناس في الأرض .

٤ - أن الغثاء الذي يحمله السيل خليط من قاذورات الأرض وفئات

(١) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه .

الأشياء ، وكذلك أفكار كثير من المسلمين تَمِيشُ من زُبالةِ الفلسفات ، وُخَالَةِ الحضارات ، وقُلامَةِ المذنبات .

٥ - أَنَّ الغُثَاءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ السَّيْلُ لَا يَدْرِي مَصِيرَهُ الَّذِي يَجْرِي إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ ، فَهُوَ كَمَنْ حَفَرَ قَبْرَهُ بِظُفْرِهِ ، وَكَذَلِكَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ لَا تَدْرِي مَا يُخَطِّطُ لَهَا أَعْدَاؤُهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ تَتَّبِعُ كُلَّ نَاعِقٍ ، وَتَمِيلُ مَعَ كُلِّ رِيحٍ .

الثامنة : أَنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ جَعَلَتِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهَا ، وَمَبْلَغَ عِلْمِهَا ، فَلِذَلِكَ كَرِهُوا الْمَوْتَ ، وَأَحْبَبُوا الْحَيَاةَ ؛ لِأَنَّهُمْ غَمَرُوا الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَتَرَوُّدُوا لِلْآخِرَةِ .

وَلَقَدْ خَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ أَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الْحَالَةَ . فَغَنَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ » . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ ^(١) .

قَالَ : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ تَتَنَافَسُونَ ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ، ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ - أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ - ثُمَّ تَنْتَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ ؛ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ » ^(٢) .

وَلِذَلِكَ لَمَّا فُتِحَتْ كُنُوزُ كَسْرَى بَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ : « إِنَّ هَذَا لَمْ يَفْتَحْ عَلَى قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ » .

التاسعة : أَنَّ أُمَّةَ الْكُفْرِ لَنْ تَسْتَطِيعَ اسْتِثْصَالَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِهَا - وَقَدْ اجْتَمَعُوا - كَمَا جَاءَ صَرِيحاً فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ زَوَى ^(٣) لِي الْأَرْضَ ؛ فَرَأَيْتُ مِشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأَعْطِيتُ الْكَتَرِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ^(٤) ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي

(١) نَحْمَدُهُ ، وَنُشْكِرُهُ ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٣) جَمَعَ وَضَمَّ .

(٤) الْمَرَادُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَهِيَ كَنْزَا كَسْرَى وَقِصْرُ مَلِكِي فَارِسَ وَالرُّومِ .

لأمتي أن لا يُهلكها بسنة عامة^(١)، وأن لا يُسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم ؛ فيستريح بيضتهم^(٢)، وإنَّ ربي قال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يزد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستريح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها^(٣) - أو قال : من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً^(٤) .

عندما نستقري التاريخ الإسلامي الصحيح نجد أن اتحاد المسلمين قوة وانتصار ، وتفرقتهم ضعف واندثار ؛ ففي عهد النبوة والخلافة الراشدة والدولة الأموية والعصر الذهبي للدولة العباسية كان المسلمون أمة واحدة ، فامتدت دولتهم في بقاع الأرض المختلفة ، وضربت بأطناب الرحمة في أرجاء المعمورة ، وإبان الحروب الصليبية كان تفرق ، فكانت هزيمة ، ومن ثم كانت وحدة ، فكان نصر وفي يوم الناس هذا تفرق وضعف وتناحر ، فترى الهزائم تترى .

والحق أن هذا ليس قانوناً مضطرباً في حياة البشر فحسب ، ولكنه في الكون كله : « الاتحاد قوة وليس ذلك في شؤون الناس فقط ، بل إنه قانون من قوانين الكون ، فالخيط الواهي إذا انضم إليه مثله ومثله أضحى حبلاً متيناً يجر الأتقال ، وهذا العالم الكبير ما هو إلا ذرات متحدة .

وقد شرح حكيم لأولاده هذا المعنى عند وفاته ليلقنهم درساً في الاتحاد ؛ قدم إليهم حزمة من العصي قد اجتمعت عيدانها ، فعجزوا عن كسرها ، فلما انفك الرباط ، وتفرقت الأعواد كسرت واحداً واحداً ، فأنشد يقول :

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أحادا^(٥) .
واعلم أيها السالك لسبل النجاة أن هذه الأحاديث وما يؤيدها من أحاديث

(١) هو القحط الذي يعتمهم .

(٢) يستأصل جماعتهم وأصلهم .

(٣) هم أهل الأرض جميعاً .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) « خلق المسلم » ، محمد الغزالي السقا ، (ص ٢٢٤) .

تشير إلى جملة من الحقائق الكونية والشرعية ؛ لا بد من الإشارة إليها ، والوقوف عليها .

١ - إن الاختلاف سنة من سنن الله في الحياة ، فالفرقة أمرٌ قَدري واقع لا محالة ؛ لقول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ - ١١٩] .

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلاً ، ثم انصرف إلينا ، فقال ﷺ : « سألتُ ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة : سألتُ ربي أن لا يُهلك أمتي بالسنّة^(١) ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُهلك أمتي بالفرق فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يجعل بأسَهُم بينهم شديداً ، فَمَنَعَنِيهَا »^(٢) .

* ولكن اعلم يا مسلم يا عبدالله : أنَّ هذا الاختلاف قدرٌ كوني ، أرادَه الله سبحانه وتعالى ، ولكنّه لم يَرْضَه ولم يُحِبَّه .

فإن قيل : كيف يجتمعان ؛ إرادة الله له وبغضه وكراهيته ؟! فالجواب^(٣) : هذا الذي افترق الناس لأجله فرقاً ، وتباينت عنده طرائقهم وأقوالهم .

فاعلم أنَّ المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .
فأمَّا المراد لنفسه ، فهو مطلوب محبوب لذاته ، ولما فيه من الخيرات .
وأمَّا المراد لغيره ، فقد لا يكون مقصوداً لنفسه للمريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث ذاته ، مراد له من حيث إفضاؤه إلى مراده ، فيجتمع فيه الأمران ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما .

(١) أي : بقحط يعيّنهم ، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام ، فله الحمد والشكر على جميع نعمه .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أصله مستفاد من « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية .

ومثاله كالدواء المرّ المتناهي في الكراهة ، إذا علم متناوله أَنَّ فيه شفاءه ، وكقطع المسافة الشاقة الشاسعة ، إذا علم أَنَّها توصله إلى مراده ومحبوبه .

ولله في هذا المقام حكم بالغة ؛ منها :

أ - أَنَّ تظهر للعباد قدرة الله على خلق المتضادات المتقابلات .

ب - ظهور آثار أسمائه القهرية ؛ مثل : القَهَّار ، شديد العقاب ، فَإِنَّ هذه الأسماء والأفعال كمال ، فلا بدَّ من وجود متعلقاتها .

ت - ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ، فَإِنَّه سبحانه وتعالى الحكيم الخبير ، الَّذي يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها ، كما يقتضيه كمال علمه ، وخبرته ، وحكمته .

قال خطيب أهل السنة ابن قتيبة الدِّينَوْرِي رحمه الله : « الَّذي خالف بين مناظرهم وهياتهم وألوانهم ولغاتهم وأصواتهم وخطواتهم وآثارهم ، حتَّى فرَّق القائف بين الأثر والأثر ، وبين الأنثى والذكر ، هو الَّذي خالف بين آرائهم ، والذي خالف بين الآراء هو الَّذي أراد الاختلاف لهم ، ولن تكمل الحكمة والقدرة إِلَّا بِخَلْقِ الشيء وضده ، ليُعرف كل واحد منهما بصاحبه ، فالنور يعرف بالظلمة ، والعلم يعرف بالجهل ، والخير يعرف بالشرِّ ، والنفع يعرف بالضرِّ ، والحلو يعرف بالمرِّ ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] ، والأزواج : الأضداد والأصناف ؛ كالذكر والأنثى ، واليابس والرطب ، وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ [النجم : ٤٥] أ . هـ^(١) .

* ٢ - لذلك فَإِنَّه لا يجوز إخفاء الخلاف ، أو كتمانها ، أو التستر عليه ، وتجاهله ، لأنَّ الحقيقة لا بدَّ أَنْ تظهر ، مهما عُمل على تأجيلها ، ولأنَّ معرفة مواطن الزلل من حقِّ كلِّ المسلمين ؛ ليكونوا على بينة من أمرهم ، فلا يكررون المشكلة نفسها ، ولأنَّ إخفاء الخلاف ، والظهور بمظهر الوحدة والائتلاف ، من سنن اليهود والنصارى ، حيث وصفهم خالقهم في القرآن العظيم : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً

(١) « تأويل مختلف الحديث » (ص ١٤) .

وَقُلُوبُهُمْ شَيْءٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر : ١٤] .
نعم ... لو كانوا يعقلون لعملوا على اجتثاث الخلاف من جذوره ، فتوحدا ،
ولم يقرّوا الخلاف ، ويظهروا أمام خصومهم بمظهر الوحدة والائتلاف ، فإذا مادت
الأرض من تحتهم ، أتى الله بنيانهم من القواعد ، فخرّ عليهم السقف من فوقهم .
ولذلك ؛ فإن إخفاء الخلاف ، والتستر عليه ، دعوة للسير على سنن المغضوب
عليهم ، الذين أمر ربنا في كتابه بمخالفتهم ، وحذرنا رسول الله ﷺ في سنته المطهرة
من التشبه بهم ، واتباع آثارهم .

وإخفاء الخلاف أمرٌ مهلك للأفراد والجماعات ، وسبب انقراض المجتمعات ،
وسقوط الحضارات ، ومورث للعن الذي لحق بني إسرائيل بسبب عدم تناهيهم عن
المنكر ، كما أخبر الله سبحانه : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كانوا لا يتناهون عن منكرٍ
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٨ - ٧٩﴾ [المائدة : ٧٨ - ٧٩] .

إن معرفة مواطن الخلل وتصحيحها سلامة في البناء ، وصلابة في القاعدة ،
وإقامة للمجتمع على تقوى الله ورضوانه .

وإن التستر عليها ، والسكوت عنها ، بحجة عدم التشويش في الوسط
الإسلامي ، وعدم خلخلة الصف المؤمن ، من أوهام الإنسان ، وتلبس الشيطان .
الحقيقة أن العاملين للإسلام ليسوا بمنأى عن العلل التي أصابت الأمم الماضية ،
والمجتمعات الحالية ؛ كما قال ﷺ : « سَيَصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ » . فقالوا : يا رسول
الله وما داء الأمم ؟ قال : « الْأَشْرُ ، وَالْبَطَرُ ، وَالتَّكَاثُرُ ، وَالشَّنَافِسُ فِي الدُّنْيَا ،
وَالْتِبَاغُضُ ، وَالتَّحَاسُدُ ، حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ » (١) .

٣ - اعلم أيها المسلم أن الفرقة والاختلاف ، وإن كانت واقعة لا مفر منها ،
إلا أن المسلمين مكلفون شرعاً بالاعتدال بأسباب القضاء عليها .

قال تعالى : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون :

(١) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن إن شاء الله .

٥٢ [، وقال : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

لقد بيّن سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين طريق الوصول إلى كلمة سواء ، وذلك بفعل ما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه الله على طريق رسول الله ﷺ ، فعين الغاية ، وحدّد الوسيلة ، وهما العبادة الصحيحة التي تثمر التقوى التي تحجز العبد ، فلا يتعدى حدود الله .

وقال سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ انْثَبُتَتْ وَجُوهُهُمْ فَقِي رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ . وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢ - ١١٠] .

والآيات في الباب كثيرة ، ولكن هذه الآيات التي بين يديك تضع دستوراً للأمة الإسلامية يتضمن القضاء على الخلاف من جذوره ، وذلك بالاعتصام حول حبل الله المتين ، وهو كتابه المبين ، وسنة نبيه ﷺ ، ولا بد من وجود طائفة تقوم بعملية الحسبة داخل الصف الإسلامي ، لتقوم الاعوجاج ، وتُصحح الانحراف منذ البداية .

إذا ؛ لا بد من فتح باب الحوار والنقد والمناصحة على مصراعيه ، لتصب كل الخيرات في مجرى الحياة الإسلامية ، وتُسد كل الثغرات ، ويشعر جميع العاملين بالرقابة التي تحققها ممارسة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

إنَّ عملية النقد ، والمناصحة ، والتقويم ، والمراجعة ؛ ليست بدعاً جديداً في المجتمع الإسلامي ، بل إنَّ المنهج القرآني ، والتدريب النبوي ، اللذين صاغا الجيل الرباني بلغا الذروة في ذلك المدى الذي لم يدع مجالاً للشك والالتباس والتخوف .

لقد تناولت عملية التصحيح والتقويم الرسول القدوة ﷺ في بعض ما رآه قبل أن ينزل الوحي ، ومع ذلك لم يكتم الرسول ﷺ شيئاً من ذلك ، وكذلك عرض القرآن جوانب الخطأ والتقصير على المستوى الفردي والجماعي عندما كان يرَبِّي الجيل الرباني الفريد ؛ ليكونَ جيل القدوة .

إنَّ حراسة القضية الإسلامية ، وبناء قاعدة المجتمع الإسلامي الصلبة ، وتربيتها على الإسلام الصحيح ؛ إنما كانت بالتقويم الدائم ، والتبصير بالأخطاء ، ليتَّم استدراكها ، فتستقيم المسيرة الإسلامية لتبلغ غايتها بإذن ربِّها .

إنَّه المنهج القرآني المعجز ، المتمثل في السلوك النبوي الخالد ، الذي يُتلى على الأئمة الإسلامية جهاراً نهاراً ، لتبصر منهج حركتها ، وتتجنب الأخطاء في مسيرتها ، وتلتزم النصيحة لنفسها ، ولا تحيد ولا تنصرف عنه لأيِّ سبب أو توهّم .

لقد طبَّق الجيل القدوة النصح على أعلى المستويات وأدناها ، فالنصح شرعة تعبدنا الله بها لمن خلصت نيته ، وصفت سريرته ؛ لقول الرسول ﷺ : « الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » (١) .

ولكن بعض الناس الذين تحفرهم الغيرة على المصلحة الإسلامية ، والإخلاص للعمل الإسلامي ، لا يريدون أن يتمَّ النصح بشكل جلي ، بحجة أن ذلك يمكن للأعداء من معرفة أسرار المسلمين ، ومن ثمَّ الانقضاض عليهم .

* إنَّ هؤلاء القومَ تختلطُ في تصوُّرهم طرائق النصح للفرد لتصحيح بعض قصوره أو خطئه ، والتي يجب أن تتمَّ في إطاره ، وإلا خرجت لتصير تشهيراً وتعييراً ، وطرائق النصح للفرق والطوائف والجماعات والأحزاب والمذاهب ذات التوجه العام ، حيث يتمَّ النصح لها بصورة جلية ؛ لأنَّ المصلحة الإسلامية تهتمُّ جميع المسلمين .

(١) أخرجه م وغيره من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

واعلم أخي في الله : أَنَّ الأعداءَ الَّذِينَ نَالُوا مِنَّا مَا نَالُوا أَعْرَفُ مِنَّا بِأَخْطَائِنَا ،
لأنَّهم لَا يَزَالُونَ يتسلَّلُونَ مِن خِلَالِهَا لَوَاقِدًا ، فيَأْتُونَ الإسلامَ وَأَهْلَهُ مِن قِبَلِهَا ، ويعْمَلُونَ
عَلَى تَثْبِيثِهَا ، وتَرْبِيتِهَا ، واستمرارِهَا ، وعدمِ قَدَرَتِنَا عَلَى إبْصَارِهَا ، وتَحْرِيفِنَا مِن
مُعَالَجَتِهَا ، والمتأملُ فِي الواقعِ يَدْرِكُ صِحَّةَ مَا نَقُولُ .

إِنَّ الإِبْقَاءَ عَلَى الأَخْطَاءِ ، وعدمِ كَشْفِهَا ، وتَبْصِيرِ الجِيلِ بِهَا ، وعدمِ مُعَالَجَتِهَا
مِنْهَا تعددتِ الأسبابُ ، لتُودِيَ بِالعَمَلِ الإِسْلَامِيِّ كُلِّمَا بَلَغَ أَشَدَّهُ ، واستَوَى عَلَى
سُوقِهِ .

وإنَّ فلسفَةَ التَّسْوِيعِ ، وعدمِ المُنَاصَحَةِ ، لَا تَقْتَصِرُ عَلَى تَدْعِيمِ أَرْكَانِ الأَخْطَاءِ
وَنُمُوها ، وَإِنَّمَا تَعْمَلُ عَلَى تَكَرُّرِهَا ، لِذَلِكَ ، فَالْخَطُورَةُ فِي قَبُولِ الخَطَأِ وَالرَّضَى بِهِ ،
وَلَيْسَتْ الْخَطُورَةُ فِي بَيَانِهِ وَمُعَالَجَتِهِ .

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ عَمَلِيَّةَ التَّقْلِيدِ وَالتَّضَحُّجِ ، وَيُحْذَرُونَ مِنْهَا ، لَا نَشْكُ
فِي إِخْلَاصِهِمْ ، وَلَكِنَّا نَشْكُ فِي إِدْرَاكِهِمْ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الإِخْلَاصَ
وَحْدَهُ لَا يَكْفِي لِبُلُوغِ الغَايَةِ ، فَكُم مِّن مَّرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَن يَتْلَفَهُ ، وَلَكِن مِّن يَتَحَرَّرُ الْخَيْرَ
يُغْطِئُهُ ، وَمَن يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقَهُ .

إِنَّ عَمَلِيَّةَ التَّضَحُّجِ لَا تَقُلُّ أَهْمِيَّةً عَنِ الإِخْلَاصِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ هِيَ الإِخْلَاصُ
نَفْسُهُ .

لَقَدْ كَانَ مِنْهُجُ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ أَخَذُوا عَلَى عَاقِبَتِهِمْ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُمْ - الْقِيَامَ
بِالدِّفَاعِ عَنِ السُّنَنِ ، فَوَضَعُوا عِلْمَ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي لَوْ التَّزَمَهُ الْمُسْلِمُونَ
الْعَامِلُونَ الْمُعَاصِرُونَ فِي حَيَاتِهِمْ لَكَانُوا أَقْرَبَ لِلصَّوَابِ ، فَبَعْضُ الرِّوَاةِ الَّذِينَ كَانُوا
أَنْضَاءَ عِبَادَةِ أَنْاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ، حَيْثُ لَا يَتَطَرَّقُ الشَّكُّ إِلَى إِخْلَاصِهِمْ ، وَمَعَ
ذَلِكَ رُدَّتْ رَوَايَتُهُمْ ، لِعَدَمِ قَدَرَتِهِمْ عَلَى الضَّبْطِ ، وَلِسَيْطَرَةِ الْغَفْلَةِ عَلَيْهِمْ ، وَلَقَدْ بَلَغَ
الإِخْلَاصُ بَعْضَهُمْ أَنْ يَضَعَ أَحَادِيثَ لَمْ تَرُدَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَعِنْدَمَا سُئِلُوا عَنْ قَوْلِهِ
ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (١) .
قَالُوا : نَحْنُ مَا كَذَبْنَا عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا كَذَبْنَا لَهُ .

(١) حديث متواتر .

قال ابن كثير رحمه الله : « وهذا من كمال جهلهم ، وقلة عقلهم ، وكثرة فجورهم واغترائهم ؛ فإنه ﷺ لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها إلى غيره » (١)
فكان ذلك محل رفض ؛ لأن الكذب له كالكذب عليه ، ولا فرق ، ولو اختلفت الدوافع ، فإن النتائج واحدة ، والأعمال بخواتيمها .

وليعلم هؤلاء الأخوة أنهم كالأم الرؤوم التي بلغت غيرتها ومحبها لوليدها الوحيد إلى عدم تقويم سلوكه وتربيته حفاظاً على شعوره ، فلما بلغ معها السعي ، ألقته عاجزاً عن حل مشكلاته .

هذه المحبة الناقصة قد تؤدي إلى هلاكه ؛ لأن الأم حالت بينه وبين من يتعهده ويرعاه ، خشية أن يخاف من مقابلته ، أو يتألم من علاجه .

٤ - ولكن هناك أموراً بالغ الأهمية في عملية التصحح والنقد والتقويم :

أ - لا بد أن تكون عملية التصحح والنقد والتقويم مشفوعة بالإشفاق .

ب - من كان آمراً بالمعروف فليكن أمره بالمعروف ، ومن كان ناهياً عن منكر فلا يكون نهياً بمنكر .

ث - لا بد أن ينصرف النقد والتصحح والتوجيه إلى الآراء والأفكار ، دون الأشخاص بأعيانهم .

٥ - واعلم أيها الأخ - أيك الله بروح منه - أن الخطأ في المعالجة ، وغياب الموعظة الحسنة عند بعض القائمين بهذا الأمر لا يسوِّغ المطالبة بإلغاء التصحح لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ؛ بحجة فقدان السلوك القويم ، والأسلوب الرشيد ، وفظاظة الذين يمارسونها ، وإنما ينبغي إلغاء الفظاظة والغلظة ، وتهذيبها بمكارم الأخلاق ، التي نبعث محمد ﷺ ليتمها .

٦ - ولذلك لا بد من وجود الطائفة المنصورة ، القائمة بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، الوارثة عن الرسول ﷺ وجيل القدوة الأول الذين بقَّضه وقضضه ، المستمرة في الثبات عليه ، غير خائفة لومة لائم ، ولا شماتة شامت ، حتى

(١) « الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث » (ص ٧٩) .

يأتي أمر الله بالنصر والتأييد والتمكين ، يوضحه :

هل بعد هذا الشر من خير ؟

ونتيجة لسقوط الأمة في ظلمات من التفرق والاختلاف ، حيث أخذ الفساد والانحطاط يستشري في جسمها فقد أصبح الإسلام مقصوراً في الحياة الواقعية على الأحوال الشخصية والنواحي التعبدية ، وألبس الناس شيعاً وأحزاباً وجماعات متنافرة متدابرة ؛ فقد يظن بعض الناس أن الخير قد نفذ ، وأن الجهل قد غطت غيومه سماء المعمورة ، وقد يتسرب اليأس إلى نفوسهم ، ويخطر على بالهم أن يقفوا لحظة ليسألوا أنفسهم والناس من حولهم هل بعد هذا الشر من خير ؟

الخير موجود

الخير والشر قوائم المجتمع الإنساني ، وبدونهما تستحيل الحياة وتتعذر ، فالخير لا يعرف إلا بالشر ، والشر لا يتميز إلا بالخير ، فهما اسمان وصفتان باقيتان متصارعتان لكل منهما أتباعه ومريدوه .

ويمكن القول أن الخير والشر متعاقبان كقانون مضطرد ، فالمستقرئ للتاريخ يرى ذلك متجسماً في سيادة الشر قبل الثبوة ، ثم سيادة الخير بعدها ، فالخير كائن ما كان الكون حتى تقوم الساعة ، والإسلام محفوظ بحفظ الله له ، ولا يزال أناس يدبّون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ويحمونه مما يحوم حول حماه ، وإن كانوا صفوة أئمة .

« وهذا تجده في الإشارة النبوية الواردة في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، وَجَاءَ اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخْنٌ » . قُلْتُ : وَمَا دَخْنُهُ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ يَسْتَنْوْنَ بِغَيْرِ سُنَّتِي ، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَنْكُرُ » ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ :

« نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم من أجابتهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنْتَ على ذلك »^(١) .

إن السموم الفتاكَة التي أنهكت قوة المسلمين ، وشلت حركتهم ، ونزعت بركتهم ليست سيوف الكفر التي اجتمعت على الكيد للإسلام وأهليه ودولته وإنما هي الجراثيم الخبيثة التي تسللت إلى داخل جسم العملاق الإسلامي على فترات بطيئة ، لكنها متوالية وأكيدة المفعول .

وهذا يؤكد أنَّ الوصف الصليبي اليهودي للدولة الإسلام بـ « الرجل المريض » كان دقيقاً ، فهم الذين غرسوا بكثيرة الشهوات وفيرسات الشبهات في كيان دولة الإسلام ، وأنَّها نمت وترعرعت في أحضانهم ومحاضنهم ، وشربت لبنانهم حتى الثمالة .

وقد تنوعت عبارات شارحي الحديث حول مفهوم الدخن ، ولكنها تتفق في مُحصله واحدة ، وتمخض عن أمرين هامين :

أولها : أنَّ هذه مرحلة ليست خيراً خالصاً ، وإنما مشوبة بكدر يعكُر صفو الخير ، ويجعل مذاقه ملحاً أجاباً .

الآخر : أنَّ هذا الكدر يُفسد القلوب ، ويجعلها ضعيفة حيث دبَّ إليها داء الأمم ، وتخطفها الشبهات .

ولسنا بحاجة للوقوف طويلاً عند كلِّ شرح نبينُ صحيحة من قبيحه ، وسليمه من سقيمه ؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قرَّرَ أموراً ذات دلالات :

١ - البدع : إنَّ هذا الدخن انحرافٌ يعتري المنهج النبوي الحق الذي كان يسودُّ مرحلة الخير الخالص ، فيؤدي إلى تشويه المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ، ألم

(١) متفق عليه .

يسفل ﷺ في تفسير الدّخين كما جاء في حديث حذيفة عندما سأله رضي الله عنه : « قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر » . هذا هو أصل الداء وجذر البلاء ؛ إنه انحراف عن السُّنة في المنهج ، وانصراف عن السمى النبوي في السلوك والعمل .

وبهذا يتضح أنّ الدّخين الذي شاب الخير فككّر معينه وغير رواه هو البدع التي أطلّت برؤوسها من أوكار المعتزلة ، والصوفية ، والجهمية ، والخوارج ، والأشعرية ، المرجئة ، والزوافض ، منذ قرون ابتغاء الفتنة ، فأمنت في الإسلام تحريفاً ، وانتحالا ، وتأويلاً .

فلم يبق من القرآن إلا رسمه ، ومن الإسلام إلا اسمه ، ومن التعبد إلا جسمه .
٢ - حصوننا مهددة من الداخل : لكيلا تستيقظ الأمة الإسلامية على وخر الإبر السامة المحقونة بالجراثيم الفتاكّة التي تفرز في جسمها ، وإمعاناً في تضليلها وتعتيم الأمور عليها ، وحجب الحقائق عن بصرها ، فقد قام أئمة الكفر بإقامة مصانع داخلية ؛ لإفراز سمومهم من الداخل فلا تظهر أعراض المرض الحيث إلا بعد مدة طويلة ، وحينئذ يستعصي على الطبيب ، ويحير اللبيب .

وقد تمّ ذلك لأعداء الله بطريقتين :

أ : الابتعاث ، وهناك يتم غسل دماغ أبناء المسلمين ومن ثم يرجعون إلى ديارهم ينفذون ما سمعوه ورأوه .

ب : الاستشراق ، ومنه تسلل الماكرون من أعداء الله تحت شعار الدراسة والبحث العلمي ، وقد أثبتت الدراسات المحايدة أنّ هؤلاء المستشرقين عملاء لأجهزة المخابرات الصليبية اليهودية .

هذه المصانع التي تُرَدّد ما يلقى إليها من أعداء الله ، وتفرز ما يحقنه بها أئمة يهدون إلى النار هي من جلدتنا ، وتكلم بلغتنا ، وترعّم الحرص على أمتنا وصيانة استقلالها ، والعمل على بعث حضارتنا .

ولذلك ؛ فإنّ الذين غرسوا هذه الجراثيم في جسم الأمة الإسلامية هم من ابنائها .

ولكن الرحمة المهداة ﷺ لم يترك في الأمر لبساً ، فقد بيّنه بوحى من الله ولم يكن حديساً .

ففي حديث حذيفة وصف لهؤلاء النفر الذين صنعهم أئمة الكفر على أعينهم ، وغدوهم بلبائهم ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم من أجايبهم إليها قذفوه فيها » . قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

فهذه الصفة الأولى التي يعرفون بها ، فهم من العرب نسباً ولغةً ؛ كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله^(١) .

وفي رواية : « وسيقوم فيهم رجال قلوب الشياطين في جثمان الإنس »^(٢) .

وهذه الصفة الثانية التي يعرفون بها ، فهم يُظهرون الحرص على الأمة ومصالحها وسيادتها واستقلالها ... يُرضون الأمة بألسنتهم ، وتأبى قلوبهم إلا تنفيذ ما تعلموه وتربوا عليه في محاضن أسياهم من الصليبيين واليهود ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أمروا في أنفسهم نادمين ﴾ [المائدة : ٥٢] .

﴿ ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢] . هذا ما يُخطط له الأسياد من الفرنجة واليهود ، وينفذه العبيد من الرويضات الذين استنسروا في أرضنا ؛ لأنهم ترعرعوا عليها ، وأكلوا من خيراتها ، ولكنهم عمّدوا في محاضن حزب الشيطان ، وجنود إبليس الذين درّبهم على المبدأ الصليبي القتالي : إنه بطنيء ولكنّه أكيد المفعول .

(١) « فتح الباري » (١٣ / ٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم .

وهو ما حذّر منه المولى عزّ وجلّ في قوله : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨] .

هكذا يستخفّون بالشعوب والأمم فأطاعتهم ، وأسلمت قيادها لهم ؛ لأنّها فسقت عن منهج الله ؛ وهم يَجْرُونَهَا إِلَى النَّارِ ، ويريدونها أن تنبؤاً دار البوار .
وهؤلاء لا يَفْتَرُونَ في الدعوة إلى ضلالتهم ومنكرهم ويُقِيمُونَ لذلك التجمعات والأحزاب والمؤتمرات والصالونات ، ولذلك وردَ وصفهم بأنّهم دعاة ؛ أي جماعة قائمة بأمرها وداعية للناس إلى قبولها .

هذه التحذيرات النبوية والومضات السنيّة إشارة أصبع للذين أُصيبوا بعمى الألوان فأصبحوا مجرّد أبواق يُرددون ما يُلقى إليهم من وراء البحار وخلف الحدود !
إنّها تنبيهات للأمة الإسلامية لعلّها تحذّر كيّد الكافرين ، وتستفيق فلا تتبع سبيل المجرمين .

إننا وجدنا آثارها في تاريخ المسلمين ، ورأينا شروورها في دنيا الناس أجمعين .
والأمثلة كثيرة تفوق الحصر ، وهي متوارثة في كلّ عصر ومصر .
ولم نزل مجموع دعاة الضلالة ترفع عقيرتها إلى يومنا هذا تدعو إلى جهنّم عياداً بالله .

فهاهم دعاة الديمقراطية ينبحون ، وهاهم أرباب الاشتراكية ينهقون ، وهاهم أولياء القومية ينبحون ، وهاهم أفراخ الحزبية ينهقون ... والناس وراءهم يلهثون .
وبهذا يكون مشيرو الدّخين هم سلف دعاة الضلالة ، وبهذا يتضح أنّ سلسلة التأمير على الإسلام ، وأهليه ، ودولتيه لها جذور عميقة في التاريخ الإسلامي .
٣ - سنوات خدعات : إنّ ظاهر هذه المرحلة خيرٌ لكنّ باطنها من قبيله الهلاك ، ألم يقل رسول الله في حديث حذيفة : « وسيقوم فيهم رجال قلوب الشياطين في جَنَمَانِ إِنْسٍ »^(١) .

(١) أخرجه مسلم .

وهذا قد يَخدعُ كثيراً من الناس الذين يَنظرون إلى ظواهر الأشياء لكنَّ أبصارهم عن بواطن الأمور محجوبة ، وبذلك لا يُلَقونَ بالأصلاحيِّ الخليل من بدايته حتَّى لا يستفحل ، ويتسع الخرق على الرّاقع .

إنَّ هذا الدّخن يَنمو فاتكاً بالخير حتَّى يُسيطر ؛ فتكون مرحلة الشرِّ الخالص ، وبداية دعاة الضلالة ، وفرق الغواية .

* إنَّ رؤوس الفتنه يعملون بنشاط ، بينما أهل الحق غافلون نائمون ؛ بدليل أنَّ هذا الدخن كبر حتَّى سيطر ، ووثب على الحق وأهله ، وثلَّ عرش دولته .

ولذلك فقد ضيعت الأمانة فألقت الأمور أزمتهَا إلى الرويضات في هذه السنوات الخداعات ، ووُسد الأمر إلى غير أهله ، ووُضع الحق في غير محله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي سنوات خداعات ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ، وينطق فيها الرويضة » . فقيل : وما الرويضة ؟ قال : « الرَّجُلُ التافه يتكلَّم في أمر العامَّة »^(١) .

ولذلك فالأمة بحاجة إلى عودة شاملة إلى دينها على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، لأنَّه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وعليه فالأمر بحاجة إلى قيادة ربانية تُرشِّد هذا الرجوع على منهاج النبوة وتُجذِّره على فهم السلف الصالح يتبوأ العلماء الربانيون فيها مكان التوجيه والتربية والإعداد حتَّى يأتي أمر الله ﷻ إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿ [الطلاق :

٣] .

(١) أخرجه ابن ماجه ، وأحمد وغيرهما وهو صحيح بطرقه وشواهده

من هي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ؟

في لجة البحر الطام الزاخر ، وفي غمرة التيار الأرعن الساخر ، الذي يرفد الحياة المعاصرة ليلاً نهاراً ، تقف الفرقة الناجية على صخرة الصمود التي تتحطم عليها الأمواج الهوج ، ويوطن الحق قدميه على أرض صلبة لا تلين ، والخير باق وموجود ، وهو في صراع دائم مع الباطل وأنصاره ، وإذا خبا نور الحق يوماً ، فإن هذه بشرى لانطلاقته مرة أخرى ، فمن خلال اليأس ينبع الأمل ، وعبر ثنایا الظلام يبرز الفجر ، وكلما اشتد غلب الليل اقترب ميلاد النهار .

ومن معجزات الرسول ﷺ أنه أخبر عن مستقبل هذه الأمة حتى قيام الساعة ، وأخبر أنه لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرة منتصرة لا يضرها من ناصبها العداء أو تحذلها من الأدعياء حتى يأتيها أمر الله وهي على ذلك ؛ فأشاع في نفوسنا الأمل ، وبدد دياجير الظلام واليأس والقنوط .

✽ قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة »^(١) .

فهذا الحديث يؤكد وجود طائفة منصورة ظاهرة على مر الأزمان والعصور ، وهذه الفرقة تنجو من التفرق والاختلاف في الدنيا والخسران والنار التي هي مصير الاثنين والسبعين فرقة في الآخرة ، لأنها جميعها جانبت الصواب ، وحادت عن الحق فضلت وأضلت .

(١) حديث متواتر كما بينته في كتابي : « اللائكي المشورة بأوصاف الطائفة المنصورة »

* والمسلم يرى جماعات شتى ، وأحزاباً متفرقة ، كلُّها تدَّعي أنها على الحقِّ كما قال الشاعر الحكيم :

إذا اشتبكت دموع على حدود تبين من بكى ممن تباكى
وكلُّ يدَّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا
ولذلك اختلط الحابل بالنابل ، وأصبح المرء كحاطبٍ ليل لا يستطيع أن يميز
الحقَّ من الباطل ، ولا السَّمَّ من الدَّسم ، ولا الغثَّ من السمين ، فكان لزاماً أن تُعرضَ
للقارئ الكريم تفسيرات العلماء المختلفة للفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، فقد أُطلق
هذا اللفظ على مُسميات كثيرة أهمها :

١ - السواد الأعظم^(١)

وهذا قول متهافٍ يريد أن ينقض على نفسه ، مناقضٌ للأحاديث الشريفة
الصحيحة ، ولكن أتباع هذا الرأي يتمسكون بحديث ينسب إلى رسول الله ﷺ :
« فإذا رأيتم اختلافاً ، فعليكم بالسَّواد الأعظم »^(٢).

إن الأكثرية ليس لها اعتبارٌ في النظر الشرعي ، فليس الإسلام ديناً جمهورياً أو
أكثريةً أو ديمقراطياً يحكم في المسائل حسب رأي الجمهور بل إنه يقرُّ حكم الله في
كلِّ مسألة .

وإنه لمن المعلوم أنَّ أهل الحقِّ إزاء أهل الباطل قِلَّةٌ ، وهذه سُنَّة الله في الحياة
الدنيا ، فالكثرة ليس لها وزنٌ في هذا المضمار ، إذن فتفسير الطائفة المنصورة والفرقة
الناجية بالسَّواد الأعظم لا يثبتُ أمامَ التَّقدُّم العلمي لأنه لا حُجَّةَ له ، ويعوزه البرهان ،
وينقصه الدليلُ الصَّحيح .

(١) المراد العامة والزُّعاع والدهماء .

(٢) أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف جداً .

٢ - الصحابة رضوان الله عليهم

لا ريب أن الصحابة رضوان الله عليهم ناجون من الضلال ، فقد شهد رب البرية بعد التهم ووثقهم الله بقوله : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ [البينة : ٨]

والصحابه رضي الله عنهم بعيدون عن مواطن الزلل والتهلكة ، لأنهم خير القرون كما في قول الصادق المصدوق : « خير الناس قرني » ، « خير أمتي قرني » (١) .

ويكفي الصحابة شرفاً صحة خير الرسل وخاتم النبيين ﷺ ولكن الحديث الذي أخبر بالفرق يُخبر أن هذه الفرق بعد عصر الصحابة ، إذن فتفسير الفرقة الناجية بالصحابة صحيح في عصر الصحابة ، أما والصحابة قد مضوا إلى ربهم فلا بد أن تكون الجماعة الناجية قد ذهبت ولم تعد موجودة ولكن الأحاديث كما تخبر بأنها لا تزال قائمة وموجودة في كل حين على مر الأزمان ، وبعد أن لحق الصحابة بجوار ربهم ، فالفرقة الناجية هم الذين يقتفون أثرهم عقيدة وتربية وسلوكاً (٢) .

٣ - المسلمون إذا اجتمعوا على إمام

هذا قول حق ، فإن المسلمين إذا اجتمعوا على إمام وبايعوه ، كانوا هم الفرقة الناجية والطائفة الظاهرة المتصورة ، ومن نابذهم فقد تولى سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، والمسلمون إذا اتفقوا ؛ فإن ذلك يعني عدم تعدد الفرق والجماعات ، ونحن نبحث في الفرقة الناجية عند الاختلاف والتفرق ، لا عند الائتلاف والتعاون ، فإن المسلمين عندما يكونون على وفاق يكونون هم الناجين ، فتفسير الجماعة بأنها : « المسلمون قاطبة إذا بايعوا أميراً واجتمعوا عليه » ليس من بحثنا ، وليس له صلة بالفرقة الناجية المقصودة بالحديث ألبتة .

٤ - أهل الحديث وأصحاب الآثار

والكلام في « أهل الحديث » من وجوه :

(١) متواتر تقدّم (ص ١٣) .

(٢) انظر (ص ٤٥ - ٥١) من هذا الكتاب .

أ - اتفاق أهل العلم والإيمان على تفسير الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بأهل الحديث .

اعلم أيها العبد الباحث عن الحقيقة أن كلمة أهل العلم اتفقت على أن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية .

ولهذا أضع بين يديك هذا الحشد الهائل منهم ، عندئذ لا تجد مفرأ إلا أن تسلك سبيلهم ، وتدرج على أثرهم ، وتتبع فهمهم ، فهم زوامل دين رب العالمين ، الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا ، وبهم قامت السنة وبها قاموا ، ومن يتبع غير سبيلهم فقد سفه نفسه .

- ١ - عبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ رحمه الله .
- ٢ - علي بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤هـ رحمه الله .
- ٣ - أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ رحمه الله .
- ٤ - أحمد بن سنان المتوفى سنة ٢٥٦هـ رحمه الله .
- ٥ - محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ رحمه الله .
- ٦ - عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٦٧هـ رحمه الله .
- ٧ - محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٦هـ رحمه الله .
- ٨ - محمد بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ رحمه الله .
- ٩ - محمد بن الحسين الاجري المتوفى سنة ٣٩٠هـ رحمه الله .
- ١٠ - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ رحمه الله .
- ١١ - أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ رحمه الله .

- ١٢ - الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ رحمه الله .
- ١٣ - عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ رحمه الله .
- ١٤ - محي الدين بن يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ رحمه الله .

١٥ - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية شيخ الإسلام المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله .

١٦ - إسحاق بن إبراهيم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ رحمه الله .

١٧ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رحمه الله (١) .

كل هؤلاء الأئمة - وغيرهم كثير - صرحوا أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أهل الحديث ، ولن يضل - بإذن الله - من اعتدى بأقوالهم ، واقتفى آثارهم كيف وهم القوم لا يشقى جلسهم .

ولقد نقل النووي اتفاق أهل العلم على ذلك فقال : « ومع هذا فلهم في أنفسهم فضائل ظاهرة وفي حفظ العلم آيات باهرة ، ففي الصحيحين أن النبي عليه السلام قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم » ، وجملة العلماء أو جمهورهم على أنهم حملة العلم » أ.هـ (٢)

ب - من هم السلف أهل الحديث ؟

هم من درج على نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة ، وتقديمهما على كل قول سواء أكان في العقيدة ، أو العبادة ، أو المعاملة ، أو الأخلاق ، أو السياسة ، أو أي شأن من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها .

هم الثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وحيأ على عبده ورسوله وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله ﷺ .

هم القائمون بالدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - قولاً وفعلاً وعملاً - بكل جد ، وعزم ، وصدق ، وثبات .

هم الذين امتشقوا حسام العلم ، وتسئموا غارب الحق ؛ لينقوا عن الدين وأهليه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

﴿ (١) وقد نقلت أقوالهم ، ومحضت أسانيدها ، وبيئت صحتها إليهم في كتابي :

« الآلئ المنشورة بأوصاف الطائفة المنصورة » فانظره غير مأمور .

(٢) « تهذيب الأسماء واللغات » (١ / ١٧) .

هم الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ كُلَّ الْفِرْقِ الْأُتَى حَادَتْ عَنْ مَنْهَجِ الصَّحَابَةِ سِوَاكَ أَكَانَتْ
مَعْتَزَلَةً ، أَوْ جَهْمِيَّةً ، أَوْ خَوَارِجَ ، أَوْ شِيعَةً رَوَافِضَ ، أَوْ مَرْجُوَّةً ، أَوْ صُوفِيَّةً ، أَوْ بَاطِنِيَّةً
أَوْ أَشْعَرِيَّةً أَوْ مَاتَرِيدِيَّةً ، أَوْ قَوْمِيَّةً ، أَوْ عِلْمَانِيَّةً ، وَكُلٌّ مِنْ حَادَّ عَنْ الْهَدْيِ وَاتَّبَعَ الْهَوَى
فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ .

هم الَّذِينَ يَعْمَلُونَ عَلَى تَحْقِيقِ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٧] .

هم الَّذِينَ يَطْلُقُونَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ
الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

فَكَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بُعْدًا عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ .

هم الَّذِينَ جَعَلُوا دَسْتُورَهُمْ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ خَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء :
٦٥] .

فَقَدَرُوا نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَقَّ قَدَرِهَا ، فَقَدَّمُوهَا عَلَى أَقْوَالِ الْبَشَرِ جَمِيعًا ،
وَاحْتَكَمُوا إِلَيْهَا عَنْ رِضَى كَامِلٍ ، وَصَدُورٍ مَنُشْرَحَةٍ بِلَا ضَيْقٍ وَلَا حَرَجٍ ، وَسَلَّمُوا لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ تَسْلِيمًا كَامِلًا فِي عَقَائِدِهِمْ ، وَعِبَادَاتِهِمْ ، وَمَعَامِلَاتِهِمْ ، وَأَخْلَاقِهِمْ ، وَكُلِّ
شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ .

وَالسَّلَفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ بِهَذَا الْمَعْنَى تَنَادَحَ دَائِرَتُهُمْ حَتَّى تَشْمَلَ أُلُوفًا مِنَ الْعُلَمَاءِ
الْعَامِلِينَ الَّذِينَ وَعَتَ ذَاكِرَةُ التَّارِيخِ أَسْمَاءَهُمْ ، وَامْتَلَأَتْ بُطُونُ الْأَسْفَارِ بِذِكْرِهِمْ ،
وَعَلَّوْا هَامَةَ الزَّمَنِ بِعِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ وَعَمَلِهِمْ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى هَاتِيكَ الْكِتَابِ
وَالْأَسْفَارِ ، وَدُونِكَ جَدُولًا إِجْمَالِيًّا يَنْتَظِمُهُمْ .

هم أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعًا الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَرَأَوْهُ وَمَاتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ،

وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون .
 هم سادة التابعين وعلى رأسهم : أويش القرني ، وسعيد بن المسيب ، وغروة
 ابن الزبير ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ،
 ومحمد بن الحنفية ، وعلي بن الحسن زين العابدين ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر
 الصديق ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وعمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن
 شهاب الزهري .

هم أتباع التابعين وعلى رأسهم : مالك بن أنس ، والأوزاعي ، وشفيان
 الثوري ، وسفيان بن عيينة الهالبي ، والليث بن سعد .
 ثم من تبعهم وعلى رأسهم : عبد الله بن المبارك ، ووكيع ، والشافعي ، وعبد
 الرحمن بن مهدي ، ويحيى القطان .

ثم تلاميذهم الذين اتبعوا منهمهم وعلى رأسهم : أحمد بن حنبل ، ومحمد
 ابن إدريس الشافعي ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني .

ثم تلاميذهم وعلى رأسهم : البخاري ، ومسلم ، وأبو حاتم ، وأبو
 زرعة ، والترمذي ، وأبو داود ، والنسائي .

ثم من جرى مجراهم عبر الأجيال المتلاحقة كابن جرير الطبري ، وابن خزيمة ،
 وابن قتيبة الدينوري ، والخطيب البغدادي ، وابن عبد البر النمري ، وعبد الغني
 المقدسي ، وابن الصلاح ، وابن تيمية شيخ الإسلام ، والمزي ، وابن كثير ، والذهبي ،
 وابن قيم الجوزية ، وابن مفلح ، وابن رجب الحنبلي .

ثم من تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة وفهمهما بفهم
 الصحابة - رضي الله عنهم - إلى أن يأتي أمر الله ويقاتل آخرهم الدجال .
 هؤلاء الذين نعتي بهم السلف أهل الحديث .

وما من شك أن هذه النسبة لا تكون حقيقة إلا إذا كان عمل مدعيها مطابقاً
 للمنهج النبوي .

وهل يتصور عاقل أن تكون هذه النسبة مقبلة بعثرة ؟ أو مزيلة ارتياباً ؟ أو محققة
 فضلاً بمجرد دعواها ؟ أو التذبذب عن منهاجها علواً وسفلاً ، أخذاً ورداً كما يهوى

صاحبه .

وهذه النسبة تقتضي من مدعيها أن يصدق مع الإسلام في دعواه حتى تكون دعواه صادقة لاشية فيها .

وأني إنسان على توالي القرون ، وتتابع الأجيال ، لا يصدق في دعواه هذه النسبة إلا بأن يكون موصولاً بالمنهج النبوي في عقيدته وسلوكه وعبادته لا يصدق إلا عنه ، ولا يفيء إلا إليه حتى يلتقى ربه .

* ورحم الله شيخ الإسلام فقد جمع ذلك كله في كلمة نفيسة فقال : « ونحز لا نعي بأهل الحديث المقتصرين على سماعه ، أو كتابته أو روايته ، بل نعي بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً ، واتباعه باطناً وظاهراً ، وكذلك أهل القرآن . »

وأدنى نخلة في هؤلاء : محبة القرآن والحديث ، والبحث عنهما وعن معانيهما ، والعمل بما علموه من موجههما ، ففقهاء الحديث أخير بالرسول من فقهاء غيرهم ، وصوفيهم^(١) أتبع للرسول من صوفية غيرهم ، وأمرؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم ، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم^(٢) .

ت : تنبيه لكل نبيه

فإن قيل : لم لم ينتسبوا للقرآن فيقال : أهل القرآن ؟
* قلت : ألم تسمع ما قاله العلامة اللالكائي : « ثم كل من اعتقد مذهباً فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب ، وإلى رأيه يستند ، إلا أصحاب الحديث فإن صاحب مقالته رسول الله ﷺ ، فهم إليه ينتسبون ، وإلى علمه يستندون ، وبه يستدلون ، وإليه يفتزعون ، وبرأيه يقتدون ، وبذلك يفتخرون ، وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون ، فمن يوازنهم في شرف الذكر ؟! ويباهيهم في ساحة الفخر ، وعلو الاسم ؟! إذ اسمهم مأخوذ من معاني الكتاب والسنة ، يشتمل عليهما لتحقيقهما بهما ، أو لاختصاصيهما بأحدهما ، فهم مترددون في انتسابهم إلى الحديث بين ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ، فقال تعالى ذكره : ﴿ الله أنزل أحسن الحديث ﴾

(١) يقصد زهادهم ، وانظر لزأماً (ص ٨٢ - ١٥٢) .

(٢) « مجمل الفتاوى » (٩٥ / ٤)

[الزمر : ٢٣] ، فهو القرآن ، فهم حملة القرآن وأهلُه ومُؤاؤُه وحفظته ، وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله ﷺ فهم نقلته وحملته فلا شك أنهم يستحقون هذا الإسم لوجود المعنيين فيهم لمشاهدتنا أن اقتباس الناس الكتاب والسنة منهم ، واعتماد البرية في تصحيحهما عليهم ، لأننا ما سمعنا عن القرون التي قبلنا ولا رأينا نحن في زماننا مبتدعاً رأساً في إقراء القرآن ، وأخذ الناس عنه في زمن من الأزمان ، ولا ارتفعت لأحد منهم راية في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما حلت من الأيام ، ولا اقتدى بهم أحد في دين ولا شريعة من شرائع الإسلام (١) .

(١) يخبر اللالكائي رحمه الله عن أزمان كان الإسلام فيها عزيزاً ، والعلم النبوي نبيعاً ، لم تمسه أيدي المبتدعة ، ولكننا في غربة الإسلام الثانية نرى كثيراً من المبتدعة قراء للقرآن ودارسين للحديث النبوي ، فلم ندهش ، ولمن نستوحش ؛ لأننا علمنا توجيهه في السنة النبوية الصحيحة المطهرة ، حيث أخبر الرسول ﷺ عن هذا الواقع الذي ماله من دافع إلا أن يتداركنا الله بكرمه ويفرغ علينا رحمته ، فليستيقظ طلاب العلم الشرعي على حقيقة هذا الأمر ، فيعرفون عمن يأخذون دينهم .

لقد قال ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر » .
أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٦١) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١٠٢) من طريق ابن أبي شيبة عن بكر بن سوادة عن أبي أمية الجسعي مرفوعاً .
قلت : وهذا إسناد صحيح ؛ لأن حديث ابن أبي شيبة صحيح إذا كان من طريق العبادلة عنه ، وابن المبارك منهم .

﴿ قال ابن المبارك : الأصاغر أهل البدع . ﴾

وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد ، ولفظه : « لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين يهلكوا » .

أخرجه ابن المبارك (٨٥١) ، واللالكائي (١٠١) وغيرهم .

فإن قيل : ألم يقل رسول الله ﷺ :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين =

والحمد لله الذي كتمل لهذه الطائفة سهام الإسلام ، وشرفهم بجوامع الأقسام ، وميزهم وهداهم إلى طريقته وطريقته رسوله ، فهي الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية^(١) ، والعصبة الهادية ، والجماعة العادلة المتسكة بالسنة التي لا تريد برسول الله بديلاً ، ولا عن قوله بديلاً ، ولا عن سنته تحويلاً ، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان ، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان ، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداء من كاذب الإسلام ليصد عن سبيل الله ويغيثها عوجاً ، ويصرف عن طريقها جدلاً ولجاجاً ، ظناً منه كاذباً ، وتخميناً باطلاً ، أنه يطفئ نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون^(٢) .

= وتأويل الجاهلين .

قلت : بلى ، ولكن ألم تقرأ ما كتبه النووي رحمه الله في « تهذيب الأسماء والصفات » (١ / ١٧) فقال بعد أن ذكر هذا الحديث :

« وهذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقله ، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف ، وما بعده فلا يضيغ وهذا تصريح بعدالة حامليه من كل عصر ، وهكذا وقع والله الحمد ، وهذا من أعلام النبوة ، ولا يضرب مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم ، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئاً منه ، والله أعلم » .

وقد زدت المسألة بسطة في كتابي « حلية العالم المعلم وباعة الطالب المتعلم » .

(١) هذا نص صريح في عدم التفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة . وذهب إلى ذلك الآجري في « الشريعة » ، والحافظ ابن رجب في « كشف الكربة في شرح حديث الغربة » ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في « العقيدة الواسطية » وغيرهم من أهل العلم على مر العصور وكثر الدهور ، وقد مضى اتفاقهم على ذلك فلا يجوز أن أتى بعدهم أن يحدث قولاً آخر ويتبع غير سيالهم .

(٢) « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١ / ٢٣ - ٢٥)

أهل الحديث الانطلاقة الكبرى

لا شك أن حال الناس الدينية في تراجع مستمر مع الزمن ؛ كما ورد في بعض الأحاديث الصحيحة ، ولكنه تراجع بشكل عام لا بشكل فردي ، وهذا التراجع العام نفسه ليس على عموم بل هو من العام بخصوص ؛ كما قال ﷺ : « مثل أمتي مثل المطر ، لا يدري أوله خير أم آخره » (١) .

والفرقة الناجية خير مستمر على طول الأزمان ، وإن مرت عليها فترات ليس لها دولة ولا سيطرة وصوله ، فإن ذلك لا ينفي عقلاً أن تنطلق انطلاقة كبرى حيث تتشكل في أمة مسلمة تظهر إلى حيز الوجود لاستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة من جديد ، وتمثل في واقع إسلامي عملي ، وقد أخبر الله عز وجل أن دينه سيسود ، وسيعم أرجاء الوجود رغم أنفه كل عدو لدود ، فقال عز وجل : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [التوبة : ٣٣] .

فهذه الآية ومثيلاتها تبشرنا بأن المستقبل لهذا الدين بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها .

وقد يظن بعض دعاة الإسلام أن ذلك تحقق في عهد الرسول وخلفائه الراشدين والملوك الصالحين ، وليس كذلك فالذي تحقق نزر يسير من هذا الوعد كما أشار إلى ذلك قول النبي ﷺ : « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أن ذلك تاماً قال ﷺ : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله » (٢) .

(١) أخرجه الترمذي وحسنه ، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحيح ، وقد فصل ذلك شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني في « الصحيحة » (٢٢٨٦) .
(١) أخرجه مسلم .

وقد وردت أحاديث كثيرة متواترة توضح أن الإسلام سيبلغ مبلغ الليل والنهار ، وذلك يقتضي أن يسيطر على أصقاع الكرة الأرضية ، ويضرب بجذور الحق المنزل في نواحي المعمورة ، وهذه الأحاديث لا تدع مجالاً للشك أن المستقبل للإسلام وحده بإذن الله وحده ، منها :

قال ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض ؛ فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها »^(١) .

وأوضح منه وأعم وأشمل قوله ﷺ : « ليلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار بعز عزيز ، وبذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر »^(٢) .

وهذه الأحاديث تؤكد حتمية رجوع الإسلام إلى مركز السيادة وموضع القيادة وتظهر حتمية رجوع دولة الخلافة الإسلامية التي تحكم بمنهاج النبوة .

ومما لا ريب فيه أن انتشار الإسلام يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ، ومادياتهم ، وسلاحهم ، حتى يتمكنوا من أن يتغلبوا على قوى الكفر والإلحاد والظغيان .

« عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسئل : أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية^(٣) أم رومية^(٤) ؟ فدعى عبد الله بصندوق له خلُق قال : فأخرج كتاباً ؛ فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ كتب سئل رسول الله أي المدينتين تفتح أولاً ؟ فقال : « مدينة هرقل » ، يعني القسطنطينية^(٥) .

وقد تحقق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني المسلم محمد الفاتح بعد أكثر من ثمان مئة سنة من إخبار النبي ﷺ وسيحقق الفتح الثاني لا محالة بإذن الله .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه ابن حبان وغيره ، وصححه شيخنا في « الصحيحة » (٣) .

(٣) هي استانبول حالياً . (٤) هي روما عاصمة إيطاليا .

(٥) أخرجه أحمد والدارمي والحاكم وصححه شيخنا في « الصحيحة » (٤) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق فإذا جاؤوها فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها - قال ثور أحد رواه الحديث : لا أعلمه إلا قال - الذي في البحر ، ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولوا الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصبريخ فقال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون » (١) .

(١) أخرجه مسلم ، وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من أهل العلم لقوله ﷺ فيه : « يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق » ، والروم من بني إسحاق لأنهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، فكيف يكون فتح القسطنطينية على أيديهم . وقد أجاب أهل العلم عن ذلك بأحد جوابين :

الأول : ما ذهب إليه القاضي عياض كما في « شرح صحيح مسلم » (١٨ / ٤٣ - ٤٤) أن قوله : « من بني إسحاق » غير محفوظ ، والمعروف المحفوظ من بني إسماعيل ، لأنه الذي يدل عليه الحديث وسياقه .

الآخر : أن الحديث يدل على أن الروم يسلطون في آخر الزمان ، كما ذهب إليه الخافظ كثير في « البداية والنهاية » (١ / ٥٨) ، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يد طائفة منهم كما جاء صريحاً في هذا الحديث .

واحتج أيضاً بأن الروم مدحوا في حديث المستورد القرشي عند مسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » ، فقال عمرو : أبصر ما تقول ، قال : أقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : لكن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأحلم الناس عند فتنه ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك .

قال العلامة أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله : « فتح القسطنطينية المبشر به في هذا الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل ، وهو = ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يؤمئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا ويه الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليه أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية ، فيبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاوزوا الشام خرج فيبينما يُعدُّون للقتال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأثبهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » .

فهذا الحديث يبين أن الروم يطلبون من المسلمين أن يتركوهم يقاتلون من سبوا وأسلموا ثم سبوا من الروم ، فيرفض المسلمون ذلك لأن من أسلم منهم فهو من المسلمين لا يسلمونه لأحد . وأعلم أرشدك الله للخير : كون غالب جيش المسلمين من سبي الكفار ليس بمعيب ، فقد قال النووي رحمه الله في « شرح صحيح مسلم » (١٨ / ٢١) : « روى سبوا على وجهين : فتح السين والباء وضمهما قال القاضي في « المشارق » الضم رواية الأكثرين . قال : وهو الصواب . قلت : كلاهما صواب لأنهم سبوا أولاً ثم سبوا الكفار ، وهذا موجود في زماننا في معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سبوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار ، وقد سبوا في زماننا مراراً كثيرة يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً ، والله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه » .

ولذلك فإن فتح مسلمي الترك لها في المرة الأولى ارهاص لهذا الفتح الأعظم بدون قتال بل بالتهليل والتكبير على يد مسلمي الروم ، والله ناصر دينه ومعز جنده وهازم الأحزاب وحده له الحمد في الأولى والآخرة ... ولتعلمن نبأه بعد حين .

الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه ، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم ، ثم هي خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية ، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام ، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة ، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ » (١) .

قتال اليهود

وقد أخبر الرسول ﷺ بأن المسلمين سيقاتلون اليهود : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، حتى يختبئ اليهود من وراء الشجر والحجر ، فيقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » (٢) . وهذا تدل عليه أيضاً آيات محكمات من القرآن الكريم ، فالذي يتدبر فواش سورة الإسراء يرى عجباً ، فهي تؤكد أن جولة الإسلام مع اليهود في المستقبل ستكون في جانب المسلمين .

وقد قال بعض المفسرين : إن هذه الآيات تتكلم عما مضى من الزمان ، وتخبر عن أحداث انقضت ، وسيرة قوم اندثروا . لكن هذه الآيات لم يصح فيها حديث مرفوع ، وليس للسلف فيها قول معتمد ؛ يُعَوَّل عليه ، وتطمئن النفس إليه .

وهذه الروايات الكثيرة التي يسوقها المفسرون في هؤلاء المسطلين على بني إسرائيل من الإسرائيليات والموضوعات التي فيها العجائب والغرائب والمبالغات ما لا يصدق ، وفيها ما لا يحتمله الصدق ألبته ، وقد نقل ابن جرير الطبري رحمه الله كثيراً منها عن ابن إسحاق الذي يذكر صراحة اسم أهل الكتاب ، وأنهم يقولون كذا ، أو عندهم كذا ، وموقف المسلم تجاهها معروف وهو عدم التصديق ولا التكذيب إلا إذا خالفت شرعاً أو عقلاً . ودعوى إجماع السلف على أن الإفسادين

(١) « شرح المسند » أحمد شاكر (١٨ / ١٠٣) .

(٢) متفق عليه .

حدثنا ؟ فردود منقوض بعدم نقله ابتداء وحصول الخلاف انتهاء .
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسطين عليهم من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده ... وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده ، وعنه أيضاً وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل ، وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في ترقيه من حال إلى حال ... وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فيه من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته ، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنية عنها ، ولله الحمد .

وفيما قصص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله إليهم ... ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته ، والله أعلم ^(١)

ناهيك أن معرفة الماضي على التفصيل من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا الله كما ورد صريحاً في كتاب الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] ، ولا يمكن معرفة ذلك إلا بوحى صريح ونقل صحيح .

ولذلك دعونا نعود إلى دراستها وتحليلها من جديد ؛ لنجد فيها النافع المانع المفيد فمن علمه الله تأويل القرآن كان عنده المزيد ... إذ لا مجال للشطحات في تفسير اليقين القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ

(١) « تفسير القرآن العظيم » (٣ / ٢٧ - ٢٨) .

شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناهم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴿ [الإسراء : ٤ - ٨] .

أولاً : الآيات تثبت إفسادين إثنين يحدثهما بنو إسرائيل ، فلو كان المقصود بالإفسادين أنهما فيما مضى من الزمان وانقضى فإن التاريخ يثبت أن بني إسرائيل أفسدوا مرات كثيرة فلم يفسدوا مرتين فقط بل أفسدوا مراراً وتكراراً ، ولكن هذين الإفسادين هما قمة فسادهما ، ولما كانوا كذلك سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب فقد سباهم بختنصر الكلداني ، وسرجون الآشوري ، وتيطس الروماني وغيرهم .

قال الحافظ ابن كثير : « وقد أخبر الله عنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم ، وأذلهم وقهرهم جزاءً وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء »^(١) .

ثانياً : لم يذكر في التاريخ كرة لبني إسرائيل على من سباهم فيما مضى وانقضى ، بينما الآيات تثبت أن لبني إسرائيل كرة على من يسومهم في الإفساد الأول ... ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليكم ﴾ ، فتدبر .

ثالثاً : لو كان المقصود بالإفسادين أنهما مضيا ، لم يخبر عنهما بـ « إذا » لأن لفظ « إذا » يفيد معنى الظرفية والشرطية في المستقبل لا في الماضي ، فكيف يخبر عن الماضي الغابر بحرف يفيد المستقبل ؟!

ولو كان الإفسادان قد وقعا في تلك الأزمنة لاستعملت « لما » بدلاً من « إذا » ، وهناك كلمة أخرى تدل على وقوع هذين الإفسادين في المستقبل وذلك بعد نزول الوحي على رسولنا محمد ﷺ وهي قوله تعالى : ﴿ لتفسدن ﴾ فاللام والنون كلتاها للتوكيد في المستقبل .

(١) المصدر السابق (٣ / ٢٨) .

رابعاً : كذلك قوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾ يدل على المستقبل ؛ لأنه لا يقال وعد إلا لشيء لم يأت أو أمر لم يتحقق ، والوعد يؤخذ على نية أن يكون أو لا يكون ، ولكن الوعد من الله أمر حتمي ، فمعنى كلامه سبحانه أنه يقول للناس لا تأخذوا هذا الوعد على أساس قضية استقبال الوعود من الناس ، لأن الناس قد يعدون ما لا يملكون ، وقد يعدون ما لا يكون ضمن قدراتهم ولكن الله الذي قال ذلك لا يخرج شيء عن قدرته ، فوعده محقق لا ريب فيه .

خامساً : إن الحكام والأقوام الذين سبوا بني إسرائيل في القدم كانوا كفاراً وثنيين فكيف يصفهم الله بقوله : ﴿عِبَاداً لَنَا﴾ ؟ فإن هذا الوصف يشير إلى أنهم من المؤمنين وليس من المشركين أو عبدة الأوثان ، لأن هذا الوصف لا يطلق إلا على العباد المؤمنين المخلصين فالإضافة هنا للتشريف ولا شرف ولا عزة إلا للمؤمنين .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ ، وقوله : ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ، وقوله : ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ، وقوله : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ، وقوله : ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ ، وقوله : ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ .

سادساً : سيكون في الإفساد الثاني تدمير مباني شاهقة عالية ، والتأريخ لم يذكر أنه كان لبني إسرائيل في العهد المنصرم هاتيك المباني .

هذه جملة من الحقائق التحليلية لهذه الآيات تؤكد أن الإفسادين سيكونان بعد نزول سورة الإسراء ؛ فلنستقرئ التأريخ الذي كانت فصوله بعد نزول هذه الآيات البيئات والحجج الدامغات :

سورة الإسراء أو بني إسرائيل مكية نزلت على رسول الله ﷺ قبل الهجرة تتحدث عن تأريخ بني إسرائيل مواقفهم من الرسالات الالهية ، وتمردهم على أنبيائهم ، وإقدامهم على الفساد في الأرض ، ثم تنذرهم بأسوأ أنواع العقاب ، وتذكرهم بأنهم في آخر الزمان سيجانبون أحداثاً مريرة ، تفضي إلى تدميرهم ، ودونك تفصيل ما ذكر .

الإفساد الأول : اليهود قوم اجتمعت فيهم عناصر تقنع الناس بأنهم أعداء للبشرية بأسرها ؛ لأنهم يمثلون قمة التحريف في دين الله ، وزعموا أنهم سادة البشر

ومن دونهم عبيد ، وهذا فحوى عقيدة شعب الله المختار .

فما من دولة أو أمة إلا أخرجتهم حينما كشفت فسادهم وحسدكم وضعفهم ،
ومن شاء أن يعرف مستقبلهم مع الإسلام ومع الدنيا جميعها ؛ فليتدبر قول رب
العزة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾
[الأعراف : ١٦٧] .

وما عاشوا في أمة من الأمم إلا وكانوا منبوذين في أماكن وأحياء تعرف
بأسمائهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ
وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران :
١١٢] .

إن تعبيرات القرآن عن يهود في غاية الدقة ؛ لأن قائلها هو الله ، فلم يجد
اليهود أماناً في أمة من الأمم إلا إذا أعطاهم دين من الأديان أماناً ، وهذا معنى قول الله
تعالى : ﴿ وَحَبِلَ مِنَ اللَّهِ ﴾ ، أو إذا حالقوا قوماً أقوياء وعاشوا في حمايتهم وهذا
معنى قوله تعالى : ﴿ وَحَبِلَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فلا يدفع الذلة إلا حبل من الله ، أو حبل
من الناس .

❖ وفي هذه الآية نكتة بلاغية ؛ فالله سبحانه عندما ذكر الذلة استثنى ، ولكنه لما
ذكر المسكنة لم يستثن ؛ لأن المسكنة أمر ذاتي في نفوسهم لا يرفعه شيء ، فليس لهم
عزة ذاتية تقابل الذلة ، بل عزتهم بحبل من الله ، أو بحبل من الناس .

❖ وكذلك تعبيرات القرآن غاية في الدقة حينما تصفهم في البلاد التي عاشوا
فيها ، فالله سبحانه قال فيهم ما صدقه الواقع : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
[الأعراف : ١٦٨] مزقناهم شر ممزق ، فأصبحوا في كل بقعة من الأرض فئة ،
وهذه الفئة كانت تعيش وكأنها أمة داخل أمة ، ولذلك قال الحق : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ ؛ فقد كانوا مجتمعين في البلاد التي سكنوها وسط أحياء تعرف
باسمهم .

ولكن بعد أن شنتهم بنيانوس وتيطس لم تقم لهم قائمة ، إلا فئة قليلة أتت إلى
أرض العرب لأسباب كثيرة ، منها :

أمنية ؛ وذلك لأنهم خافوا على أنفسهم من بطش الرومان .

ومستقبلية ؛ لأنه يوجد في التوراة عندهم أوصاف نبي يظهر في أرض العرب ، فأتوا إلى أرض العرب ظانين أن النبي سيكون منهم ، فلذلك كانوا يستفتحون به على القبائل العربية في المدينة ، فكانوا يقولون أنه سيأتي نبي لأن أدركناه لنقتلنكم به قتل عاد قال تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وعندما بُعث رسول الله ﷺ كانت لهم دولة ، فبعلمهم بالكتاب أخذوا الريادة الفكرية ، وبشغلهم بدنيا المال أخذوا الزعامة الاقتصادية ، وكانت لهم سلطة سياسية ؛ لأنهم ورثوا العداوة والبغضاء بين الأوس والخزرج .

وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان اليهود قد استأثروا بخيرها ، وفرقوا أهلها وأوقدوا نار الحرب بينهم ، وأشعلوا العداوة القاتلة في صفوفهم كلما خبا لحييها ، فكانت الحروب قائمة على قدم وساق ، فاستبدوا وكانت لهم مراكز السيطرة ، ومناطق النفوذ .

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة ظهر حقدهم ، فانقلب فرحهم ترحاً ، وقوتهم ضعفاً ، وسلطانهم ذلاً ، وكان ينبغي أن يستقبله اليهود بالإيمان ، لأن الله جعل كلام أهل الكتاب حجة يواجه بها الرسول المشركين : ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ [الرعد : ٤٣] .

* ومن العجب أنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا ... قالوا كلامهم ، وحماقتهم أنهم قالوه ؛ لأنهم لم يفيدوا منه بل أفاد منه قوم آخرون - وهم الأوس والخزرج - فلما قدم الرسول ﷺ قالوا هذا الرسول الذي توعدتكم به يهود فلنسبقنهم إلى الإيمان به ... إذا لا يعلم جنود ربك إلا هو ... حتى الكافرين قد يكونون من جند الله وهم لا يعملون ... وهذه غفلة من أعداء الله لينتصر عباد الله . ولم يعتد رسول الله ﷺ ، ولكن أحفاد الغدر وأرباب الخديعة نابذوه ، وحاولوا قتله ، ونقضوا عهده ، وألبوا القبائل ضده ، وبلغ الفساد ذروته بقولهم الفاسد

إن عبادة الأوثان خير من دين التوحيد ، والسجود للأصنام أعز من السجود لله فبلغ السيل الزبا ، واستشرى فسادهم واعتدوا على عورات المسلمين ، وخانوا رسول الله في مواضع الحرج والضيق كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً . أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٤] .

فما كان من رسول الله إلا أن جهز الجيوش وجاس خلال الديار ، فشنت سلاهم ، ونكل بهم ، فاضمحت قوتهم ، وفزوا من جزيرة العرب خوفاً من العطب ، وقضى على بقاياهم في جزيرة العرب الخليفة العادل عملاق الإسلام عمر بن الخطاب ، عندما طردهم من خير فطهر أرض الإسلام من الرجس والنجس .

إذا فالإفساد الأول وقع في عهد النبوة بدليل قوله تعالى مخاطباً اليهود : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [البقرة : ١١] وقد اضطر رسول الله ﷺ إلى تأديبهم ، ومعاقبتهم ، وأخرجهم من ديارهم ، واستئصال شأفتهم وفقاً لما جاء في فواتح سورة الإسراء : ﴿ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ﴾ ، وكما ورد في قوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ [الحشر : ٢] ، وقوله : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ [الأحزاب : ٢٦] . وبهذا التأديب النبوي انقطع حبل الله عنهم ، فضرَبوا في الأرض بحثاً عن قوم أقرباء يحالفونهم ليعيشوا في حمايتهم ... وهذا ما سنراه إن شاء الله في السطور القادمة .

وبهذا التفصيل تأتي الآيات منسجمة مع الأحداث التاريخية ، لأن القرآن حينما يخبر يأتي الواقع التاريخي حسب ما أخبر ، لأن واقع الحياة يعلمه الحق ، وقابل الكلام هو الحق فلا تضارب ولا تعارض أبداً ، فالإخبار بـ ﴿ إذا ﴾ التي تفيد الظرفية والشرطية في المستقبل تؤكد دلالاته ، والذين جاسوا خلال الديار هم محمد ﷺ

وجنده المؤمنون المخلصون ، فأنعم بهم من عباد لذي الجلالة سبحانه وتعالى ؛ فصح وصفهم بـ ﴿ عباداً لنا ﴾ .

كرة لبنني إسرائيل : وانقضى عهد النبوة والخلافة الراشدة وابتعد المسلمون عن القرآن شيئاً فشيئاً ، فتفرقت بهم السبل ، وغرقوا في بحر الغرقة اللجب ، فاستوت بهم سفينة الافتراق على صخرة التنازع ، حتى بلغوا الفشل وذهبت ريحهم .

وفي غفلة من المسلمين وبُعْدٍ عن دينهم ملمت فلول الشرذمة قواها المبعثرة ، وأعادوا الكرة على شر خلف لخير سلف ، فأذلوهم وأذاقوهم العذاب والتشريد والتكيل والتضييق ألواناً ، وانتهالت المساعدات على دولة الصهاينة ، ذاك الطفل المدلل للمعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي ، فالأول يمدّها بالرجال ، والثاني يمدّها بالأموال ، فأصبح يهود أكثر نفيراً من المسلمين الذين وصلوا في هذه الأونة إلى حال لا نظير لها في تاريخهم الطويل فإن الخط البياني لوجودهم الروحي والعسكري يمس القاع .

ولدت دولة إسرائيل في وقت هان المسلمون فيه على الله ، وعلى الناس وعلى أنفسهم ، فالغرب الصليبي في عنفوان قوته ، وعندما قرر إقامة دولة يهود على أنقاض شعب فلسطين المسلم ، لم يحسب للعرب المسلمين أي حساب ، ولم يقدر لوجودهم أية قيمة ، أما الشرق الشيوعي الذي تبوأ روسيا قمته فقد كان ينظر للمسلمين على أنهم أمة تافهة تائهة ، ويرمق حكامهم بإزدراء ، ومن ثم أيدت روسيا وجود دولة يهود وقررت إزالة أهل فلسطين ، وشاركت الغرب الصليبي في أقدر جريمة عرفت لها البشرية .

ولماذا نلوم أعداءنا على هذا المسلك ؟ فهم قوم يخدمون مصالحهم وأهدافهم وقد استجابوا بهذه الفعلة مع طبيعتهم ، إنما تقع اللائمة على المسلمين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، الذين يأبون الإسلام شعاراً لهم في المجال العالمي ، أو حياة لهم في الميدان الداخلي .

وقامت دولة المسخ اليهودي في فلسطين على قدميها وسط المسلمين المشدوهين - « بين هم كثرة ولكنهم غثاء - ولذلك قد يقول قائل : إن عدد المسلمين اليوم يزيدون عن ألف مليون نسمة ، واليهود لا يتجاوزون بضعة ملايين ... نقول له : على

رسلك فإن المراد أن بني إسرائيل يصبحون أكثر نفيراً من المؤمنين المخلصين ؛ لأن الصراع الحقيقي بين الفرقة الناجية التي تمثل الحق ، وبين جماهير الباطل منهما اختلف ألوانهم وجنسياتهم .

وأمر آخر فإن كلمة نفير تعني : القوم الذين يتنافرون إلى القتال ، واليهود من هذه الناحية قد فاقوا المسلمين من حيث القوة والتدريب والتجهيزات العسكرية والاستعدادات الحربية مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ .

وهذه الكرة تأديب للمسلمين الذين نسوا منهج الله وفتنوا بمناهج الأرض ، فأرادوا التحليق في الدنيا بجناح المادة فخذلهم جناح الإيمان ، فكبكوا على وجوههم وسحبوا على مناخرهم ، والله إذا أراد تأديب قوم انسلخوا عن منهجه بعدما كانوا مؤمنين به ، سلط عليهم قوماً لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة .

ولكن هذه الكرة لن تطول بإذن الله ، ففي هذه الآيات تعبير بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي ، والتأريخ أثبت بدون شك أن كرة بني إسرائيل حدثت بعد مدة طويلة بل بعد قرون من الإفساد الأول ، ولكن التعبير القرآني عن الإفساد الثاني يستخدم حرف العطف (الفاء) الذي يفيد الترتيب مع التعقيب إعلاماً للمسلمين أن الكرة والزهر والخيلاء لن تطول ، إنما هي فترة محدودة وجيزة تمكنهم من التجمع في الأرض المباركة كي يلتقوا مصارعهم هناك بإذن الله على يد جند الله من عباد الرحمن الذين يحققون في أنفسهم ومجتمعهم العبودية الخالصة لله وحده ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الإفساد الثاني : وأصبح لليهود في بيت المقدس دولة ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وقتلوا النساء والشيوخ والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وحزقوا مسرى الرسول ﷺ ، ومزقوا كتاب الله ، وعم فسادهم وطم وبلغ ذروته حيث العنهر والفجور والرذيلة ، والقتل ، واستباحة أعراض المسلمين ، وسلبهم والتكيل بهم ، ونقض العهود والمواثيق .

إذا فالإفساد الثاني مستمر ، وهو الآن - والله أعلم - في قمة علوه وعربدته ، لأنه ليس بعد هذا الإفساد إفساد :

أيوجد إفساد أعظم من تحريق بيوت الله ؟
أيوجد إفساد أشد من تمزيق كتاب الله وركله بالأرجل ؟
أيوجد إفساد بعد تقتيل الأطفال والشيوخ والنساء وتكسير عظامهم بالحجارة ؟
أيوجد إفساد أكبر من إعلان الحرب جهاراً نهاراً على الإسلام ودعائه ؟
إن هذا - وأيم الله - لهو الفساد الذي ما بعده من فساد .
وجميع المحاولات التي طرحت لحل الخلاف العربي اليهودي ، ولتسوية قضية مسلمي فلسطين جاءت بالفشل الذريع والخسران المبين ، لأن الأمر كله بيد الله لا بقرارات هيئة (اللمم) ومجلس (الفتن) .

وأما اليوم بسطة من الأدلة ووفرة من البراهين تبيح القول بأن قضية فلسطين غدت سلعة للمساومة والتراضي بعدما عجزت الأطراف المشاركة في (اللعبة) من التوصل إلى حل عادل يشبع رغبات وميول الجميع ، ولكن الأخطبوط الصهيوني لا يفتأ يمد أذرعه السامة بين الفينة والفينة ليجد فريسة يحقق على كاهلها مآربه التوراتية - ومما هو جدير بالقول أن هذا ديدن اليهود قديماً وحديثاً ، فلعل مسلمي فلسطين بخاصة يستفيقوا من غفوتهم التي كبكبوا فيها ، لأنهم تنكبوا جادة الحق والصواب - وهاكم دليل من التأريخ المعاصر نسوقه للعبرة والتذكير ... فهل من مدكر ؟

* يعتمد الصنهاينة إلى رشوة الزعماء والحكام لتحقيق أهدافهم التلمودية ، ولبناء وطنهم في أرض الميعاد المزعومة على أنقاض الشعوب المغلوبة على أمرها ... ولكن المعصوم من عصمه الله ، فعندما عقدوا مؤتمر (بال) وقررت الشرذمة المشردة أن تجمع فلولها في أرض الميعاد المزعومة ، صمموا على اتباع السبل الشيطانية المغرية في البداية ليتجنبوا المواجهة المباشرة مع مسلمي فلسطين ، فعرضوا على السلطان عبد الحميد مبالغ طائلة - وكان في مآزق اقتصادي - بشرط أن يسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ... فرفض^(١) .

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد .

وفي سنة ١٩٤١ حاولوا رشوة الملك عبد العزيز ، فأوفدوا الكولونيل (هوسكنس) من كبار موظفي القسم الشرقي في وزارة الخارجية الأمريكية في محاولة لإقناع الملك عبد العزيز بالتنحي عن قضية فلسطين مقابل عشرة ملايين جنيه استرليني ذهباً ، فلما علم الملك عبد العزيز بذلك رفض أن يبحث مع (هوسكنس) الأمور التي تتعلق بفلسطين ، فعاد (هوسكنس) من مهمته بخفي حنين^(١) .

وزعماء اليهود وأنصارهم ما انفكوا يعملون منذ وعدهم (بلفور) وزير خارجية الإنجليز ما لا يملك بإنشاء وطن قومي في فلسطين عام ١٩١٧ م وبشتى الوسائل ومختلف الأساليب على تحقيق مآربهم وأهدافهم وغاياتهم ، وأن تغتوا بالسلم والسلام وحفظ الجوار والمعاملة بالمثل ، فإن هذا كله شنشنة عرفناها من أحزم .

وفي الآيات لفتة لغوية رائعة فلم يذكر الله سبحانه دخول المسجد الأقصى في المرة الأولى منفصلاً مستقلاً ؛ لأنه كان طليقاً منهم ، وذكره في المرة الثانية ملحقاً مع ذكر الدخول ... فما نكتة ذلك ؟

الآيات تتحدث عن إذلال بني إسرائيل ، وأن المؤمنين المخلصين لله سيتبرون ما علا اليهود ، ويسوءون وجوههم ؛ فدخلوا المسجد الأقصى في المرة الأولى لم يكن إذلالاً لبني إسرائيل ؛ لأنه كان تحت سيطرة الرومان ، بينما في المرة الثانية سيكون اليهود فيه ودخوله وهم فيه إذلالاً ومسخٌ وهوانٌ للهؤلاء المفضوب عليهم ﴿ ولیدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ ؛ لأن الآيات تدل على أن المسلمين المخلصين الممثلين في الفرقة الناجية سيهزمون اليهود ، ويُنكَلون بهم ، وسيدخلون المسجد الأقصى ليستعيدوا هذه الضالة من الأمة الضالة ، وهذا يعني أن اليهود سيكونون في بيت المقدس حيث المسجد الأقصى وما هم اليوم اتخذوا القدس عاصمةً أبديةً لهم كما يزعم ساداتهم وكبرائهم .

القضاء على اليهود : وتُسْمِرُ الآيات ﴿ وليتبروا ما علوا تتيهرا ﴾ فعباد الله سيهدمون قلاع الصهيانية ، ويدكون حصونهم ، ويدمرونها ، ويسفونها ، ولم تَعْهَد

(١) « التجربة والخطأ » (ص ٥٢٦) .

وهذا الكتاب مذكرات زعيم الحركة اليهودية العالمية ، وأول رئيس لدولتهم في فلسطين المسلمة السلية ، صدر عام ١٩٤٩ م .

أَرْضُ فلسطين المباني الشاميخة إلا في ظِلِّ الحكم الصهيوني ، حيث ناطحات السحاب وحيث المستوطنات تقام على كل شبر من الأرض المباركة .

ومن خلال هذا الشرح والاستنباط نعلن للبشرية بأسرها أن بناء المستوطنات في فلسطين لن يتوقف ما دام يهودُ فيها ، ومنهما أعلن قادة العدو عن وقف ذلك ؛ فإن كلامهم هراء وكذب واقتراء ، فما هي وكالات الأنباء تنقل لنا أخبارًا مفادها أن اليهود مستمرّون في بناء المستوطنات ^(١) .

ونحن نقول : ابنوا يا بني صهيون وارتفعوا كما يشاء الله ، فإن مصارعكم فيها بإذن الله ، وقرينًا إن شاء الله شدّث عليكم ، وتخيّر فوق رؤوسكم ، وما كان الله ليخلف وعده ﴿ وكان وعدًا مفعولاً ﴾ .

﴿ ودُكر المسجد الأقصى في المرة الثانية بينما لم يذكر في المرة الأولى ؛ لأن الدخول الأول سينقطع ولو لم ينقطع الدخول الأول لكان الثاني استمرارًا له ، ولكن لما انقطع الدخول الأول وانتهى فإن الدخول إذا تجدد كان دخولًا ثانيًا وجديدًا ، وهذا ما حدث فعلاً فإن الدخول الأول انقطع عندما استولى يهود على القدس مع البقية الباقية من فلسطين في هجوم شتّوه عام ١٩٦٧ م سماه الخوالب عام (النكسة) ومن قبل سمّوا عام ١٩٤٨ م عام (النكبة) .

والدخول الأول لن ينقطع إلا بوجود عائق وحائل يمنع المسلمين من الدخول ويكون عدوًا للإسلام وأهله ، وكفى باليهود عدوًا لدودًا مناهضًا للإسلام ، وأهل الإسلام ، وأنصار الإسلام ^(٢) .

ولا بد من أن نحرر أرضنا المغتصبة ، وننتقم منهم ، ونصب جام غضبنا عليهم ، ونشوة وجوههم ، بحيث ترسم على أساريرها آثار الكتابة والذل ، وسندخل المسجد الأقصى - إن شاء الله - كما دخله سلفنا الصالح رضي الله عنهم

(١) كان هذا منذ ستة عشر عامًا ، والأمر على ما كان عليه وقتئذ بل زاد حرص يهود على زراعة مستعمراتهم الاستيطانية في كل شبر من أرض فلسطين المسلمة ، والله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(٢) ولا يزال يهود يقومون بمنع المسلمين من الصلاة في المسجد الأقصى إلا لما نأ .

أول مرة ؛ لأن وعد الآخرة الذي أشارت إليه الآيات : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِمُسَوِّوَا وَجُوهِكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ مما ننتظر وقوعه تصديقاً بموعود الله وتحقيقاً لإخبار رسول الله ﷺ ... ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

من وحي الآيات

١ : القتال في فلسطين سيكون إسلامياً ، وهذا ثابت كما سلف ، فعلى الذين يتبنون قضية فلسطين أن يجعلوا ذلك نصب أعينهم ... لأنه لا نصر لهم إلا بالإسلام ، فاعدائهم اليهود يحاربونهم بعقيدة التوراة والتلمود ، ولن نكون لهم بالمرصاد إلا بعقيدة التوحيد ، كما هي في الكتاب وسنة رسول الله ﷺ ؛ لأنه من المعلوم أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه ، وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى في آخر هذه الآيات البينات : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ .

٢ - القضية الفلسطينية لن تحل سلمياً ^(١) لأن الله قرر خلاف ذلك فعلى

(١) أما ما يسمى عملية « السلام » التي وقعت في شراكها الدول المحيطة بدولة يهود في فلسطين فهي عملية ذر للرماد في العيون ، لأن يهود استطاعوا أن يخترقوا هذه الدول تحت شعار « التطبيع » الذي يتأبط شراً للمسلمين ، ويحقق لليهود كثيراً من أحلامهم منها :

١ - الاعتراف الرسمي والقبول الشعبي بدولة اليهود .

٢ - إلغاء المقاطعة الاقتصادية العربية الإسلامية للاقتصاد اليهودي ، وفتح الأسواق الاستهلاكية أمام المنتجات اليهودية .

٣ - استثمار الثروة المائتة للبلاد العربية الإسلامية .

٤ - استثمار الطاقة النفطية العربية .

٥ - استقطاب المهاجرين اليهود إلى فلسطين .

أما مخاطر « التطبيع » على المنطقة الإسلامية فهي :

١ - استغلال الدين وتطويعه لأهواء الذين لا يعلمون .

٢ - الاختراق الثقافي والفكري كإعادة النظر في المناهج الدراسية وتطبيعها مع أهواء =

الذين يقامرون على مسرى النبي ﷺ ويعرضونه في المزاد العلني أن يثوبوا لرشدهم ... ويعلموا أن خط سيرهم سيؤدي بهم إلى الهاوية التي لا ترحم .

٣ - الهجرة اليهودية إلى الديار المقدسة لن تتوقف ^(١) ، واليهود سيأتون إلى

= اليهود ، ونشر الثقافة والآداب اليهودية .

٢ - حرية النشاط التجسسي اليهودي ، والعمل على إحداث فتن وإصافها بمعارضتي التطبيع لتأليب الحكومات عليهم .

٤ - إلغاء حقوق الشعب الفلسطيني المسلم ، وطرح قضية تعويض اللاجئين والتي هي في الحقيقة بيع قسري لأرض المسلمين في فلسطين ليقام عليها كيان غريب .

٥ - تقييد قدرة المسلمين الدفاعية عن حدودهم ، وذلك بإدخالهم في معاهدات وأخلاف مقابل إطلاق اليد اليهودية تملك ما تشاء من أسلحة الدمار الشامل ؛ النووية ، والجرثومية ، والكيميائية ... إلخ .

٦ - ضمان أمن اليهود وسلامتهم بحيث تتحول الدول المحيطة بدولة يهود إلى دور الحراسة للكيان اليهودي .

٧ - تمزيق الجبهة العربية الإسلامية بحيث تدخل الأطراف المشاركة في الصراع العربي اليهودي في دوامة النزاعات الداخلية .

٨ - إشاعة الفساد الجنسي والتحلل الأخلاقي بتصدير بائعات الهوى حاملات مرض الإيدز ، وتسريب الأغذية الملوثة بالإشعاع النووي أو المحقونة بهرمونات تؤثر على الإنجاب أو الفيرة ، وتوسيع دائرة تهريب المخدرات .

٩ - تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والتضييق على مسلمي فلسطين وحصرهم .

(١) كتب هذا الكلام منذ ستة عشر عاماً ، وقد جاءت الأحداث تؤكد أنه فلقد وقعت

هجرتان يهوديتان كبيرتان إلى فلسطين :

الأولى : استقدام يهود الفلاشا من منطقة القرن الإفريقي .

الثانية : استقطاب يهود الاتحاد السوفيتي المنحل .

الأرض التي تدر عسلاً ولبناً رزافات ووحداً باستمرار كي يلقوا فيها مصارعهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الاسراء : ١٠٤] وها هم اليهود يهاجرون باستمرار وازدياد إلى فلسطين من كل حذب وصوب ومن كل فج عميق يلبون حكم الله الذي قضى عليهم منذ الأزل .

٤ - لعل المسلمين ألا يتخذوا بأقاويل المعسكر الغربي الذي يتعلل بأنه يمد إسرائيل بالعدة والعتاد ، وأسلحة الدمار ، ليحافظ على ميزان القوى في المنطقة ، فاليهود يملكون أجهزة فتاكة كثيرة وحديثة ومعقدة أكثر من المسلمين ، وهذا صميم قوله تعالى : ﴿ وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ .

٥ - لن يهدأ لليهود بال ، ولن يقر لهم قرا ، ولن يصلوا إلى الأمن المنشود فهذا حلم صعب التحقق ، وأمر بعيد المنال ، لأن الله منعهم إياه ، فكل المحاولات التي تسعى إلى ذلك ستبوء بالفشل الذريع والخسران المين تحقيقاً للوعد الإلهي والقضاء الرباني فيهم : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

هكذا يلفت القرآن أنظارنا إلى أشد الحقائق ثقلاً في قلب العالم المعاصر ، قضية فلسطين المسلمة التي حيرت البشرية ، وإذا كانت مشيئة الله المطلقة قادرة على تحقيق العجائب المشهودة في كل لحظة من الزمن ، وفي كل شبر من العالم ... أفتعجز - وحاشاها - عن تحقيق الفصل نفسه على هذه الرقعة من البسيطة ؟

ذلك ما يعلمنا إياه القرآن ، وهي تشير إلى المستقبل الإسلامي الزاهر المتفجر بالحياة ، لكي يضع العقل المسلم المعاصر أمام الحقائق العارية ، المؤثرة ، والمنظورة ... بلا جدل سياسي ، ولا تعقيد فلسفي ، ولا أغاميز أعلامية مما تمارسه وسائل الإعلام التي تحركها الأيدي المشبوهة .

من أكثر من زاوية يتعامل القرآن مع المسلم ، فمرة بالحقائق التاريخية المعجزة ، ذات المعاني المتدفقة ، والقيم التي لا تكف عن التمحض والعطاء ؛ فتسري في الكيان

البشري فتعشه وتسوي لجسم خائر صلبًا ... فلنستمر في الرحلة الطيبة .. وليكن مرورنا سريعًا كي لا يطول بنا الشرى ... ولكن عند الصباح يحمد القوم الشرى .
خلافة راشدة على منهاج النبوة : إذا فدخل المسجد الأقصى مرة ثانية ، أمّر حتمي مؤكّد لا مفرّ منه فهو ثابت بنص القرآن الكريم .

ومما لا شكّ فيه أن هذه الانتصارات المؤزرة التي سيحققها الإسلام ، وهذه الفتوحات الرائعة التي ستعم العالم بأسره ، تستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة الإسلامية ، حيث تصبح الحاكمة الأمرة الناهية بكتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة وهذا مما بشرنا به رسولنا ﷺ بقوله في الحديث الصحيح الصريح الفصيح : « تكون الثبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكًا عاصًا ^(١) فيكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكًا جبريًا ^(٢) فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت » ^(٣) .

رخاء اقتصادي : ومن المبشرات بعودة القوة للمسلمين واستثمارهم الأرض استثمارًا يعينهم على تحقيق الغرض المنشود ، والهدف المقصود ، وتنبئ بأن لهم مستقبلًا زاهرًا ، وغدًا باهرًا من الناحية الاقتصادية والزراعية قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا » ^(٤) .

ظهور المهدي والنظام الاجتماعي العادل : أحاديث المهدي المتواترة ^(٥) تخبرُ بظهور مصلح في آخر الزمان يحكم بالكتاب والسنة ، ويملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت

(١) ملك وراثي . (٢) ملك قهري وديكتاتوري .

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود الطيالسي وغيرهما بإسناد حسن .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) وقد صرح بذلك جماعة من أهل العلم كالحافظ ابن حجر في « فتح الباري » =

جورًا وظلمًا ، يبايع وهو مكروه ، يحكمُ ثمانِي أو سبع حجج ، يكثرُ المال في زمانه ويحثوه ولا يُغْدُهُ ، اسمه محمد بن عبدالله من أهل بيت الرسول ﷺ ، ومن ولد فاطمة وهو إمام عادل تقي وحاكم منصف .

وقد ورد في ظهور المهدي أحاديث صحيحة نورد بعضها على سبيل التلليل :

١ - « يخرج المهدي في آخر أمتي ، يسقيه الله الغيث ، ويُخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحًا ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعا أو ثمانِي ، يعني حجج » ^(١)

٢ - « لا تذهب الدنيا ، ولا تنقضي ، حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي » ^(٢) .

٣ - « يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحثو المال ولا يعده » ^(٣) .

* واعلم أبا الإيمان أنَّ الخلافة الراشدة على منهاج النبوة تعود قبل ظهور المهدي وليس كما يعتقد بعض الناس ، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية : أنَّ الخلافة يرجعها المهدي وهم ينتظرونه ، فإن هذا ما لا دليل عليه بل هو وهم وخرص وتخمين ^(٤) .

ومن الأدلة الدامغة على أنَّ الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أنَّ المسلمين

= (٦ / ٤٩٣) ، والسيوطي في « العرف الوردي » (٢ / ٥٧ - ٨٧ - حاوي) ، والسخاوي في « فتح المغيث » (٣ / ٤٣) ، والسفاريني في « لوامع الأنوار البهية » (٢ / ٧٠) ، والكتاني في « نظم المتناثر » (ص ٤٧) ، والبرزنجي في « الإشاعة لأشراط الساعة » (ص ٨٧) وغيرهم كثير .

وقد فندت شبهات منكري خروج المهدي في كتابي « الأدلة والشواهد » (ص ١٠٤ - ١٢٢) .

(١) أخرج الحاكم وصححه إسناده ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) انظر (ص ٣٢٥) .

يسترجعون بيت المقدس من اليهود ، كما سبق ذكره وتبينه ، بينما المهدي يكون عند ظهوره في بيت المقدس ، حيث يكون في أيدي المسلمين ، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نير الاحتلال الصهيوني اليهودي البغيض ، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدي ، لأنها هي السبيل لاسترجاع مجد الإسلام التليد .

ومما يؤكد أنَّ الخلافة الراشدة عائدة قبل ظهور المهدي قوله ﷺ في الحديث الثالث المتقدم : « يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان » فهو يشير إلى أنَّ المهدي خليفة في سلسلة الخلفاء الذين يحكمون بالكتاب والسنة على منهاج النبوة في آخر الزمان .

وقرينة أخرى أنَّ المهدي يمثل قمة الإصلاح الديني في آخر الزمان ، ومن المعلوم بداهة أنَّ هذا لا يتحقق جملة بل بالتدريج فلذلك لا بدَّ من وجود مصلحين سابقين يوطؤون للمهدي قمة إصلاحه وحكمه ، والله أعلم .

وجملة الأخبار السابقة وغيرها تنبئ بمستقبل إسلامي زاهر ، ناهيك عن تضافر المؤشرات العالمية التي تعد إرهابات كونية لاستفاقة العملاق الإسلامي من السبات العميق ، وهذا باعتراف أعدائنا .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

مؤشرات عالمية على ضرورة الحياة الإسلامية

إننا عندما نقول : إن المستقبل لهذا الدين لا نكون مغالين قيد أنملة إنما هي الحقيقة وعين الصواب ، فإن الدين عند الله الإسلام ، وأن المادية والوثنية أصبحتا عاجزتين عن الحركة أمام النكبات التي أحدثتها جاهلية الرجل الأبيض حتى أن العالم كله أفراداً أو جماعات وشعوباً باتوا يفكرون في الأخطار المحدقة بهم وشعروا بالجريمة التي حاكت خيوطها هذه المادية التعسة ، فأصبحوا يعانون من الصراعات المتعددة ، والإحباطات المتنوعة ، وأخذت الهتافات الكثيرة تنبعث من القلوب الحائرة ، وترتفع من الحناجر المرهقة ، تهتف بمنقذ ، وتنقب عن مخلص ، من هذه الورطة الشائكة ، وتحيل في مخيلتها أشكالا وملامحاً لطبيعة هذا المنقذ ، وكنه هذه المخلص ، الذي تنقب عنه وتصبر إليه ... فمن المنقذ ؟ وأين المخلص ؟ وما هو الحل ؟ ... إنه الإسلام والشواهد على ذلك كثيرة ، والمؤشرات خطيرة :

١ - الفطرة : الإنسان خير بفطرته ، والشرك دخيل طارئ على النفس الإنسانية ولذلك ينبغي على المرء أن يعلم أن الإيمان بالله لا مفر منه ؛ لأن عقيدة : « الله ربي وأنا عبده » ذات أصول عميقة في فطرة الإنسان ، وإن حاول دهاقنة الإلحاد سترها ، ولكنها ظهرت على لسان مقالهم أو حالهم فجأة ؛ فإذا بهم يُخربون ما بنوه ، وينقضون ما قرروه بين عشية وضحاها .

قال (إنجلز) في رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه : إنني أدعو كل يوم ، وأقضي اليوم كله داعياً أن تنكشف لي الحقيقة ، فقد أصبح الدعاء هوايتي منذ وجدت الشكوك طريقها إلى قلبي ، إنني لا أستطيع أن أقبل عقائدكم ، عيني تبكي ، ولكنني أشعر أنني لست بطريد من رحمة الله ، بل أأمل أن أصل إلى الله الذي أتمنى رؤيته بكل قلبي وروحي .

وعندما كان طاغية الاتحاد السوفيتي (برجنيف) يوقع معاهدة (ساليوت الثانية) مع الطاغية الأمريكي (كارتر) وقف (برجنيف) وقال لـ (كارتر) : إن الله سيحاسبنا إن لم نتوصل إلى إتفاق .
فإذا لـ (كارتر) يصعق م هذه الكلمات ، فتلقفها وزير خارجية

(برجنيف) المدعو (غروميكو) فحرفها : أي إن الأجيال ستحاسبنا ... إلخ .
ومن المعلوم بدهة لدى المعتبرين بسنن الله الجارية في الكون أن الإلحاد ليس له
قوائم يثبت عليها ، ولذلك فعما قريب سيقتل نفسه بنفسه ، ولن يجد من يوارى
سواته^(١) .

وذلك لأنه يصطدم بكل شيء في هذا الكون، لأنه انفراد بمنهج من تلقاء نفسه،
ونسج خياله، ولذلك فهو غير متناسق مع النظام الكوني، الذي صنعه الله فأحسن .
وهو حين يصطدم بالثاموس الكوني يتمزق ، ولا يؤدي الأمانة التي حملها ، إنه
كان ظلوماً جهولاً .

والفطرة الإنسانية في أصلها متناسقة مع سنن الله في الكون، مسلمة لربها
إسلام كل شيء، وكل حي ... فمن الجهل أن يختار العبد غيرها، ومن الظلم أن
يضعها في غير موضعها ، قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

إن العبد حين يخرج بنظام حياته عن ذلك الثاموس، لا يصطدم مع الكون
فحسب، إنما يصطدم بفطرته التي بين جنبيه، فيشقى ، ويتمزق ، ويحتار ، ويقلق ،
ويضطرب ، ويحى كما تعيش البشرية في يومها هذا في عذاب ، وحيرة ، ونكد
والإسلام دين الفطرة ، فهو المخلص للبشرية من الشقاء .

لقد تبين لأولي النهى أن الإسلام :

هو - وحده - القادر على منح البشرية المنهج الملائم لفطرتها، واحتياجاتها
الحقيقية .

وهو - وحده - القادر على تنسيق خطاها في حركة متزنة متناسقة مع كل
شيء وكل حي .

وهو - وحده - القادر على إقامة واقع للحياة شامل متكامل، ذي منهج أصيل،
مستقل الجذور، وليس مجرد تعديل للحياة الزاهنة وأوضاعها القائمة؛ إنه منهج ينظم
الاعتقاد والعبادة، والعمل والواقع .

إذا فهو - وحده - الكفء للاضطلاع بمهمة إنشاء الحياة البشرية على قاعدة

(١) انظر لزماماً (ص ٨٠) .

جديدة كما عرفتُها أول مرة يوم أن بعث الله مُحَمَّدًا ﷺ بالهدى ودين الحق .
وحيث يتقرر ذلك فإنَّ الإسلام هو - وحده - القادر على إنقاذ البشرية ممَّا
يَحِقُّ بها من أخطارٍ ماحقة تحملها نذر السوء، فلا بدَّ أن تدلف إليه في يومٍ ما مقودة
بالسلاسل ليدخلها الجنة، لأنَّ المستقبل له نَقْلًا وعقلًا واقعًا وفطرةً وتجربة .

٢ - شهادة مفكري الغرب : ولقد تحدّث كثيرٌ من مفكري الغرب عن بوار
انهيار المدنية الماديّة الوثنيّة ... كلٌّ يرصد الأمر من زاوية نظره الخاصّة .

فالفيلسوف الإنجليزي (برتراند رسل) يقول : لقد انتهى العصر الذي يسود
فيه الرُّجل الأبيض، وبقاء تلك السّيادة إلى الأبد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة .
ثمَّ يُعلّل الأمر بأنَّ الرُّجل الأبيض لم يَعد لديه ما يُعطيه (١) .

والدكتور الفرنسي (الكسيس كارييل) يتحدّث في كتابه : « الإنسان ذلك
المجهول » عن مظاهر الانهيار في المدنية الغربيّة الوثنيّة، ثمَّ يعلّلها بأنَّ تلك المدنية
قد أنشئت على حطام فطرة « الإنسان » الذي أنشئت من أجله (١) .

ولذلك فهو يَطلب منهجاً غير « دين الصّناعة » فهو يريد :
« منهجاً » يُقَدِّم الإنسان فيه مقياساً لكل شيء، ولا يجعله غريباً في العالم الذي
ابتدعه، ولا ينهض على الجهل المطبق بخصائصه ومقوماته .

« منهجاً » لا يهمل تأثير المصنّع على الحالة الفسيولوجيّة والعقلية للعمال
إهمالاً تامّاً عند تنظيم الحياة الصناعيّة، ولا ينهض على مبدأ الحد الأقصى في الإنتاج
بأقدر قدر من التكاليف .

« منهجاً » لا ينشئ بيئة غير صالحة لا بالنسبة لمقوماتها ولا بالنسبة لهيئتها،
ولا يجعلنا نحطُّ أخلاقياً وعقلياً، ولا يكبت ويعطل نمو وجوه النُّشاط العاطفي
والجمالي والديني ؛ فيخلق أشخاصاً في المرتبة الدُّنيا ذوي عقول ضيقة غير
صحيحة .

« منهجاً » لا يُلغي شخصية الفرد من حسابه ، ولكنّه كذلك لا ينسى حاجة
الفرد للحياة الجماعيّة .

« منهجاً » لا يُلغي شخصية الذَّكر وشخصية الأنثى ؛ فإهمال إنعدام المساواة

بين الجنسين أمرٌ خطير جداً .
« منهجاً » لا يدع حياة بني الإنسان نهياً لخيالات ماركس ولينين وفرويد،
ومرتعاً لشهوات الناس وأهوائهم ونظرياتهم ورغباتهم .
« منهجاً » لا يتعدى على قوانين الفطرة ، ولا يشجع على ارتياد الأرض
المحرمة، ولا يضطدم بالحقائق الحيوية للكينونة الإنسانية .
ويقول (برناند شو) : لقد تنبأت بأن دين مُحَمَّد سيكون مقبولاً لدى أوروبا
غداً ، وهو قد بدأ مقبولاً اليوم .
وأما أنا فأرى أن يدعى مُحَمَّد منقذ الإنسانية وإن رجلاً مثله إذا تولَّى زعامة
العالم الحديث نَجَح في حل مشاكله، وأصل في العالم السَّلام والسَّعادة .
ويقول (أرنولد توينبي) : مشكلة الخمر والعنصرية لن يحلها إلا الإسلام ،
وهو كفيل بذلك .

هذه نماذج من شهادة علماء المدنيَّة الوثنية، وأما ساستها فماذا يقولون ؟
يتحدَّث (جون فوستر دلاس) وزير خارجيَّة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
الأسبق في كتابه « حرب أم سلام » عن إفلاس المدنيَّة الغربيَّة ؛ ويرده إلى نقص
الإيمان ، والحيرة القائمة في عقول النَّاس، والتآكل الموجود في أرواحهم، ولذلك
فهو يريد :

« منهجاً » لا يعطي الأولوية المطلقة للتنمية الماديَّة للمجتمع مع إعطاء
الروحانية أهميَّة ثانويَّة، ولا يُعَدُّ الإيمان أمراً ثانوياً يتعلَّق بالأفراد .
« منهجاً » لا يقف موقفاً غامضاً من الإيمان وعلاقته بالنَّشاط الحيوي .
« منهجاً » لا يقوم على الفرديَّة المطلقة كما عرفتُها التَّجربة الأمريكيَّة، هذه
الفرديَّة الَّتِي معناها الموت المبكر .
« منهجاً » لا يفرق بين الدين وممارسة الدين، ولا يحطم الصِّلَة بين الإيمان
والعمل .

وهكذا تتوالى شهادة علماء الغرب وساسته، وتعلو صيحاتهم ، ولكن أين
يطلبون هذا « المنهج » الَّذِي هذه سماته ؟ إنَّهم يتفونونه في عالم الإنسان وعند رجال
الكنيسة ... على الرُّغم أنَّهم يعلمون أنَّ العقل الإنساني فيه عجزٌ بطبيعة الإنسان ،
وأنَّ رجال الكنيسة هم الَّذين قادوا المدنيَّة الغربيَّة إلى أحضان الماديَّة الوثنيَّة (!)

إنهم لا يتجهون إلى الإسلام بل يحاربونه على الرغم من أنهم يعلمون أنه الحق : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٠] .
فإن قيل : إذا كيف تورد أقوالهم؛ لتقرير أن المستقبل للإسلام وهم يكفرون

به ؟

فالجواب : أن الله سبحانه تعالى جعل شهادة علماء أهل الكتاب ومعرفتهم بالإسلام والرسول ﷺ أنه حق حجة على الكافرين وعلى أنفسهم وأن المستقبل لهذا الدين، فقال عز شأنه : ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٤٠ - ٤٣] .

لقد أدرك بعض منصفى أهل الكتاب هذا المقام، فانقضت عن أعينهم الغشاوة، وشفيت أسماعهم من الوقر، وتفتحت قلوبهم للهدى والثور، فكتب كتاباً سماه : « الإسلام كبديل » نقل ملخصه مما نشرته جريدة « الرأي » الأردنية : نشرت دار ديدريكس « ميونخ » قبل بضعة أسابيع كتاب « الإسلام كبديل » الذي كتبه السفير الألماني في المملكة المغربية « مراد فليفرید هوفمان » .

وهذا الكتاب أثار ضجة حتى قبل نشره ، وصلت إلى حد مطالبة نائبة في البرلمان الألماني عن الحزب الاشتراكي المعارض بسحب السفير من منصبه بالرباط بحجة عدم مراعاته في كتابه لحقوق المرأة التي يكفلها الدستور الألماني (١) .
والواقع أن « هوفمان » وضح هذا الكتاب عن عقيدة راسخة وإيمان عميق بعظمة الإسلام وتسامحه ورغبة صادقة منه في إزالة التحاملات الظالمة السائدة في الغرب حول الدين الإسلامي .

وكانت عالمة الألمانية الأستاذة الدكتور « زيغريد هونكة » قد تصدّت قبل فترة لتفنيد التهاملات الغريبة ضد الإسلام في كتابها « تعالى الله عما يصفون ألف تحامل

وتحامل ضد الإسلام » .

جاء كتاب الشّفير « مراد هوفمان » في عشرين فصلاً تناول من خلالها علاقة الإسلام مع الغرب والمسيحيين^(١)، ومفهوم الإسلام للإيمان، والعلم، والأصوليّة، والحكم، والاقتصاد، والقضاء، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والجهاد، والبيئة، والفن .. وغير ذلك من المواضيع التي تهتم الإنسان المعاصر في الشرق والغرب . ومع أنّ هذه العجالة لا يمكن أن تفي هذا الكتاب حقّه؛ فإننا نودّ تقديم بعض الأفكار الواردة فيه وخاصّة تلك التي تُثير حاليّاً مُناقشات واسعة مثل علاقة الإسلام بالغرب، والأصوليّة، والإسلام وحقوق المرأة ، والدّولة الإسلاميّة ، والنّظام الاقتصادي الإسلامي .

يؤكد « هوفمان » في مقدّمة الكتاب أنّ الإسلام بما يملكه من مقوّمات إيمانيّة وأخلاقيّة وعلميّة سيكون الدّين المتسيّد على مستوى دولي في القرن الواحد والعشرين .

فالإسلام لم يعد كما كان يوصف قبل انهيار الشيوعيّة بأنّه الطّريق الثالث بين الشيوعيّة والرأسماليّة ، وإنّما سيكون هو البديل للمجتمع الغربي الصّناعي ... » هكذا تتوالى شهادات علماء الغرب وحكامه تدعو هذا الجيل أن يعود إلى الله ، أن يعود إلى المنهج الرباني الصحيح ، الذي سيصف لهم العلاج الشافي من كل أمراض حضارتهم الزائفة .

وثمة مؤشرات أخرى تدعم هذه النظرة وتقويتها ، منها ما نشاهده من انهيار النظم القائمة اليوم ، فإن انهيارها هذا سيعيد البشريّة إلى منهج الله ، وسفينّة النجاة . فالرأسمالية قد استهلكت عقيدة ونظاماً ، فكراً وتطبيقاً ، وإن بقي حثالة منها متمثلة في أميركا وغيرها ، فهي لا تزال في طريقها إلى الزوال والغناء ، حيث يرقبها مصيرها المحتوم^(٢) .

(١) الصّواب أن يُقال : « التّصارى » .

(٢) بنت أميركا قوتها على أربعة أركان :

١ - الخداع والكذب .

والشيوعية التي تعد من أشنع ما أنتجته العقول الفارغة ، والضمائر المنحلة ،
والأهواء الجامحة فقد بدأت بالانهيار ، وأخذت تنمرد على قوانين وأنظمة وقيود
الشقيين (لينين) و (ماركس) شيئاً فشيئاً .

وما انشقاق الصين عن روسيا وخلافها في مسائل وقضايا جمّة ، إلا أول
الإرهاصات لبدء هذا الانهيار^(١) ، وقد صرح خروتشوف في عام ١٩٦٤ م قائلاً :
لا بد من القضاء على فكرة المساواة في الأجور ، وأنه لا بد من استغلال الحافز الفردي
لزيادة الإنتاج ، وأن المزارع الجماعية ضعيفة المحصول .

= ٢ - الاقتصاد .

٣ - القوة العسكرية .

٤ - ضعف المسلمين وتفرقهم .

فأما الكذب والخداع فإن حبلهما قصير ، فقد فقدت أمريكا (مصداقيتها) أمام جميع
شعوب الأرض ؛ لأنها تكيل بمكيالين وتلعب على حبلين في جميع مواقفها وقراراتها الدولية .
وأما الاقتصاد فهو في حكم المنهار ولا أمل في إعادته وبنائه من جديد ، فمديونية أمريكا
تبلغ أربعة آلاف مليار دولار ، بواقع مليار دولار عجز يومي .
وأما القوة العسكرية فهي تابعة في كثير من فصولها لسياسة الكذب والخداع والاقتصاد
.... وهي إلى دمار وبنار .

فلم يبق من مقومات بقاء أمريكا إلا ضعف المسلمين وتفرقهم ولذلك فهي تركب الصعب
والذلّول على إبقائهم على وضعهم القائم ... ولذلك ينبغي على الأمة الإسلامية أن تستفيق
وتسلك سبيل التوفيق وتترك بنيات الطريق .

(١) وقد حقق الله هذا الانهيار فقد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ م إلى دويلات
متفرقة على يد « غورباتشوف » ، وأصبحت الشيوعية جريمة يعاقب عليها القانون ، وحطمت
أصنام الشيوعية على أيدي حماة .

وتتابع الانهيار الشيوعي في دول أوروبا الشرقية ... رومانيا ، بلغاريا ، هنغاريا ، يوغسلافيا
... وأصبحت أثراً بعد عين ... والله يغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وهذا أكبر كفر بالشيوعية وتخلي صريح عن الأفكار الماركسية اللينينية التي قام على أساسها الهش النظام الشيوعي الأحمر ، وأن العالم قد بدأ يشعر بهذا وبمدى خطورة هذا النظام وهذه القوانين وعدم جدواها حيث يقول « دالاس » : « يجب أن نرفض النظرية الماركسية القائلة : إن الأشياء المادية لها الأولوية والروحانية تابعة لها » . إنها ردة شنيعة عن نظم ومناهج ثبت بالتجربة والاختبار فشلها الذريع في قيادة البشرية نحو السعادة ، ردة إلى نظام آخر جديد ؛ يرتق ما فسد ، ويصلح ما خرب ، ويقود الصالح من جديد .

إن هؤلاء الحيارى الذين يتقبن عن المنهج الصحيح يتوهمون في بعض السبل والمناهج ، ولكنهم لن يلبثوا أجلاً أو عاجلاً أن يهتدوا إلى الطريق الذي لا بد منه ، بعد فشل شتى السبل ، إلى منار الإسلام ، وإلى منهج الله .

وعلى الرغم من أن المدينة الغربية قد أفلت ودنت شمسها من المغيب ؛ فإنهم بحاجة إلى من يقول لهم : هذه هي الطريق ، هذا هو النور ، وهذا واجب الدعاة المسلمين ... أن يجيدوا فن العرض ... كي يعرضوا الإسلام في الثوب الزاهي القشيب كما نزل من السماء صافياً نقياً ... وألا يعرضوا الإسلام على أنه بديل من البدائل ... بل هو البلسم الشافي من أمراض المدينة الحبيثة ... فالبشرية أمام مفترق : الله أو الدمار .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

الفكر الصوفي

نبذة تاريخية : الحركة الصوفية فكرة فلسفية قديمة ، كان لها أتباع فلاسفة وشعراء إغريق وهنود وفرس ، لكننا سنقتصر على دراسة التصوف الذي ليس ثوب الإسلام تسترًا على حقيقته ، فالذي يسبر غوره ، ويحد قراره ، يجده بريقًا من الإسلام عقيدة وسلوكًا وتربية براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

رائد الفكر الصوفي الذي ظهر بعد الإسلام هو إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١ هـ ، بلخي أسند الحديث ، لم ينحرف كثيرًا في العقيدة عن الكتاب والسنة ، وهو من الذين شهد لهم ابن تيمية بالاستقامة^(١) ، وحكاية تصوفه تشبه قصة بوذا ؛ ترك حياة الملوك ، وساح في الغلوات ، لابسًا أثواب الرعاة وجية صوف^(٢) .

بلغ التصوف قمته العقائدية وصرح المتصوفة به في نهاية القرن الثالث الهجري ، وكان أجراًهم على التصريح بخفايا أمره ومكنون نفسه الحسين بن منصور الحلاج ، وهو من أهل بيضاء فارس ، صاحب الجنيد - سيد الطائفة - قتل مصلوبًا على جسر بغداد يوم الثلاثاء ٦ ذي القعدة سنة ٣٠٩ هـ ، وقد أجمع فقهاء عصره على كفره ؛ لأنهم رأوا كفرًا بواحا عندهم عليه من الله برهان ، لقوله بالحلول والاتحاد .

وأصبح التصوف دينًا للسواد الأعظم من المسلمين في القرنين التاسع والعاشر الهجري ، وقد هيأ المتصوفة لذلك بقيادة شيخهم الأكبر هذا الرجل الذي استطاع أن يصيغ عقيدة التصوف صياغة كاملة وشرحها وضرب عليها آلاف الأمثلة محيي الدين بن عربي « النكرة » الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ..

هؤلاء أشهر أئمة القوم الذين عقدت لهم أمانة التصوف ، فهم بناء عقيدته ، وحاملو لوائه ، ومن أفواههم سندنهم ، ومن أوثق كتبهم سننقل أقوالهم .

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٥١٥ - ٥١٧ و ١١ / ٣٩٢) .

(٢) انظر « طبقات الصوفية » السلي (ص ٢٨ - ٣١) .

صوفية لماذا ؟ قيل : إن التصوف مشتق من صفاء النفس ؛ لأنه يرتبط بقضايا القلب ، وينشد تهذيب الروح لتسمو وترتفع عن أحوال ... وهذا خطأ لغوي لأنه لم يعهد في لسان العرب كلمة التصوف بمعنى صفاء النفس وتركيتها ، وإنما المعروف التركبة والزكاء أي : النماء والطهر ، وهو مأخوذ من قول العرب : زكا الزرع إذا نما وأينع ، ولذلك فقد اضطرد مجيء هذه الكلمة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ للدلالة على صفاء النفس وتطهيرها وتطبييها وتنقيتها من قبائرها . ومن هنا نتبين أن هذا الاشتقاق لا يستقيم لغة ، فالكلمة دخيلة على لسان العرب بهذا المفهوم^(١) .

ويؤكد ما ذهبت إليه اضطراب المتصوفة أنفسهم في تفسير هذا الاصطلاح حيث قال الكلاباذي : « لم سميت الصوفية صوفية ؟ قال طائفة : إنما سميت صوفية لصفاء أسرارها ، وقال بشر بن الحارث : الصوفي من صفا قلبه بين يدي الله عز وجل ، بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم بقلوبهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه ، وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم وأوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ »^(٢) .

وقال قوم : إنما سموا صوفية للبسهم الصوف^(٣) . ثم ركب الصعب والذلول للجمع والتوفيق بين هذه الأقوال حتى أعياه التقصي حط عصا الاعتراف فقال : « وإن جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ ، وصحت العبارة من حيث اللغة »^(٤) .

(١) انظر « تلبيس إبليس » ابن الجوزي (ص ١٨٣) .

(٢) قال ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص ١٦٣) : « إن نسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط ؛ لأنه لو كان كذلك يقال : صُفِّي »

(٣) « التعرف على مذهب التصوف » (ص ٢١) .

(٤) المصدر السابق (ص ٢٦) .

هذا اعتراف صوفي بأن هذا اللفظ لا يستقيم عموده إلا إذا كان مشتقاً من الصوف ، وقد استحسنه السهروردي^(١) وهو أحد أئمتهم قتل بأمر صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ .

وهذا التعليل حق ؛ فإن الصوفية اشتهروا بلبس الصوف المسمى عندهم (المُرْقُقة) للتدليل على زهدهم في الدنيا - زعموا .

وقد أجازته ابن الجوزي فقال : « وقال آخرون : بل هو منسوب إلى الصوف ، وهذا يحتمل »^(٢) ، وجزم به ابن خلدون فقال : « والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف »^(٣) ، واختاره شيخ الاسلام ابن تيمية فقال : « وقيل - وهو المعروف - أنه نسبة إلى لبس الصوف ؛ فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد بن زيد من أصحاب الحسن ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، ولهذا كان يقال : فقه كوفي ، وعبادة بصرية ، وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قوماً يتخيرون الصوف ، يقولون : إنهم متشبهون بالمسيح بن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا ، وكان النبي ﷺ يلبس القطن »^(٤) .

وأما نسبة التصوف لأهل الصفة فغلط كما قال ابن الجوزي^(٥) ، وكذلك قال ابن تيمية رحمه الله ، ونقل أقوالاً أخرى وضعفها^(٦) .

(١) « عوارف المعارف » (١ / ٢٩٥ - على هامش إحياء علوم الدين) .

(٢) « تلبس إبليس » (ص ١٦٣) .

(٣) « مقدمة ابن خلدون » (ص ٤٦٧) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (١١ / ٦ - ٧) .

(٥) تقدم (ص ٨٣) .

(٦) « مجموع الفتاوى » (١١ / ٦) .

أشهر الطرق الصوفية : الطرق الصوفية كثيرة ، منها : السقراطية ، والجنيدية ،
والقادرية ، والشاذلية ، والرفاعية الأحمدية ، والشرطية ، والمولوية ، والتيجانية ،
والنقشبندية ، والخلوتية ، والمراغية ، والسهروردية .

تنوعت المسميات ولكن حقيقة التصوف واحد ، لأن القاسم المشترك بينها
عقيدة خيثة حيث لا يوجد إلا صوفية واحدة ، غايتها واحدة ، منذ بدايتها حتى
نهايتها كما قال سيد الطائفة (الجنيد) : « الصوفية أهل بيت واحد ، لا يدخل فيه
غيرهم »^(١) .

وقال أبو طالب المكي : « فأما المعرفة الأصلية التي هي أصل المقامات ومكان
المشاهدات ، فهي عندهم واحد لأن المعروف بها واحد »^(٢) .

وقال شيخهم الأثر ابن عربي النكرة : « وينكرون الذوق لأنهم ما عرفوه من
نفوسهم ، مع كونهم يعتقدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة ، وكذلك هو
الأمر ؛ أصحاب الأذواق على طريق واحدة بلا شك ، غير أن فيهم البصير والأعمى و
الأعمش ، فلا يقول واحد منهم إلا ما أعطاه ماله ، ولا ما أعطاه الطريق ، ولا ما هو
الطريق عليه في نفسه »^(٣) .

وقال ابن البنا السرقسطي :

مذاهب الناس على اختلاف ومذهب القوم على الائتلاف

وشرحه ابن عجيبة الفاسي فقال : « ... بخلاف مذهب الصوفية ؛ فهي متفقة
في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك ، فمرجع كلام القوم في كل باب
لأحوالهم ، وإلا فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأملها ، وذلك بخلاف مذهب غيرهم ،
والوجه فيه أن الحق واحد ، وطريقه واحدة ، وإن اختلفت مسالكها فالنهاية واحدة ،
والذوق واحد ... ومذهب الصوفية هو الاتفاق في الأصول والفروع ، أما الأصول

(١) « الرسالة القشيرية » (ص ١٢٧) .

(٢) « قوت القلوب » (٢ / ٧٩) .

(٣) « الفتوحات المكية » (٣ / ٢١٣) .

فنهايتهم الشهود والعيان ، وهم متفقون فيه لأنه أمر ذوقي لا يختلف^(١) .

ويقول عبد الحليم محمود شيخ الأزهر : « وفي الناس من يرى أن التصوف مذاهب وفرق وطوائف ، ولكن هذا التفكير المنحرف تأتي إلى القائلين به من نظرتهم إلى علم الكلام وإلى الفلسفة ، ففي علم الكلام : أشاعرة ومعتزلة ومشبهة ، وفي الفلسفة : أرسطيون وإفلاطونيون وديكارتيون ... والنفوس مهياه لقبول فكرة الطوائف .

في جميع العلوم النظرية ، ولقد خلط الكاتبون بين هذه الدراسات والتصوف ، فزعموا أن في التصوف مذاهب وفرقا وطوائف .

لو أنعموا النظر ؛ لوحظ أن التصوف تجربة روحية ، وليس نظراً عقلياً ، وإن كان النظر العقلي يفرق الناظرين إلى طوائف وفرق فإن التجربة لا يختلف فيها إثنان ، وإذا كانت الفلسفة لأنها نظر عقلي مذاهب متعددة ، فإن التصوف وهو تجربة مذهب واحد لا تعدد فيه ولا خلاف .

وكما أنه لا يستساغ الخلط بين الوسائل والغايات في أي ميدان من الميادين ، فإنه لا يستساغ الخلط بين طرق التصوف وهي وسائل وبين الغاية وهي التصوف نفسه ، فطرق التصوف متعددة مختلفة ، وبعضها أوفق من بعض ، وبعضها أسرع من بعض ، ولكنها على اختلافها وتعددتها تؤدي إلى هدف واحد وغاية واحدة ، التصوف إذن مذهب بصيغة المفرد ، لا مذاهب بصيغة الجمع^(٢) .

ويقول عبد القادر عيسى : « وإن الطريق واحدة في حقيقتها ، وإن تعددت المناهج العلمية ، وتنوعت أساليب السير والسلوك ، تبعاً للاجتهاد وتبدل المكان والزمان ، ولهذا تعددت الطرق الصوفية ، وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها واحدة^(٣) .

(١) « الفتوحات الإلهية » (ص ١٠١) .

(٢) من مقدمته لـ « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص ١٢ ، ١٣)

(٣) « حقائق عن التصوف » (ص ٢٧٢) .

هذه كلمات عارفهم واعترافات أكابرهم تقرر أن الصوفية عقيدة واحدة يدين بها المتصوفة على اختلاف طرقهم ... وأن الأمر كما قال شاعرهم :

عبارتنا شتى وحسنك واحد . . . وكل إلى ذلك الجمال يشير^(١)

التصوف « الإسلامي » ريبب التصوف الوثني : ويثبت قولنا أمور :

أحدهما : ظهور بعض العقائد الوثنية القديمة في الفكر الصوفي كالقول بوحدة الوجود ، وهي فلسفة ظهرت في الهند وفارس ، نادى بالوجود الكلي لذات واحدة تعددت وجوداتها بتعدد صفاتها ، وهي تتراءى لهم في كل شيء ، وتظهر لهم في كل شيء ، ومجاهدة النفس بصنوف المجاهدات كالخلوة ، والجوع ، والسهر ، والصمت ، وتركيز الفكر والبصر والجلسة الثابتة حتى تفنى بخالق الكون وتلحق به ، ولهم في ذلك اصطلاحات مثل العشق والفناء ، لقد انحدر التصوف المسمى « إسلامي » من الأمم السابقة فهو ذو جذور وثنية ؛ يونانية وفارسية وهندية ويهودية وعربية جاهلية .

وثانيهما : أن شيوخ التصوف القدامى فرس كالجلال ، والبسطامي ، وجلال الدين الرومي . والذي نرجحه أن هؤلاء أرادوا التوفيق بين التصوف والإسلام ، كما حدث لبعض الفرق عندما أرادت المزج بين الفلسفة اليونانية والعقيدة الإسلامية كالمعتزلة والجهمية وإخوان الصفا ، فكانوا جسراً تسللت من فوقه وتسربت من تحته شوائب الحضارات الوثنية القديمة .

ثالثهما : اعترافات أئمة القوم باتصال صوفيتهم بسفسطة اليونان وغيرها من الوثنيات .

قال شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي : « وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القرية ؛ فخميرة الفيشاغورين وقعت إلى أخي إحميم^(٢) ، ومنه نزلت إلى سيار تستر^(٣) وشيعته ، وأما خميرة الخسروانين في السلوك فهي نازلة إلى سيار

(١) « غاية القرب » (ص ٨٦)

(٢) هو ذو النون المصري .

(٣) هو سهل التستري .

بسطام^(١) ، ومن بعده إلى فتى بيضاء^(٢) ، ومن بعدهم إلى سيار أمل
وخراقات^(٣) ،^(٤) .

وقد روى السهروردي قبل كلامه هذا أنه رأى أرسطو في نومه فسأله عن
أقطاب التصوف كسهل التستري وأبي يزيد البسطامي وذو النون المصري والحلاج ،
فقال أرسطو فيهم : « أولئك هم الفلاسفة والحكماء حقاً ، ما وقفوا عند العلم
الرسمي ، بل جاوزوا إلى العلم الشهودي ، وما اشتغلوا بعلائق الهيولي ، فلهم الزلفى
وحسن مآب » .

وقال ابن سبعين مورداً أقوال فلاسفة اليونان التي تثبت وحده الوجود : « وكان
سقراط يقول في كل صباح : أنا الدليل بالذات ، وأنت العزيز بالذات ، فلا تجعلني
بعزتك من السعداء بالعرض ، يامن هو صورة كل شيء ، وقياس هذا العالم ووجوده
القريب .

وكان أفلاطون يقول : يا نور العالم ، يا سبب الكل ... كم ذا نتجرد ونعود
إلى هذا الجسم ، ونرجع في عالم العقل إليه ، قوّني بحيث أثبت عندك ولا نعود ، فإن
صرفتني إلى هذا الهيكل فاشغلي بك ، وألهمني بالرجوع إلى حالتي التي انصرفت
من حضرتها الشريفة .

وكان أرسطو يقول : يا علة العلل ، يا أزل الأزل ، يا سبب أول^(٥) .
وقال الششتري في نونيته المشهورة رابطاً بين فلاسفة اليونان ، ومتصوفة
المسلمين :

ويتم ألباب السهرامس كلهم وحسبك في سقراط أسكنه الدنا

(١) هو أبو يزيد البسطامي .

(٢) هو الحلاج .

(٣) هو أبو الحسن الخرقاني .

(٤) « ولاية الله والطريق إليها » (ص ١٧١) .

(٥) « رسائل ابن سبعين » (ص ١٦٢) .

وجرد أمثال العوالم كلها وأبدى لأفلاطون في المثل الحسنى
وهام أرسطو أو مشى من هيامه وبث الذي ألقى إليه وما ضنا
وذوق للعلاج طعم اتحاده فنقال أنا من لا يحيط به معنى
فقبل له ارجع عن مقالك قال لا شربت مداماً كل من ذاقه غنى
وانطق للشبلي بالوحدة التي أشار بها لما أمحي عنده الكونا^(١)
وقال الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الصوفي : « فإن الصوفية جميعاً
وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون إلى يومنا هذا يعلنون منهجاً محدداً يقرونه
جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة ، وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها ، واصطلفته
مذاهب الحكمة القديم منها والحديث »^(٢) .

ولا تزال رواسب الفكر الصوفي مسيطرة على أدمغة كثير من المسلمين وبخاصة
بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة ، كالقول بحياة الخضر ، وأن الله في كل مكان ،
أو موجود في كل وجود ، واعتماد المنامات كدليل على الأحكام الشرعية ، والإيمان
بالمكاشفات وإلهامات ، وقد يظن كثير من الدعاة الإسلاميين : أن المد الصوفي
انحسر وتراجع القهقري مغلساً وأنه على وشك الانتهاء أو في طريقه إلى الزوال أو أن
الصوفيين قلّة لا تأثير لهم في المجتمع ، والواقع يوضح عكس ذلك ، فالبعث الصوفي
بدأ من جديد منظماً مموّلاً تحت أسماء محدثة براقة ، ونحن هنا نتمثل بقول طرفة :
« ويأتيك بالإخبار من لم تزود »^(٣) .

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف » (ص ٦٠٩) .

(٢) « المرسى أبو العباس » (ص ١٠) .

(٣) أخرج الترمذي عن عائشة ، والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس : « أن رسول
الله ﷺ كان يتمثل بهذا الشعر » :

قلت : وهو صحيح ، وهذا عجز بيت لطرفة بن العبد من معلقته .

التبع للصلة بين التصوف والتشيع : الخبير بحقيقة التصوف والتشيع يرى أنهما وجهان لعملة واحدة فهما ينبعان من عين واحدة ، ويسعيان إلى نهاية واحدة ، ويشتركان في تصورات وعقائد متشابهة ، ومن ذلك .

أولاً - ادعاء العلوم الخاصة : يدعي الشيعة بأن عندهم علوماً خاصة ليست مبذولة لعامة المسلمين وينسبونها لأهل بيت النبوة ومن ذلك ادعاؤهم أن لديهم « مصحف فاطمة » الذي يعدل القرآن الذي بأيدي المسلمين ثلاث مرات^(١) ، ويزعمون أن محمداً بعث بالتنزيل وأن علياً بعث بالتأويل^(٢) .

وعلى هذا المنوال نسج المتصوفة فزعموا أن عندهم « علم الحقيقة » وعند غيرهم « علم الشريعة » ، وأن الله حباهم بعلوم « الدنية » بينما أهل الظاهر يأخذون علمهم عن الأموات ، حتى قال كبيرهم البسطامي : « خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله »^(٣) .

وبهذا يتضح التطابق بين التصوف والتشيع في مسألة العلم الباطني .

ثانياً - ألقى الشيعة على أئمتهم هالة التقديس حيث نسبوا إليهم منزلة فوق منزلة الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين كما قال الخميني : « من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل »^(٤) بل اعطاهم صفات رب العالمين : « وأنهم يتحكمون في ذرات هذا الكون »^(٤) .

وهذه الصفات أطلقها الصوفيون على من سبّوهم « الأولياء » فقد جعلوهم المتصرفين في الكون أعلاه وأسفله ويعلمون الغيب كله ، ولذلك اخترعوا ديواناً للأقطاب والأوتاد والأبدال ليدبر شؤون الكون من خلال قراراته ، يقول أحمد بن مبارك السلجماسي المغربي في وصف الديوان الباطني الصوفي : « سمعت

(١) « الدين بين السائل والمجيب » الحاج ميرزا الحائري الأحقافي ، (ص ٨٩) .

(٢) « فرق الشيعة » (ص ٢٨) .

(٣) وسيأتي قولهم موثقاً في بحث « العلم اللدني » (ص ١٠٢) .

(٤) « الحكومة الإسلامية » (ص ٥٤) .

الشيخ^(١) رضي الله عنه يقول : الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنت فيه الرسول ﷺ قبل البعثة .

قال رضي الله عنه : فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك ابن أنس رضي الله عنه ، وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب ، ومن المذاهب الأخرى ، والوكيل أمامه ، ويسمى قاضي الديوان ، وهو في هذا الوقت مالكي أيضاً من بني خالد القاطنين بناحية البصرة ، واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي ، ومن الوكيل يتكلم الغوث ولذلك يسمى وكيلاً ، لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان .

قال : والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ، والصفوف الستة من وراء الوكيل ، وتكون دائرتها من القطب الرابع الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة ، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة ، وهذا هو الصف الأول وخالطه الصف الثاني على صفته وعلى دائرته وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها .

قال : ويحضره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة .

قال رضي الله عنه : ويحضره بعض الكمل من الأموات ، ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميزون بثلاثة أمور :

أحدها : أن زيهم لا يتبدل بخلاف زي الأحياء وهيئته فمرة يحلق شعره ، ومرة يجدد ثوبه وهكذا ، وأما الموتى فلا تتبدل حالتهم ، فإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي يتبدل فاعلم أنه من الموتى كأن تراه محلق الشعر ولا ينبت له شعر ، فاعلم أنه على تلك الحالة مات ، وإن رأيت الشعر على رأسه على حاله لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق ، فاعلم أنه ميت وأنه مات على تلك الحالة .

(١) هو عبد العزيز الدباغ الذي يدعي علم الأولين والآخرين (!) .

ثانيها : أنه لا تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات .
قال رضي الله عنه : ومن آداب زائر القبور إذا أراد أن يدعو لصاحب القبر
ويتوسل إلى الله تعالى بولي من أوليائه في إجابة دعوته أن يتوسل إليه تعالى بولي ميت
فإنه أنجح للمقصود وأقرب لإجابة دعوته .

ثالثها : أن ذات الميت لا ظل لها ، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس ، فإنك
لا ترى له ظلاً ، وسره أن يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابية ، وذات الروح
خفيفة لا ثقيلة ، وشفافة لا كثيفة^(١) .

ثم زعم أن النبي ﷺ يحضر الديوان فإذا حضر جلس في موضع الغوث ،
وجلس الغوث في موضع الوكيل^(٢) .

ثم ادعى أن ساعة انعقاد الديوان هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ ، لأنها
ساعة استجابة^(٣) .

ثم استمر في هرائه مبيناً لغة أهل الديوان وأنها السريانية^(٤) .

ثم يقول : قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله
تعالى من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل
بعضهم بعضاً^(٥) .

وأما إذا حضر الغوث فلا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن
النطق بها ، فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شيء
آخر^(٦) .

(١) « الأبريز » (ص ١٦٣ - ١٦٤) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٦٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر السابق (ص ١٦٨) .

(٥) المصدر السابق نفسه . (٦) المصدر السابق (ص ١٦٩) .

ثم يبين سبب اجتماع أهل الديوان : « إن أهل الديوان اذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون في ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه .
قال رضي الله عنه : ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم الرقا - وهو ما فوق الحجب السبعين - فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرمهم وما تهمس به ضمائرهم ، فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين ، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغير من العوالم » (١) .

إذن هذا بيت القصيد الذي يريد ... فماذا أبقي هؤلاء - الذين كذبوا على ربهم - لربهم يتصرف فيه ويدبر أمره ؟.. ألا لله الخلق والأمر... سبحانه وتعالى عما يفترى عليه الخراصون .

ثالثاً - القول بأن للدين باطناً وظاهراً : لقد اتفق الشيعة وربائهم اللائي في جحورهم من المتصوفة على زعم باطل وإفك قاتل أن للدين باطناً وظاهراً ، فالباطن هو المراد على الحقيقة ولا يعلمه إلا الأئمة والأولياء ، والظاهر هو المتبادر من النصوص ويفهمه العامة .

وقد عقد الدكتور كامل الشيبني فصلاً طويلاً نقل فيه أقوال المتصوفة والشيعة في هذه المسألة (٢) .

وقال الدكتور أبو العلا العفيفي : « وترجع المقابلة بين الشريعة والحقيقة - في أصل نشأتها - إلى المقابلة بين ظاهر الشرع وباطنه ، ولم يكن المسلمون في أول عهدهم بالإسلام ليقروا هذا التفرقة أو يفكروا فيها ، ولكنها بدأت بالشيعة الذين قالوا : إن لكل شيء ظاهراً وباطناً ، وإن للقرآن ظاهراً وباطناً ، بل لكل آية فيه وكل

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) « الصلة بين التصوف والتشيع » (ص ٢٠٥ - ٢٠٩) .

كلمة ظاهر وباطن ، وينكشف الباطن للخواص من عباد الله الذين اختصهم بهذا الفضل ، وكشف لهم عن أسرار القرآن ، ولهذا كانت لهم طريقتهم الخاصة في تأويل القرآن وتفسيره ، ويتألف من مجموع التأويلات الباطنية لنصوص القرآن ورسوم الدين ، وما ينكشف للمسالكين من معاني الغيب عن طرق أخرى مما أطلق عليه الشيعة اسم علم الباطن الذي ورثه النبي ﷺ عليّ ابن أبي طالب - في زعمهم - وورثه عليّ أهل العلم الباطن الذي سمو أنفسهم بالورثة ، وقد اتبع الصوفية طريقة التأويل هذه ، واستعملوا فيها أساليب ومصطلحات الشيعة إلى حد كبير .

ومما سبق تدرك مبلغ الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع الباطني ^(١) .
رابعاً - تقديس القبور : تقديس القبور وزيارة المشاهد ركن من أركان المعتقد الشيعي فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور وجعلوه شعارهم ^(٢) .

وجاء الصوفية وجعلوا أهم شعائرهم زيارة القبور وبناء الأضرحة والطلواف بها والتبرك بأحجارها والاستغاثة بأصحابها ، ولذلك زعموا أن قبر معروف الكرخي وهو أحد كبرائهم هو الترياق المجرب ^(٣) .

وهذه الصلة بين التصوف والتشيع أمر أقر به المؤرخون كابن خلدون : « ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحده كما أشرنا إليه وملؤوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب « المقامات » له وغيره وتبعهم ابن العربي ^(٤) وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرئيلي في قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم ، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين

(١) « التصوف والثورة الروحية في الإسلام » .

(٢) « رسائل إخوان الصفا » (٤ / ١٩٩) .

(٣) « طبقات الصوفية » السلمي (ص ٨٥) .

(٤) هو محي الدين بن عربي الطائفي ، وليس أباً بكر بن العربي .

يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان ، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب « الإشارات » في فصول التصوف منها فقال : لحل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد ، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي ، وإنما هو من أنواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا : بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى إنهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف لجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه ، وهو في هذا المعنى أيضاً وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليه أو طريقة في لباس ولا مال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهى الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شجئنا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة الرافضة ومذاهبهم في كتبهم ، والله يهدي إلى الحق» (١) .

ولقد صنف الدكتور كامل الشيبني في الصلة بين التصوف والتشيع كتاباً أثبت بدلائل تاريخية هذه الصلة الوثيقة .

لم تقتصر الصلة بين التصوف والتشيع على الأقوال بل تعدت إلى الأفعال حيث عملاً مُشترِكين على هدم الدولة الإسلامية السنية ، وتعاوناً مُخْلِصين مع أعدائها ، وفتحاً مُصْرِّين ثغور المسلمين لهم .

لقد أنهكت الحركات الباطنية الدولة الإسلامية زمن بني العباس واقتسموا ولاياتها ، ونشروا الزندقة والإلحاد حتى جاء صلاح الدين فوَّاد المجوسية وأعاد للمسلمين دولتهم السنية وتوجهت هممتهم إلى تطهير البلاد من الصليبيين ، لكن الروافض بقوا يحفرون الأخاديد حتى استطاع الحوَّاجه النصير الطوسي مع ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد من توجيه جيوش التتر إلى بغداد عاصمة الخلافة فَحَرَّب بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى إلا رب الأنام .

(١) « مقدمة ابن خلدون » (ص ٤٧٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا ، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا ، واستولوا على بلاد الإسلام ، وسبوا الحرم ، وأخذوا الأموال ، وسفكوا الدم الحرام ، وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ، ما لا يعلمه إلا رب العالمين »^(١) .

وقال : « وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة ، فإنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ففيهم جهل وظلم ، لا سيما الرافضة فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً ، يعادون خيار أولياء الله تعالى بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين ؛ كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين ، فتجدهم أو كثير منهم ، إذا أخذهم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار ، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر - سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالخروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين - تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن .

كما قد جرّبه الناس منهم غير مرة في إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك ، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة ؛ فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ، ومعاونة للكافرين ، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير ، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير »^(٢) .

(١) « منهاج السنة النبوية » (١ / ١٠ - ١١)

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٠٥ - ٢١) .

وقال ابن قيم الجوزية : « وكان هؤلاء^(١) زنادقة ، يستترون بالرفض ، ويظنون الإلحاد المحض ، وينتسبون إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو وأهل بيته برآء منهم نسباً ودينياً ، وكانوا يقتلون أهل العلم والإيمان ، ويدعون أهل الإلحاد والشرك والكفران ، لا يحرمون حراماً ، ولا يحلون حلالاً ، وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل إخوان الصفا

ولما انتهت النبوة إلى نصير الشرك والكفر الملحد ، وزير الملاحدة ، النصير الطوسي وزير هولاءكو شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه ، فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه الملاحدة ، واشتفى هو ، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعين والسحرة ، ونقل أوقاف المدارس والمساجد ، والربط إليهم ، وجعلهم خاصته وأولياءه ، ونصر في كتبه قدم العالم ، وبطلان المعاد ، وانكر صفات الرب جل جلاله ؛ من علمه وقدرته ، وحياته ، وسمعه ، وبصره ، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، وليس فوق العرش إله يعبد البتة .

واتخذ للملاحدة مدارس ، ورام جعل إشارات إمام الملحد ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال : هي قرآن الخواص ، وذلك قرآن العوام ، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الأمر ، وتعلم السحر في آخر حياته ، فكان ساحراً يعبد الأصنام ... وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحد الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر^(٢) .

هذه الأعمال المبيحة يشيد بها كبير الرافضة في هذا العصر الخميني فيقول : « ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام^(٣) .

وأما تعاون الشيعة مع اليهود فحقيقة ثابتة باعتراف أقطابهم فقد اتهم حسين الموسوي حركة أمل بالتعاون مع العدو الصهيوني في خطاب ألقاه في يوم القدس في

(١) الدولة العبيدية التي تسمت زوراً وإفكاً بـ « الفاطمية » .

(٢) « إغاثة الليفان من مصايد الشيطان » (٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧) .

(٣) « الحكومة الإسلامية » (ص ١٢٨) .

بعلبك يوم ١٩ / ٧ / ١٩٨٢ م^(١)

وأما المتصوفة فأكثرهم يسير في ركاب الظلمة والمستعمرين ، لأنهم تربوا على ذلك كما قال الشعراني : « أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف داروا ، ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها ... »^(٢) .

قال الدكتور عمر فروخ : « يقول الصوفية : إذا سلط الله على قوم ظالماً ، فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها .

لا ريب أن الأوروبيين قد عرفوا ذلك واستغلوه في أعمالهم الاستعمارية ، ذكر مصطفى كامل بطل الوطنية المصرية في كتابه « المسألة الشرقية » قصة غريبة في أذن القارئ العادي .

قال : « ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاؤوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل سيد أحمد الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سبواهم من المصائب ، وقال لهم : بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتماً فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنسيون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٢٦ فليس يبدع أن تكون الصوفية - التي على هذا الشكل - قد أثارت منذ أول أمرها مخاوف سياسية مزدوجة :

أن تكون ستاراً لحركات هدامة ، وأن تكون شركاً للعامة بصرفهم عن أهدافهم القومية العليا .

من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يقدحون على الصوفية

(١) وانظر « أمل والنخبات الفلسطينية » (ص ١٦٠ - ١٦٧) ففيه بسطة من البراهين .

(٢) « البحر المورود » (ص ٢٩٢) .

الجاه والمال ، قرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، وقد ضربوا إليه من أقصى منطقة انتدابه ؛ لضيق الوقت أو لقلّة المبالاة ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر يقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات .

أليس التصوف - الذي على هذا الشكل - يقتل عنصر المقاومة في الأمم ، وتكثر التآليف الصوفية في أمم أوروبا على نسبة اهتمامها بالاستعمار ، ولذلك عندهم هدفان :

أولها : تثقيف قومهم بأسلوب من أساليب الاستعمار .

ثانيهما : إغراق المثقفين من سكان الشرق بكتب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزة ، وميادين الكفاح الوطني ^(١) .

وقد لعبت الطريقة التيجانية دوراً كبيراً في ترسيخ أقدام فرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية ؛ ففي سنة ١٨٧٠ م استطاعت امرأة فرنسية تسمى « اوريلي بيكار » أن تخترق الزاوية التيجانية وتتزوج من شيخها سيد أحمد ، ولما هلك تزوجت أخاه سيدي علي ، فأصبحت هذه المرأة مقدسة عن التيجانيين وأطلقوا عليها لقب « زوجة السידين » وكانوا يتسبون بالتراب الذي تطأه ، وقد استطاعت إدارة الزاوية التيجانية كما تحب فرنسا وكسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة ، ولذلك أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرف ؟ ^(٢) .

وساعد التيجانيون الجيوش الفرنسية حتى أن الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة قال في خطاب أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة « عين ماضي » المركز الرئيسي للطريقة التيجانية بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ : « إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً ومعنوياً وسياسياً ، ولهذا فإنني أقول - لا على سبيل المن

(١) « التصوف في الاسلام » (ص ١٠٩) .

(٢) « مخازي الولي الشيطاني » (ص ١٢) .

والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف والقيام بالواجب : إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل بلادنا ، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا «^(١) .

وقد بنى الصوفية فعاليتهم القبيحة على فلسفة في الذل صريحة فمن شعاراتهم الصوفية « دع الخلق للخالق » و « ليس في الإمكان أبدع مما كان » و « لو اطلعتهم الغيب لاخترتم الواقع » .

فإن قيل : ألم ينتشر الإسلام في القارة الافريقية على يد بعض الطرق الصوفية ؟ فالجواب : بلى ، ولكن ماذا عند هذه الطرق حتى تنشره ؟ أن هذه الطرق تحمل إسلاماً محرفاً مشوهاً لو نظرت إليه بدلائل الصدق من الكتاب والسنة لأنكرته ولم تعرف منه شيئا ، فلذلك فإن المستعمرين والحكام الظالمين لا يخشون انتشار هذا الإسلام المزعوم بل يشجعونه ويدعمونه لأنهم يعلمون أنه أفيون الشعوب ، ولذلك لا تعجب إذا علمت أن الطرق الصوفية بقيت ظاهرة مهيمنة في بلاد المسلمين التي احتلها الشيوعيون .

بل الواجب على السائل أن يعكس سؤاله ليصيب الحقيقة : لماذا أذنت دوائر الاستعمار للصوفية بنشر هذا الإسلام ؟ وفي المقابل فإنها حاربت بكل عنف جميع مراكز الإصلاح التي قامت لدعوة الناس إلى الرجوع إلى دينهم الحق ؟

لماذا يشجع رجال الاستعمار الطرق الصوفية ؟

إن انتشار هذه الطرق كفيل بقتل نشاط المسلمين وشل حركتهم الوثابة وإبعادهم عن نور الاسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ من لدن رب العالمين .

قال طنطاوي جوهرى : « إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش ، وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب ، وحبيت إليهم الثمرات ، وهوت إليهم القلوب ؛ لما ركز في النفوس من قربهم إلى الله ، فلما رأوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام ، وهذا

(١) المصدر السابق (ص ١٣) .

ما حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش ، وقرأنا نحن فيها ، إذا صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق ، وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة ، فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق ، وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد ، وقالوا هكذا بصريح العبارة : إن هؤلاء جميعاً متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم ، فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المغنم ، وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد والنمور»^(١)

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

(١) « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » (٩ / ١٣٧ - ١٣٨)

التعرف على عقائد التصوف

لقد مارس أساطين التصوف مسخاً وتشويهاً لآي الكتاب الكريم ، وقلباً وتحريفًا لمفاهيم السنة النبوية المطهرة ، ولكن الله - جلت قدرته - فيض لهذه الأمة من يجدد دينها بتقية الدين الإسلامي من العقائد والفلسفات التي تسربت إلى عقول هؤلاء القوم نتيجة لاتصالهم بالأفكار الوثنية ، فكشفوا عوارهم ، وفندوا أقوالهم ، وأبانوا عن خطائهم ، وفساد طريقتهم ، وباستقراء كتب المتصوفة يمكن حصر عقائدهم فيما يأتي :

أولاً : العلم اللدني : نسبة إلى قوله تعالى عن الخضر عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] ويعنون انفتاح علم الغيب عليهم وسبيل ذلك الكشف والتجليات والاتصال بالله ورسوله مباشرة .

قال الغزالي : « فإن قلت : فُضِّل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله ؛ فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة ، فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ... وهو علم الصديقين والمقربين ، أعني علم المكاشفة ، فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عن تطهيره وتركيبته من صفاته المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة ... فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جليلة الحق في هذه الأمور اتضحاً يجرى مجرى العيان الذي لا يشك فيه ... وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة ، وبطريق الأسرار ... »^(١)

وسلك المتصوفة لتحقيق ذلك سبلاً أهمها :

١ - التنفير من طلب العلم الشرعي :

قال الجنيد « أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغيرت حاله : الكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج ، وأحب للصوفي : أن لا يقرأ ، ولا يكتب ،

(١) « إحياء علوم الدين » (١ / ١١ - ٢٠) ، وانظر أيضاً (٣ / ٢٦) .

لأنه أجمع لهمه»^(١) .

قال أبو سليمان الداراني : « إذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر في طلب المعاش ، أو تزوج ، فقد ركن إلى الدنيا »^(٢) .

٣ - هدم إسناد الحديث ، وتصحيح الأحاديث المنكرة والضعيفة والموضوعة بطريقة الكشف .

قال أبو يزيد البسطامي : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان ؛ وأين هو ؟ قالوا : مات . عن فلان ؛ وأين هو ؟ قالوا : مات »^(٣) .

وقال ابن عربي : « علماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم »^(٤) .

وقال الشبلي :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت لهم بعلم الخرق

وقال الشعراني : « وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين ، فهو صحيح عند أهل الكشف »^(٥) .

٣ - جعلوا طلب العلم عورة وسبيلاً للمعاصي والأخطاء .

نقل ابن الجوزي : « أن شيخاً صوفياً رأى مريداً ويده محبرة ، فقال له : أخف سؤتك »^(٦) .

(١) « قوت القلوب » (٣ / ١٣٥) .

(٢) « الفتوحات المكية » (١ / ٣٧) .

(٣) المصدر السابق (١ / ٣٦٥) ، و « الكواكب الدرية » المناوي (ص ٢٢٦) .

(٤) « رسائل ابن عربي » (ص ٤) و « الكواكب الدرية » (ص ٢٤٦) .

(٥) « الميزان » (١ / ٢٨) .

(٦) « تليس إبليس » (ص ٣٧٠) .

بل إنهم يتوارثون بعض العبارات المنفرة خلفاً عن سلف مثل : « من كان شيخه الكتاب كان خطؤه أكثر من الصواب » :

جواب :

١ - من اعتقد أنه باستطاعته أن يكون مع الرسول ﷺ كما كان الخضر مع موسى عليهما السلام فهو كافر بإجماع علماء المسلمين ؛ لأن موسى لم يكن مبعوثاً للخضر ، ولم يكن الخضر مأموراً باتباع موسى ، فقد جعل الله لكل شرعة ومنهاجاً ، وهذا الأمر تكرر قبل البعثة النبوية كمعاصرة لوط لإبراهيم ، ويحيى لعيسى عليهم صلوات الله وسلامه .

لقد كان النبي يبعث لقومه خاصة ، وبعث محمد ﷺ للناس كافة إلى يوم القيامة ؛ كما قال ﷺ : « كان النبي يبعث لقومه خاصة وبعث للناس عامة »^(١) ، وقال : « لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »^(٢) ، هذه العقيدة من أسس الإسلام لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] ، وقوله عز وجل : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

العالم كله إنسه وجئته مأموراً باتباع هذا الرسول الأُمِّي ﷺ ، ومن ظن بإمكانه الخروج على نهج محمد ﷺ وهديه إلى هدي آخر ولو كان نهج عيسى وموسى وإبراهيم فهو ضال مضل كما قال ﷺ : « لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم ؛ أنا حفظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم »^(٣) .

واعتقاد الصوفية بأن الخضر عليه السلام لا يزال حياً ويتصل بهم ويعلمهم مما علمه الله كاسم الله الأعظم وغيره من الأذكار الشركية البدعية كذب واقتراء لأنه

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » بهذا اللفظ ، وله شواهد وطرق يرتقى بها إلى

درجة الحسن .

مخالف لصريح القرآن : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ [الأنبياء : ٣٤] ،
ولقول رسول الله ﷺ : « ما من نفس منقوسة اليوم يأتي عليها مئة سنة وهي يومئذ
حية »^(١) ، والأحاديث الواردة في حياة الخضر موضوعة باتفاق علماء الحديث^(٢) .

٢ - واحتجاجهم بقول الله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة :
٢٨٢] فمردوده من وجوه سيأتي إن شاء الله بيانها^(٣)

٣ - ورؤيتهم لاكتساب العلم بالتعلم والطلب طريقًا شاقًا طويلًا ، وركونًا إلى
الدنيا ، وتثبيطًا للنهمة والجهد ، وأنه مهما بلغ يبقى ناقصًا إلا أن يأتي عن طريق
الكشف والإلهام ، وأن المقصود العمل لا العلم نفسه ؛ فمن تدليس الجهال وتلبيس
الشیطان .

قال ابن الجوزي : « فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة ، فأظهر أن
المقصود العمل لا العلم نفسه ، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل »^(٤) .

٤ - وأما الكشف الذي يزعمونه فهو إلهام شيطاني : ﴿ هل أنبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾
[الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣] ، ﴿ ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا
فلا تعجل عليهم إنا نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ [مريم : ٨٣ - ٨٦] وإن زعم بعضهم أنها فراسة
المؤمن : « كما أن من آثار الإيمان الصادق ما يسمى بالكشف ، ويراد به الكشف
بعض الخفيات والغيبات ومعرفة هواجس النفس ونواياه وهذا الكشف هو الذي سمي
بالحديث الشريف بفراصة المؤمن »^(٥) .

أ - واحتجاجهم بحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » فمردود

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وهو صحيح .

(٢) انظر « النار المثيف » ، لابن قيم الجوزية .

(٣) انظر (ص ٣٤٨ - ٣٤٩) .

(٤) « صيد الخاطر » (١ / ١٤٤) .

(٥) « شرح الأصول العشرين » (٢٧) .

لأنه ضعيف ؛ فقد أخرجه الترمذي بإسناد فيه عطية العوفي وهو ضعيف - ومدلس .
ب - وأما احتجاجهم بالإلهام كما في حديث : « إنه قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر »^(١) فلا حجة فيه على الكشف .

قال ابن قيم الجوزية : « فجزم بوجود المحدثين في الأمم وعلق وجوده في أمته بحرف الشرط ، وليس هذا بنقصان في الأمة على من قبلهم ، بل هذا من كمال أمته على من قبلها ، فإنها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج إلى محدث ، بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة ، لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث ، وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون »^(٢) .

وهذا الفهم هو الذي أشار إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأله أبو جحيفة : هل عندكم كتاب ؟ قال : « لا ؛ إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم »^(٣) .

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ طلبوا العلم ، وجدّوا في تحصيله ، ورووه ، فاتاهم الله فهماً هو حجة على من بعدهم فقد جعلهم أئمة المتقين : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ [الفرقان : ٧٤] ؛ فكل تقي يأتم بهم ، والتقوى واجبة ، فعلم أن الاتسام بهم واجب ، والعنود عن سبيلهم مظنة الفتنة والحنة .

ت - وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ [الكهف : ٦٥] فمردود من وجوه :

١ - من المقطوع به أن الخضر عليه الصلاة والسلام نبي يوحى إليه كما رجحه ابن الجوزي^(٤) وجزم بذلك وابن حجر^(٥) رحمهما الله .

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ، ومسلم من حديث عائشة .

وعند مسلم ، قال عبد الله بن وهب : تفسير محدثون : ملهون .

(٢) « تنقيح الإفادة المتقى من مفتاح دار السعادة » (ص ٤١٣) .

(٣) أخرجه البخاري .

(٤) « تلييس إبليس » (ص ٣٢٢) .

(٥) « الزهر النضر في نبأ الخضر » (٢ / ١٩٧ - ١٩٩ - مجموعة الرسائل المنيرة) ،

ونقل الحافظ هذا القول عن جمهور العلماء .

٢ - إن هذا في شريعة غير شريعتنا ، أما شريعتنا ؛ فلا ينبغي لأحد أن يختار غيرها ، أو أن يتعلم غيرها ، أو أن يدعي أنه مع رسول الله ﷺ كالخضر مع موسى عليهما السلام ، فهذا كفر بواح وشرك صراح عندنا عليه من الله برهان كما تقدم^(١) .

ث - وأما حديث : « إن من العلم كهينة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ، فإذا انطلقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل ، فلا تحقروا عالماً آتاه الله علماً منه ، فإن الله عز وجل لم يحقره إذا آتاه إياه » ، والذي احتج به الغزالي^(٢) ، ورواه السلمي في « الأربعين الصوفية » من طريق نصر بن محمد بن الحارث ثنا عبد السلام بن صالح ثنا سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً . فهو حديث ضعيف جداً فيه :

١ - عن عنه ابن جريج وهو مدلس .

٢ - ضعف عبد السلام بن صالح وهو أبو الصلت النهروي فجمهور أئمة الجرح والتعديل يضعفونه ، بل اتهمه ابن عدي وغيره بوضع الحديث والكذب فيه . وقد ضعفه العراقي^(٣) والمنذري^(٤) وغيرهم .

ج - وأما حديث : « علم الباطن سر من أسرار الله عز وجل ، وحكم من أحكام الله تعالى ، يقادفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه » ، فقد رواه ابن الجوزي في « العلل المتناهية »^(٥) ، وقال : « لا يصح ، وعامة رواة لا يعرفون » ، ونقل ابن عراق عن الذهبي قوله : « هذا باطل »^(٦) ، وجزم شيخنا بوضعه^(٧) .

(١) انظر (ص ١٠٤) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (١ / ٢٠) .

(٣) « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار » (١ / ٢٠ - بهامش الأحياء) .

(٤) « الترغيب والترهيب » (١ / ٦٢) .

(٥) (١ / ٨٣) . (٦) « تنزيه الشريعة » (١ / ٢٨٠) .

(٧) « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (١٢٢٧) .

ح - وأما حديث : « العلم علمان : علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم باطن وهو العلم النافع » فلا يصح مرفوعاً ولا مرسلأً ولا مقطوعاً كما بينته في موطن آخر^(١) .

قال ابن الجوزي : « ... هذا من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشيء لا يتألف العلم ولا يتسع به عنه ، ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ : « إن في الأُمِّ محدثين وإن يكن في أمتي فعمرو » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه ، وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد ، فأما أن يترك العلم ويقول : أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم الثقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان .

واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية ، فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا^(٢) .

إذن فقولهم : حدثني قلبي عن ربي حديث خرافة يا أم عمرو ، ولذلك قال ابن الجوزي : « وأما قوله : أخذوا علمهم عن ميت ، أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدري ما في حسن هذا القول ، وإلا فهذا طعن على الشريعة »^(٣) .

فالكشف أحسن أحواله - أن صح - يكون كالرأي ، وهو يخطئ ويصيب ، هذا أن لم يداخله الهوى ، نسأل الله السلامة منه ، ومن كل ما لا يرضيه .
ولذلك صاح أهل العلم بالكشف الصوفي فهدموا أركانهم .
قال الألويسي : « والتصحيح الكشفي شئنة لهم »^(٤) .

(١) « الخشوع وأثره في بناء الأمة » (ص ٩٣ - ٩٥) .

(٢) « تلبس إبليس » (ص ٣٢٢) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) « روح المعاني » (٢٧ / ٢١) .

وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة قائلاً : « يشير الإمام الألوسي رحمه الله تعالى بهذا أنه لا عبرة بالتصحيح الكشفي عند المحدثين ، وهو كذلك »^(١) .

وقال في الاستدراكات : « وفي غريب ما وقفت عليه بصدد التصحيح الكشفي و التضعيف الكشفي ما أورده الشيخ اسماعيل العجلوني الدمشقي في مقدمة كتابه « كشف الخفاء ومزيل الإلباس » (١ / ٩ - ١٠) على سبيل الاقرار والاعتداد به .

قال : « والحكم على الحديث بالوضع والصحة أو غيرهما إنما هو بحسب الظاهر للمحدثين ، باعتبار الإسناد أو غيره ، لا باعتبار نفس الأمر والقطع ، لجواز أن يكون الصحيح مثلاً باعتبار نظر المحدث ؛ موضوعاً أو ضعيفاً في نفس الأمر ، وبالعكس نعم المتواتر مطلقاً قطعي النسبة لرسول الله ﷺ اتفاقاً .

ومع كون الحديث يحتمل ذلك ، فيعمل بمقتضى ما ثبت عند المحدثين ، ويرتب عليه الحكم المستفاد منه للمستنبطين .

وفي « الفتوحات المكية » للشيخ الأكبر^(٢) قُدّس سرّه الأنور ما حاصله : قرب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته ، يحصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح ؛ لسؤاله لرسول الله ﷺ ، فيعلم وضعه ، ويترك العمل به وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه .

ورب حديث ترك العمل به لضعف طريقه ، من أجل وضاع في رواته ، يكون صحيحاً في نفس الأمر ، لسماع المكاشف له من الزوج حين إلقائه على رسول الله ﷺ .

ثم قال أبو غده : هذا ما نقله العجلوني وسكت عليه واعتمده ولا يكاد ينقضي عجبني من صنيعه هذا ، وهو المحدث الذي شرح « صحيح البخاري » ،

(١) تعليقاته على « المصنوع في معرفة الحديث الموضوع » (ص ١٤٢) .

(٢) هذا لقب ابن عربي النكرة عند شيعة أو المتأثرين بهم ، وحقه أن يلقب بـ « الشيخ

الأعبر » .

كيف استساع قبول هذا الكلام الذي تهذر به علوم المحدثين ، وقواعد الحديث والدين ؟ ويصبح به أمر التصحيح والتضعيف من علماء الحديث شيئاً لا معنى له بالنسبة إلى من يقول : إنه مكاشف أو يرى نفسه أنه مكاشف ! ومتى كان لثبوت السنة المطهرة مصدران : النقل الصحيح عند المحدثين ، والكشف عند المكاشفين ؟! فحذار أن تغتر بهذا ، والله يتولاك ويرعاك ^(١) .

٥ - وعليه فادعاء بعضهم كابن عربي النكرة أنه رأى رسول الله في المنام فعلمه أموراً وطلب منه أخرى « أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها من العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا ، فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة لإبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ^(٢) » كذب وتقول على رسول الله للأسباب الآتية :

أ - الرسول لا يأمر بمعضية فضلاً عن الكفر الذي ملأ به كتابه « فصوص الحكم » ، مثل تكفير نبي الله نوح (ص ٧٠ - ٧٢) ، والاعتقاد بإيمان فرعون (ص ٢١) ، وتسويغ موقف السامري وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائيل وأشربوه في قلوبهم فعبدوه من دون الله (ص ١٨٨) .

ب - فإذا كان رسول الله لا يأمر بمخالفة الشرع ، فقد يقول قائل أنه شيطان تمثل لابن عربي في سورة النبي ﷺ وليس عليه فإنه مخدوع مغرور ادعى ذلك عن حسن نية وصفاء طوية .

والجواب : إن هذا محال ، لأن الشيطان لا يتمثل بصورة الرسول ﷺ ، وأنى له ذلك ، وقد أخبر الصادق المصدوق النبي المعصوم ﷺ : « من رآني فإني أنا هو فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي » ^(٣) .

(١) المصدر السابق (ص ٢٧٣) .

(٢) « فصوص الحكم » (ص ٤٧) .

(٣) أخرجه الترمذي وهو صحيح وله شواهد كثيرة صحيحة بعضها في

« الصحيحين » .

وبناءً على ما تقدم فإننا نجزم أن المتصوفة دجاجة خراصون ومقولتهم اختلاق ليس لها في الصادق خلاق .

وبخاصة الطائفة التيجانية التي جعلت رؤية النبي ﷺ يقظة لا مناماً مشاعاً لكل من بلغ درجة العرفان : « ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة »^(١) .

ومن هرائهم قول ابن حرازم التيجاني : « قال رضي الله عنه : أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً قال لي : أنت من الأمنين ، ومن رآك من الأمنين إن مات على الإيمان »^(٢) .

وقال في الصلاة المسماة بـ « يا قوتة الحقائق » : « هي من إملأ رسول الله ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا مناماً »^(٣) .

وقد بلغ طاغوت التيجانية الدرك الأسفل من الرذقة وهو يفضل ورده المسمى بـ « صلاة الفاتح » على كلام رب العالمين : « وسأله ﷺ عن صلاة الفاتح ، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل القرآن ستة مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة تعدل منها من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة »^(٤) .

تدبر أنما الإيمان كيف تجاهد الصوفية لتدمير الشريعة الإسلامية ولصرف المسلمين عن دستور هدايتهم ونبوع عزتهم ومصدر قوتهم ... عن كتاب الله فإن قال قائل : ما سبب انحرافهم عن منهج الرسالة في هذا الباب ، فالجواب فصله ابن الجوزي فقال : « اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدُّهم عن العلم ؛ لأن العلم نور ، فإذا أطفأ مصابيحهم ؛ خبطتهم في الظلم كيف شاء ، وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب :

(١) « الرماح » (١ / ١٩٩) .

(٢) « جواهر المعاني » (١ / ١٢٩) .

(٣) المصدر السابق (٢ / ٢٨٨) .

(٤) المصدر السابق (١ / ١٠٣) .

أحدها : أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً ، وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف ، فحسّن عندهم الراحة فلبسوا المراقع ، وجلسوا على بساط البطالة .
قال الشافعي رضي الله عنه : أسس التصوف على الكسل .

وبيان ما قاله الشافعي : أن مقصود النفس إما الولايات ، وإما استجلاب الدنيا ، واستجلاب الدنيا بالعلوم يطول ، ويتعب البدن ، وهل يحصل المقصود أو لا يحصل ؟! والصوفية قد تعجلوا الولايات - فإنهم يرون بعين الزهد - واستجلاب الدنيا ؛ فإنها إليهم سريعة .

والثاني : أنه قنع قوم منهم باليسير منه ، ففاتهم الفضل الكثير في كثرته ، فاقتنعوا بأطراف الأحاديث ، وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا ، وأن للنفس في ذلك لذة .

وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة ؛ فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ، ولكن فضيلته عظيمة ؛ كالشوك في جوار الورد ، فينبغي أن تطلب الفضائل ، ويتقى ما في ضمنها من الآفات .

فأما ما في الطبع من حب الرياسة ؛ فإنه إنما وضع لثجلب هذه الفضيلة ؛ كما وضع حب النكاح ليحصل الولد ، وبالعلم يتقوّم به قصد العالم ؛ كما قال يزيد بن مبرون : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى إلا أن يكون لله ، ومعناه : أنه دلنا على الإخلاص ، ومن طالب نفسه بقطع ما في طبعه لم يمكنه .

والثالث : أنه أوهم قوماً منهم أن المقصود العمل ، وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ، ثم إن العالم وإن قُصر سير علمه ؛ فإنه على الجادة ، والعابد بغير علم على غير الطريق .

والرابع : أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن ، حتى إن أحدهم يتخايل له وسوسة ، فيقول : حدّثني قلبي عن ربي !

وكان السبلي يقول :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الحرق

وقد سَمَّوا علم الشريعة علم الظاهر ، وسَمَّوا هواجس النفوس العلم الباطن .
قال أبو حفص بن شاهين : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطلاة ،
وقالوا : نحن علومنا بلا واسطة .

قال : وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤوساً في القرآن والفقه والحديث
والتفسير ، ولكن هؤلاء أحبوا البطالة .

وقال أبو حامد الطوسي : اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون
التعليمية ، ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه
المصنفون ، بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائقة
كلُّها ، والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة ، وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل
والمال والولد والعلم ، ويخلو بنفسه في زاوية ، ويقتصر على الفرائض والرواتب ، ولا
يقرن همه بقراءة قرآن ، ولا بالتأمل في نفسه ، ولا يكتب حديثه ولا غيره ، ولا يزال
يقول : الله ، الله ، الله ... إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ، ثم يحي عن
القلب صورة اللفظ !!

عزيزي عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه ؛ فإنه لا يخفى قبضه ؛ فإنه على
الحقيقة طيَّ لبساط الشريعة التي حثَّت على تلاوة القرآن وطلب العلم .
وعلى هذا المذهب رأيت الفضلاء من علماء الأمصار ؛ فإنهم ما سلكوا هذه
الطريق ، وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً .

وعلى ما قد رثب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ، ولا يكون
عندها من العلم ما يطرُد ذلك ، فيلعب بها إبليس أيّ ملعب ، فيريها الوسوسة محادثة
ومناجاة .

ولا ننكر أنه إذا طهر القلب ؛ انصبَّت عليه أنوار الهدى ، فينظر بنور الله ؛ إلا
أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه ؛ فإن الجوع الشديد ، والسهرة ،
وتضييع الزمان في التخيُّلات : أمور ينهى الشرع عنها ، فلا يستفاد من صاحب
الشرع شيء ينسب إلى ما نهى عنه .

ثم لا تنافي بين العلم والرياضة ، بل العلم يعلم كيفية الرياضة ، ويعين على

تصحيحها .

وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعادوا العلم ، وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم ، والعلم بعيد عنهم ، فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه ، وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه .

وإنما كان يُفتي في هذه الحوادث العلم ، وقد عزلوه ، فنعوذ باللذ من الخذلان»^(١) .

(١) « تلبس إبليس » (ص ٣٢٠ - ٣٢٤) مختصراً

أثر فتنة التعصب المذهبي في انتشار الصوفية

نتيجة لشيوع المذهبية في الفقه ، وانتشار علم الكلام في العقيدة ، نبت التصوف واستوى على سوقه .

أ - لقد أصبح الفقه المذهبي المسطور في الكتب المذهبية ترديداً لمعلومات جافة باهتة لا تحرك الضمير ، ولا تهز وجدان ، ولا تلين القلوب ، ولا تروي ظمأ الروح ، ولا تهذب النفس ، ولا تكبح جماح الهوى ، ولقد كان هذا الجفاف الفقهي والتفصيل المذهبي سبباً في ارتداء العطشى روحياً والحيارى قلبياً في أحضان الصوفيين الذين مدوا أيديهم لاجتذاب هؤلاء ليشربوا من الفيض الرباني الذي لا ينضب معينه ولا ينقطع سلسبيله عن السالكين العارفين - زعموا .

ب - وقد فتح الفقه المذهبي أبوابه لكل مسألة حدثت أو لم تحدث أو لن تحدث ، وشمر فقهاؤه عن سواعدهم لإيجاد حلول لها ، فبدأ كل منهم يضع اقتراحاته ، ويشعب المسألة حتى أصبح المشتغل بالفقه لا يسمى فقيهاً إلا إذا غاص في المسائل الآرائية والأغلوطات والمعضلات حتى مفرق رأسه ، فتضخم كل مذهب وكأنه دين مستقل وغدا المعروف أن وجود إنسان يحيط بهذه الاتجاهات على كثرتها مستحيل ، فالفقه الحنفي لا يمكن دراسته بأقل من أربعين عاماً . بينما الرسول وأمنته نشروا الإسلام في ربوع الدنيا ، وفتحوا ما فتحوا من البلاد خلال هذه الفترة تقريباً ، مع ما لا قوه من أصناف العذاب ، وضروب المقاومة .

لذلك سارع السذج من المسلمين وعامة المقلدين إلى الصوفيين ليتعلموا العلوم بسرعة البرق ، ولح البصر عن طريق حدثني قلبي عن ربي - الكشف والإلهام والحدس والفراسة - والخلاوات ، وأنواع المجاهدات ، والرياضات .

وهذا الأمر تتضح صحته وتظهر أدلته ، إذا عدنا إلى التأريخ ، واستقرأنا حياة المتصوفة ، وخاصة الأعلام منهم ولنضرب على ذلك مثلاً ، بمزيد من البيان ، وبشيء من التفصيل .

الجنيد بن محمد : فارسي من نهاوند توفي عام ٢٩٧ هـ وهو من أئمة القوم ،

ويسمى سيد الطائفة ، وقد كان فقيهاً على مذهب أبي ثور^(١) .

الشبلي : كان من سادات القوم قال فيه السلمي صاحب « طبقات الصوفية » :
« صاحب الجنيـد ومن في عصره من المشايخ ، وصار أوحـد وقته حالاً وعـلماً ، وكان عالماً فقيهاً على مذهب مالك »^(٢) .

ولو استقصينا سيرة أعلام التصوف لوجدناهم يتسبون إلى مذهب من المذاهب الأربعة ، يقابل هذا خلـو ساحة التصوف من المحدثين ومن تابعهم وناصرهم ، فمن الصعب أن تجد محدثاً صوفياً هذه الحقيقة تجعلنا نتساءل ما الذي دعا المذهبيين إلى الارتقاء في أحضان المتصوفة لو وجدوا في مذاهبهم ما يسد رمقتهم ، ويظفئ عطشهم ؟

إن هؤلاء القوم سئموا جمود الفقه المذهبي وجفافه ، وتشعباته المذهلة ، فتأقوا إلى غذاء القلب فعمدوا إلى التصوف ، وجرفهم سيله العرم ، ودخلوا بطون المتصوفة وما عرفوا كيف يخرجون ، فاتخذوا المذاهب تقيـة ، وكذلك كان يفعل الجنيـد والشبلي .

وكما فشل التقليد والجمود في إحياء ضمير الإنسان المسلم فكذلك صنع علم الكلام والمنطق فقد بلد المشاعر ، وأمات العواطف وأفرز الانحراف في العقيدة ، والزيف في القلوب .

ولقد أدرك مؤسسو التصوف هذه الحقائق ، وعلموا أن المذهبية تربة خصبة ينمو فيها التصوف لا بساً لبوس الإسلام . ومن يومها بدأ المتصوفة تعليم مريديهم صنعة لبوس لهم تقيهم بأس المخلصين من المذهبيين ، وتخدع السذج من العاملين ، لكنها في الوقت نفسه غفلة منهم يتضح من خلالها أن التصوف تيار باطني مدمر .

وخلاصة سعيهم في قولهم الذي أشار إليه الأستاذ سعيد حوى من أن التصوف يكمل العقيدة والأحكام الشرعية ، بل هو الوسط الذي يمد العقيدة بالحياة ، ويغذي الأعمال بالنـبـض ، فقال : « افتح الآن كتاب توحيد وكتاب فقه فإنك لا تجد فيهما

(١) « جولات في الفقهين » (ص ١١٩) .

(٢) « الطبقات » للسلمي ، (ص ٣٣٧) .

أي إشارة لقضية القلب وعلومه ... وهذا وحده يشير إلى أن هناك علماء مكملًا لهذه العلوم وقد اصطلاح على أن يسمى هذا العلم علم التصوف أو علم السلوك إلى الله عز وجل^(١) فهو يعترف ضمناً بجفاف الكتب المذهبية ، وسراب الطرق الكلامية ، لذلك يخترع علماء ثالثاً ليستتر به سوء التمدّج ، ويواري عورة علم الكلام .

ونتركه يشرح كلامه بنفسه ، ويزيده إيضاحاً لا يترك للتحايل مكاناً ، فهو يرى أن على المسلم أن يرجع إلى كتب التصوف حتى يعرف كيف يكون خاشعاً في صلاته ، مخلصاً في عمله ، فيقول : « فالصلاة من حيث كون إنكارها كفراً يبحث هذا في كتب العقائد والصلاة من حيث كونها أعمالاً وأقوالاً يبحث هذا في كتب الفقه وأما كيفية تحصيل الخشوع فيبحث هذا في كتب التصوف ، والجهد من حيث كونه فريضة يكفر جاحداً وفرضيته أمر معلوم من الدين بالضرورة وإنكارها كفر يبحث هذا في كتب العقائد ومن حيث أحكامه وما يترتب على ممارسته من أمور لها أحكام يدرس هذا في كتب الفقه ، والإخلاص الذي هو شرط قبوله عند الله وبقية الأعمال يبحث هذا عادة في كتب التصوف^(٢) .

ان هذه الأقوال أسست على الاعتقاد بصحة التمدّج ، ووجوبه ، وكذلك علم الكلام ، وهما ردّ .

ومن المعلوم بداهة أن ما أسس على باطل فهو باطل ، وما لزم الباطل فهو كذلك .

والواجب أن نعود إلى فقه الكتاب والسنة ، لنذوق لذة العلم وحلاوة الإيمان والإحسان فنعبّد الله كأننا نراه ، فإن لم نكن نراه ، فإنه يرانا .
إن جميع الأهداف السامية التي يصبو إليها الإنسان بفطرته ، لن تتحقق إلا بفقه الكتاب والسنة .

لنرجع إلى عهد النبوة وما درج عليه الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون لهم بإحسان ، الذين تأثروا بعهد النبوة والصحبة ، ودعونا نقبّس من نور هذه القرون ، فإنها خير القرون .

(١) « جولات في الفقهين » (ص ١١٨) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٥) .

ألم يكن الناس وقتئذ خير أمة أخرجت للناس ؟ ألم يكونوا ذلك الجيل الفريد الذي لن يأتي بمثله الزمان ؟ فإذا لم نفلح ونحن سائرون على هذا المنهاج السوي ، الذي بلغه الرسول النبي الأمي ، فحقيق بنا أن نبيد ... لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ... فيا أتباع محمد ﷺ عليكم بالأمر العتيق فقد كفيتهم . ولئن قيل أن من أعيته الحجج لجأ إلى هذا القول : « وهناك ناس يطرحون دائماً سؤالاً وفي كل حال إذا أعيتهم الحجج وهو : أليس في الكتاب والسنة ما يغني عن هذا الكتاب : نعم ولكن هذا الكتاب يجمع المثل إلى المثل ثم إنه ليس كل إنسان بقادر أن يقرأ الكثير ويستوعب الجميع ويربط المواضع ولا بد للإنسان من أساس موضع ونقطة انطلاق سريعة المتناول ومن ثم كان هذا الكتاب فإذا كان الكتاب مقيداً بالكتاب والسنة محرراً على ضوء ذلك فالإنكار عليه خطأ لأن المنكر عليه ينبغي أن ينكر على أي كتاب ألف إذ أليس في الكتاب والسنة ما يغني ويكفي ... وهذا الذي ذكرته في الجواب ههنا هو في الحقيقة السر في نشأة هذا العلم ونشأة كل علم لقد وجد علم التصوف واستقر ... وكما قررنا في رسالة جولات لم يكن ممكناً ألا يوجد وأن لا يستقر فعندما تقرأ الكتاب والسنة تجد كلاماً كثيراً عن القلب والإيمان والذوق وأمراض القلب ودواء هذه الأمراض وتجد كلاماً عن صمم القلب وعماه وعن سلامته وسقمه وعن تقواه وقسوته ، وعن النفس البشرية عن زكائها وعن فجورها .

وأمثال هذه المعاني وهذه القضايا ضمن سجل خاص وأن ينشأ لذلك علم خاص في كل ما له علاقة في حيثيات هذه المعاني ، وكان هذا العلم هو علم التصوف والسلوك فليس بمستغرب إذن أن يوجد هذا العلم بل المستغرب ألا يوجد إذ دأب علماء المسلمين أن يكتبوا في كل موضوع على حدة فيضموا الشيء إلى نظيره ومثيله ويشرحوا ويفصلوا ويجيبوا على أي سؤال له علاقة في هذا الموضوع ... »^(١) ، نقول إن هذه النصوص تزعم أن التصوف كان على عهد الرسول وأصحابه ، وأنه علم مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا زعم أتينا بأدلة بطلانه ، ولكن على فرض صحته فإن الخلاف ينحصر في اللفظ ، حيث يتطابق لفظ التصوف والتقوى ،

(١) انظر « تربيتنا الروحية » (ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

وعندئذ يجب علينا أن نؤثر ما اختاره الله على اختيار البشر ، ونقدم اللفظ الذي رضىه الله ولا نرغب عنه إلى مفاهيم البشر ، وينبغي أن نسمي الأشياء بأسمائها التي أصبحت أعلاماً عليها في دين الله ، فالإسلام لم يسم الشعائر التي جاء بها التصوف وإنما سماها عبادات ثمرتها التقوى والتركية ، وهذا على افتراض صحة القول المزعوم ، بله والكلمة مولدة دخيلة على لغة العرب .

والحقيقة أن هذا الزعم استغلال لموافقة التصوف بعض ما جاء به الإسلام ، لتدمير المناهج والوسائل التي اندرجت تحت اسم التصوف وحملت في طياتها البلاء المستطير ، وتأبطلت شراً للمسلمين ، فافهم أخي المسلم هذه الحقيقة فإنها سهم قاتل لهذا الباطل ، فالإسلام لا يعرف التجزؤ والانقسام ، وإنما الدين كل متكامل ، فالمطلوب من المسلمين أن يأخذوا الإسلام جملة أو يتركوه ليستبدل الله قوماً غيرهم .

ثانياً : الشريعة والحقيقة : يزعم أقطاب التصوف : أن لكل آية ظهراً وبطناً ، وأن الإسلام شريعة وحقيقة ، وما الشريعة في الحقيقة إلا قشر ، وأن الحقيقة تنتهى الكمال والرقى في سلم التبعيد الإسلامى ، وسبيل الوصول إليها العلم اللدني والكشف الرباني والفيض الرحماني مستشهدين لهذا بحديث أبي هريرة : « حفظت عن رسول الله ﷺ وعائين من علم ، فأما أحدهما فبشئته ، وأما الآخر فلو بشئته قطع هذا الخلقوم »^(١) .

وهذا واقعهم فهم يعتقدون أن رسول الله بلغ الظاهر لجميع المسلمين بينما الباطن أنبأ به أناساً مخصوصين .

قال ابن عجيبة : « وأما واضح هذا العلم فهو النبي ﷺ بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما قررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصري »^(٢) .

تالله إن رسول الله بريء مما ينسبه إليه هؤلاء شهد الله له وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) « ايقاظ الهمم شرح الحكم » .

قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ [المائدة : ٣]

وها هو رسول الله ينشد جموع الصحابة المحتشدة على جبل الرحمة يوم الحج الأكبر : « وأنتم مسؤولون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك وأديت ، ونصحت لأمتك ، وقضيت الذي عليك .

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : « اللهم فاشهد اللهم فاشهد »^(١) .

وقد أعلنها رسول الله ﷺ صريحة مدوية ، وحجة واضحة يقذف بها وجه كل أفاك أثيم ؛ فقال : « أنه ليس لنبي أن يومض »^(٢) ، أي : يشير إشارة خفية لكيلا يسيء الظن أحد فيعتقد أن في دين الله أسراراً لا يعلمها كثير من الناس ، وفي هذا المعنى حديث آخر : « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين »^(٣) .

قال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد فرّق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة ، وهذا جهل من قائله ؛ لأن الشريعة كلها حقائق ، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والغزبية ؛ فكلاهما شريعة .

وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع : وعن سهل بن عبد الله أنه قال : احفظوا السواد على البياض ، فما أحد ترك الظاهر ؛ إلا ترندق .

وعن أبي بكر الدقاق ؛ قال : سمعتُ أبا سعيد الخزاز يقول : كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل .

(١) جزء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حجة النبي ﷺ .

وقد جمع طرقه ورواياته شيخنا حفظه الله في « حجة النبي ﷺ » (ص ٣٧ - ٤١) .

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد ، وهو صحيح .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وهو صحيح .

وقد نبّه على هذا أبو حامد الغزالي في كتاب «الإحياء» قائلاً : مَنْ قال : إن الحقيقة تخالف الشريعة ، أو الباطن يخالف الظاهر ؛ فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان .

وقال ابن عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسماً ، وقالوا : المراد منها الحقيقة . قال : وهذا قبيح ؛ لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبّاداتهم ، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء وقع في النفس من إلقاء الشياطين . وكلُّ من رام الحقيقة في غير الشريعة ؛ فمغرور مخدوع ^(١) .

وأما احتجاجهم بحديث أبي هريرة في الوعائين ، فقد رده الحافظ ابن حجر فقال : « قال ابن المنير : جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً ، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين . قال : وإنما أراد أبو هريرة بقوله : « قطع » أي : قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم ، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعده كتبناها لما ذكره في الحديث من الآية الدالة على ذم من كنتم العلم .

وقال غيره : يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة ، وتغير الأحوال والملاحم في آخر الزمان ، فينكر ذلك من لا يألفه ، ويعترض عليه من لا شعور له به ^(٢) .

ثالثاً : الحلول والاتحاد : نحيل لطوائف من المتصوفة أن الذي يسلك طريق العلم الباطني سيصل في النهاية إلى الفناء في ذات الله ، وعندها يحل في تلك الذات فتصبح مزيجاً من اللاهوت والناسوت ؛ الصورة الظاهرية ناسوت ، والحقيقة الباطنية لاهوت .

وترغم هذا الاتجاه الحلاج وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم خلق كثير من المتصوفة ، وإليكم أقوالهم التي نبرأ إلى الله منها .

(١) « تاليس إبليس » (ص ٢٢٤ - ٢٢٥) مختصراً .

(٢) « فتح الباري » (١ / ٢١٦ - ٢١٧) .

يقول الحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته سرنا لاهوته الثاقب
ثم بدأ خلقه ظاهراً في صورة الأكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب^(١)
وكان يقول : « من الهو ؟ هو رب الأرباب المتصور في كل صورة إلى عبده
فلان »^(٢) .

وقال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا^(٣)
ويقول ابن الفارض :
وما كان لي صلي سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعتي^(٤)
يقول التستري :

أنا المحب والحبيب ما ثم ثاني^(٥)
قال أبو يزيد البسطامي : « رفعتني مرة فأقامني بين يديه ، وقال لي : يا أبا يزيد
إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت : زيني بواحدانيتك ، وألبسني أناانيتك ، وارفعني
إلى أحديتك ، حتى إذا رأياني خلقتك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا
هنا »^(٦) .

(١) « الطواسين » (ص ١٢٩) .

(٢) « تليس إبليس » (ص ١٤٥) .

(٣) « الطواسين » (ص ٣٤) .

(٤) « تنبيه المغني إلى تكفير ابن عربي » (ص ٦٤) .

(٥) « معراج التشوف إلى حقائق التصوف » (ص ١٣٩) .

(٦) « اللمع » (ص ٤٦١) .

ولكن كفى المتصوفة خزيًا أن يعترف ابن الفارض المسمى سلطان عاشقيهم بأنه كان يسعى وراء السراب فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان هذا القائل ينشد عند الموت^(١) :

إذا كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت بها نفسي زماناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي
وقد استدلل شيوخ التصوف بحديث الولي : « ولا يزال عبدي يتقرب إلى
بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ،
ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني ل أعطينه ، ولئن استعاذني
لأعيذه »^(٢) .

هذا الحديث يؤكد التباين والتغاير فهناك عابد ومعبود ، وسائل ومسؤول ،
وعائد ومستعيد ، بينما تزعم المتصوفة أن الله يحل في ذات العبد فإذا هو هو
ويصبحان ذاتا واحدة .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : « ومن أشار إلى غير ذلك ، فإنما يشير إلى
الإلحاد من الحلول والإتحاد ، والله ورسوله بريئان منه »^(٣) .

واحتج آخرون بحديث « ما وسعتني سمائي ولا أرضي ، ولكن وسعني قلب
عبدِي المؤمن » وهو حديث لا أصل له ، كما بينته مفصلاً في موضع آخر^(٤) .

رابعاً : وحدة الوجود : إنَّ الحلول والإتحاد قد أفنَى بالصوفيين إلى القول
بوحدة الوجود ، وهذا اصطلاح في الفكر الصوفي يعني أنه ليس هناك موجود إلا الله
فليس غيره في الكون وليس هناك شيء آخر معه ، وما هذه الظواهر إلا مظاهر لذات
واحدة هي الله : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ [الصافات : ١٨٠] .

(١) « مجسوع الفتاوى » (١١ / ٢٤٧ - ٢٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، واقتصرت على موضع الشاهد .

(٣) « إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم » (ص ٥٢٤) .

(٤) « سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها » (٣) .

يقول ابن عربي : « فما في الوجود إلا الله ، ولا يعرف الله إلا الله ، ومن هذه الحقيقة قال من قال : أنا الله ، وسبحاني كأبي يزيد البسطامي »^(١) .
ويقول :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
أن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف
ويقول :

فوقتنا يكون العبد رباً بلا شك ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك^(٢)
وقد بلغت جراتهم على الله أن يقول شاعرهم محمد بهاء الدين البيطار :
وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة^(٣)
وقد حاول بعض المتصوفة اللف والدوران كمادتهم فزعموا أن البيطار يريد
بقوله : « إلهنا » إلى هنا وأنه أشار تحت قدمه ، ولكن عجز البيت بهتهم وهو قوله :
وما الله إلا راهب في كنيسة .

وهذه عقيدة القوم كما ينقلها أبو نصر الطوسي : « وبلغني عن أبي حمزة أنه
دخل دار حارث المحاسبي ، وكان لحارث دار حسنة وثياب نظاف ، وفي داره شاة
مرغية ، فصاحت الشاة مرغية ، فشهِق أبو حمزة شهقة وقال : لبيك يا سيدي ، قال
فغضب الحارث وعمد إلى سكين ، فقال : إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه
أذهبك . قال : فقال له أبو حمزة : أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذي أنت فيه
فلم لا تأكل النخالة بالرماد »^(٤) .

وتكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقبلوه ، فبينما ذات يوم يتكلم إذ صاح
غُراب على سطح الجامع ، فزعق أبو حمزة وقال : لبيك لبيك ، فنسبوه إلى الزندقة ،

(١) « الفتوحات المكية » (١ / ٣٥٤) .

(٢) « فصوص الحكم » (ص ٩٠) .

(٣) « صوفيات » (ص ٢٧) .

(٤) « اللمع » (ص ٤٩٥) .

وقالوا : حلولي زنديق ، وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع : هذا فرس الزنديق^(١)
وكان أبو الحسين النوري إذا سمع أذان المؤذن قال : طغته وشتم الموت ، وإذا
سمع نباح الكلاب قال : لبيك لبيك^(٢) .

يقول ابن أبي العز الحنفي : « وهذا القول أفضى بقوم إلى القول بالحلول
والإتحاد ، وهو أقبح من كفر النصاري ، فإن النصاري خصوة بالمسيح ، وهؤلاء
عمموا جميع المخلوقات ، ومن فروع هذا التوحيد :

أن فرعون وقومه كاملو الإيمان ، عارفون بالله على الحقيقة^(٣) ، ومن فروعه :
أن عباد الأصنام على حق والصواب ، وأنهم إنما عبدوا الله لا غير^(٤) .

ومن فروعه : أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية ، ولا
فرق بين الماء والخمر ، والزنى والنكاح ، والكل من عين واحدة ، بل هو العين
الواحد^(٥) .

ومن فروعه : أن الأنبياء ضيقوا على الناس ، تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً^(٦) .

هذه العقيدة ذورة سنام الكفر ، فيها هدموا جميع الأديان ، وأبطلوا جميع

(١) « تليس إبليس » (ص ١٦٩ - ١٧٠) .

(٢) « اللع » (ص ٤٩٢) .

(٣) كما زعم ابن عربي في « فصوص الحكم » (ص ٢١) .

(٤) انظر « هذه الصوفية » (ص ٣٤ - ٣٥) .

(٥) كما زعم الفاجر كاهن الصوفية العقيف التلساني حيث أباح ذلك ، وزعم أن من
يحرمهما على الابن والأخ محجوب ؛ نقله ابن تيمية في « مجموعة الرسائل والمسائل » (١ /
١٨٤) .

(٦) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٧٩) .

الشرائع ، واستحلوا كل المحرمات ، واستوى في نظرهم المؤمن والفاسق والتقي والشقي ، والمسلم والمجرم ، والحلي والميت ساء ما يحكمون .

قال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ﴾ [القلم : ٣٥ - ٣٧] نعم لهم كتاب غير القرآن ألا وهو « فصوص الحكم » ، و « الفتوحات المكية »^(١) .

وقال تعالى : ﴿ أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [ص : ٢٨] .

وهذا الذي نذكره هنا لا نقره استنباطاً واجتهاداً ، وتحميلاً للألفاظ ما لا تطيق وتحمل ، بل هو قولهم بأفواههم فيها هو شيخهم الأغبر يترنم بكفره ، ويجاهر بنفسه في « الفتوحات المكية » :

عقد البرية في إلاله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
وقال :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره أو نظامه
ولذلك شن هؤلاء المتهوكون الغارة على توحيد المسلمين ووصفوه بالأووال كما في صلاة ابن مشيش حيث يقول : « وزج بي في بحار الأحدية ، وانشلني من أووال التوحيد ، وأغرقني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها »^(٢) .

ويصف بعضهم التوحيد الذي بعث الله به المرسلين بأنه توحيد العوام فهذا الغزالي يقول : « لا إله إلا الله توحيد العوام ، ولا هو إلا هو توحيد الخواص ، لأن ذلك أعم ، وهذا أخص وأكمل وأحق وأدق ... »^(٣) .

(١) فقد زعم العفيف التلمساني أن « القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد في كلامنا » ؛ انظر « مجموعة الرسائل والمسائل » (١ / ١٨٤) .

(٢) « النفحة العلية في الأوراد الشاذلية » (ص ١٦) .

(٣) « مشكاة الأنوار » (ص ١٢٤) .

الجواب :

١ - الآيات الداحضة لدعوى المشركين أن شيئاً من خلق الله جزء منه ، كقوله تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ﴾ [الزخرف : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون ﴾ [الصافات : ١٥٨] .

لا شك أن وحدة الوجود تجعل العباد كلهم جزءاً من الله تعالى بل هو هم وهم هو لا فرق ... وهذا كفر مبين بنص القرآن المبين .

إن الله سبحانه وتعالى لا يوجد بينه وبين خلقه نسباً ، وهذا ينفي وحدة الوجود من أصلها ... فسبحان الله عما يصفه الظالمون الجاهلون .

٢ - الآيات الدالة على أن الإنسان خلق من لا شيء ، كقوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ [الإنسان : ١] ، وقوله : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ [مريم : ٦٧] .

لقد خلق الله الإنسان من عدم ، وهذا يدحض جهالة وحده الوجود جملة وتفصيلاً ، لأنها لو كانت واقعة لكان الإنسان شيئاً قبل وجوده كما هو الآن شيء بعد وجوده .

٣ - الآيات الدالة أن المخلوق غير الخالق وأن العبد غير المعبود ، كقوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض ﴾ [النمل : ٢٣] ، وقوله عز وجل : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ [النمل : ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ قل إني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ [الأنعام : ٥٦] . وغيرها كثير هذه الآيات تقرر أن العبد غير المعبود ولذلك فهي كافية لقمع كل جحود يؤمن بوحدة الوجود .

إن كل حرف في كتاب الله ليتمخض عن تجريد التوحيد وينفض ركام الشرك ، وأي شرك أعظم من وحدة الوجود ...

خامساً : النور المحمدي : ومن مذهب وحدة الوجود نشأ عند المتصوفة الاعتقاد في الأقطاب ، والأوتاد ، والأبدال ، والأغواث ، والنجباء ، بأن روح الله حلت

فيهم ، فهم المتصرفون في هذا الوجود ، القائمون مقام الله في الخلق والأمر ، وهذا أيضًا اعتقاد الشيعة في أئمتهم : « فإن للإمام مقام محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وأن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنوارًا فجعلهم الله بعرشه محققين ^(١)

إن الصوفيين وهم يجرون وراءهم ألوفًا من المسلمين في كل أفق ، لم ينسوا وقد رفعوا أصحاب الوقت إلى مقام الربوبية أو ما يقارب منه أن يجعلوا للرسول مكانًا بين هؤلاء المتصرفين في الكون خلقًا وأمرًا ، ونفعا وضرا ، وقضاء وقدرًا ... فابتدعوا للرسول مقالة « الحقيقة المحمدية » التي أخرجوا بها رسول الله من عالم البشر ، فجعلوه النور الذي خلق الله منه كل شيء ، ولأجله كل شيء ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبًا ﴾ [الكهف : ٥] وإليك تفصيل ضلالهم ورددها .

١ - محمد أصل الكون : « إن العقل الأول المنسوب إلى محمد خلق الله جبريل منه في الأزل ؛ فكان محمدًا أبا لجبريل وأصلًا لجميع العالم » ^(٢) .

٢ - محمد على العرش استوى « أول الخلق هباء ، وأول مخلوق موجود فيه على الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي » ^(٣) .

٣ - النور المحمدي هو نور الله : « إن محمدًا لما أبدعه الله حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية ، حيث لا أين ، ولا بين قال له : أنا الملك وأنت الملك ، وأنا المدير وأنت الفلك ، وسأقيمك فيما يتكون منك سايتنا ومديرا وناهيًا وأمرًا تعطيها مما أعطيت ،

(١) « الحكومة الإسلامية » (ص ٥٢) .

(٢) « الإنسان الكامل » (ص ٣) .

(٣) « الفتوحات المكية » (١ / ١٥٢) .

وتكون فيها كما أنا فيك ، فلست سواك كما لست سواي ، فأنت صفاتي
فيهم وأسمائي ... فتفصد عرقاً حياء ، فكان ذلك العرق الطاهر الماء وهو الماء الذي نبأ
به الحق تعالى في صحيح الأنبياء فقال : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾^(١) .

٤ - محمد المهيمن على الكون : « اعلم أن أنوار المكونات كلها عرش
وفرش ، وسماوات وأرضين ، وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها
وجدت من بعض نور محمد ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، لو
وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها
ووضع ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت »^(٢) .

٥ - الكون مخلوق من أجل محمد .

قال ابن نباته المصري :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جبل

وقال البوصيري في « نهج البردة » :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

٦ - محمد عالم الغيب والشهادة :

قال البوصيري في « نهج البردة » :

ومن جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والعلم

وخلاصة الحقيقة المحمدية عند الصوفية : أن الله تعالى عما يصفه الصوفيون

قبض قبضة من نور وجهه فقال لها كوني : محمداً ، فكان محمد هو أول

« التعيينات » وهي المسماة عندهم « الذات المحمدية » .

ومن هذه « الذات المحمدية » اثبتت السماوات والأرض ، والدنيا والآخرة

وهي « التعيينات » .

(١) « عنقاء مغرب » (ص ٣٩ - ٤٠) .

(٢) « الإنيز » (٢ / ٨٤) .

فجميع التعيينات صدرت عن الذات المحمدية ، وراجعها إليها ... وهذه هي « الحقيقة المحمدية » التي يؤمن بها ويدعو إليها جميع الطرق الصوفية .
وهاك أدلتهم التي يستترون وراءها ويروجون بضاعتهم من أجلها :

أ - « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر »

ب - « كنت نبيا وأدم بين الماء والطين » .

ت - « لولاك لولاك ما خلقت الآفاك »^(١) .

لقد سد الله الطريق على هؤلاء المغالين في رسول الله ﷺ ما جاء في القرآن والسنة في بيان عن رسول الله ﷺ ؛ ليكون حجة يقذف بها في وجه الباطل الذي يخرج من أفواه شيطانية ما قدرت الله حق قدره ، قال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك به أحداً ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وقال جل ثناؤه : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ [الاسراء : ٩٢] ، وقال عز وجل : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ [الانعام : ٥٠] .

قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله »^(٢) ، وقال ﷺ : « إنما أنا بشرٌ يأتيني الخصم ... »^(٣) هذا الثوب البشري الذي لبسه رسول الله من مولده حتى لحق بجوار ربه هو الذي دعى الناس للناسي به والسير على خطواته ، ولو كان من غير عالمنا لما نزعنا لاتباعه والافتداء بسنته ، ولقد صدق الله فقد قرر هذه الحقيقة بالألفاظ القرآنية المحكمة الدقيقة : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا

(١) وهذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل الصنعة ، وانظر « الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » للزركشي (٦٩٣) ، و « تنزيه الشريعة » لابن عراق (١ / ٣٤١) ، و « الفوائد المجموعة » للشوكاني (٣٢٦) ، و « تذكرة الموضوعات » ، للفتني (ص ٨٦) .

(٣ ، ٢) متفق عليه .

ينظرون ، ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴿ [الانعام : ٩٨] .

وأعلم - زادك الله علماً - أن الكون مخلوق لغاية محددة هي عبادة الله وإقامة أمره لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] فاللام للتعليل وإلا للحصر ، فهذه الآية عللت خلق الله للجن والإنس وحصرت هذه العلة والغاية فهل يبقى بعد هذا البيان مجال لكل كذاب أشتر ؟

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

التربية الصوفية

أولاً : الشيخ المرشد : وحتى يحقق التصوف مآربه ألبس رجالته حالة العصمة ، وأوجب على المريد أن يتخذ شيخاً ليرشده على الطريقة ويدله على الحقيقة. قال القشيري : « يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً ، هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان »^(١) .

وقال الغزالي : « فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإن سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه فإن الشيطان إلى طريقه لا محالة »^(٢) .

ومن أهم آداب المريد أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي مفسله .

قال القشيري : « وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه »^(٣) ، وقال الغزالي : « ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده ، وليدع رأيه ؛ فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه »^(٤) وقال : « فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبغي في متابعتها شيئاً ولا يذر ، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب »^(٥) .

وقال علي وفا : « المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مفسله ؛ لا كلام ولا حركة ، ولا يقدر أن ينطق بين يديه من هيئته ، ولا يدخل ولا يخرج ، ولا يخالط

(١) « الرسالة القشيرية » (ص ١٨١) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (٣ / ٧٥) .

(٣) « الرسالة القشيرية » (ص ١٨٢) .

(٤) « إحياء علوم الدين » (١ / ٥٠) .

(٥) المصدر السابق (٣ / ٧٦) .

أحداً ، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه»^(١) ، فلا تعدو عيناه تريد أخذ العلم الصوفي عن شيخ آخر ؛ لأن المريد بين شيخين كالمرأة بين رجلين ، عندها يتوقف العقل عن عمله فيحيط الشيطان بالفؤاد إحاطة السوار بالمعصم .

قال ابن عربي : « إن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً ، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة »^(٢) وقال القشيري : « من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعة والعصمة من المعاصي والمخالفات »^(٣) .

وأنت أيها المريد المخدوع المضلل نفذ ما يلي عليك ، « أحسن الظن ولا تنتقد بل اعتقد ، وللناس في هذا المعنى كلام كثير ، والتسليم أسلم ، والله بكلام أوليائه أعلم »^(٤) ، ويقول أيضاً :

| | |
|-----------------------------|---|
| ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله | فقم بها أدباً لله بالله |
| هم الأدلاء والقربى تؤيدهم | على الدلالة تأييداً على الله |
| كالأنبياء تراهم في محاربهم | لا يسألون من الله سوى الله |
| فإن بدا منهم حال تولهم | عن الشريعة فاتركهم مع الله ^(٥) |

ويقول محمد أمين الكردي : « ... ومنها أن لا يعترض عليه فيما فعله ، ولو كان ظاهره حراماً ولا يقول : لم فعل كذا ؟ لأن من قال لشيخه : لم ؟ لا يفلح أبداً ، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن »^(٦) .

ولذلك زخرت كتب المتصوفة بحكايات لترسيخ هذه الأكاذيب في قلوب

المريدين المخدوعين .

(١) « الأنوار القدسية » (١ / ١٨٧) .

(٢) « الفتوحات المكية » (٣ / ١٨٢) .

(٣) « الرسالة القشيرية » (ص ١٦٠) .

(٤) « الفتوحات المكية » (١ / ٥) .

(٥) المصدر السابق (باب ١٨١) .

(٦) « تنوير القلوب » (ص ٥٢٨) .

قال القشيري في باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم : « سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشي قدما على أبا يزيد فقدمت الشفرة ، وشاب يخدم أبا يزيد^(١) ، فقالا له : كل معنا يا فتى ، فقال : أنا صائم ، فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر ، فأبى ، فقال شقيق : كل ولك أجر صوم سنة ، فأبى ، فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله تعالى ، فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنه فقطعت يده »^(٢) .

ويورد أيضاً حكاية تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ فقال في الباب نفسه : « ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأي الحسين بن منصور^(٣) يكتب شيئاً ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن ! فدعا عليه وهجرة ، قال الشيخ : إن ما حلّ به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه »^(٤) .

وكذلك كثرت في كتبهم حكايات تروّج الرذيلة لأنهم ضمنوا سكوت المرادين ومنها :

١ - صوفي يقيم مع المومسات ، ويشفع للزناة ، ويأتي دابة على قارعة الطريق .

أورد الشعراني في كرامات سيده علي وحيش : « كان الشيخ رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا^(٥) » .

(١) هو أبو يزيد البسطامي .

(٢) « الرسالة القشيرية » (ص ١٥١) .

(٣) هو الحلاج .

(٤) « الرسالة القشيرية » (ص ١٥١) .

(٥) هن المومسات أعادنا الله من رؤية وجوههن ؛ لأن رؤيتهن بلاء عظيم كما في قصة

جريج العابد حيث دعت عليه أمه بأن يريه الله وجوه المومسات فكيف بالإقامة في مواخير البغاء ١٩ ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وكان كل من خرج^(١) يقول له : قف حتى أشفع فيكن ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه .

وكان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمار ، ويقول له : أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة ، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه^(٢) .

هكذا يروي كاهن الخطايا الصوفية الشعراني جرائم شيخه ويترنم بفسقه بألفاظ داعرة فاسقة تؤز على الفاحشة بكل صورها ومختلف ألوانها أزاً ليمارسها الخاطئون مع النساء والبهائم على يد قواد العاهرات بضمانة المغفرة لمن يفجر بهن بشفاعته ... ومع هذا كله يعقب على ذكر كل كرامة لشيخه الإباحي بقوله : رضي الله عنه ... سبحانه ربنا هذا بهتان عظيم .

٢ - صوفي يرقى المنبر عارياً كيوم ولدته أمه

قال الشعراني : « ومنهم الشيخ ابراهيم العريان كان يطلع المنبر ويخطبهم غرياً ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم^(٣) .

هكذا يبشر الكاهن بهتك العورة ، ويتغنى بهذا الصوفي المخبول وهو بادى السوء يهذي بهرائه والناس يضحكون من ورائه ... ولكن إذا كنت لا تستحي فاصنع ما تشتهي .

٣ - صوفي يشرب الخمر

قال الدباغ : « يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر ، وهو يشرب معهم فيظنونهم شارب خمر ، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت^(٤) » ، وقال : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي ، وهو

(١) من الزناة بعد اقتراف الفاحشة .

(٢) « الطبقات الكبرى » (٢ / ١٣٥) .

(٣) المصدر السابق (٢ / ١٢٩) .

(٤) « الانبىء » (٢ / ٤١) .

ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته ، فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية»^(١) .

هكذا تزوج كتب المتصوفة للرذيلة وتقرر أنها فضيلة .

وما ذكرت ذلك إلا مثلاً ، ليستفيق من كان على عينيه غشاوة وإلا فكتب المتصوفة مليئة بمثل هذه الخرافات مشحونة بتلك الترهات التي سموها كرامات ليضلوا بها الأمة عن سبيل الله .

إن هذه الأمثلة والأقوال سردها يكفي في نقضها ودحضها ... وكفى الله المؤمنين القتال ... لكن يلاحظ المستقرئ للطريقة الصوفية أن الشيخ أهم أركانها :

وصحبة شيخ هي أصل طريقهم فما نبتت أرض بغير فلاحه

إن الشيخ الصوفي له مواصفات إله كما هو ظاهر من أقوال أقطابهم وعارفيهم وهي لم تزل حية في الذاكرة ... لكنها داحضة إذا عرضت على حجة الله البالغة والدلائل الدامغة من كتاب الله وسنة رسوله .

أ - الآيات الدالة على وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء : ٥٩] ، وقوله : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ [الشورى : ١٠] .

هذه الآيات واضحة لا لبس فيها في وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... ولكن الصوفية يردون كل شيء إلى شيوخهم ولو خالفوا إجماع أهل العلم والدليل الصحيح الصريح ... وتأمل قول علي المرتضي الذي يزعم المتصوفة أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة : « وإن قال للمريد : إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه الرجوع إلى كلام شيخه ... وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقادح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه ، إنه في حال تهمة ؛ لارتداده عن طريق شيخه »^(٢) .

(١) « الأبريز » (٢ / ٤١) .

(٢) « الطبقات الكبرى » (٢ / ١٢٨) .

إذاً الدليل لا قيمة له ... وهل الدليل إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ! بل إنهم جعلوا الرجوع إلى الكتاب والسنة كفر كما زعم أحمد الصاوي الخلوتي في حاشيته على الجلالين في شرح آية الاستثناء في سورة الكهف : « ... لأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر » .

ب - قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [الشورى : ٢٠] .
إن كلمات شيوخ المتصوفة مليئة بتشريع لم يأذن به الله ... وقرأ إن شئت كلمة أحمد الرفاعي أحد الأقطاب المدركين عند المتصوفة الذي يزعم المتهوكون أن كراماته تسري في أتباعه من بعده : « من يذكر الله بلا شيخ ، لا الله له حصل ، ولا نبيه ، ولا شيخه »^(١)

أليس هذا تشريع مضاد لدين الله!؟

وتذكر كيف يعطي شقيق البلخي وأبو تراب النخشي أجر صوم شهر وأجر صوم سنة لمن يفطر استجابة لهم ... فإن لم يستجب لهم يصبح ساقطاً من عين الله .
وإن تعجب فعجب ضمان التيجاني الجنة لمن رآه أو أطعمه لقمة خبز :
« أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً ، قال لي : أنت من الآمنين ، وكل من رآك من الآمنين ، إن مات على الإيمان ، وكل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب »^(٢)

أليس هذا شرع لم يأذن به الله ... بل هو قول على الله بغير علم ... فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

ت - قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ الآية [البقرة : ١٦٥] .
... نعم لقد اتخذ المتصوفة من شيوخهم أنداداً يحبونهم كحب الله بل أشد حباً ... كما تدل على ذلك أقوالهم :

(١) « قلادة الجواهر » (ص ١٧٧) .

(٢) « جواهر المعاني » (١ / ٩٧) .

قال علي وفا : « ... فكما أن الله لا يغفر أن يشرك به ، فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن يشرك بها »^(١)

الشعراني يقول : « سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول : حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله ؛ كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل »^(٢) .

ويقول سلطان أوليائهم عبد القادر الجيلاني : « وينبغي له^(٣) أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المغفرة ... والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال ، إذ ذاك سبب لدخوله في زمرة الأحباب ذوي العقول والألباب ، الذين عقلوا من رب الأرباب ، واطلعوا على الصبر والآيات »^(٤)

وقال علي الشرطي : « الطريق ذكر الله ومحبة الشيخ »^(٥)

هذه أقوالهم ظاهرة الدلالة على أنهم جعلوا محبة الأشياخ فوق محبة رب العباد ... فالويل لهم يوم التناذ : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . إذ تبرا الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تَبَرَّؤُوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٥ - ١٦٧] .

ثانياً : الرياضة والمجاهدة : والمجاهدة عند المتصوفة تقوم على : الجوع والسهرة والصمت والخلة ، وقد شرحها الغزالي فقال : « ... وهذا تحصن من القواطع ؛ فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه .

(١) « الأنوار القدسية » (١ / ١٨٧)

(المصدر السابق (١ / ١٦٩) .

(أي للمريد

(« الغنية » (٢ / ١٦٤) .

(« نفحات الحق » (ص ٩٧) .

أما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ، ويذيب الشحم وفي ذوبانه رفته ، ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ، ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات .

وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحوارين جُوعُوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم ، وقال سهل بن عبد الله التستري : ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال ؛ بأخماص البطون ، والسهر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس .
فائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة .

وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوره ، فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع ؛ فيصير القلب كالكوكب الدرّي والمرآة المجلوة فيلوح فيها جمال الحق ، ويشاهده فيه رفيع الدرجات في الآخرة ، وحقارة الدنيا وآفاتنا ، فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة .

والسهر أيضاً نتيجة الجوع ، فإن السهر مع الشبع غير ممكن ، والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب ، فقد قيل في صفة الأبدال : إن أكلهم فاقه ، ونومهم غلبه ، وكلامهم ضرورة ، وقال إبراهيم الخواص رحمه الله : أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء .

وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره ، فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة ، فإن الكلام يشغل القلب ، وشره القلوب إلى الكلام عظيم ، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه ، فالصمت يلقي العقل ، ويجلب الورع ، ويعلم التقوى .

وأما حياة الخلوة ففائدتها دفع الشواغل ، وضبط السمع والبصر فإنهما دهليز القلب ، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كرينة قدرة من أنهار الحواس ، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ، ليتفجر أصل الحوض فيخرج منها الماء النظيف الطاهر ، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص ؟

فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة ، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم ، وإن لم يكن له مكان مظلم فيلج رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو لزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الربوبية ، أما ترى أن نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له : يا أيها المزمّل ، يا أيها المدثر . فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق ^(١)

إن هذه الرياضة بكل أركانها ليست من الإسلام في شيء ، وإنما هي شعائر كهنوتية تقود إلى خيالات فاسدة ورؤى شيطانية ، ودونك البيان :

١ - التبعّد بالجوع بدعة ضلالة ، لأنهم يواصلون صيام أيام طويلة فهو جوع مستمر ، وهو مردود بأدلة منها :

استعاذة الرسول ﷺ من الجوع : « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه ينس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها ينس البطانة » ^(٢) ، فكيف يكون له فضل أو يُؤثر القلب بل يجعله أسود مرباداً كالكور مُجْحِياً ..

تحريم الوصال : « نهى رسول الله ﷺ عن الوصال » ^(٣)

٢ - التبعّد بالسهر ابتداء لم ينزل به الله سلطاناً وهو مخالف للهدى النبوي فقد نهى رسول الله عن السمر بعد العشاء وقال : « لا سمر إلا لمصل أو مسافر » ^(٤) .

٣ - التبعّد بالصمت من عمل الجاهلية ؛ فعن قيس بن أبي حازم قال : دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أحمرس يقال لها زينب ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة ، فقال لها : تكلمي ، فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية . فتكلمت ^(٥) .

(١) « إحياء علوم الدين » (٣ / ٧٦ - ٧٧) .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وهو حسن .

(٣) أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم .

(٤) صحيح لغيره كما في « الصحيحة » (٢٤٣٥) .

(٥) أخرجه البخاري .

٤ - التعبد بالخلوة من رهابنية النصارى ، واحتجاجهم برسول الله ﷺ حيث كان قبل البعثة يختلي أياماً في غار حراء ، فمخادعة مكشوفة
أ - التأسى برسول الله ﷺ واجب بعد نزول الوحي بالرسالة أما قبلها فلم يكن رسولاً .

ب - هذا احتجاج ماكر يرسخ اعتقادهم أن محمداً ﷺ وصل إلى النبوة بالمجاهدة وأن النبوة كشف مثل كشوفهم وليس فضل من الله يضعها حيث شاء ، ولذلك هم يعتقدون أن محمداً ﷺ معصوم عصمة ذاتية ، وليس بالوحي .
وبذلك يتبين أن الرياضة الصوفية بكل أركانها مخالفة لنهج النبوة .
ثالثاً : الذكر : تقوم فلسفة الذكر عن المتصوفة على ترديد كلمة ما بشكل مستمر دون انقطاع

١ - الذكر يكون بترديد أي كلمة أو جملة بصورة مستمرة

قال ابن عطاء الله السكندري : « أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار ، فقد تجري على لسانه « الله الله الله » ، أو « هو هو هو » أو « لا لا لا » ، أو « آه آه آه » أو صوت بغير حرف ، أو تخبط ، فأدبه التسليم للوارد ، وبعد انقضاء الوارد يكون ساكناً ساكناً ، وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان ، أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب »^(١)

وقال الشعراني : « وقال سيدي يوسف المصممي رحمه الله : وما ذكروه من آداب الذكر محله الذكر الواعي المختار ، أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأسرار ، فقد يجري على لسانه : « الله الله الله الله » أو « هو هو هو » أو « لا لا لا » أو « آه آه آه » أو « عا عا عا » أو « آ آ آ » أو « ه ه ه » أو « ها ها ها » أو صوت بغير حرف أو تخبط ، وأدبه عند التسليم للوارد »^(٢) .

وقال ابن عربي : « فأغلق بابك دون الناس ، وكذلك باب بيتك بينك وبين

(١) « مفتاح الفلاح » (ص ٣٠ - ٣١) .

(٢) « الأنوار القدسية » (١ / ٣٩) .

أهلك ، واشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار ، وأعلاها الاسم ، وهو قولك :
الله الله الله ^(١) .

ومما يؤكد أن الذكر عندهم بأي كلمة أو جملة ما رواه ابن عجيبة عن
الششتري : « وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين ، لأن
الششتري كان وزيراً وعالمًا ، وأبوه كان أميراً ، فلما أراد الدخول في طريق القوم ، قال
له شيخه : لا تنال منها شيئاً حتى تبغ متاعك ، وتليس قشابة ، وتأخذ بنديراً وتدخل
السوق ، ففعل جميع ذلك ، فقال له : ما تقول في السوق ؟ فقال : قل : « بدأت
بذكر الحبيب » ، فدخل السوق يضرب بنديره ويقول : « بدأت بذكر الحبيب » فبقي
ثلاثة أيام وخرفت له الحجب ^(٢) .

ويؤكد هذا ابن سبعين فيقول : « وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا
تبال ، وأي شيء يخطر ببالك سمه به ومن اسمه الوجود كيف يخصص بأسماء
منحصرة ؟ هيهات ! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض ، فإن قلت : نسميه
بما سمى به نفسه أو نبيه ، يقال لك : إن من سمى نفسه الله قال لك : أنا كل شيء ،
وجميع من تنادى أنا ... وبعضهم كان يقول : قد قد هذا هذا هذا له له ^(٣) .
وبذلك يتبين أن حقيقة الذكر الصوفي ليست مرتبطة بذكر الله سبحانه ... وأما
التزامهم الاسم المفرد فهو لالباس التصوف لباس الإسلام ... وعلى الرغم من ذلك
فالذكر بالاسم المفرد بدعة وضلالة .

وأما احتجاجهم بعموميات التي في القرآن ^(٤) ؛ كقوله تعالى : ﴿ واذكر اسم
ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل : ٨] ، وقوله : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾
[الأعلى : ١] فلا يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد ؛ لأن تسبيح الله وذكره لا
يكون إلا بالكلام التام المفيد ، والاسم المفرد لا يحقق ذلك .

(١) « رسالة الأنوار » (ص ٦) .

(٢) « إيقاظ الهمم » (ص ٢٨) .

(٣) « رسائل ابن سبعين » (ص ١٨٤) .

(٤) « تزييتنا الروحية » (ط ٣٠٠ و ٣٠١) .

ويحتج آخرون بقوله تعالى : ﴿ قل الله ثم ذرهم ﴾ [الأنعام : ٩١] زاعمين أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد ، وهذا وهم ؛ فإن قوله تعالى : ﴿ قل الله ﴾ جواب لقوله : ﴿ قل من نزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ الآية ، أي : الله الذي نزل الكتاب رد بذلك قول من قال : ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ .

ومن ذلك يتبين أن الاسم (الله) مذكور في الأمر بجواب الاستفهام ، فالاسم الله مبتدأ خبره دل عليه الاستفهام كقولك من صديقة ؟ فيقول : زيد .

وبعضهم يستدل بقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله »^(١) ، وهذا جهل فمعنى الحديث : لا إله إلا الله يؤيده رواية : « لا تقوم الساعة على أحد يقول لا إله إلا الله »^(٢) .

وقد فند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جميع أدلتهم على المسألة^(٣) وقال في نهاية كلامه القيم : « المقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة ، وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر ، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته ، ومحبته وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية .

وأما الاختصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له ، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى أنواع البدع والضلالات ، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد » .

ويكفي في رد هذه البدعة قول رسول الله ﷺ : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الشكر الحمد لله »^(٤) .

ولذلك كان رسول الله ﷺ يأمر بقولها ، وكان يقولها في دبر كل صلاة ،

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه أحمد .

(٣) « العبودية » (ص ١٥٨ - ١٦٩) .

(٤) أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي ، وهو حسن .

وكان يقولها إذا قام من الليل .

ناهيك أن الذكر عبادة بل من أفضل العبادات ، وأعظم الطاعات والعبادة تحتاج إلى نص صحيح صريح وإلا فلا تكون عبادة ... أما مشايخ الصوفية فقد أراد كل منهم أن ينصب نفسه مشرعاً لمريديه فوضع لهم من الأذكار ما ليس فيه أثر عن خير البشر محمد ﷺ ... وحاول كل منهم أن يجذب مريديه بشتى الطرق ومختلف الوسائل ؛ فمنهم من زعم أن ورده أخذه عن الرسول مناماً ، ومنهم من ادعى أن رسول الله ﷺ أعطاه ورده يقظة ، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي علمه الأذكار ... الخ

قال صالح محمد الجعفري^(١) : « قال سيدي أحمد رضي الله عنه اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته ﷺ »^(٢) ولكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى ، ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي تبعاً لتعدد الطرق وتباين الشيوخ ، وكل شيخ يحرم على مريديه أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه أو أن يذكروا مع الطرق الأخرى ... إن هذا الاختلاف الكبير دليل على أن هذه الأذكار ليست من دين الله في شيء : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

رابعاً : طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفاً : يعتقد الصوفيون أن طلب الجنة والفرار من النار منقصة عظيمة في حق العابد ، وإنما الطلب عندهم والرغبة لديهم - زعموا - في الفناء في الله ، ويقولون : من عبد الله رغبة فتلك عبادة التجار ، ومن عبده رهبة فتلك عبادة العبيد ، ومن عبد الله حباً فتلك عبادة الأحرار . قال الكلاباذي : « العوض ما لله عليك في العلم في قوله : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ ثم قال : « لتعبدوه بالرق لا بالطمع »^(٣) .

(١) كان إماماً للجامع الأزهر وتوفي سنة (١٩٧٩) .

(٢) « مفتاح كنوز السماوات والأرض المخزونة » (ص ٨) .

(٣) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص ١٤١) .

وقال : « دخل جماعة علي رابعة يعودونها من شكوى فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلتي سبباً غير أنني عرضت علي الجنة فملت بقلبي إليها ، فأحسب أن مولاي غار علي ، فعاتبني فله العتبي »^(١) .

ويستدل علي عقيدة القوم بقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ فيقول : « أي الخالية عن ذكر الله ؛ لتعلموا أنه بفضلته نلتهم لا بأعمالكم »^(٢) .

ويستدل أيضاً بقول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : « الصوم لي وأنا أجزي به » فيقول : « قال أحد الكبراء : أي : أنا الجزاء به »^(٣) .

والرد على تأويله لا يحتاج إلى عناء :

١ - استدلاله بقوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾ ساقط من وجوه أظهرها أنه قطع الآية عن نهايتها التي تدحض زعمه ، وهي قوله تعالى : ﴿ بأن لهم الجنة ﴾ فالعوض هو الجنة .

٢ - استدلاله بقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ باطل يعكس معنى الآية ؛ فالله عز وجل يقول للمؤمنين يوم القيامة : كلوا واشربوا هنيئاً بسبب ما أسلفتموه من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية .

٣ - وأما استدلاله بالحديث فهو تحريف وتخريف ففي رواية لمسلم بيان لمعنى الحديث : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف قال الله قالي إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » أي : أجر الصيام يضاعفه الله أضعافاً كثيرة فيؤفى الصائمون أجرهم بغير حساب .

وهذه العقيدة الصوفية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

١ - فقد وصف الله حال الأنبياء وعبادتهم وأنها رغياً ورهباً : ﴿ وزكربا إذ

(١) المصدر السابق (ص ١٥٥) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٢) .

(٣) المصدر السابق (ص ١٤٣) .

نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغياً ورهياً وكانوا لنا خاشعين ﴿ [الأنبياء : ٨٩ - ٩٠] ، والأنبياء أكمل الناس إيماناً .

٢ - وصف الله عباده المخلصين بقوله : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٥ - ١٧] .

فهؤلاء الذين ورثوا الفردوس الأعلى وصف الله عبادتهم بأنها خوفاً من عذابه وطمعاً في جنته .

٣ - الخوف من النار والطمع في الجنة يدندن حولها رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقد قال رجل لرسول الله ﷺ : والله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، وإنما أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، فقال له ﷺ : « حولها ندندن »^(١) فهل يتصور المتصوفة أنهم أكمل من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ؟!

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما وهو صحيح

أصول لا بد من معرفتها

أولاً : عند استقراء مؤلفات وأقوال علماء التصوف الذين رفعوا لواءه ، وأسسوا قواعده ، وأحكموا بناءه ، وأجمع الصوفيون عبر العصور على إمامتهم ، نجدهم جعلوا التصوف علماً على عقائد ضالة ، وأساليب منحرفة ، تفرد بها طائفة من الناس دون عامة المسلمين ، يسمون أنفسهم « أهل الله » و « العارفين بالله » و « أهل الكشف » ، وقد تصدى لهم أئمة المسلمين وفندوا مزاعمهم ، وسددوا سهامهم إلى هذه العقائد التي لم يبق على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل ، فأصابوا منها مقتلاً .

ثانياً : لما رأى الصوفيون اندحارهم في هذه الجولات ، وأنهم كساع إلى الهيجاء دون سلاح ، خُيِّل إليهم أنه لا يزال في قوس التصوف منزع ، فلجأوا إلى أسلوب التعمية والتدليس والتلبيس ، وذر الرماد في العيون ، وسلكوا سبيل الحيل لعلهم يخدعون الدهماء ، فقالوا : إن هذه الأقوال التي ذكرتموها مدسوسة علينا .

ولو سلمنا بصحة قولهم ، فلماذا لا تزال هذه المؤلفات تدرس في زواياهم وتكايهم ؟ ولها مكانة خاصة في قلب كل صوفي ، وهي مصادرهم في تلقي التصوف .

أتدرون أن قولكم إدانة صريحة لهذه المؤلفات ، وتبرؤ واضح منها ؟ وأنكم عندما ترجعون إليها تقعون في تناقضات بعضها فوق بعض ، وإلا فهو الخداع لعلهم قدرتكم على الدفاع عن هذه العقائد التي تخالف الإسلام شكلاً ومضموناً ، وتنقض عرى الدين عروة عروة ، وهذه هي الحقيقة التي يحجبونها ، وإليك الدليل على ما قررنا .

- ١ - بعض المتصوفة متهم عند علماء الحديث بوضع الحكايات للصوفية كالسلمي صاحب طبقات الصوفية ، إلا أن الصوفيين يعتبرون هذا الكتاب من أجود كتبهم ، وأوثق مصادرهم ، مما يدل على استحسانهم لما جاء فيه ولو كان كذباً عليهم لأنه يتفق وأصولهم التي بها يدينون ، وعليها يتكئون .
- ٢ - إدانة العلماء القدامى الذين عاصروا هذه العقائد لهذه الأباطيل وتفنيدها .

٣ - حكم العلماء على بعض الصوفيين بالقتل لأنهم رأوا منهم ما يوجب ذلك كالحلاج المقتول صلباً على جسر بغداد سنة ٣٠٩ هـ ، والسهرووردي المقتول بأمر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧ هـ ، وما محنة غلام الخليل عن الباحث ببيعيد » وهي المحنة التي أتتهم فيها نحو سبعين صوفياً ، من بينهم الجنيد شيخ الطائفة ببغداد ، وحوكموا وحكم عليهم بالإعدام ثم أفرج عنهم ^(١) .

وحكم علماء المسلمين على هؤلاء بالقتل لم يكن عبثاً ، ولو كانت هذه الكتب والأقوال ممدوسة عليهم لدرؤوا الحد عنهم ، ولقد كان هؤلاء الأئمة الذين أباحوا دم الحلاج قمة في الثبوت والتروي - نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً - قال السيوطي : « وفيها - أي في سنة ٣٠١ هـ - أدخل الحسين الحلاج مشهوداً على جمل إلى بغداد فصلب حياً ونودي عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس إلى أن قتل سنة تسع ^(٢) » .

ويقول السيوطي رحمه الله تعالى : « وفي سنة تسع أي بعد الثلاثمائة قتل الحلاج بإفتاء القاضي أبي عمرو والفقهاء والعلماء أنه حلال الدم في أحواله السيئة أخبار أفردتها الناس بالتصنيف ^(٣) » .

ومن قبله قال ابن الجوزي رحمه الله : « اتفق علماء العصر على إبادة دم الحلاج ؛ فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضي ، ووافقته العلماء ... وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلاً منهم ، وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء ^(٤) » .

لقد لبث الحلاج في السجن بضع سنين ، وهذه المدة تدل على أن هؤلاء العلماء أيقنوا أن ما نقل عن الحلاج حقيقة . ولو كان ممدوساً عليه لثبراً منه على رؤوس الأشهاد ... لكنه يدل على إصراره على عقيدته الباطنية المنحرفة ... وها هو يقول : « وإن قتلت أو صلبت ، أو قطعت يداي ورجلاي ، ما رجعت عن دعواي ^(٥) » .

(١) « التصوف بين الحق والخلق » (ص ٤٥) .

(٢) « تاريخ الخلفاء » (ص ٣٨٠) .

(٣) المصدر السابق (ص ٣٨٢) .

(٤) « تلبيس إبليس » (ص ١٧٢) .

(٥) « الطواسين » (ص ٥٢) .

ثالثاً - وقال بعض الصوفية إن أئمة التصوف حافظوا على احترامهم لعلماء الشريعة ، وأنكروا على من جعل الشريعة مرتبة للعوام حتى أنهم اتهموا القائلين بذلك بالزندقة ، وأعلنوا أن تصوفهم مقيد بالكتاب والسنة ، فيها هو أبو سليمان الداراني يقول : « ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة » ، وهذا أبو يزيد البسطامي يقول : « من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع » والجنيد - سيد الطائفة - يقول : « مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة » ، وقال : « علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به »^(١) .

إن هذه الأقوال تعارضها أقوالهم الأخرى المخالفة للكتاب والسنة .
قال الجنيد : « أحب للمبتدئ ألا قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج ، وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب ، لأنه أجمع لهم »^(٢) .

وقال أبو سليمان الداراني : « إذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر في طلب المعاش ، أو تزوج ، فقد ركن إلى الدنيا »^(٣) .
وقال أبو يزيد : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان وأين هو ؟ قالوا : مات عن فلان وأين هو ؟ قالوا : مات »^(٤) .
رُبَّ قائل يقول : إن هؤلاء القوم كانوا حيارى في بداية أمرهم ثم هدوا إلى صراط مستقيم .

(١) تجرد طائفة من أقوالهم في « الرسالة القشيرية » .

(٢) « قوت القلوب » (٣ / ١٣٥) .

(٣) « الفتوحات المكية » (١٠ / ٣٧) .

(٤) المصدر السابق (١ / ٣٦٥) .

إن هذا القول لا يسنده دليل من واقع المتصوفة ، بل هي تناقضات متعمدة ومفتعلة ، لأنها تحايل واستدراج للعامّة كي يستسلموا لآراء المتصوفة ظناً أنها مقيدة بالكتاب والسنة ، ومحررة على ضوء الإسلام ، ولذلك يستعمل الصوفية عبارات حلزونية كقولهم : « حقيقتنا مقيدة بالقرآن والسنة » أو « طريقتنا سلفية وحقيقتنا صوفية » أو « التصوف السلفي » .

إن الصوفيّين في القديم والحديث لجأوا إلى إصدار الأقوال المتضاربة ، وهي ليست أكثر من استهلاك محلي ، وتخطيط مرحلي ، فتبصرهم يقولون شيئاً ، ويقصدون شيئاً آخر ، وهذا الأسلوب يتمشى مع عقيدتهم التي تؤمن بالتقية .

إن التصوف يشتمل على أساس التقية دون أن يعلن ذلك على الملأ ، وذلك حين بدأ يتخذ سبيلاً إلى عقائد دونها قطع الرقاب ، فقد كان الجنيد عاملاً بالتقية حتى كان « لا يتكلم قط في علم التوحيد إلا في قعر بيته ، وبعد أن يغلق داره ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ، ويقول : أتجنون أن يكذب الناس أولياء الله وخاصته ويرموهم بالكفر والزندقة »^(١) .

قال ابن الجوزي : « واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور »^(٢) . وبين الشعراني مذهب التقية فقال : « وإنه كان يستتر بالفقه إلى أن مات »^(٣) . ونقل أبو بكر الكلاباذي قول الجنيد للشبلي : « نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ، ثم خبأناه في السرايب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ »^(٤) / وقال راداً على الشبلي : « يا أبا بكر الله الله في الخلق ، كنا نأخذ الكلمة ، فنشقها ، ونقرظها ، ونتكلم بها في السرايب ، وقد جئت أنت فخلعت العذار ، بينك وبين أكابر الخلق ألف طبقة ، في أول طبقة يذهب ما وصفت »^(٥) .

(١) « الطبقات الكبرى » (١ / ١٠) .

(٢) « تلبس إبليس » (ص ١٧٣) .

(٣) « الطبقات الكبرى » (١ / ١٠) .

(٤) « التعرف لمذهب أهل التصوف » (ص ١٤٥) .

(٥) « اللمع » (ص ٣٠٦) .

وأما اتهامهم للقائلين بالعقائد الضالة بأنهم زنادقة ، فليس كما يتوهم بعض المسلمين أنه تبرؤ منها ومن أصحابها بل هو مدح لهم ، واعتزاز بمواقفهم ، وهو تطبيق واقعي للتقية ، فهذا الجنيد يحدثنا عن ذلك : « لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم بأنه زنديق ، لأن أحوالهم وراء النقل والعقل »^(١) .

وهذه الإدانة إن لم تكن من باب التقية ، فالمتصوفة لا يفرقون بين الصديق والزنديق ، لأنهم يعتقدون أن المطيع والعاصي سواء أمام الله عز وجل لإطاعة كل منهما لله في صفة من صفاته ، واسم من أسمائه ، فالأول أطاعه في اسم الهادي ، والثاني أطاعه في اسم المضل ، فكلاهما مطيع ومقرب ، ومثاب على طاعته^(٢) .

قال أحدهم إن هذه الأقوال قد لا نفهمها ، لأن الصوفيين لهم اصطلاحاتهم الخاصة بهم فينبغي تأويلها في صالحهم لئلا نكفر قوماً بجهالة وننسب أولياء الله إلى الضلالة .

إن فتح باب التأويل معناه نسف الشريعة ، لأنها ستصبح ألعبوبة في أيدي الملاحدة المبطلين ، ويصبح الكافر مسلماً ، لأننا على هذا المنوال نستطيع تأويل الكفر إلى إسلام ، وتحويل الشرك إلى إيمان ، فلربما يقول قائل : عيسى إله فإن أنكرت قوله قال لك : على رسلك ، إنما قصدت رب عيسى إله .. وهكذا دواليك .

والمسلم مأمور أن يحكم على الظاهر وقد أغلق العلماء باب التأويل حفظاً للشريعة ، وسداً للذريعة ، قال الإمام زين الدين العراقي رحمه الله تعالى : « ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ولا نؤول له كلامه ولا كرامة »^(٣) .

(١) انظر « الأنوار القدسية على هامش الطبقات الكبرى » (١ / ٢٢) ، و« المناظرة الإلهية » (ص ٤٤) ، و« كشف الحجاب » (ص ٢٧٣) .

(٢) مظان هذه العقيدة الباطلة : « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي و« الفتح الرباني والفيض الرحماني » لعبد الغني النابلسي .

(٣) « مصرع التصوف » (ص ٦٦) .

هكذا تتضافر أدلة الكتاب والسنة على إبطال التصوف - بقضيه وقضيضه -
الذي لبس ثوب الإسلام خداعًا وتضليلًا ليُدعى المسلمون إليه وإقامة دينهم عليه .
وأنه لمن أبر الجهاد عند الله أن يُحمى المسلمون من أن يفتنوا في دين الله والفتنة
أشد من القتل وأكبر .

فلماذا لا يعلنها المسلمون حربًا شاملة يضحون فيها بالغالي والنفيس ، لدحض
هذه المفتريات التي شوهت جمال الإسلام ، وحالت دون تقدم المسلمين وأخفت
الإسلام الحقيقي عنهم ، لتقطع كل صلة بينهم وبين الله ورسوله .

والواقع يشير أن كثيرًا من المسلمين وقعوا ضحايا لهذا الضلال والكفر ، ولن
ينقذهم من هذا إلا حملة شاملة من علماء الإسلام للكشف عن وجه هذا الزيف بكل
لسان وفي كل مقام .

فيا رب ابعث من يجدد ديننا ، فإن الصوفيين قد عادوا من جديد .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

الإخوان المسلمون

نُبذة تاريخية : أسس الأستاذ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية في مصر عام « ١٣٤٦ هـ » ، وهو المرشد الأول لها ، وتوفي عام « ١٣٦٨ هـ » اغتيالاً ، فخلفه الأستاذ حسن الهضيبي حتى عام « ١٣٩٣ هـ » ، ثم جاء الأستاذ عمر التلمساني ، ثم خلفه الأستاذ حامد أبو النصر ، ثم خلفه الأستاذ مصطفى مشهور .

هل الإخوان المسلمون جماعة المسلمين ؟

إن الباحث عن الحقيقة لدى الجماعات الإسلامية لا يَهْتُمُ عددُ أفرادها أو مدى انتشارها ، أو عمرها الحركي ، بل يولي وجهه شطر عقيدتها ليقارنها بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من أهل الحديث ، فإن وجدها هي هي فيها ونعمت ، وإلا سأل الله لها الهدى ، ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل بالتي هي أحسن للتي هي أقوم .

قال ﷺ : « يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلُ ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الثلاثة ، وأكثر من ذلك ، فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا ، فيقال له : ومن يشهد لك فيقول : محمد وأمته ، فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم ، فيقال : وما علمكم بذلك ؟ فيقولون : جاءنا نبينا ؛ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، فذلك قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ﴾ (١) .

هؤلاء أنبياء الله خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، يلقونه وقد خذَلهم الناس وخالفوهم أكانوا على الحق المبين أم لا ؟ أصبروا على الضراء والبلاء أم لا ؟ فلم كانوا قليلي الأتباع والأعوان ؟ إذن فالحق لا يُحتجُّ عليه بالكثرة وعدد الأصابع المرفوعة . ويؤيد هذا الفهم قوله ﷺ في وصف الغرباء المتبعين لسنة سيّد المرسلين :

(١) أخرجه النسائي وابن ماجه وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري وهو صحيح .

« أناس صالحون في أناسٍ سوءٍ كثير ؛ من يعصيهم أكثرُ ممن يطيعهم »^(١) .

نستطيع جماعة الإخوان المسلمين العذر إذا طويلاً كشفنا عن كثرتهم ، وضربنا صفحاً عن سعة انتشار حركتهم - فهذه أمورٌ ليس لها وزن ، ولا تشد انتباه داعٍ إلى الله لا يريد علواً في الأرض - على الرغم من كونها محور عملهم ، والعمود الفقري لجماعتهم ، حتى نخيل إليهم أنهم جماعة المسلمين ، التي يجب اتباعها ، واقتفاء أثرها ، والانضواء التام تحت لوائها .

وهذا ليس ادعاءً أو القاءً للقول على عواهنه ، بل هو تصور كامن في نفوس الإخوان منذ أيامهم الأولى ؛ حيث خاطب مؤسس الجماعة ومرشدُها العامُ شباب الإخوان قائلاً : « أيها الشباب : لعل من أخطر النواحي في الأمة الناهضة - وهي في فجر نهضتها - اختلاف الدعوات ، واختلاط الصيحات ، وتعدد المناهج ، وتباين الخطط والطرائق ، وكثرة المتصدين للترعم والقيادة^(٢) ، وكل ذلك تفريق في الجهود وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات^(٣) ، ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسياً لا بُد منه لمن يريد الإصلاح^(٤) .

(١) أخرجه أحمد وابن المبارك في « الزهد » والفسوي في « المعرفة والتاريخ » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وبينت صحته في كتابي « الغربة والغرباء » (ص ١٦ - ١٧) .
(٢) يرى الإخوان المسلمون أن من أسباب نشأة الجماعات الإسلامية حب الزعامة وتقلد المناصب لدى القائمين عليها ؛ كما سيأتي صريحاً في أقوال الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن وقتئذٍ (ص ٤١١) .

(٣) هذا تنظير حق ، ويزاد الخطر إذا كانت هذه الدعوات والصيحات والمناهج والخطط والطرائق والمتصدون لذلك يدعي أنه إسلامي أو يمثل دعوة الإسلام (١) .

(٤) كلمة حق ولذلك قمنا بدراسة هذه الجماعات والموازنة بين هذه الدعوات على أصل أصيل بعيد عن الهوى لأنه يحكمه الدليل وهو الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ... ولكن عندما يقوم مسلم من خارج جماعة الإخوان بذلك يتهم بأنه من أصحاب الكيد والتفريق بين المسلمين ؛ كما صرح بذلك « المهلّهل » في كتابه « للدعاة فقط » (ص ١٢٤) ط ٢ .

ومن هنا كان من واجبي أن أشرح لكم في وضوح موجز دعوة الإسلام في القرن الرابع عشر « ثم بدأ في الشرح قائلاً : « دعوة الإخوان المسلمين أو دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر »^(١) .

وهذا بيان منه : أن دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر هي دعوة الإخوان المسلمين ، لأن الإسلام دعوة واحدة لا تتعدّد ، ولا تتبدّد ، ولا تنجز (١)

ويزيد البنا هذا التصوّر وضوحاً وهو يصنّف الناس إلى أربعة : « مؤمن ، متردد ، نفعي ، متحامل »^(٢) .

والمفهوم العملي لهذا التصنيف : أنه ليس أمام الإنسان إلا أن يَضَعَ نفسه في أحد موضعين ؛ فإما أن يكون مُتردداً نفعياً متحاملاً على الإخوان المسلمين ، وإما أن يكون مؤمناً ؛ أي أن يصير أخاً مسلماً من جماعة الإخوان المسلمين .

وهذا ما وضحّه وشدّد عليه الأستاذ حسن البنا في رسالته « إلى الشباب » فقال : « أيها الشباب : على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعاً ، فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكنم معنا سبيل الإسلام الخفيف ، وتجرّدتم من كلّ فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنيا والآخرة ، وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم في العصر الأول ، وسيجدّ كل عامل صادق منكم في ميدان الإسلام ما يرضي همّته ، ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين .

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلّة ولا بكثرة : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾^(٣) .

ظل هذا المفهوم الخاطي ، والتصوّر الفاسد قابلاً وراء التصريحات الغائمة ،

(١) « مجموعة رسائل البنا » (ص ١٧٤ - ١٧٥) .

(٢) « الرسائل الثلاث » ، (ص ٦) .

(٣) « مجموعة رسائل حسن البنا » ، (ص ١٨١) .

والألفاظ العائمة للأستاذ حسن البنا الذي نسج على منوال المتصوفين القدامى ؛ لأنه يريد أن يمسك العصا من وسطها ، فأوقع نفسه بنقسه في التناقض المفتعل ، حتى جاء الأستاذ سعيد حوى - وارث البنا ، ومفسر أقواله ، ومحامي أفكاره ، ومنظر جماعته - فوضع النقاط على الحروف ، وصرح بما ذكرنا على المكشوف ... وهامي أقواله ناطقٌ صديق وشاهدٌ عدلٌ تشهد عليه أمام الله - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - بأنه أعلن الحرب على العاملين الإسلاميين حين وضعهم في صفوف المرتدين ، لأنهم لم ينضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين ، ولم ينضوا تحت لوائها ، ولم يعقدوا البيعة لمؤسسها ومرشدها وإمامها (!)

١ - جماعة الإخوان ملتقى المؤمنين :

قال الأستاذ سعيد حوى : « وقد أراد الأستاذ البنا رحمه الله من حركة الإخوان المسلمين أن تكون دعوتهم هي القاسم المشترك بين المسلمين ، وأن تكون الإطار الذي يضم عائلة المسلمين ، ووضع كل الأسس النظرية والعملية لذلك بحيث تكون أن الناظر لا يستطيع أن يوجد صيغة أكمل من هذه الصيغة للقاء إسلامي صادق ، وقد أمر الأستاذ البنا الإخوان أن يقدموا لبقية الإسلاميين الحب ، لأنه الطريق الوحيد لإزالة الخلاف وتوحيد الصف .

ولا زالت دعوة الإخوان المسلمين وحدها هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم ، إذ لا يمكن لطريقة صوفية ولا لمذهب واحد ولا للتبني للفرعيات^(١) أن يكون هو الأساس ، ولأن الإخوان بما لهم من انتشار واسع هم القادرون على أن يكونوا أداة الوصل بين الناس^(٢) ، ويساعد على أن تركيب الإخوان يفسح لهم بالتطور وتبني الأفضل^(٣) »^(٤) .

(١) انظر كتابي « دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب » لتري خطورة هذه البدعة .

(٢) تقدم (ص ١٥٣) بيان أن كثرة العدد ، وسعة الانتشار ليس لها وزن في الميزان الشرعي .

(٣) تركيب الإخوان خليط من الآراء المتباينة والفرق المتناقضة كما سيأتي بيانه إن شاء الله (ص ١٧٧ وما بعدها) .

(٤) « دروس في العمل الإسلامي » (ص ١٩) .

٢ - تردد مقصود

قال : « المرشد الأول والثاني للإخوان لم يعتبرا من سوى الإخوان خارجاً عن جماعة المسلمين ، ومع أنه لم يزل فقهاء الدعوة المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعةً من المسلمين ؛ تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين ، مع أن فقهاء الدعوة المعتمدين يعتبرون أن الأمر كذلك ؛ فإن الأدلة كلها - كما سنرى - تدلُّ على أن هذه الجماعة هي أقرب الجماعات على الإطلاق ؛ لأن تكون جماعة المسلمين ، ولا تدَّعي العِصْمَةَ ، ولكن غيرنا كذلك غير معصوم »^(١)

٣ - إقدام وغلو

لم يلبث الأستاذ سعيد حوى مَلِيّاً حتى صرَّح بأن جميع مواصفات جماعة المسلمين منطبقة على جماعة الإخوان المسلمين : « فلنر ما هي مواصفات الجماعة التي يصحُّ أن نعتبرها جماعة المسلمين .

ولنر ما إذا كانت هذه المواصفات منطبقة على جماعة الإخوان المسلمين كما أقامها حسن البنا ، وليحاسب كلُّ مسلم نفسه بإنصافٍ ولتحاسب كلُّ مجموعة نفسها بإنصافٍ فلا تدَّعي ما ليس لها .

مواصفات جماعة المسلمين :

إن جماعة المسلمين هي :

- ١ - الجماعة التي تحملُ الإسلام بلا احتراش ولا احتراز .
- ٢ - الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارف عليها خلال التاريخ ، والمتمثلة بأهلِ السُنَّة والجماعة^(٢) .
- ٣ - الجماعة التي تستطيع أن تطرح صيغة الحق التي يمكن أن يجتمع عليها المسلمون .

(١) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » ، (ص ٢١) .

(٢) يقصد بأهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية كما سيأتي إن شاء الله بيانه

(ص ١٧٨) .

٤ - الجماعة التي تتحرك في إطار عملي نحو تحقيق الأهداف الإسلامية وبطريق ذلك .

٥ - الجماعة التي تحاول تحرير المسلمين من أمراضهم التي أدت إلى إزلالهم ودؤس كرامتهم .

٦ - الجماعة التي يتحقق كل فرد من أفرادها بالصفات العليا لحزب الله : من محبة الله إلى ذلة على المؤمنين ، إلى عزة على الكافرين ، إلى جهاد في سبيل الله ، إلى إخلاص الولاء لله وللرسول والمؤمنين .

٧ - الجماعة التي لا ينسى أفرادها إخوانهم لكل مسلم ، ولا يبخسون أهل الفضل فضلهم ، ولا يتكبرون على الحق .

والدليل على أن هذه كلها مواصفات لا بد منها للجماعة التي يجب على كل مسلم أن يضع يده بيدها ، وهي متوفرة في جماعة الإخوان المسلمين ... وكتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقاً » ذكر مواصفات حزب الله كما وردت في القرآن ، وأن الإخوان المسلمين هم الذين اجتمعت لهم هذه المواصفات - بفضل الله - نظرياً ، ويحاولون أن يتحققوا بها عملياً ، بينما نجد غيرهم يفر من التثبيتي النظري ، ولا عمل إلا ويسبقه علم^(١) .

ثم أعاد معنى ما تقدم في موطن آخر فقال : « قال ﷺ في الحديث المتفق عليه لحذيفة : « أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » إن الأصل الذي لا يجوز أن يغيب عن المسلم هو أنه لا بد للمسلمين من جماعة وإمام ، وأن الواجب الكبير على المسلم أن يكون ملتزماً بجماعة المسلمين وإمامهم ، وهذا هو المفتاح الأول لفهم قضية الإخوان المسلمين ، فقد ضاعت فكرة الجماعة الإسلامية أصلاً ، وغاب عن المسلمين الطريق الصحيح للوصول إلى الجماعة والإمام ، ووفق الله عز وجل حسن البناء إلى رسم الطريق الكامل للوصول إلى الجماعة والإمام باعتماد كل ما يلزم لذلك وبالسير العملي لما يحقق ذلك ، إذ أنه حتى تعتبر مجموعة ما جماعة المسلمين فإن ذلك يقتضي توافر شروط كثيرة في فهمها ووعيتها وصفاء قيادتها ، ولا نعلم أن

(١) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » ، (ص ٢٢ وما بعدها) .

مجموعة في عصرنا توافرت فيها هذه الأمور كالجماعة التي أقامها الأستاذ البنا (ثم اختصر الشروط السابقة) وجماعة الإخوان هذا شأنها ^(١) .

٤ - البنا هو الإمام وفكره هو المعيار

ومما يؤكد أن الإخوان المسلمين يعتقدون أنهم جماعة المسلمين أنهم يعدون الأستاذ حسن البنا الإمام وفكره المعيار الذي تقاس به الجماعات الإسلامية لترى وزنها وحجمها .

أ - البنا الوحيد بين خلق الله

قال الأستاذ سعيد : « ولا نعلم أنه من بين خلق الله من فطن لهذا كله ولغيره من شروط جماعة المسلمين كما فطن إلى مجموع ما يلزم لتحقيق الجماعة الإسلامية أهدافها على كل مستوى : من صياغة للمسلم ، إلى إقامة للدولة المسلمة في كل قطر إلى الوصول للدولة الإسلامية العالمية كحسن البنا رحمه الله ^(٢) »

ب - البنا أول من وضع قدم المسلمين على الطريق الصحيح .

قال الأستاذ سعيد : « وفي هذه السلسلة أثبتنا بما لا يقبل جدلاً عند المنصفين أن أحداً لم يضع قَدَمَ المسلمين في هذا العصر في طريق تحرير الإسلام من الوهن ثم في الطريق إلى جماعة المسلمين ، وإمام تتوفر فيه الخصائص كحسن البنا رحمه الله ^(٣) »

ت - ليس أمام المسلمين إلا فكر البنا .

قال الأستاذ سعيد : « خاصة وأن المسلمين ليس أمامهم إلا فكر الأستاذ البنا إذا ما أرادوا الانطلاق الصحيح ^(٤) » .

(١) « في آفاق التعاليم » ، (ص ١٥) .

(٢) « من أجل خطوة إلى الأمام » ، (ص ٣٦ - ٣٧) .

(٣) المرجع السابق ، (ص ٣١) .

(٤) « في آفاق التعاليم » (ص ٥) .

ث - البعد عن فكر البنا تفريط في نصرة الإسلام
قال أيضاً : « إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننطلق بعيداً عن سير الأستاذ البنا ؛ لأن
التفريط في ذلك تفريط في السير الصحيح لنصرة الإسلام في هذا العصر »^(١)
ج - لن يفلح المسلمون إلا بفكر البنا

قال : « ولكن الأيام ستكشف - والله أعلم - أنه لن تستطيع الحركة
الإسلامية ولا في طور من أطوارها سواء قبل الدولة أو بعدها أو في السياسة
الداخلية أو في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية أو في التربية أو في التكوين أو
في الاستراتيجية والحركة أن تستغني عن فكر الأستاذ البنا رحمه الله ، ولئن كان
البنا بمجموع ما حباه الله عز وجل هو المرشح الوحيد لأن يطرح نظريات العمل
الإسلامي ، فالدعوة التي أقامها تركيب ذو نسب معينة فمتى اختلفت هذه النسب
حدث الفساد »^(٢)

ح - لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر البنا
قال : « ولا شك أن دور الجماعة قبل السلطة وبعدها هو المنظم لهذه كله ،
ونقص الجماعة هنا جماعة المسلمين ، ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا
بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته التي في جملتها الحب لكل العاملين
المخلصين »^(٣)

خ - نقد فكر البنا مرض في القلب
قال : « ثم إنه قد نبتت هنا وهناك أفكار مريضة تريد أن تتخلص من دعوة
حسن البنا ومن أفكاره ، فكان لا بد أن يعرف هؤلاء وغيرهم أن الانطلاقة على غير
فكر الأستاذ البنا في عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء إذا ما أردنا عملاً كاملاً
متكاملاً في خدمة الإسلام والمسلمين »^(٤)

(١) المرجع السابق ، (ص ١٢) .

(٢) المصدر السابق ، (ص ١٣) .

(٣) « جولات في الفقهاء » (ص ٧٩) .

(٤) « في آفاق التعاليم » ، (ص ٥) .

د - طابع البديهة

قال : « وإذ هو في حكم الثابت أنه لم تتوافر في إنسانٍ معاصرٍ مجموعة الصفات التي تحققت في حسن البناء ، فإنه رحمه الله يكاد يكون وحده هو المرشح لطرح نظريات العمل الإسلامي المعاصر .

إن هذا ينبغي أن يأخذَ عندنا طابع البديهة ، على أن ذلك لا يعني العصمة لحسن البناء رحمه الله »^(١) .

٥ . الكمال في التزام مبادئ الإخوان المسلمين .

قال : « والبيت المسلم الكامل هو الملتزم بمبادئ الإخوان المسلمين ؛ لأن ذلك هو الكمال الإسلامي المعاصر ، ولذلك جعل الأستاذ البناء من واجبات الأخ العامل إلزام المنزل بمبادئ الإخوان المسلمين »^(٢) .

٦ . وجوب العمل تحت راية الإخوان المسلمين .

أعطى الأستاذ سعيد حوى جماعة الإخوان كلَّ أحكام جماعة المسلمين ، وقلَّد مرشدَها خصائص إمام المسلمين ، ولذلك أوجب على كلِّ مسلم الانضواء تحت لوائها ، والانضمام إلى صفوفها ، وعَقَدَ البيعة لحسن البناء أو خليفته .

قال : « وبسبب ما ذكرنا نقول : إن جماعة الإخوان لا غيرها هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها »^(٣)

وقال أيضاً : « مما مر ندرك أن السَّيْرَ مع الإخوانِ شيءٌ لا بدُّ منه للمسلم المعاصر »^(٤)

وَضَيِّقٌ واسع رحمه الله عندما قال أيضاً : « وبهذا لا يسعُ مسلماً أن يتخلفَ

(١) المرجع السابق ، (ص ١١) .

(٢) « في آفاق التعاليم » ، (ص ٢٩)

(٣) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » (ص ٢٩ - ٣٠)

(٤) « في آفاق التعاليم » (ص ١٦) .

عن هذه الدَّعوة»^(١)

٧ - من فارق جماعة الإخوان فقد خلع ربة الإسلام من عنقه .
قال : « وإذا كانت الجماعة هذا شأنها^(٢) ، فلا يجوز الخروج منها ، قال عليه السلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه » .

وعلى كل مسلم ألا يتسبب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة ، لأن الطاعة لا تجوز إلا لولي الأمر من المسلمين وتحرم على غيرهم اختياراً ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾^(٣) .

اعتراف ... ولكن

كنت قد نبهت على هذه المسألة في كتابي « مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويماً » فأتت الدراسة تقويماً لبعض آرائه منها هذه المسألة ، فقد أقر أن جماعة الإخوان المسلمين ليست جماعة المسلمين ، فتغيرت فتواه من وجوب العمل تحت راية الإخوان المسلمين إلى الجواز في حق بعض المسلمين والتحريم في حق آخرين .

وقد قدمت قوله السابق في فقرة (٦) ، وأما اللاحق فقال : « بل أقول : إن هناك فروضاً كفاية لا تتحقق من خلال الإخوان ، فإذا تعين بعض الناس لهذه الفروض حرم عليهم أن يكونوا من الإخوان المسلمين .

المطلوب من مسلمي عصرنا أن يكونوا من أهل السنة والجماعة وأن يكونوا من الطائفة المنصورة ، وأن يتعاونوا من أجل فروض العين وفروض الكفاية من خلال الحب والإخاء والتنسيق ، ولا أشترط الوحدة التنظيمية ، فقد يترتب على الوحدة التنظيمية في بعض الظروف ضرر^(٤) .

وقال : « فالانتساب للإخوان المسلمين في حق بعض الناس فريضة ، وفي

(١) المرجع السابق ، (ص ١٧) .

(٢) يقصد أنها جماعة المسلمين ، كما هو واضح من أقواله وتصريحاته (!)

(٣) « من أجل خطوة إلى الأمام » (ص ٤٠) .

(٤) « الإجابات » (ص ٨٢) .

حق بعض الناس مباح ، وفي حق بعض الناس إثم»^(١) .

وقال مسوغاً قوله السابق : « وأما قلبي : ينبغي على كل مسلم أن يضع يده بيدهم فَوْضُحَ اليد يفيد التعاون والتنسيق كما يفيد الالتزام»^(٢)

قلت : سواء أكان تراجع تصحيحاً أم توضيحاً فذلك ما كنا نبغي ، أما تسويغه فمردود من وجوه :

أ - أن الحكم يؤخذ من قوله : « ينبغي ... » وهو يفيد الوجوب والالتزام لغة واصطلاحاً لا من قوله : « أن يضع يده » ؛ لأن وضع اليد هنا محكوم عليه لا حاكم .

ب - إن قوله المستوعف فهم في ضوء عبارات أخرى هي : « لا يسع » و « لا بُدَّ منه » .

تدليس وتلبيس

وهناك إخواني آخر حاول أن يردّ هذه الحقيقة بالتلبيس والتدليس فقال : « من المطاعن التي يتبجح بها أصحاب الكيد والتفريق بين المسلمين أنهم يَنسبون إلى الإخوان قولهم : بأنهم جماعة المسلمين ... وحول هذه القضية لن أطيل الردّ بل سأورد أشدّ العبارات في هذا الموضوع وهو قول الأستاذ سعيد حوى حفظه الله : « إن الإخوان جماعة كاملة للمسلمين » وهذه العبارة عند قراءتها القراءة الصحيحة نجدّها تبين أن الإخوان جماعة كاملة من حيث الشمول حيث هناك فرقاً بين التعريف والتكبير فالجملة نكرة أي إن الإخوان جماعة كاملة وهذا لا ينفي أنه قد تكون جماعة كاملة غيرها »^(٣)

ووجوه التدليس والتلبيس هي :

أ - إن هذه العبارة غير موجودة في كلام الأستاذ سعيد حوى بهذا النظم ،

(١) المرجع السابق (ص ٨٦) .

(٢) المرجع نفسه ، (ص ٨٦ - ٨٧) .

(٣) « للدعاة فقط » (ص ١٢٤) .

ونصّ عبارته : « ونقصد بالجماعة هنا جماعة المسلمين ، ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته »^(١) ، وشتان ما بين العبارتين .

ب - أجاز وجود جماعتين كاملتين وهذا منقوض شرعاً ، لأنّ الكمال الإسلامي لا يتعدّد ، ووجود جماعتين كاملتين يعني أن لهما خصائص وصفات متشابهة ، وكمالهما يقتضي كونهما جماعة لا جماعتين ، فتأمل .

ومردود من نظر الأستاذ سعيد فهو يقرر أن الكمال الإسلامي هو الالتزام بمبادئ الإخوان المسلمين^(٢) ، وكل انطلاقة على غير فكر الأستاذ البنا في عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء إذا أردنا عملاً كاملاً متكاملًا في خدمة الإسلام والمسلمين ، وبهذا يتبين أن الإخوان لا يتصورون وجود جماعة كاملة أخرى كما قيل .

ت - زعم أنه أورد أشدّ العبارات وفي الحقيقة أورد أبعده العبارات ، ناهيك أنها عبارة ملفقة غير مؤثقة ، والذي يتأمل عبارات الأستاذ سعيد السابقة لا يخفى عليه ذلك .

ولقد نقل الإخوان المسلمون هذا التصور إلى اقع ملموس ، ومن شواهد ذلك :

١ - حملات الطعن والتشكيك

يشن مفكرو الإخوان حملات هوجاء للطعن في الجماعات الإسلامية المعاصرة وقد طفحت بذلك الكتب الآتية : « مشكلات الدعوة والداعية » ، « الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية » ، « مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » ، « جولات في الفقهاء » ، « الطريق إلى جماعة المسلمين » .

ويعدّ الإخوان المسلمون كلّ جماعة لم تنضو تحت لوائهم باطلة أو فاشلة ، ولقد سمعنا هذا الرأي من أقطاب الإخوان مشافهة قائلين : إنهم الجماعة الأمّ التي

(١) انظر (ص ١٦٠)

(٢) انظر لزماً (ص ١٦١)

ظهرت على الساحة الإسلامية بعد خلوها عقب إنهيار دولة الخلافة عام « ١٩٢٤ م » ، فيجب على جميع الجماعات الإسلامية أن تعقد البيعة لحسن البنا رحمه الله ، وتنضوي تحت لواء حركته^(١) .

وقد ضرب الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن والناطق الاعلامي باسم التنظيم الدولي - وقتئذ - مثلاً بجماعة الصلاة فقال : لو دخلتم المسجد ووجدتم الجماعة قائمة فهل يجوز أن تقيموا جماعة أخرى ؟!

٢ - الحجر الفكري والقرار الجائر

تُضَيِّرُ جماعة الإخوان المسلمين بين الفينة والأخرى قائمةً سوداءً بين دفتيها تعاليم وأوامر تحذُرُ الفرد الإخواني الاتصالَ ببعض الدعاة الإسلاميين أو الجلوسَ معهم ، أو سماعَ محاضراتهم ، أو قراءةَ كُتُبِهِمْ ؛ لأنهم في تصور قادة الإخوان يضرّون بالجماعة ، فهم يحملون أفكاراً غير فكر الإخوان ولئن سألتهم لم هذا ؟ قالوا : لمنع الازدواجية في الولاء ، فإما الولاء للجماعة وأما التجميدُ والمقاطعةُ والانتهاكاتُ ، ومن ذلك القرار الجائر الذي صدر عن جماعة الإخوان المسلمين بمقاطعة دروس ومحاضرات شيخنا المحدث محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وتجميد الأخوين أبي أحمد وأبي بلال ، وإليك ما يثبت ذلك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين .

حضرة الأخ الفاضل : محمد عبد حسن حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإنه على ضوء الجلسة التي عُقدت بين الهيئة الإدارية لشعبة الزرقاء من جهة وبينك من جهة أخرى ، وما دار فيها من نقاش حول ما قمت به بالنسبة

(١) انظر لزاماً (ص ١٦١)

لدعوة الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله لمدينة الزرقاء ودعوة الناس للاستماع إليه رغم علمك بأن هذا مخالف لأوامر الجماعة التي أعطيت لها البيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وإن خالف رأيك الشخصي .

ثم إنك طلبت من الهيئة الإدارية بعد أن وضحت لك معنى الولاء والطاعة لقيادة الإخوان المسلمين ، وأنه لا يجوز لك أن تربط بأكثر من جهة بالنسبة لإعطاء الولاء .

ثم إنك بعد هذا النقاش الطويل أظهرت بلسان حالك أنك لا تستطيع قطع علاقتك بالشيخ ناصر مهما كان الأمر .

ثم إنك طلبت من الهيئة الإدارية في جلستها بتاريخ ٢٩ / ٥ / ١٣٩٥ هـ وفق ٨ / ٦ / ١٩٧٥ م إمهالك لمدة غير محددة من الزمن للتفكير بين التزام أوامر قيادة الإخوان المسلمين والعمل معها فحسب وبين اتباع الشيخ ناصر والعمل معه ، فعلى أثر طلبك هذا فإنني أود أن أبلغك قرار الهيئة الإدارية لشعبة الزرقاء بالموافقة على طلبك هذا ، وبناء عليه فأنت في نظر الهيئة الإدارية خلال هذه المدة فاقده لعضويتك في جماعة الإخوان المسلمين حتى يفتح الله عليك ، وترجع لتعلن ولائك لقيادة هذه الجماعة من جديد ، وعندها تعود لك العضوية إن شاء الله .

والله يحفظك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١) .

٣ / ٦ / ١٣٩٥ هـ عن الهيئة الإدارية لشعبة الزرقاء

١١ / ٦ / ١٩٧٥ م نائب الشعبة / ذيب أنيس

(١) انظر ملحق الوثائق (رقم ١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه أجمعين .

حضرت الأخ الفاضل : ياسين محمود حفظه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : أرجو أن أبلغك قرارَ الهيئة الإدارية لشعبة الرزقاء في اجتماعها المنعقد بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٣٩٥ هـ وفق ٧ / ٦ / ١٩٧٥ ، والذي صدرَ بشأنِ مخالفتك لأوامرِ قيادةِ جماعةِ الإخوان المسلمين في الأردن ، بعد الإطلاعِ على النقاطِ التالية :
أولاً : يعلم الأخ ياسين حفظه الله : أن من تمام البيعة في دعوة الإخوان المسلمين أن يكونَ الأخ مطيعاً لأوامرِ قيادةِ هذه الجماعة في المنشط والمكره ، وإن خالفت رأيه الشخصي .

ثانياً : إن من شروط العضوية الصحيحة في هذه الجماعة عدم ازدواجية الولاء عند الأخ العامل ، وهو : أن يطيع قيادة الجماعة تارة ، ويطيع غيرها تارة أخرى .

ثالثاً : يعلم الأخ ياسين حفظه الله جيداً : أن قيادة الإخوان المسلمين قد عمّمت على جميع الإخوان العاملين في الأردن عدمَ دعوة الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله إلى بيوتهم ، وكذلك عدم دعوة الناس للاستماع إليه ، وذلك لأسباب هي أعلمُ بها من الأعضاء .

رابعاً : يعلم الأخ ياسين حفظه الله : أن قوة أي تنظيم تكونُ بقدرِ قوة طاعة الأفراد لأوامرِ هذا التنظيم ، وأن عدمَ توفرِ السمع والطاعة لقيادة الجماعة في التنظيم تُسببُ الضعفَ والانهيارَ لهذا التنظيم أو ذلك ، ولو أن جماعة الإخوان المسلمين سَمَحَتْ لعضوٍ منها أن يعطي شيئاً من ولائهِ وطاعته لجماعة كذا غيرها ، أو حزب كذا ، أو لطريقة كذا ، ولو فعلت هذا مع بقية الأعضاء لأصابها الوهنُ والضعفُ ، ولما استطاعت أن تَتَمَيَّزَ وتَصمَدَ أمامَ أكبرِ الطواغيت في دُنيا الناس .

خامسًا : علّمت الهيئة الإدارية في شعبة الزرقاء : أنك قُمت في الآونة الأخيرة بدعوة الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله إلى بيتك ، ودعوة الناس إلى الاستماع إليه ، وأنتك تخلفت في هذه الآونة بسبب مرافقتك للشيخ المذكور عن حضور اجتماعات خاصة بالإخوان المسلمين ، وهي الجماعة التي بايعت الله تعالى على طاعتها .

سادسًا : بعد أن علّمت الهيئة الإدارية بدعوتك للشيخ المذكور قامت بدعوتك لمقابلتها من أجل تذكيرك بهذه المخالفات لقيادة الجماعة التي تنتمي إليها ، وتوضح معنى الولاء والسمع والطاعة لأمر قيادة الجماعة ، وتذكيرك أيضًا بخطورة إعطاء الولاء لأكثر من جهة أو جماعة .

سابعًا : وبسؤالك أمام الهيئة الإدارية عن سبب ارتكابك لهذه المخالفات ، كانت إجابتك كما تعلم : أنّ دعوة الشيخ ناصر الدين إلى بيتي لا اعتبرها مني مخالفة لأمر قيادة الإخوان المسلمين ، لأن دعوة الشيخ ناصر إلى بيتي اعتبرها طاعة للكتاب والسنة .

وقولك أيضًا : أ كنتُ مرتبطًا بالإخوان المسلمين ولا بالشيخ ناصر ، ولكن مرتبط بالذي أراه على الكتاب والسنة ، وأنه يجوز لي أن آخذ من الإخوان وغيرهم . وقولك ذلك أيضًا : إنني إذا لم أدعُ الشيخ ناصر إلى بيتي وأدعُ الناس للاستماع إليه أكن آثمًا - يعني هذا حسب فهمك : أن الإخوان المسلمين يأمرونك بارتكاب الإثم .

ثامنًا : على ضوء ما تبين للهيئة الإدارية في شعبة الزرقاء من إصرارك على مخالفة أوامر الجماعة ، ودفاعك عن الخطأ في فهمك لمعنى الولاء والطاعة لقيادة الجماعة بدلاً من الرجوع عنه ، وبما أن هذا الموقف الذي تقفه أنت الآن بالنسبة لفهمك الخاطئ لمعنى الولاء والطاعة وهو مخالف لأبسط قواعدنا بالنسبة لقيادة الجماعة ، ومخالف أيضًا لأبسط مقتضيات التنظيم ، وبما أنه من حق التنظيم أو الجماعة المسؤولية عن هذا التنظيم أن لا تسكت عن مثل هذه المخالفات إذا صدرت عن عضو من أعضائها أيا كان لا سيما وأنت بالذات تصرّ حتى الآن بأن ما ذكر عنك من مخالفات أنها ليست خطأ ولا مخالفة حسب فهمك للأمر ، وأنت لازلت كما

فهم من لسان حالك على استعداد لاستقبال الشيخ ناصر ودعوة الناس إليه إذا ما حضر مرات ومرات ، وإنك ترى أن المحافظة على حضور اجتماعات الشيخ ناصر الدين أولى من المحافظة والحضور إلى اجتماعات الإخوان المسلمين .

تاسعاً : وعلى ضوء هذا البيان للنقاط الآنف الذكر ، ولما دار بينك وبين الهيئة الإدارية في شعبة الزرقاء من مناقشات حول موضوع الطاعة والولاء ، وموضوع الشيخ ناصر الدين حفظه الله ، وبما أن بقاءك على هذا الحال من المخالفة الصريحة لمعنى السمع والطاعة لأوامر جماعة الإخوان المسلمين ، وبما أن بقاء العضو في الجماعة على هذا الحال من المخالفات يشكل خطراً على التنظيم وعلى سلامة التكوين في بناء الجماعة المسلمة ، فإن الهيئة الإدارية لشعبة الزرقاء قد قرّرت تجميد نشاطك كعضو عامل في هذه الجماعة لمدة ستة أشهر ، وبهذا القرار تصبح غير مكلف بحضور أي اجتماع من الاجتماعات كما لا يجوز لك أن تشارك في أي لقاء خاص أو عام من اللقاءات التي يناط بالعضو العامل أن يشارك فيها طيلة المدّة المشار إليها آنفاً ، فإذا ما رأت الهيئة الإدارية منك تراجعاً عن موقفك هذا ، ولمست منك الفهم والالتزام المطلوب من عضو في جماعة الإخوان المسلمين ، فإن باب العمل للإسلام في هذه الجماعة مفتوح على مصراعيه ، وأن الجماعة ترحب بك مرة ثانية ، ونسأل الله تعالى أن يفتح بيننا وبينك بالحق وأن يهدينا الصراط المستقيم .

وفي الختام نتمنى لك التوفيق ، ولك محبتنا الصادقة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .^(١)

عن الهيئة الإدارية لشعبة الزرقاء

أخوكم في الله/نائب الشعبة

ذيب أنيس

(١) انظر ملحق الوثائق (رقم ٢) .

ونوجه كلمة لجماعة الإخوان المسلمين : إما أن تكونوا جماعة المسلمين فيكون تصرفكم صحيحاً ، ويلزمه أن من شذَّ عن جماعتكم أصبح مُرتدّاً ؛ لأنه فارق الجماعة ونكث البيعة ، وأما أن تكونوا جماعة من المسلمين فيكون عملكم ليس في صالح الإسلام والمسلمين ، والعزود أحمَد .

ولكنَّ الواقع أنَّ جماعة الإخوان المسلمين لا تتعاون مع جماعة أو داعية ولو كان من الصحابة أو التابعين ما لم يتَّقيدهم بِخُطَطِهَا ونَظَائِمِهِم الحزبي كما بين ذلك « المهلَّهَل » - منظر الإخوان المسلمين في الكويت - : « ... بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص يتَّقيدهم بِخُطَطِهَا ونَظَائِمِهِم ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأنظمتيه ، وأكثرهم قراءة للكتب ، ومن أشدَّ المسلمين حماسةً ، وأخشعهم في الصلاة ، والإخوان لا يبالون بهم - وهم بهذه الزايا - إلا أن يقبلوا التَّقيُّدَ بِخُطَطِ الجماعة والسعي لإقامة أهدافها ، وهي إقامة دولة الإسلام ، وذلك فضلاً عن المنحرفين والغافلين وغيرهم » (١) .

سبحانك ربي هذا تعصب بغيض ... أروع الدعاة فهماً للإسلام وأنصعهم عقيدةً وأشدَّهم انتظاماً بنظام الإسلام ، وأحرصهم على العلم ؛ وأشدَّهم حماسةً وأخشعهم صلاة لا يبالي به الإخوان المسلمون إلا إذا تقيد بنظامهم وينفذ خططهم ... فما هي إذن خططهم وهذا الداعي إلى الله ينفذ خطط وأنظمة الإسلام ؟!

... مجرد إشارة أصبع للذين أصيبوا بعمى الألوان ، وعمدوا في « مغاطس » الأحزاب ؛ فأصبحوا لظروف ومصالح مجرد أبواق لما يملئ عليهم ويلقى إليهم (١)
٣ - البيعة والإمامة :

يصر الإخوان المسلمون على جعل البيعة للمرشد العام بمنزلة البيعة لخليفة المسلمين .

قال الاستاذ سعيد : « فهل رأى أحدٌ في هذه الأئمة رجلاً كحسن البنا ؟ وهل رأى الجيل الحاضر رجلاً أصلب من حسن الهضبي ، وإن لخليفة الإثنين في أعناقنا لبيعة » (٢)

(١) « للدعاة فقط » (ص ١٢٢) .

(٢) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » (ص ٣٠) .

وقال : « إن الجماعة بعد سيرها الطويل وتحملها الكثير أصبحت تاريخياً هي وحدها صاحبة الحق في الإمامة ولا تُزَكِّي على الله أحداً »^(١)

وما هذا الإصرار إلا ثمرة تربية حسن البنا لجماعته ، فقسم البيعة عند الإخوان المسلمين : « أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين ، والجهاد في سبيلها ، والقيام بشرائط عضويتها ، والثقة التامة بقيادتها ، والسمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأقسم بالله العظيم على ذلك ، وأبايع عليه ، والله على ما أقول وكيل »^(٢)

والشروط المذكورة في هذه البيعة لا تعطى إلا لأمير المؤمنين وإمام جماعتهم كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا »^(٣)

٤ - الاعتداء على المنشقين عن جماعة الإخوان المسلمين ووصفهم بالخوارج
لقد ذكر الأستاذ البنا حادثة منذ السنوات الأولى لميلاد جماعته تدل على هذا السلوك ، فعندما كان يستعد لمغادرة الإسماعيلية منقولا إلى القاهرة مُدْرَساً اختلف مع بعض أعضاء جماعة الإخوان المسلمين حول من يخلفه في قيادة شعبة الإخوان المسلمين في الإسماعيلية ... ويذكر أنه نصحبهم لكنهم أصروا على رأيهم فوصفهم بالخوارج واستدل على معاقبتهم بحديث يدل على قتل من أراد نقض بيعة إمام جماعة المسلمين فقال : « ولقد كان الإسلام حكيماً أعظم الحكمة في وصيته بأخذ أمثال هؤلاء الخوارج على رأي الجماعة بمنتهى الحزم : « من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يثب عصاكم فاضربوه بالسيف كائناً من كان » .

ولكننا تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التي يسترونها بالفاظ الديمقراطية والحرية الشخصية ، وما كانت الديمقراطية ، ولا الحرية يوماً من الأيام معناها تفكيك الوحدة

(١) المرجع السابق ، (ص ٢٩٤) .

(٢) « قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين وشعبها » ، (ص ٧)

(٣) متفق عليه .

والعبث بحرية الآخرين»^(١) .

إن هذه الكلمات تلخص رأي الأستاذ البنا وجماعته في التعامل مع المختلفين معه أو المُتَشَقِّين عن جماعته حيث تبيح للإخوان المسلمين ضَرْب هؤلاء الخوارج كما سماهم الأستاذ البنا بالسَّيْف .

ولقد أطاع الإخوان المسلمون مُرشدَهم في ذلك كثيراً وجعلوه لهم مناراً ومسيراً .

وقد شرح محمد الغزالي - عضو مكتب الإرشاد^(٢) - فلسفة جماعة الإخوان المسلمين في ذلك فقال : « ... ولقد عَجِبْتُ لخلاف وقع بين شباب الإخوان المسلمين آثاره بتشاؤم : هو نحن جماعة المسلمين أم نحن جماعة من المسلمين ؟

والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذات بال .

بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال !

فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ حسن الهضيبي ضرباً من مخالفة الله ورسوله ، وطريقاً ممهدة إلى النار وبئس القرار !

وقد كنت أسير مع زميلي الأستاذ سيّد سابق قريباً من شعبة المنيل فَمَرَّ بنا إثنان من أولئك الشبان المفتونين وأبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا وهو أننا من أهل جهنّم !

وصادف ذلك منا ساعة تَبَسَّط وضجك فَمَضِينا في طريقنا وقد سَقَطَ طنين الكلمة النابية على الثرى قبل أن يتماسك في آذاننا .

إلا أنني تَدَكَّرْتُ بعد أيام هذا العداء المرّ والأوامر التي أوحى به ، فَعَرَّ عليّ أن يلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السَّيِّئة .

وأن تُتَجَدَّدَ سياسة الخوارج مرة أخرى ، فَيُلْقَى أَهْلُ الإِيْمَانِ وَيُتْرَكَ أَهْلُ الطُّغْيَانِ .

وهم ؟ باسم أن الرئيس وبطانته هم وحدهم أولو الأمر ! وأن لهم حقّ السَّمْعِ

(١) « مذكرات الدعوة والداعية » ، (ص ١٢٠) .

(٢) على عهد البنا ولما جاء الهضيبي فُضِّلَ الغزالي ومجموعة معه على إثر خلافات

واتهامات (١)

والطاعة ؟ وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله ﷺ : « من رأى من أمره شيئاً فكرهه فلْيَصِرْ ، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتةً جاهلية » وقوله : « من خلَعَ يداً من طاعة لقي الله لا حجةَ له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية »

وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يُحدثها الشاغبون على الدولة ، الخارجون على الحكام .
وقد عانى المسلمون وعانت خلافتهم الكبرى أقسى الآلام من ثورات الحائِثين والناقمين .

وربما كان سقوط الحكم الإسلامي في الأرض بسبب هذه الانتفاضات الهائلة .
أما أن جماعة أنصار السنة أو جماعة الشبان المسلمين أو جماعة أهل الضمّة يجثرون هذه الأحاديث إلى دورهم ويطبّقونها على من يبقى معهم أو يخرج عليهم فهذا مجنون^(١) .

بيد أن تعليم هذا الجنون كان أسلوب تربية وتجميع عند بعض الناس !!
فمن المضحك أو المبكي أن يُخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة تُكفر السيئات ، وأن الخروج عن الجماعة يُمحّى الفضائل ، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم تخلّوا البيعة .
ورئي الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة يخلص بالخطيب جانباً ليقول له : أي إسلام هذا ؟
ومن من علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو ؟ وكيف تلبسون الدين هذا الرّئي المنكر ؟

وهيهات فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى كتب بعضهم لأخ له - من قبل - يسأله : هل تُظنّ نفسك مسلماً بعدما خرجت من صفوف الجماعة ؟
ولنفرض أن رئيس الجماعة هو أمير المؤمنين وأن له حقوق الخليفة الأعظم (١)

(١) هذه الجماعات لا تفعل هذا وإنما يصنعها الإخوان المسلمون .

فهل هذا يؤتبه على أتباعه حق الطاعة العمياء ؟
إن رسول الله ﷺ لم يؤت هذا الحق ؛ ففي بيعة النساء يقول الله له : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

ثم قال محمد الغزالي : « إن الأمة التي تغير حكامها كما تغير المرأة أزياءها لا تصلح لها حال ، ولا تبقى لها ربح .

وإنني لأمقت أن أكون داعية لحاكم ما ، وأستعبد بالله من أن أعين بكلمة على بقاء وال جائر .

غاية ما أبغي أن أشرح قانون السمع والطاعة ، وأن أمتنع الكهان والدجالين من الاحتيال به على ناشئة قليلة الفقه في الإسلام ، إن تغيير حاكم شيء والانصراف عن واعظ غير موفق شيء آخر .

لقد كان الراسخون في العلم يدعون إلى الله ويتجردون للدعوة ، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله ؛ لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم .

ثم جاء الراسخون في الجهل يطلبون حقوق القيادة ، ويتحدثون عن قانون السمع والطاعة ، ولست أعنف دعيماً من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه ، فالأمر كما قيل : بعض الناس طغاة لأننا نؤكف لهم .

... ولقد رأيت جمعاً غفيراً من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلى (مرشدهم) نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر .

قال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية : إن المرشد لا يخطئ ، وكان بهذه القولة العجيبة يريد أن يخذلني وأنا أعارض المرشد في بعض تصرفه وقد خذلت فعلاً ، ومزقت ملابس الرجل الذي وقف يناصرني .

ومع أن كلمة (المرشد لا يخطئ) وجدت امتعاضاً من أغلب الأعضاء إلا أنه امتعاض المذنب عندما يواجه بجريرة لا يجد منها فكاكاً .. ويكره أن تلتصق به ،

لظهور مَعْرِتِهَا .

والقوم يخلطون بين توقيير القَائِد ، وتوفير المهَابَةِ لَهُ وبين الخُتُوعِ لرأيه والمسارعة في هواه .

إن أولَ مانشب الخلافُ بيننا وبين الأستاذ الهضيبي كان على أسلوب الحكم في مصر هل تُكفل الحريات العامة ويصان الدستور القائم وتنقذ البلاد من استبداد فرد أو أفراد ؟؟ أم نتجاهل هذا الموضوع كله ونطوي لحكم الإسلام فيه وتشغل جماعة الإخوان بشئون أخرى ؟

كان الرجل شديد الحرص على مرضاة رجال القصر قليل الاكتراث بحقوق الأفراد والطوائف ، وقد ألقت كتابي (الإسلام والاستبداد السياسي) استنكاراً لهذه السياسة القاصرة . ودفاعاً عن تعاليم الإسلام الصحيحة . ولعل الأستاذ الهضيبي ومن معه عرفوا الآن الحق الذي خاصمناهم عليه وكرهونا من أجله .

قال لي ذات يوم واحد من أقرب رجال المرشد إليه : إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة ، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته جل شأنه ؟ ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو في اتباع القائد اتباعاً مطلقاً ! ثم استدرك محدثي يقول : لا أعني بهذا أن أسوى بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة ، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحيل راية الدعوة أنا أضرب مثلاً فحسب !

وبمثل هذا الأسلوب رُسم مجرى المعاملة بين مُرشد الإخوان والجماعة فلما استغربناه وتأيننا عليه ، ورأينا أنفسنا نُبَصِّرُ الحقائق القرينة والرجل لا يحسبها ونعامله مخطئاً أو مصيباً غير مقررٍ هذه الهالة التي أضفاها الأغراض عليه ، مَقَّنَّا الرجل أشدَّ المَقَّنِ ، مَقَّنَّا كَمَا يَمُتُّ الكُفَّارَ والفُسَّاق !

ثم سار بمن معه يتقمح القِثْرَاتِ والمزائِقِ لا يلوي على شيء ولا يلام على شيء^(١)

(١) « من معالم الحق في كفاحنا الاسلامي الحديث » (ص ٢٠٦ - ٢١٣) .

إن هذا الوصف الذي نطق به محمد الغزالي الذي عاش في الصفوف الأولى في المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين لهو دليل قاطع على ما قدمنا .

ولقد أسس حسنُ البنا لذلك ما يسمى « النظام الخاص » وهو أداة ردع مُنظَّمة اختارهم من جهازِ الجَوَّالةِ وَسَلَّحَهُمْ وَدَرَّبَهُمْ على الْقِتَالِ بِحُجَّةٍ مقارعةِ الإنجليزِ وقَتالِ اليهودِ في فلسطين ولكنه استغل استقلالاً سيئاً مشبوهاً .

قال محمد الغزالي : « ... فألف ما يسمى بالنظام الخاص ، وهو نظام يضم شباباً مدربين على القتال ، كإن المفروض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من إنكليز ويهود .

وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياء شراً وبيلاً على الجماعة فيما بعد ، فقد قَتَلَ بعضهم بعضاً ، وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب في يَدٍ من لا فقه لهم في الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام .

وقد قال حسن البنا فيهم - قبل أن يموت - إنهم ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين ^(١) .

قلت : يُشيرُ محمد الغزالي إلى آخر بيان كتبه الأستاذ حسن البنا بيده بعنوان : « ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين » ، ونصه :

« وقع هذا الحادثُ الجديدُ : حادثُ محاولةِ نَسْفِ مَكْتَبِ سَعَادَةِ النَّائِبِ العام ، وَذَكَرَتْ الجرائدُ أن مُرْتَكِبِهِ كان من الإخوان المسلمين ، فشعرت بأن من الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين ، لأن الإسلام يُحَرِّمُهَا ، والأخوة تأبأها وترفضها .

ومن المرجح بل من المحقق أنه إنما أرادَ به أن يتَّخَذِيَ الكَلِمَةَ التي نُشِرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان « بيان للناس » ولكن مِصْرَ الأَمْنَةِ لن تروَعَهَا هذه المحاولات الأثيمة ، وسيتعاون الشعبُ الحليمُ الفطرة مع حُكُومَتِهِ الحريصة على أَمْنِهِ وطمأنينته في ظِلِّ جَلَالَةِ المَلِكِ المَعظُمِ على القَضَاءِ على هذه الظَاهِرَةِ الخَطِيرَةِ .

وليعلم أولئك الصغارُ من العابثين أن خطابات التهديد التي يبعثون بها إلى كبار

(١) المصدر السابق ، (ص ٢٢٦) .

الرجال وغيرهم لن تزيد أحداً منهم إلا شعوراً بواجبه وحرصاً تاماً على أدائه ، فليقلعوا عن هذه السفاسيف ، ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم كل في حدود عمله إن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد .

ولاني لأعلن أنني منذ اليوم سأعتبر أي حادث من هذه الحوادث يقع من أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان مُوجَّهاً إلى شخصي ولا يسعني إزاءه إلا أن أقدم نفسي للقصاص أو أطلب إلى جهات الاختصاص تجريدي من جنسيتي المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء ، فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدَّخيل ، ولله عاقبة الأمور « حسن البنا^(١) »

ومن أجل أن يحقق الإخوان المسلمون هذا الوهم الذي ملأ صدورهم اتبعوا الخطوات الآتية :

أولاً : الميوعة العقائدية : إن وضع الإخوان المسلمين أنفسهم فوق مستوى النقض والنقد بوصفهم جماعة المسلمين إدعاء لا يستقيم عموده إذ ليس لديهم قاعدة عقائدية أجمعوا أمرهم على تبنيها والدعوة إليها ، لذلك فهم لا يركزون على الدعوة إلى التوحيد وتصفية العقيدة .

إن من أهم مواصفات جماعة المسلمين التي ذكرها الأستاذ سعيد حوى وزعم أنها متحققة في الإخوان المسلمين وأنهم متصفون بها قوله : « الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارف عليها خلال التاريخ ، والمتمثلة بأهل السنة والجماعة » .

إن اسم أهل السنة والجماعة تنازعتهم فرق كثيرة - وهذا مما لا ينازع فيه الأستاذ سعيد حوى فقد اعترفت به -^(٢) إذن فما المراد بأهل السنة والجماعة عند منظر الإخوان المسلمين .

٩ - لا يرى أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة كما يتبنّا ذلك بالأدلة القواطع ، وبذلك فهم أهل السنة والجماعة حقاً ، بل قال : « فذلك ليس فيه

(١) « حسن البنا : متى ... كيف ... لماذا ؟ » ، (ص ١٥٢ - ١٥٣) .

(٢) « جند الله ثقافة وأخلاقاً » (ص ١١٦)

نَصَّ وإنما هو فَهْمٌ لبعض المحدثين .

٢ - يرى أن العقيدة الصحيحة السليمة الجمع عليها هي العقيدة الماتريديّة والأشعرية قال : « إن للمسلمين خلال العصور أئمتهم في الاعتقاد وأئمتهم في الفقه وأئمتهم في التصوف السلوك إلى الله عز وجل ، فأئمتهم في الاعتقاد كأبي حسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي »^(١)

وقال : « وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثني أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي »^(٢)

٣ - ولذلك فهو يرى أهل الحديث على ضلال ؛ لأن الأمر يتعلق بالعقيدة كما قال : « وإذا قُبل الاختلاف في الفقه ، فإن الاختلاف في العقائد مردودٌ ففي الفقه حقٌّ وخطأ ، أما في العقيدة فَحَقٌّ وَضَلالٌ »^(٣)

ومن المعلوم لدى أهل العلم من أهل السنة أنهم يستدلون على أهل السنة والجماعة بحجتهم أصحاب الحديث ، فقالوا : « إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث ؛ مثل يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهويه فإنه على السنة ، ومن خالف فاعلم أنه مبتدع » .

وأما قوله : « أما ماذهب إليه بعضهم من أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث ، فذلك ليس فيه نَصٌّ ، وإنما هو فَهْمٌ لبعض المحدثين ، ولكن حَمَلِ الحقِّ والقتال من أجله هو الذي تسنده النصوص »^(٤) ؛ فإنه يريد أن ينقض على نفسه ... إذا كان هذا الأصل فهماً لبعض المحدثين ... أهو فهم مستنبط من نصوص الوحي أم من استحسان عقلي وتعصب للحزب وتحييز للمذهب وإن خالف الدليل ؟ فإن قال : بل مستنبط من النصوص فقد هدم ما نطق به حيث اعترف أن هناك نصوصاً تؤيد هذا الفهم ، وإن اختار القول الآخر فقد كشف عن حقيقة دعوة الإخوان المسلمين .

(١) « جولات في الفقهين » (ص ٢٢) .

(٢) المصدر السابق (ص ٦٦ و ٨١) .

(٣) « جند الله ثقافة وأخلاقاً » ، (ص ١١٥) .

(٤) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » ، (ص ٢٧) .

ناهيك أن تفسير الطائفة المنصورة بأهل الحديث هو قول علماء السلف قاطبة
كما نقل الإجماع عليه النووي رحمه الله^(١)

مما سبق يظهر جلياً أن مسائل الاعتقاد عند جماعة الإخوان المسلمين غير مبنية
على عقيدة السلف أهل الحديث ... إذن فما هي عناصر هذه المسألة عندهم .

أ - التصوف : علمت مما سبق أن التصوف دائمٌ عُضالٌ ، وَسمَ قَتالٌ يجب علي
المُسلم أن يُغيِّره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطيع فبقلبه ، وذلك أضعف
الإيمان ، أما أن تُجِدّه وتدعو إلى إقامة ديننا عليه ، فهذا لا يقبله مسلمٌ استضاء قلبه
بهدي الرحين ، فضلاً عن جماعة تُمني نفسها بإعادة مجد الإسلام التليد ، واستعادة
حكم الله المفصوب ، حيث اتخذت التصوف صبغةً ومنهاجاً .

لقد كان الأستاذ حسن البنا صوفياً : نشأ عليه وأنشأ جماعته على ذلك وبقي
محافظاً عليه حتى آخر أيامه .

لقد تحدث الأستاذ البنا عن نشأته الصوفية فقال : « الطريقة الحصافية : وفي
المسجد الصغير رأيت « الإخوان الحصافية » يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من
كُلِّ ليلة ، وكنت مواظباً على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب
والعشاء ، فاجتذبتني حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيداتها الجميل وروحانياتها
الفياضة ، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين ، وتواضعهم
لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك
وتعالى ، فواظبت عليها هي الأخرى . وتوطدت الصلات بيني وبين شباب هؤلاء
الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون : الشيخ شلبي الرجال والشيخ محمد أبو
شوشة والشيخ سيد عثمان ، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين إلينا في
السن : محمد افندي الدمياطي وصاوي افندي الصاوي وعبد المتعال افندي سنكل ،
وأضربهم . وفي هذه الحلقة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكري -
وكيل الإخوان المسلمين - فكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منا . ومنذ ذلك
الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الأذن فيكون له أجمل وقع في أعماق

(١) مضى (ص ٤٦)

القلب وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين ، وأخذت أواظب علي الوظيفة الرزوقية صباحاً ومساءً ، وزادني بها إعجاباً أن الوالد قد وضع عليها تعليقاً لطيفاً جاء فيه بأدلة صيغها جميعاً تقريباً من الأحاديث الصحيحة وسمى هذه الرسالة « تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية »^(١)

وتعلق بالتصوف حتى أصبح يرى الشيخ الحصافي في منامه : « وزادني تعلقاً بالشيخ الجليل رحمه الله أنني رأيت في هذه الأثناء ، وعلى إثر تكراري للقراءة في المنهل ، فيما يرى النائم : إنني ذهبت إلى مقبرة البلد فرأيت قبراً ضخماً يهتز ويتحرك ، ثم زاد اهتزازة واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت إلى عنان السماء وتشكلت فصارت رجلاً هائل الطول والمنظر واجتمع الناس عليه من كل مكان فصاح فيهم بصوت واضح مسموع وقال لهم : أيها الناس : أن الله قد أباح لكم ما حرم عليكم ، فافعلوا ما شئتم . فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت في وجهه « كذبت » والتفت إلي الناس وقلت لهم : أيها الناس هذا إبليس اللعين وقد جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم فلا تصغوا إلى قوله ولا تستمعوا إلى كلامه ، فغضب وقال : لا بد من أن نتسابق أمام هؤلاء الناس فإن سبقني ورجعت إليهم ولم أقبض عليك فأنت صادق . فقبلت شرطه وعدوت أمامه بأقصى سرعتي . وأين خطوي الصغير من خطوة الجبار ، وقبل أن يدركني ظهر الشيخ رحمه الله من طريق معترض وتلقاني في صدره واحتجزني بيساره ورفع يمينه مشيراً بها إلى هذا الشيخ صائحاً في وجهه : إحصأ يا لعين ، فولى الأدبار واختفى ، وانطلق الشيخ بعد ذلك ، فعدت إلى الناس وقلت لهم : رأيتم كيف أن هذا اللعين يضلكم عن أوامر الله . واستيقظت وكلي شوق وتقدير وترقب لحضور السيد عبد الوهاب الحصافي نجل الشيخ - رحمه الله - لأراه واتلقى عنه الطريق ولكنه لم يحضر في هذا الفترة^(٢)

ويخبر أنه ظل متعلقاً بالشيخ حتى رآه وبايعة وَلَقَّنه الأوراد : « وظللت معلق القلب بالشيخ رحمه الله حتى التحقت بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور وفيها مدفن

(١) « مذكرات الدعوة والداعية » (ص ١٩ - ٢٠) .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٢٢ - ٢٣) .

الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن حينذاك ، وتم بعد ذلك ، فكنيت مواظباً على زيارته كل يوم تقريباً وصحبت الإخوان الحصافية بدمنهوور وواظبت على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة وسألت عن مُقَدِّم الإخوان فعرفت أنه الرجل الصالح التقى الشيخ بسيوني العبد التاجر ، فرجوته أن يأذن لي بأخذ العهد عليه ففعل ووعدني بأنه سيقدمني للسيد عبد الوهاب عند حضوره ، ولم أكن إلى هذا الوقت قد بايعت أحداً في الطريق بيعة رسمية وإنما كنت مُجِباً وفق اصطلاحهم .

وحضر السيد عبد الوهاب نفع الله به إلى دمنهور وأخطرنى الإخوان بذلك فكنيت شديد الفرح بهذا النبأ ، وذهبت إلى الوالد الشيخ بسيوني ورجوته أن يقدمني للشيخ ففعل ، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم ٤ رمضان سنة ١٣٤١ الهجرية وإذا لم تخني الذاكرة ، فقد كان يوافق يوم الأحد حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وآذني بأورادها ووظائفها^(١)

وشارك في إنشاء جمعية صوفية فقال :

« وفي هذه الاثناء بدا لنا أن نؤسس في الحمودية جمعية إصلاحية هي « جمعية الحصافية الخيرية » واختير أحمد أفندي السكري التاجر بالحمودية رئيساً لها وانتخبت سكرتيراً لها ، وزاوت الجمعية عملها في ميدانين مهمين : الميدان الأول : نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآثم . والميدان الثاني : مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التي هبطت إلى البلد واستقرت فيها ، وكان قوامها ثلاث فتيات رأسهن مسز (ويت) ، وأخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب والتعليم التطريز وإيواء الصبية من بنين وبنات ، وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية « الإخوان المسلمين » بعد ذلك^(٢) .

واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب حتى أنشئت

(١) المرجع السابق (ص ٢٣) .

(٢) تأمل كيف يجعل الأستاذ البنا جماعة الإخوان المسلمين الوارث الشرعي للجمعية

الحصافية الصوفية (١) .

جميعات الإخوان المسلمين وانتشرت»^(١)

ثم استغرق في التصوف : « كانت أيام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة ، ويقولون إن حياة الإنسان تنقسم الى فترات ، منها هذه الفترة التي صادفت السنوات التي أعقبت الثورة المصرية مباشرة من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٣ م . وكانت سني إذ ذاك من الرابعة عشرة إلا أشهراً الى السابعة عشرة إلا أشهراً كذلك ، فكانت فترة استغراق في التعبد والتصوف ، ولم تخل من مشاركة فعلية في الواجبات الوطنية التي أقيمت على كواهل الطلاب .

نزلت دمنهور مشبعاً بالفكرة الحصفية ، ودمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأول ، وفيها نخبة صالحة من الأتباع الكبار للشيخ ، فكان طبعاً أن أندمج في هذا الوسط ، وأن أستغرق في هذا الاتجاه . وضاعف في هذا الاستغراق أن أستاذنا الحاج حلمي سليمان - والذي لا يزال الى الآن مدرساً بدمنهور - كان مثلاً من أمثلة التعبد والصلاح والتقوى والتأدب بأدب الطريق ، وكانت بيني وبينه رابطة روحية خاصة لهذا السبب ، وأن زميله وصديقه الأستاذ الشيخ حسن خربك رحمه الله - وقد كان مدرساً بدمنهور أيضاً - كان يعقد كثيراً من الاجتماعات العلمية الوعظية في بيته ، وكان يدرس « الإحياء » قبل صلاة الفجر من رمضان في مسجد الجيش ، وكان الحاج حلمي يصحبني معه إلى تلك الاجتماعات ، فأجد نفسي وأنا الطالب الصغير مع رجال كبار فيهم الأساتذة الذين يدرسون لي في المدرسة ، وغيرهم من العلماء والفضلاء ، وكلهم يشجعونني ويشجعون أمثالي من الشباب على السير في هذه الطريق ، طريق طاعة الله ، فكانت هذه كلها عوامل للتشجيع والثبات على هذه الخطوة التعبدية الصوفية »^(٢) .

ثم مارس شعائر التصوف كشد الرحال للقبور والأضرحة والصمت عن الكلام : « الزيارات والصلوات : وكنا في كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها في دمنهور ، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء القريين من دمنهور ، فكنا أحياناً نزرر دسوق فنمشي على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة ، حيث نصل حوالي الساعة

(١) المصدر السابق (ص ٢٤) .

(٢) المرجع السابق نفسه ، (ص ٢٧ - ٢٨) .

الثامنة صباحاً ، فنقطع المسافة في ثلاث ساعات وهي نحو عشرين كيلومترا ، ونزور ونصلي الجمعة ، ونستريح بعد الغداء ، ونصلي العصر ونعود أدرأجنا إلى دمنهور حيث نصلها بعد المغرب تقريباً .

وكنا أحيانا نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم ونقضي هناك يوماً كاملاً ثم نعود .

أيام الصمت والعزلة : وكانت لنا أيام نندر فيها الصمت والبعد عن الناس ، فلا يتكلم أحدنا إلا بذكر أو قرآن . وكان الطلبة على عاداتهم ينتهزونها فرصة للمعاكسة ، فيتقدمون الى الناظر أو الأساتذة مبغين أن فلاناً الطالب قد أصيب في لسانه ، ويأتي الأستاذ ليستوضح الأمر ، فكنا نجيبه بآية من القرآن فينصرف . وأذكر بالخير أستاذنا الشيخ فرحات سليم رحمه الله ، الذي كان يحترم هذه الحالة فينا ويزجر الطلاب ، ويوصي بقية الأساتذة ألا يخرجونا بالأسئلة في فترة صمتنا ، وكانوا يعلمون حقاً أن ذلك ليس هرباً من إجابة أو تخلصاً من امتحان ، إذ كنا متقدمين دائماً في الدروس مجيدين لها إجابة تامة . وما كنا نعرف الحكم الشرعي في هذا^(١) ولكننا كنا نفعل ، هذا الصمت تأدياً للنفس وفراراً من اللغو وتقوية للإرادة حتى يتحكم الإنسان في نفسه ولا تتحكم فيه .

ولقد كانت هذه الحالة تتطور في بعض الأحيان حتى تصل إلى نفور من الناس يدعوا إلى العزلة وقطع العلائق . حتى أنني أذكر أن خطابات بعض الأصدقاء كانت تأتيني الى المدرسة فلا أحاول أن أقرأها أو أفتحها ، ولكن أرفضها كما هي حتى لا

(١) لم يبين الأستاذ البنا الحكم الشرعي الذي عرفه بعد ما هو (١) لأنه لا يرى بدعيته ولا يقر بحرمة بل يشكو من المبالغة فيه وهو يقرر أن أصل الصمت الإعراض عن اللغو كما سيأتي (ص ١٨٦) وهو خلاف ظاهر عبارته هنا ، وقد بينت حرمة بالأدلة الصحيحة (ص ١٤٠) فانظره .

يكون فيها تعلق بشيء جديد ، والصوفي متخفف يجب عليه أن يقطع علائقه بكل ما سوى الله ، وأن يجاهد في هذه السبيل ما أمكنه من ذلك»^(١)

وبالجملة فقد نشأ الأستاذ البنا نشأة صوفية لاشية فيها ، ومارس التصوف كما يراه أهله ، ومذكراته شاهدة على ذلك ، وأقر بذلك كبراء جماعته : « ثم إن حركة الإخوان المسلمين نفسها أنشأها صوفي وأخذت حقيقة التصوف دون سبلياته »^(٢) وقد أنشأ جماعته على أسس صوفية بحثية كما صرح بذلك : « ونظام الدعوة في هذا الطور صوفي بحث من الناحية الروحية وعسكري بحث من الناحية العملية »^(٣)

وقال أيضاً : « وتستطيع القول ولا حرج عليك أن الإخوان المسلمين : دعوة سلفية ، طريقة سنية ، حقيقة صوفية »^(٤)

وقد بقي الأستاذ حسن البنا محافظاً على أوراده الصوفية حتى آخر سني حياته ؛ قال أبو الحسن الندوي متحدثاً عن جماعة الإخوان المسلمين : « وكانت شخصية مؤسسها وقائدها الأول شخصية قوية ساحرة تجمع بين عدة جوانب ، أنه كان عملاً متواصلاً وسعيًا دائماً ، وهمة لا يتخللها فتور ، وأمل لا يرتقي إليه يأس ، جندياً ساهراً على الثغر لا يناله التعب والعناء ، وكان وراء كل هذه الخصائص والسمات عامل قوي لا يستهان به وهي تربيته الروحية ، وسلوكه ورياضته ، أنه كان في أول أمره - كما صرح بنفسه - في الطريقة الحشافية الشاذلية ، وكان قد مارس أشغالها وأذكارها ، وداوم عليها مدة ، وقد حدثني كبار رجاله وخوارج أصحابه أنه بقي متمسكاً بهذه الأشغال والأوراد إلى آخر عهده ، وفي زحمة أعماله ... »^(٥)

وبهذه النقول الصريحة يتبين لذي عينين أن التصوف من السمات الرئيسة

(١) المرجع السابق (ص ٢٨ - ٢٩) .

(٢) « جولات في الفقهين » (ص ١٥٤) .

(٣) « نظام الأسر ورسالة التعاليم » ، (ص ١٢) .

(٤) « مجموعة رسائل حسن البنا » ، (ص ١٢٢) .

(٥) « التفسير السياسي للإسلام » ، (ص ١٣٠ - ١٣١) .

لجماعة الإخوان المسلمين .

قال سعيد حوى : « ولقد كتبت كتاب تربيتنا الروحية لتوضيح أحد مواضيع الفقهاء الكبير والأكبر وهو موضوع التصوف المحرر لأضغ الأمور في مواضعها في قضية الحقيقة الصوفية التي هي إحدى السمات الرئيسية لدعوة الأستاذ البنا رحمه الله »^(١).

بل إنهم متجددوا التصوف وزخرفوه ودعوا المسلمين إليه كما قال سعيد حوى : « وسنحاول في رسالة مستقلة في التصوف وهي تربيتنا الروحية أن نعطي لتصوفنا أبعاده الأصلية وفي سلسلتنا الأساس في المنهج سنحاول أن نعرض لكل قضية من قضايا التصوف بمزيد البيان على ضوء النصوص ليكون مسارنا مستقيماً وحجتنا على أمتنا قائمة »^(٢).

ولا يغرك قولهم : أن المقصود بالتصوف طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على الذكر ، والإعراض عن الخلق والحب في الله ، والارتباط على الخير . قال حسن البنا : « ... فكانت طائفة في الناس معروفة بهذه الدعوة إلى ذكر الله واليوم الآخر . والزهادة في الدنيا ، وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه .

وطراً على هذه الحقائق ما طرأ على غيرها من حقائق المعارف الإسلامية ، فأخذت صورة العلم الذي ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريقاً من الحياة خاصاً : مراحل الذكر والعبادة ومعرفة الله ، ونهايته الوصول إلى الجنة ومرضاة الله .

وهذا القسم من علوم التصوف ، وأسميه « علوم التربية والسلوك » ، لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه ، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها ، والطب لها والرقى بها ، لم يبلغ إليها غيرهم من المربين ، ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيها ، وصدق التوجه إليه ، وأن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثراً بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات : كالمبالغة في الصمت

(١) « جولات في الفقهاء » (ص ١٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ٨٤) .

والجوع والسهر والعزلة .. ولذلك كله أصبل في الدين يرد إليه ، فالصمت أصله الاعراض عن اللغو ، والجوع أصله التطوع بالصوم ، والسهر أصله قيام الليل ، والعزلة أصلهما كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها ... ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك كل الخير .

ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية ، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرا لها وللناس ، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأذواق والمواجد ، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق وموارث الأمم الماضية وأفكارها ، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه ، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف ، والرغبة في الحصول على هذا النتائج الروحية الباهرة . وأصبح كل ما يكتب أو يقال في هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفائه ونقاؤه .

وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم ، كل على حسب أسلوبه في التربية . وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم ، ونظمت الطوائف أحيانا على هيئة النظم العسكرية ، وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة ... حتى انتهت الى ما انتهت اليه اليوم من هذه الصورة الأثرية التي جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل ، والتي يمثلها الآن في مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها وأتباعها .

ولا شك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل في نشر الاسلام في كثير من البلدان وإيصاله الى جهات نائية ما كان ليصل إليها الا على يد هؤلاء الدعاة ، كما حدث ويحدث في بلدان افريقيا وصحاريها ووسطها ، وفي كثير من جهات آسيا كذلك^(١) .

ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب^(٢) ، وللكلام الصوفية في هذا الباب صولة ليسة لكلام غيرهم من

(١) هذا افتتاح على الحقيقة التاريخية ، وانظر لزأماً (ص ٩٨ - ١٠١) .

(٢) انظر مبحث التربية الصوفية (ص ١٣٢) لتعلم أن هذا تهويل وتشويش وخطط

وتدليس .

الناس ... ولكن هذا الخلط أفسد كثيراً من هذه الفوائد وقضى عليها ^(١)
بل واقعهم عكس ذلك فهم يريدون التصوف وطرقه ويمدحون رجاله وفرقه ،
ودونك دلائل ذلك :

١ - موالد صوفية : قال الأستاذ البنا : « وأذكر أنه كان من عاداتنا أن نخرج
في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلى
ثاني عشر منه ... وخرجنا بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل
وفرح تام » ^(٢)

وقد وصف أخوه عبد الرحمن البنا هذه المواكب وذكر بعض القصائد : « فسار
في الموكب - أي : حسن البنا - ينشد مدح الرسول ﷺ ، وذلك أنه حين يهل
هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي في كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر ،
ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ ، وكان من قصائدنا المشهورة في هذه المناسبة
المباركة :

صَلَّى إِلَهِ عَلَى الثَّورِ الَّذِي ظَهَرَ لِلْعَالَمِينَ فَفَاقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كَانَ هَذَا الْبَيْتُ الْكَرِيمُ تَرَدُّدُهُ الْمَجْمُوعَةُ ، بَيْنَمَا يَنْشُدُ أَخِي وَأَنْشُدُ مَعَهُ :
هَذَا الْحَبِيبُ مَعَ الْأَحْبَابِ قَدْ حَضَرَ وَسَامَعَ الْكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَى وَجَرَى
لَقَدْ أَدَارَ عَلَى الْعُشَّاقِ خَسْرَتَهُ صِرْفًا يَكَادُ سَنَاهَا يُذْهِبُ الْبَصَرَ
يَا سَعْدَ كَرِّزْ لَنَا ذِكْرَ الْحَبِيبِ لَقَدْ تَلَبَّسَتْ أَسْمَاعُنَا يَا مُطْرِبَ الْفُقَرَا
وَمَا لِرَكْبِ الْحِمَى مَالَتْ مَعَاظِفُهُ لَا شَكَّ أَنَّ حَبِيبَ الْقَوْمِ قَدْ حَضَرَ ^(٣)
وتأمل أيها الأخ هذا النشيد تجده مفعماً برائحة عقائد الصوفية النتنة :
أ - فقلوه : « هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا » إشاره إلى ما ادعاه المتصوفة
من أن رسول الله ﷺ يحضر الحضرة .

(١) « مذكرات الدعوة والداعية » ، (ص ٢٥ - ٢٦) .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٤٨) .

(٣) « حسن البنا بأفلام تلامذته ومعاصريه » ، (ص ٧١ - ٧٢) .

وانظر إليه يؤكد ذلك بقوله : « لا شك أن حبيب القوم قد حضرا » .
ب - وقوله : « وسامح الكل فيما قد مضى وجرى » إشارة إلى دعواهم أن
رسول الله ﷺ غفر لهم ذنوبهم ، وكَفَّرَ عنهم سيئاتهم ، وسامحهم في
معاصيهم (!)

ت - وقوله : « لقد أدار على العشاق خمرته » إشارة لحالهم عند التواجد
والغناء وهم يضربون الأرض بأقدامهم كالسكارى عياداً بالله .

هذه الموالد التي يحن لها الأستاذ البنا ، ويسطرها في مذكراته لكي لا ينساها ،
وينسى أن هذه الموالد من إحداث الدولة العبيدية الرافضة في مصر .

ولم يتوقف أمر الإخوان عند التذكر وعدم التفكير بل جعلوا هذه الموالد من
شعائر جماعتهم ، قال الأستاذ سعيد حوى : « والأستاذ البنا يعتبر من مهمات الحركة
الإسلامية إحياء المناسبات الإسلامية وتذكير الناس بها ومن ثم فإنه يكاد يكون من
البدعيات في فقه الدعوة الإسلامية المعاصرة أن تعطي قضية المولد النبوي والاحتفال
به على طريقة مدروسة علمية مقبولة فقهياً أهمية خاصة لها »^(١)

قال عمر التلمساني - المرشد الثالث - : « وفي المناسبات الإسلامية كالهجرة
وغيرها كان يستأذن إدارة المدرسة بالاحتفال بهذه المناسبات »^(٢)

ولقد مارس البنا هذه البدعة وهو على رأس جماعة الإخوان المسلمين :

قال محمود عبد الحليم : « وكنا نذهب جميعاً كل ليلة إلى مسجد السيدة
زينب ، فنؤدي صلاة العشاء ، ثم نخرج من المسجد ونصطف صفوفاً ، يتقدمنا
الأستاذ المرشد ينشد نشيداً من أناشيد المولد النبوي^(٣) ، ونحن نردده من بعده في
صوت جهوري جماعي يلفت النظر »^(٤) .

(١) « تريتنا الروحية » (ص ١٧٨) .

(٢) « ذكريات لا مذكرات » (ص ٢٦٨) .

(٣) انظر نماذج من هذه الأناشيد (ص ١٨٧) .

(٤) « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » (١ / ١٠٩) .

وقال عباس السبسي : « دعا الإخوان المسلمون بالإسكندرية إلى الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ في حفل يحضره فضيلة المرشد العام بمسجد نبي الله دانيال ... وبدأ الأستاذ المرشد حسن البنا محاضراته ، ثم دخل في موضوع الذكرى فقال : نُحيي ذكرى مولد الرسول ﷺ ، ومن حق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين أن يحتفلوا بهذه الذكرى المباركة ، فرسولنا عليه الصلاة والسلام لم يأت للمسلمين فقط »^(١)

وورثت جماعة الإخوان المسلمين هذه البدعة ودعت النصارى إليها : وقال عباس السبسي : « بمناسبة مولد الرسول ﷺ أقام الإخوان المسلمون بالإسكندرية مرادقاً ضخماً أمام محطة السكة الحديد على شمال الخارج منها ... وقد دُعِيَ لهذا الحفل فضيلة المرشد العام حسن الهضيبي » .

ثم نقل صورة للحضور ، وكتب تحت الصورة قائلاً : « الإخوان في الإسكندرية يحتفلون بذكرى مولد الرسول ﷺ ، ويُرى في الصورة : الأستاذ المرشد ، وعن يمينه مندوب الكنيسة ... »^(٢)

٢ - صوفية طُرقية : أخذ التصوف مداه عند مفكري الإخوان المسلمين فروجوا للشعوذة والسحر كما قال سعيد حوى : « وقد حَدَّثني مرة نصراني عن حادثة وقعت له شخصياً وهي حادثة مشهورة معلومة جمعتني الله بصاحبها شخصياً بعد أن بلغتني الحادثة من غيره ، وحدثني كيف أنه حضر حلقة ذكر فَضَرِبَهُ أحد الذاكرين بالشيش في ظهره فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده ثم سحب الشيش ولم يكن لذلك أثر أو ضرر ، إن هذا الشيء الذي يجري في طبقات أبناء الطريقة الرفاعية ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على الأمة إذ من رأى ذلك تقوم عليه الحجّة بشكل واضح على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء إن من يرى فرداً من أفراد الأمة الإسلامية يمسك النار ولا تؤثر فيه كيف يستغرب أن يقذف إبراهيم في النار ؟

(١) « في قافلة الاخوان المسلمين » ، (١ / ٤٨) .

(٢) المرجع السابق ، (٢ / ٤٦) .

إن من يرى فرداً من أفراد أمة محمد ﷺ يخرج السيف من ظهره بعد أن يضرب فيه في صدره ثم يسحب السيف ولا أثر ولا ضرر هل يستغرب مثل هذا حادثة شق صدره ﷺ ؟ إن هذا الموضوع مهم جداً ولا يجوز أن نقف منه موقفاً ظالماً ومحله في إقامة الحجّة في دين الله على مثل هذه الشاكلة ، إن الحجّة الرئيسية لمنكري هذا الموضوع هي أن هذه الحوارق تظهر على يد فُساق من هؤلاء كما تَظْهَرُ على يد صالحين وهذا صحيح « والتعليل » لذلك هو أن الكرامة ليس لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي أكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في أتباعه من باب المعجزة لرسولنا ﷺ فهي كرامة للشيخ الذي هو الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله « (١) »

إن هذه الدعوى ليس لها نصيب من الصحة :

أ - فهي من رواية نصراني ، ولا يصح إسناد فيه راوٍ ضعيف ، بله راو نصراني مشرك ؟!

ب - وأغرب من ذلك أن هذا الراوي النصراني يُخَدِّثُ بها على سبيل الاحتجاج قَلِمَ لَمْ يُشَلِّمْ وقد قامت عليه الحجّة ؟!

ت - لو صَحَّ ما ادعاه سعيد حوى فلا يصح قياس المعجزة على الكرامة وتشبيها بذلك كمقارنته الضرب بالشيء بحادثة شق صدر رسول الله ﷺ ، وإمساك النار بحادثة قذف خليل الرحمن في النار ... فأين تعظيم أنبياء الله ورسله وبخاصة أن هذه الدعوى الرفاعية تظهر على يد الفساق منهم كما هو صريح في كلام سعيد حوى .

ث - هل أحمد الرفاعي أكرم على الله من محمد رسول الله ﷺ حتى تظهر كرامته على يد فساق طريقته وتستمر إلى يوم الدين ؟ ... فظهور معجزات رسول الله ﷺ على يد فساق الأمة الإسلامية أولى ... لكنه حديث خرافة .

ج - هل ظهور كرامة أحمد الرفاعي على يد فساق طريقته كرامة له ؟ إنه دليل واضح على أنه من عمل الشيطان ، إذ أن الفرق بين الكرامة وغيرها التزام مدّعيتها بالشرع وتقيده بأحكامه ، إن الكرامة لا تَظْهَرُ إلا على يد عبْدٍ ملتزمٍ صالح ، ومن ثم

(١) « تربيتنا الروحية » (ص ٢١٨) .

فهو لا يُظهرها ويفتخرُ بها على الناسِ خَشْيَةَ الرِّياءِ ، أما التعليل الذي ذكره وجعل ذلك كرامةً للشيخ صاحب الطريقة فإنه عُدَّزُّ أَقْبَحُ من الذَّنْبِ الذي اقترفه ، لأن صاحب الطريقة إن كان صالحاً فهو معادٍ لهؤلاءِ الفَسَقَةِ ولا يَعُدُّهم من طريقتِهِ ، وإذا كان صالحاً فليس له طريقة إلا طريقة مُحَمَّدٍ ﷺ لأن الصالحين يتبعون ولا يتدعون ، إن هذا الذي يَظْهَرُ من المخارقِ على يد الفساقِ استدراجٌ لهم من حيث لا يعلمون كما قال تعالى : ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [آل عمران : ١٩٦] ، وقوله : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٢] .

ولقد أحسن القائل :

إذا رأيت شخصاً قد بطيرُ وفوق ماءِ البحرِ قد يَسيرُ
ولم يقفْ على حدودِ الشرعِ فإنه مستدرجٌ وبذيعُ

إن هذه المخاريقُ التي يُخيلُ لغلاةِ المتصوفة أنها كراماتٌ يَصْدُقُ فيها قولُ ابنِ الجوزي : « وقد اندسَّ في الصوفية أقوامٌ وتَشَبَّهوا بهم وَشَطَّحُوا فِي الْكَرَامَاتِ وَأَدْعَاهَا ، وَأَظْهَرُوا لِلْعَوَامِ مَخَارِيقَ صَادُوا بِهَا قُلُوبَهُمْ »^(١)

ح - إن هذه الكراماتِ المزعومة وَقفَتْ على منتسبي الرفاعية ... فهل الطريقة الرفاعية خلاصة الأئمة المحمدية وأشرفها وأقربها إلى الله ؟

خ - إن هذه الكراماتِ المزعومة تَحْصُلُ للرفاعية بِمُجَرَّدِ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْتَةَ مِنَ الشَّيْخِ بَلْ أحياناً بدون بَيْتَةٍ !؟

د - إن طَعَنَ الْإِنْسَانُ بِآلَةٍ حَادِثَةٍ حَرَامٍ ، لأن فيها إلحاقَ الضررِ بالمطمعون ... لكن هؤلاء القوم لا يفقهون ولو فقهوا لعلموا أن رسولَ الله ﷺ نهى عن تعاطي السيفِ مَسْلُولاً ، وأمر من يَكْنَانِيهِ سِهَامٌ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهَا لِكَيْلَا يُؤْذَى مُسْلِمًا .

ذ - والحقيقة التي يُخفيها مُدَّعُو التَّصَوُّفِ أَنَّ الضَّرْبَ بِالشَّيْشِ سِحْرٌ فَيُخِيلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ طَعَنُوا وَمَا طَعَنُوا وَأَمَّا الْجُمْهُورُ الْمُتَفَرِّجُ الْمُخْدُوعُ فَقَدْ خَدَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَاسْتَرَبَوْهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ مَبِينٍ .

(١) « تلييس إبليس » ، (ص ٣٨٦) .

وأما نفسي سعيد حوى السحر عن هذا المخاريق : « إن ما يحدث لهؤلاء لا يمكن أن يكون سحراً ، لأن السحر جزء من عالم الأسباب ، ولهنا لا نجد لعالم الأسباب محلاً »^(١) فباطل ؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يبين في مناظرته المشهورة مع دجاجة الرفاعية أن جيلهم ومخاريقهم جيل معروف وأسباب موصوفة : « ولقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية وطريقتهم وطريقة الشيخ أحمد ابن الرفاعي ، وذلك أنني أعلم من حالهم وهو أنهم وإن كانوا مُنتسبين إلى الإسلام وطريقة الفقر والسلوك ، فيوجد في بعضهم أيضاً من الشرك وغيره من أنواع الكفر ، ومن الغلو في البدع في الإسلام ، والإعراض عن كثير مما جاء به الرسول ﷺ ، والاستخفاف بشريعة الإسلام ، والكذب ، والتلبيس ، وإظهار المخاريق الباطلة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والصّد عن سبيل الله ما يوجد .

ولقد بينت صورة ما يظهرونه من المخاريق مثل ملازمة النار والحيات وإظهار الدم ... وأن عامة ذلك من جيل معروف وأسباب مصنوعة »^(٢)

ولم يقتصر سعيد حوى منظر جماعة الإخوان المسلمين على التغني بالدجل والشعوذة بل استنفر شباب الإخوان المسلمين لتحصيله وتأصيله والوقوف على تفاصيله : « وإني لأطمح أن يوجد من يتبع هذا الأمر من طلاب العلم الشيطانيين ويكتب عن هذه الطريقة وشيوخها وأتباعه من يوم وجودها إلى عصرنا »^(٣)

لقد تبعتها فوجدنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « يا شُبُه الرافضة ، يا بيت الكذب ، فإن فيهم الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم ، وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة في بعض صفاتهم أو يزيدون عليهم ، فإنهم من أكذب الطوائف حتى قيل فيهم : لا تقولوا : أكذب من اليهود على الله ، ولكن قولوا . أكذب من الأحمدية على شيخهم »^(٤)

(١) « تربيتنا الروحية » .

(٢) « مجموعة الرسائل والمسائل » (١٠ / ١٢١ - ١٤٦) .

(٣) « تربيتنا الروحية » .

(٤) « مجموعة الرسائل والمسائل » (١ / ١٥٥) .

٣ - دعوة قُبورية : لقد مضى أن حسن البنا كان يَشُدُّ الرِّحالَ لقبورِ الأولياءِ والصالحين ، ولَمَّا كان القُبوريون يُلجؤون إلى الأمواتِ يتوسلونَ بهم فقد هَوَّنَ البنا من هذه الخَطِيئَةِ فقال في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين :
« والدَّعاءُ إذا قُرِنَ بالتَّوسُّلِ إلى الله بأحدٍ من خَلْقِهِ فرعيٌّ في كِيفِيَةِ الدَّعاءِ وليس من مسائلِ العَقِيدَةِ » .

وهذا جهل ؛ لأن رسول الله ﷺ قال : « الدَّعاءُ هو العبادة »^(١) ثم تلا رسول الله قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

إن العبادة يجب أن تكونَ خالصةً لله وإلا لَمْ يَقْبَلْهَا لَأَنَّهَا إِذَا قُرِنَتْ بِشَيْءٍ بَطَلَتْ وَزَدَّهَا اللَّهُ كَمَا قَالَ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] فالأمرُ من جوهرِ العَقِيدَةِ والخلافُ فيه جَوْهَرِيٌّ وليس فرعيٌّ ، وهذا القول من سُبُلِ الانحرافِ التي أدت بالكثيرِ إلى عَدَمِ البَحْثِ فيها والتحقُّقِ منها مما أدى في نهاية الأمرِ إلى استمرارهم في يدعتهم ، واستفحالِ أمرِ هذه البدعة العقائدية الكبيرة حتى رأينا المرشدَ الثالثَ لجماعة الإخوان المسلمين المدعو عمر التلمساني يدعو جنهاراً نهاراً إلى القُبورية فقال : « قال البعض : إن رسولَ الله ﷺ يستغفرُ لهم إذا جاؤوه حَيًّا فقط ، ولم أَتَبَيَّنْ سَبَبَ التَّقْيِيدِ فِي الْآيَةِ عِنْدَ الاسْتِغْفَارِ بِحَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وليس في الآية ما يَدُلُّ على هذا التَّقْيِيدِ »^(٢)

وقال : « ولذا أراني أَمِيلُ إلى الأخذُ بالرأيِ القائلِ أن رسولَ الله ﷺ يستغفرُ حَيًّا ومَيِّتاً لَمَنْ جَاءَهُ قاصداً رَحابَهُ الْكَرِيمِ »^(٣) .

وقال : « فلا داعي إذن للتشدد في النكيرِ على مَنْ يَعتَقِدُ كَرَامَةَ الأولياءِ واللجوءَ إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاءَ فيها عند الشَّدَائِدِ ، وكراماتِ الأولياءِ من أدلةِ معجزاتِ الأنبياءِ »^(٤)

(١) أخرجه أصحاب السنن وهو صحيح .

(٢) « شهيد المحراب عمر بن الخطاب » (ص ٢٢٥ - ٢٢٦) .

(٣ ، ٤) المرجع السابق ، (ص ٢٢٦) .

ثم يؤنب المنكرين على القبورين بقوله : « فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم »^(١)

ثم زعم أن الأمر لا يחדش عقيدة التوحيد : « ولئن كان هواي مع أولياء الله وخيئهم والتعلق بهم ، ولئن كان شعوري الغامر بالأنس والبهجة في زياراتهم ومقاماتهم بما لا يخل بعقيدة التوحيد ، فإني لا أزوج لاتجاه بذاته فالأمر كله من أوله إلى آخره أمر تدوّق ، وأقول للمتشددين في الإنكار هوناً فما في الأمر من شوك ولا وثنية ولا إلحاد »^(٢)

وكذلك قال الدكتور مصطفى السباعي مرشد الإخوان المسلمين في سوريا ، فقد نشرت مجلة « حضارة الإسلام » عدداً خاصاً بمناسبة وفاته وأوردت له بعنوان : مناجاة بين يدي الحبيب الأعظم ؛ من قصيدة نظمها الراحل في الروضة النديّة قرب المنبر النبوي الشريف بعد صلاة العصر في اليوم العاشر من محرم ١٣٨٤ هـ وتلاها يرحمه الله أمام الحجرة النبوية قبل الحجّ وبعده :

يا سائق الظم نحو البيت والحرم ونسحو طيبة تبغي سيّد الأمم
إن كان سعيك للمختار نافلاً فسعي مثلي فرض عند ذي الهِم
يا سيّدي يا حبيب الله جئت إلى أعتاب بابك أشكو البرح من سقمي
يا سيدي قد تهادى السقم في جسدي من شدّة السقم لم أغفل ولم أتم
الأهل حولي غرق في رقادهم أنا الوحيد الذي جفاه النوم من ألم
قد عشت دهرأ مديداً كلّهُ غملاً واليوم لا شيء غير القول والقلم
يا سيّدي طال شوقي للجهاد فهل تدعو لي الله عوداً عالي العلم
وهكذا يقف السباعي أمام قبر رسول الله ﷺ يشه حزنه ويشكو إليه من مرضه
من دون الله رب العالمين ... وكل هذا عندهم خلافاً فرعياً وليس من مسائل
العقيدة (!)

(١) المرجع السابق نفسه (ص ٢٣١) .

(٢) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

ومن أثبت وسائط بين الله وخلقه ، فهو مُشركٌ يَجِبُ أن يستتاب ، فإن تاب كان خيراً ، وإلا قُتِلَ رِدَّةً ، فالأمرُ لا هوادة فيه ، فلا هُدنة ولا أنصافَ حلولٍ ، لأنه يتعلّقُ بالعقيدة المحضّة ، وليس كما يزعم الزاعمون أنّه من الأمور الفرعية الخلافية التي لا تمت للعقيدة بصلّة ألبته ، ولا يخدمها بل هو أمرٌ تَذَوُّقِيٌّ وَوَجْدِيٌّ .. سبحانه الله لقد أصبح دعاءُ الأمواتِ عند عتباتِ قبورهم ليس فيه شرك ولا وثنية ولا إلحاد (١)

قال العزيز بن عبد السلام : « ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه ، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وَيُنْصُرُهُمْ بِتَوْسِطِهِمْ ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدياً منهم أن يباشروا سؤال الملك ، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب من الملك إلى الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافِرٌ مُشركٌ يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قُتِلَ ، وهؤلاء مُشبهون لله شَبَّهوا الخالقَ بالخلق وجعلوا لله أنداداً »^(١)

تبصرة :

زَعَمَ « الْمُتَهَلِّلُ » أن هذا القول ليس خاصاً بالشيخ البنا رحمه الله بل يمكن استخلاصه من كلام الشيخ الألباني عندما قال : « فمما سبق نعلم أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وجرى عليه عمل السلف الصالح ، وأجمع عليه المسلمون هو :

١ - التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته .

٢ - التوسل بعمل صالح قام به الداعي .

٣ - التوسل بدعاء رجل صالح .

وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلافٌ ، والذي نعتقدُه وندينُ الله تعالى به أنه غيرُ جائز ولا مشروع ، لأنه لم يرد فيه دليل تقوُّم به الحجة ، وقد أنكره

(١) « الواسطة » (ص ٥)

العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة ، مع أنه قال ببعضه بعض الأئمة فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط ، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين^(١) »

والجواب على ذلك من وجوه :

أ - قول شيخنا الألباني حفظه الله : « ... وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف » لا يعني أن ذلك ليس من مسائل العقيدة بل من مسائل الفروع ، لأن مسائل العقيدة فيها خلاف كما لا يخفى على صغار طلبة العلم كمسائل الصفات والإيمان والقدر .

ومما يؤيد هذا الفهم لكلام شيخنا أنه ذكر في كتابه « التوسل أنواعه وأحكامه »^(٢) ، وهو الذي أخذ منه المهلهل عبارة الشيخ السالفة - مسألة عقيدة فيها خلاف فقال : « ... قد ادعى أن النبي ﷺ أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق ، وهذه عقيدة ، وهي لا تثبت عنده إلا بتص قطعي الثبوت قطعي الدلالة ... ومن المعلوم أن هذه القضية مختلف فيها بين العلماء ... »

ب - أن شيخنا حفظه الله انتقد مقالة البنا رحمه الله فقال : « ... ومن هنا يتبين أن قول بعض المدعاة الإسلاميين في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين : « والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس في مسائل العقيدة » ليس صحيحاً على إطلاقه لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري إذ فيه شرك صريح كما سبق ، ولعل مثل هذا القول الذي يُهَوَّن من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع بالكثيرين إلى عدم البحث فيه ، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى استمرار المبتدعين في بدعهم ، واستفحال خطرهما بينهم »^(٣)

ومن عدّ مسألة التوسل من مسائل العقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(١) « للدعاة فقط » (ص ١٠٩ - ١١٠) .

(٢) (ص ١٦٦ - ١٦٧) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٤٨) .

« وكنت وأنا بالديار المصرية في سنة إحدى عشرة وسبعمائة قد استفتيت عن التوسل بالنبي ﷺ فكتبت في ذلك جواباً مبسوطاً وقد أحببت إيراده هنا لما في ذلك من مزيد الفائدة فإن هذه القواعد المتعلقة بتقرير التوحيد وحسم مادة الشرك والغلو كلما تنوع بيانها ووضحت عبارتها كان ذلك نوراً على نور »^(١)

تكميل : زعم الأستاذ سعيد حوى أن التوسل بالرسول ﷺ كان موجوداً في جيل الصحابة فقال : « ... والرواية الصحيحة التي مرت معنا تدل على أن فكرة التوسل إلى الله برسوله عليه السلام كانت موجودة في جيل الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ »^(٢)

هذه الرواية التي زعم صحتها هي حادثة عثمان بن حنيف في زمن عثمان رضي الله عنه حيث علم رجلاً أن يتوجه إلى الله برسول الله وذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ولذلك قال الشيخ سعيد حوى : « وقد رأينا قول الطبراني أن الحديث صحيح وهو حجة في باب جواز التوسل إلى الله برسوله بعد وفاتهم »^(٣)

قلت : الجواب من وجهين :

أ - أنى لهذه الرواية الصحة ، وقد اجتمعت فيها ثلاث علل قاذحة كما قال شيخنا حفظه الله بعد أن بين عللها : « وخلاصة القول : أن هذه القصة ضعيفة منكورة لأمر ثلاثة ، ضعف حفظ المنفرد بها ، والاختلاف عليه فيها ، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث ، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لاسقاط هذه القصة فكيف بها مجتمعة »^(٤)

ب - روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك ببنينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا ، قال : فيسقون^(٥)

(١) « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » (ص ١٢٥) .

(٢) « تربيتنا الروحية » (ص ٣١٠) .

(٣) المصدر السابق (ص ٣٠٩) .

(٤) « التوسل أنواعه وأحكامه » (ص ٩٤ - ٩٥) .

(٥) أخرجه البخاري .

وروى سليم بن عامر الخبائري رحمه الله : « أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فناداه الناس ، فأقبل يَتَخَطَّى الناس فأمره معاوية فَصعد على المنبر ، فَقعد عند رجله ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي يا يزيد ارفع يَدَيْكَ إلى الله فرفع يديه ورفع الناس أَيْدِيَهُمْ ، فما كان أَوْشَكَ أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترمش ، وهبت لها ريح ، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم »^(١)

هذه الحوادث الصحيحة تؤكد أن فكرة التوسل بالأنبياء بعد وفاتهم لم تكن موجودة في جيل الصحابة رضي الله عنهم بل الأمر على عكس ما وصف الأستاذ سعيد حوى .

ثانياً - نفي الصفات : عقيدة الإخوان المسلمين في توحيد الأسماء والصفات مضطربة لذلك لم يَمَرَّ لهم في هذه المسألة قَرَارٌ .

فأمائمهم حسنُ البنا يرى أن آيات الأسماء والصفات وأحاديثها من التشابه : « ومعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما لحق بذلك من التشابه نؤمن به كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله وأصحابه : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ »^(٢) ، ويقولون : « كذلك استواءه على القرش من التشابه الذي نَقِفُ عنده مؤمنين به دون نَعْدٍ لحدود إدراكنا كما ذكرت »^(٣) .

يقول شيخ الإسلام : « وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، أو اعتقاد أن ذلك هو التشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم ، فإنهم وأن

(١) أخرجه ابن عساكر والفسوي وابي زرعة الدمشقي في تواريخهم بإسناد صحيح

(٢) « شرح الأصول العشرين » (ص ٣٩) .

(٣) الإخوان المسلمون ، تفسير سورة السجدة ، (ص ٤)

أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم ، فالكلام على هذا من وجهين :

الأول : من قال أن هذا من التشابه وأنه لا يفهم معناه ، فنقول : أما الدليل على بطلان ذلك فأني ما أعلم عن أحد من سلف الأئمة ولا الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من التشابه الداخل في الآية ونفي أن يعلم أحد معناه ، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ، ولا قالوا إن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه ، إنما قالوا كلمات لها معانٍ صحيحة ، قالوا في أحاديث الصفات ثمرو كما جاءت ، ونهوا عن تأويلات الجهمية وزدوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص على ما دلت عليه ، ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبتطلون تأويلات الجهمية منها ، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه ، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعيد والفضل وغير ذلك ، وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات ثمرو كما جاءت في أحاديث الفضائل ، ومقصوده بذلك أن الحديث لا يحرف كليمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمي تحريفه تأويلاً بالغرض المتأخر .

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل ، وكذلك نعت أحمد : كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن ، وتكلم أحمد على ذلك التشابه ، وتبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية ، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله ، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا التشابه ، وأنه لا يُشكك عن بيانه وتفسيره ، بل يبين ويُفسر باتفاق الأئمة ، من غير تحريف له عن مواضعه ، أو إلحاد في أسماء الله وصفاته .

الثاني : أنه إذا قيل هذه من التشابه ، أو كان فيها ما هو من التشابه كما نُقل عن بعض الأئمة أنه سمى ما استدلل به الجهمية متشابهاً ، فيقال : الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله إما التشابه وإما الكتاب كله كما تقدم ، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمنا في القيامة وأمور القيامة ، وهذا الوجه قوي إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران أنهم احتجوا على النبي بقوله : (إنا) و (نحن) ونحو ذلك ، ويؤيده أيضاً أنه ثبت أن في القرآن متشابهاً وهو محتمل معنيين ، وفي مسائل

الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد أولى ، فإن نفي التشابه بين الله وبين خلقه أعظم من نفي التشابه بين موعود الجنة وموجود الدنيا .

وإنما نكتة الجواب كما قدمناه أولاً : أن نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنى ، ونزيده تقريراً أن الله أنزله ليعقلوه وأنه طلب تذكرهم : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ، وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ ، ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله ، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبره .

وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن ، ولو كان معاني هذه الآيات منفيًا أو مسكوتًا عنه لم يكن ربانيو الصحابة - أهل العلم بالكتاب والسنة - أكثر كلامًا فيه .

ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع من تفسير آية « أ . ه مختصرًا »^(١)

إن ادخال آيات الصفات وأحاديثها في التشابه هو الأصل الذي بنى عليه الأستاذ حسن البنا قوله بالتفويض : « ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسماً لمادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان وأثلج صدره ببر اليقين فلا تعدل به بديلاً ، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق »

وقال : « الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ، ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ ، وقال ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » ، وقوله ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » فنحن لا نعرف هذه المعاني المقصودة ، بل نفوض الأمر إلى الله تعالى ... فالتفويض في مثل هذه المواقف أسلم وأحكم وأعلم ، فلا يكفر بعضنا ولا يطعن

(١) « الإكامل في التشابه والتأويل » (ص ٣٢ - ٥٠) .

بعضنا على بعض ؛ لتتوَحَّد كلمة المسلمين » (!)

هذا تصريح واضح أن حسن البناء يعتقد أن رأي السلف السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله ، وهذا يعني مجرد الإيمان بالفاظ آيات الصفات وأحاديثها من غير فقه لمعانيها وهو من التَّقْوِيل عليهم بلا علم ولا برهان ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أقوال أهل التفويض وَفَتَّد مقالَتهم ، وهأنذا اذكر من ذلك ما يدل على بطلانه ، وأنه من شر الأقوال : « وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا أن نَتَدَبَّر القرآن ، وحضنا على عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ ، فكيف يجوزُ مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدايتنا والبيان لنا ، وإخراجنا من الظلمات إلى النور ، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم نخاطب بما يُبَيِّن فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر .

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا : أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والزد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد .

والجهمية والمعتزلة وأمثالهم يقولون : إنه أراد أن يعتقدوا الحق على ما هو عليه ، مع علمهم بأنه لم يبين ذلك في الكتاب والسنة ، بل النصوص تدل على نقيض ذلك ، فأولئك يقولون : أراد منهم الاعتقاد الباطل وأمرهم به ، وهؤلاء يقولون : أراد اعتقاد ما لم يدلهم إلا على نقيضه .

والمؤمن يعلم بالاضطرار أن كلا القولين باطل ، ولا بُدُّ للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا ، وإذا كان كلاهما باطلاً كان تأويل النفاة للنصوص باطلاً ؛ فيكون نقيضه حقاً ، وهو إقرار الأدلة الشرعية على مدلولاتها ومن خرج عن ذلك لزمه من الفساد ما لا يقوله إلا أهل الإلحاد .

وما ذكرنا من لوازم قول أهل التفويض : هو لازم لقولهم الظاهر المعروف بينهم ، إذ قالوا : إن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة ، ولكن

لم يبين للناس مراده بها ، ولا أوضحه إيضاحاً يقطع به النزاع .
وأما على قول أكابرهم : إن معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة لا يعلمه إلا الله ، وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها - فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ، ولا الملائكة ، ولا السابقون الأولون ، وحينئذ يكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه ، وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة ، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعيد والوعيد عند طائفة ، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة .

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء ، إذا كان الله أنزل القرآن ، وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس ، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين ، وأن يبين للناس ما نزل إليهم ، وأمر بتدبر القرآن وعقله ، ومع هذا فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرب عن صفاته ، أو عن كونه خالقاً لكل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، أو عن كونه أمر أو نهى ، ووعد وتوعد ، أو كما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه ، فلا يعقل ولا يتدبر ، ولا يكون الرسول يبين للناس ما أنزل إليهم ، ولا بلغ البلاغ المبين .

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الأمر ما علمته برأبي وعقلي ، وليس في النصوص ما يناقض ذلك ، لأن تلك النصوص مشككة متشابهة ولا يعلم أحد معناه ، وما لا يعلم معناه لا يجوز أن يستدل به .

فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء ، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول : إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريقة الأنبياء ؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية ، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون ، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم .

فتبين : أن قول أهل التفويض الذي يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإحاد ^(١) هـ

وقد صرح رحمه الله : « أن التفويض مذهب النفاة » ^(٢)

(١) « درء تعارض العقل والنقل » (١ / ٢٠١ - ٢٠٥) .

(٢) « الرسالة التدمرية » (ص ٣٠) .

ومن قال بالاعتصار على مجرد اللفظ من غير تعرض لمعناه الذي دل عليه بل اعتقد أنه لفظ لا يسعنا البحث في معناه وإنما الواجب قراءته كما نقرأ آلم ، وحم ، ونسب ذلك إلى السلف فهو خاطيء ، لأن أهل السنة يشتون معاني أسماء الله وصفاته ، وأن كانوا لا يتعرضون لإدراك كيفيتها ، ولا يبحثون عنها ؛ لأن ذلك أمر غيبي لم يُخبر الله عنه ، فحسبنا أن نقف على ما بلغ علمنا إليه .

وعلى هذا فيتعين الإيمان بالألفاظ وما دلت عليه من المعاني الحقة اللائقة بالله تعالى ، ولكن بلا تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تمثيل ، ولا تفويض ، والدليل على ذلك قول الإمام مالك وشيخه ربيعة الرأي : « الاستواء غير مجهول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

أي : أن معنى الاستواء معلوم ، وليس ورود لفظ الاستواء معلوماً ، وكيفيته مجهولة ، وعليه فالإيمان بمعنى الاستواء هو الواجب ، والسؤال عن كيفيته بدعة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً ، لأن فيه نَبَذَ التكييف ، وإثبات الاستواء المعقول ، وقد أتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه »^(١) . ويقول : « وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول ، فليس في أهل السنة من ينكره »^(٢) .

وسيد قطب تبني رأي الخلف في آيات الصفات عموماً وفي آيات الاستواء خصوصاً .

والاستواء الوارد في القرآن الكريم كصفة للرحمن ورد بلفظين . الأول : « استوى إلى » وقد ذكر في موضعين من القرآن : أحدهما : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] قال سيد : « ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين » .

(١) « شرح حديث النزول » (ص ١٤٥) .

(٢) « الإكليل في التشابه والتأويل » ، (ص ٥٠) .

والآخر : قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] وفسره سيد الاستواء الوارد هنا بالقصد .

وهذا رأي المعتزلة أثبته الزمخشري في « الكشاف » عند تفسيره آية البقرة : ٢٩ فقال : « ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ أي : قصد إليها بإرادته ومشيتته بعد خلق ما في الأرض » .

وهذا الوجه من أضعف الوجوه وأفسدها ، فإنه قد أخبر سبحانه وتعالى أن العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض ، وثبت ذلك من حديث عمران ابن الحصين رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض »^(١) فإذا كان العرش مخلوقاً قبل السماوات والأرض فكيف يكون استواءه قصده إلى خلقه له ؟!

وقال أبو العالية : « ﴿ استوى إلى السماء ﴾ : ارتفع »^(٢) .

لأنه قال قبل هذا : ﴿ أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وسورة فصلت مكية ، ثم أنزل البقرة وهي مدنية ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ فلما ذكر استواءه إلى السماء كان بعد خلق الأرض وما فيها تضمن معنى العلو لأن السماء فوق الأرض فلا استواء إليها الارتفاع إليها .

الثاني : ﴿ استوى على ﴾ ورد في سبعة مواضع من القرآن الكريم .

١- سورة الأعراف : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ .

٢- سورة يونس : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ .

(١ ، ٢) أخرجه البخاري .

يفسره سيد بـ « السيطرة العلوية الراسخة »^(١)

٣- سورة الرعد : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرش ﴾ .

٤- سورة طه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

يفسره سيد : « والاستواء على العرش كناية عن السيطرة والاستعلاء »^(٢)

٥- سورة الفرقان : ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ .

٦- سورة السجدة : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم

استوى على العرش ﴾ .

يفسره سيد : « والاستواء على العرش رمز لاستعلائه على خلقه كله أما العرش فلا سبيل إلى قول شيء عنه ، وليس كذلك الاستواء فظاهر أنه كناية عن الاستعلاء »^(٣) .

٧- سورة الحديد : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم

استوى على العرش ﴾ .

يفسره سيد « أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول أنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق استنادًا إلى مانعلمه من القرآن عن يقين من أن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ثم تتبعها حالة استواء »^(٤) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ أي : علا عليه وارتفع ، وهو متقول عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وعن

(١) « في ظلال القرآن » (٣ / ١٧٦٣)

(٢) المصدر السابق ، (٤ / ٢٣٢٨) .

(٣) المصدر السابق (٦ / ٥٣١) .

(٤) المصدر نفسه (٦ / ٣٤٨٠) .

مجاهد وأبي العالية ، وإسحاق بن راهويه^(١) ، واختاره شيخ المفسرين ابن جرير الطبري^(٢) فافهمه وعض عليه بناجذيك .

وقال أولت المعتزلة ومن هذا حذوهم الاستواء بالامتلاء أي استولى على العرش فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم ، وقولهم هذا معلوم الفساد بالاضطرار من وجوه متعددة :

١ - ليس في كلام العرب أئمة استوى بمعنى استولى ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يحتج بهم ويعول على قولهم بل المنقول عنهم بالإسناد الصحيح الصريح أنهم أنكروا ذلك غاية الإنكار .

قال ابن الأعرابي أحد أئمة اللغة رحمه الله : « أرادني ابن أبي داود^(٣) أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] استوى بمعنى استولى . فقلت : له والله ما يكون هذا ولا وجدته »^(٤) .

وقد سئل الخليل بن أحمد رحمه الله هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : « هذا ما لا تعرفه العرب ، ولا هو جائز في لغتها »^(٥) .
لذلك قال ابن الجوزي : « وهذا منكر عند اللغويين »^(٦) ، وقال ابن عبد البر : « وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة »^(٧) .

(١) أخرجها البخاري .

(٢) « جامع البيان » ، (١ / ١٥٠ و ١٣ / ٦٢) .

(٣) هو أحمد بن داود القاضي الجهمي الذي كان سبباً في وقوع الإمام أحمد في البلاء والفتنة .

(٤) أخرج الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥ / ٢٨٣) ، واللالكائي في

« شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٣ / ٣٩٩) بإسناد صحيح .

(٥) « مجموع الفتاوى » (٥ / ١٤٦) .

(٦) « زاد المسير » ، (٣ / ٢١٣) .

(٧) « التمهيد » (٧ / ١٣١) .

٢ - وهذا المعنى الفاسد إنما قاله متأخرو النحاة الذين سلكوا سبيل المعتزلة والجهمية ومع ذلك لم يقولوه نقلاً وإنما قالوه استنباطاً وحملًا منهم لكلمة استوى على استولى مستدلين بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

والجواب من وجوه :

أ - هذا البيت ليس من شعر العرب ؛ لأنه لم يأت نقلٌ صحيحٌ أنه شعر عربي وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها .

ب - هذا البيت لا يعرف له أصل في التاريخ ، ولا يعلم قائله ، مما يدل على أنه مصنوع للاحتجاج به .

ت - أن هذا البيت محرفٌ وإنما هو :

بشر قد استولى على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ث - لو صح هذا البيت ، وصح أنه غير مُحَرَّف لم يكن فيه حجةٌ لهم بل هو حجة عليهم لأن بِشراً كان أخاً للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى عليها كما هو عادة الملوك أن يجلسوا فوق سرير الملك ، وهذا مطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ [الزخرف : ١٣] .

فهذا البيت يناسب مقام بِشَر ، ولكن لا يناسب مقام الألوهية يوضحه الآتي :

٣ - إن الاستيلاء الذي فسروا به الاستواء يراد به الخلق أو القهر أو الغلبة أو الملك أو القدرة عليه ولا يصح أن يكون شيء منها مراداً في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] للأسباب الآتية .

أ - أما الخلق فإنه يتضمن أن يكون قد خلقه بعد السماوات والأرض وهذا خلاف الكتاب والسنة والإجماع ، لأن الله أخبر بخلق السماوات والأرض وما بينها في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض ، وكذلك جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في

الذكر كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض»^(١)

فإذا كان العرش قبل خلق السماوات والأرض والاستواء عليه بعد خلق السماوات والأرض ، فكيف يكون استواء الله عليه خلقه له أو عمده وقصده إلى خلقه ؟ ومع ذلك فإن ﴿ إستوى على ﴾ أو ﴿ إستوى إلى ﴾ بمعنى أنه عمد وقصد إلى فعله لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً ولا نظماً ولا شعراً .

ب - لا يقال استولى إلا لمن له مضاد والله لا مضاد له .

عن نبطويه حدثنا داود بن علي قال : « كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما معنى قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ؟ قال : هو على عرشه كما أخبر ، فقال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى ، فقال : اسكت لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاد إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد »^(٢)

قلت : يلزم من قسّر الاستواء بالاستيلاء في هذا المقام نسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره ، لأن الاستيلاء لغة لا يكون إلا بعد المغالبة فإذا وقع الظفر قيل استولى على كذا .

فنسأل المأولة المعطلة : من هو المضاد لله حتى تمكن الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه ؟!

(١) أخرجه البخاري

أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥ / ٢٨٤) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (٣ / ٣٩٣) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٥٢٣) ، والذهبي في « العلو » (ص ١٣٣) ، وعزاه ابن حجر في « الفتح » (١٣ / ٤٠٦) إلى الهروي في كتابه « الفاروق » ، و ابن منظور في « لسان العرب » (١٤ / ٤١٤) . قلت : وإسناده صحيح .

وهذا الإلزام لا مناص للمأولة منه إلا برفض التأويل والرجوع إلى تفسير السلف .

وقد تنبه بعض المؤولة إلى هذا المعنى فتأول الاستيلاء بأنه استيلاء مجرد عن معنى المغالبة^(١) .

وهذا المعنى مخالف للغة كما سبق عن ابن الأعرابي ، وكذلك هو تأويل للتأويل أليس الأولى بهذا التأويل الذي لا يدري ماذا يخرج من رأسه أن يتبع تفسير السلف فيقول : علا علواً مجرداً عن المشابهة ، هذا لو كان العلو يقتضي المشابهة ، فكيف وهي غير لازمه ؟

فتأمل كيف يفضي علم الكلام بأربابه إلى الاضطراب والتناقض ، فلا جرم أن تتفق كلمات القوم في النهاية على دقة والتبرؤ منه .

٤ - لا يقال استولى فلان على كذا إلا كان غير متمكن منه ، ثم تمكن منه .
أ يكون خلق من خلق الله أنت عليه مدة ليس الله بمستول عليه ؟ فليقل لنا التأويل المدة التي كان العرش فيها قبل خلق السماوات والأرض ليس الله بمستول عليه .

أفلا يستحي من الله من في قلبه أدنى وقار لله وكلامه أن ينسب ذلك إليه وأنه أراد بقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] أي اعلّموا يا عبادي إني بعد فراغي من خلق السماوات والأرض وما بينهما غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه .

ليعلم هؤلاء القوم الذين تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه أن الله لم يزل مستولياً مهيمناً على الأشياء كلها .

٥ - الله سبحانه وتعالى مستول على جميع المخلوقات فما معنى تخصيص

(١) هذه الباقعة نقلها الكوثري - الذي يفتخر كثير من قادة الإخوان المسلمين بتلمذ

عليه كالحامد وأبي غدة - في تعليقاته المسمومة على كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقي (ص

٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٣) .

العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذلك في مواطن كثيرة في كتابه .
فإن قيل : إنما خصص العرش لأنه أجل المخلوقات وأرفعها وأوسعها فتخصيصه
بالذكر تنبيه على ما دونه .

قلنا : هذا يطله أنه لا يصح أن يقال استوى الله على ابن آدم وعلى الجبل وعلى
الشمس وعلى القمر .

لو كان ما ادعيت صواباً لم يكن ذكر الخاص منافياً لذكر العام ألا ترى أن
ربوبيته لما كانت عامة للأشياء لم يكن تخصيص العرش بذكره منها كقوله : ﴿ الله لا
إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ [النمل : ٢٦] مانعاً من تعميم إضافته كقوله :
﴿ قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٦٤] . فلو كان
الاستواء بمعنى الاستيلاء لم يمنع إضافته إلى العرش اضافته إلى كل ما سواه وهذا غاية
الوضوح لمن ألقى السمع وهو شهيد .

وبذلك يتبين للمتبع آثار الهدى التي جاء بها رسول الله ﷺ أن معنى استوى
خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء .

٦ - لا يطلق الاستيلاء إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر والله سبحانه لا
يعجزه شيء .

والاستواء دليل على علو الخالق على خلقه ومباينته لهم ، وهذه المسألة تواترت
الأدلة على إثباتها حتى أضحت يقيناً لا يختلف فيه إثنان ، ولا ينتطح فيه كبشان ،
اللهم إلا من ركب مركب التأويل الباطل ليحرف الكلم عن مواضعه ، كيف وهي
من المعلوم من الدين بالضرورة ؟ وقد تضافرت على ذلك الآيات القرآنية الصريحة ،
وتكاثرت الأحاديث النبوية الصحيحة ، وتوافرت كلمات السلف الصالح الفصيحة ،
ودونك نبذ من ذلك :

الآيات القرآنية :

﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ [الملك :
١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ في السماء ﴾ معناه : على السماء ، وهذا معروف في اللغة ؛

فإن حروف الجر تتناوب^(١) ، ومعلوم من القرآن كقوله تعالى : ﴿ ولأصلبكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي : على جذوع النخل ، وقوله : ﴿ فسيحوا في الأرض ﴾ [التوبة : ٢] أي : على الأرض ، وقوله : ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ [الملك : ١٥] أي : على الجبال طلباً للرزق وأخذاً بالأسباب ، فالذي في السماء هو الله جل جلاله ، وخاطئ من ظن أن المقصود ملائكة العذاب لأن هذه الصفات لا يوصف بها إلا الرحمن^(٢) ، ويفهم جبهة المعاند قول الرسول ﷺ : « الراحمون يرحمهم الله ، ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء »^(٣) .

الأحاديث النبوية :

حديث الجارية : « قال : « أين الله » ؟ قالت : في السماء ، قال : « من أنا » ؟ قالت : رسول الله ؛ قال : « اعتقها فإنها مؤمنة »^(٤) .

وأخطأ من قال إن الجارية كانت أعجمية وأشارت بيدها ، لأن الأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة^(٥) .

والأحاديث كثيرة متواترة وفيما ذكرنا كفاية^(٦) .

(١) انظر لزماماً : « التمهيد » ، لابن عبد البر (٧ / ١٣٠) ، و « الأسماء والصفات » للبيهقي (ص ٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧) ، و « الإبانة » لأبي الحسن الأشعري (ص ١٠٦ - ١٠٧) ، و « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (٣ / ٥٢ - ٥٣ ، ٦٨ - ٦٩ و ١٠٦ و ٢٥٨ ، ١٦ / ١٠١ و ١٠٨) ، و « شرح العقيدة الطحاوية » ، لابن أبي العز الحنفى (ص ٢٨٦) .
(٢) وانظر لدحض هذه الفرية كتابي « أين الله : دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية » (ص ٤١ - ٤٤) .

(٣) صحيح ، أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم وصححه جماعة كالترمذي والحاكم والذهبي والعراقي وابن ناصر الدين الدمشقي .

(٤) أخرجه مسلم وغيره ، وقد جمعت طرقه ورواياته في جزء مستقل هو « أين الله ؟ »

(٥) انظر المرجع السابق (ص ٢٣) .

(٦) انظر المرجع نفسه (ص ٦٠ - ٦٢) .

وقول أهل السنة والجماعة أهل الحديث قاطبة على ذلك^(١) .

ورب قائل يقول : إن ما ذكرتم ورد في الآي والأحاديث على سبيل المجاز اللغوي ، والجواب على ذلك من وجوه :

١ - المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، ولم يتكلم أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء .

وأول من تكلم بالمجاز أبو عبيدة ولم يرد به قسم الحقيقة وإنما ما يعبر به عن الآية ، وكلام أحمد في المجاز كقوله : هذا من مجاز اللغة أي : ما يجوز في اللغة ، إذن فأصل الكلام الحقيقة ، وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز كأبي اسحق الأسفرائيني^(٢) .

٢ - القائلون بوجود ألفاظ مستعملة في غير ما وضعت له اشترطوا وجود القرينة التي تستوجب صرف اللفظ إلى غير معناه الحقيقي ، ولهذا قال أهل التقسيم : إن كل مجاز لا بد له من حقيقة ، وليس لكل حقيقة مجاز .

٣ - إذا استعملت الألفاظ مجازاً فلا يوصف بها إلا من كانت عنده تلك الصفات ، فإذا أردت أن تصف إنساناً بأنه له فضل عليك قلت له علي يد ، فأنت استعملت كلمة يد لتدل على الفضل ، لأن اليد سبب في هذا الفضل أو أنها آلة الفضل ، وعليه لا يجوز أن تقول عن شجرة تنفياً ظلالتها لها علي يد ؛ فإن هذا غير جائز في اللغة . والقول بوجود مجاز لغوي لإثبات للحقيقة ولكن من حيث لا يعلم القائلون به ، ولو فرضنا صحة القول : إن صفات الله كاليد والوجه والاستواء وغيرها مجاز ؛ فإنه يثبت ما ذهبنا إليه ولا ينفيه لما تقدم ، فهذه الصفات لو لم تكن حقيقة لله

(١) وقد جمعها الإمامان ابن قيم الجوزية في : « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو

المعطلة والجهنية » ، والذهبي في : « العلو للعلي العظيم » .

(٢) « الإيمان » ، ابن تيمية (ص ٨٣) .

لما صح التعبير عنها بهذا الألفاظ ، فتأمل تزدد يقيناً إذا علمت أنه : إذا اجتمع التأويل وعدم التأويل فعدم التأويل أولى ، فكيف إذا لم يكن هناك ثمة مجال للتأويل بل جميع القرائن تدل على أنها حقيقة لا مجاز .

والذين جنحوا إلى التأويل والقول بأن هذه الألفاظ مجاز قالوا بالقرينة العقلية التي تقتضي تنزيه الله عن مخلوقاته ، وأن إثبات استواء الرحمن على عرشه يستلزم التجسيم ، والله در القائل :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا حجد الصفات ونفيها حذراً من التمثيل والتشبيه
واعلم - فقهك الله - أن العقل السليم لا يقر لهم بذلك ؛ لأننا نقول : صحيح
المنقول يوافق صريح المعقول ، ونفاه العلو لازم قولهم : إن الله في كل مكان سواء
الطاهر أم النجس .

فإن قالوا : تنزه الله عن الأماكن القذرة .

قلنا لهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، فإنه تقرر لديكم بالنص أنه في كل مكان والأماكن القذرة مكان ، والاستثناء لا يجوز إلا بالنص .

قال الإمام أحمد رحمه الله : « إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل : أليس كان الله ولا شيء ؟ فيقول : نعم ؛ فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارج من نفسه ، فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل ، واحد منها : إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أنه خلق الجن والإنس والشیاطين في نفسه ، وأن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان أيضاً هذا كفراً حين زعم أنه دخل في مكان رجس قدر رديء ، وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع ، وهو قول أهل السنة ^(١) .

والقائل بالعلو لا يلزم قوله التجسيم بعكس قول مخالفه ، فعندما نقول : إن الله

(١) « الرد على الزنادقة والجهمية » (ص ٥٣) .

ففي السماء مستو على عرشه استواء يليق به بائن من خلقه ؛ فهذا لا يستوجب حصر الله في جهة ومكان ، لأن المكان محدود في الأرض والسموات وما بينهما ، أما فوق العرش فلا مكان والله فوق العرش ، أما من قال : إن الله في كل مكان فهو القائل بالتجسيم لأن المكان محدود ، وهو حصر ربه في المحدود - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فذائك برهانان عقليان فإذا عرفتهما فالزمهما .

أقوال العلماء في متأولني الاستواء منكري العلو :

قال عبدالله بن المبارك رحمه الله : « نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ، لا نقول كما قالت الجهمية : بأنه هلهنا وأشار بيده إلى الأرض »^(١) .

قال أبو سعيد عثمان الدارمي رحمه الله : « فمن لم يقصد بعبادته وإيمانه إلى الله الذي استوى على العرش فوق سمواته وبان من خلقه فإنما يعبد غير الله ولا يدري أين الله »^(٢) .

قال ابن خزيمة رحمه الله : « من لم يقل : إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم أُلقي على مزبلة لقلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة »^(٣) .

سيد قطب وتفسيره : « في ظلال القرآن » :

وقع سيد قطب رحمه الله في أخطاء عقيدية وبخاصة في آيات الصفات ، فهو يرجح مذهب الخلف ، ولقد عَرَضْنَا آراء سيد على كل الوجوه المحتملة ملتزمين له مخرجاً فأبَت إلا أن تلقى بجرانها على ما بيَّنا : ولماذا هذا العناء وشدة النَّصَب وسيد نفسه يعد ذلك الحق المبين الواجب الاتباع ، وأن تفاسير السلف في هذا الموضوع لا تشفي غليلاً ، ولا تروي غليلاً ؛ لأنهم أضاعوا وقتهم هدرًا .

قال : « والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرك كيفية^(٤) لا يفسر قوله تعالى :

(١) المصدر السابق (ص ٥٠ و ٣٣) .

(٢) المصدر السابق (ص ٥٠ ، ٣٣) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (٥٢ / ٥) ، وصحح إسناده في « الحموية » (ص ١١٧) .

(٤) وهو قول أهل السنة والجماعة من السلف الصالح أهل الحديث قاطبة كما سبق

(ص ٢٠٣) .

﴿ثم استوى﴾ والأولى أن نقول : إنه كناية عن الهيمنة^(١) كما ذكرنا ، والتأويل هنا لا يخرج عن المنهج الذي أشرنا إليه آنفاً ؛ لأنه لا ينبع من مقررات وتصورات من عندنا ، إنما تستند إلى مقررات القرآن ذاته وإلى التصور الذي يوحيه عن ذات الله سبحانه وصفاته^(٢) .

ويقول : « إذن فقد كان ضائعاً ذلك الجدل الطويل المديد الذي شغل به المعتزلة أنفسهم ومعارضيه من أهل الشنة والمتكلمين حول حقيقة النظر والرؤية في مثل هذا المقام لقد كانوا يقيسون بمقاييس الأرض ويتحدثون عن الإنسان المثقل بمقررات العقل في الأرض ويتصورون الأمر بالمدارك المحدودة المجال^(٣) » .

وقد يقول قائل إن النص الأخير ذم للمعتزلة دون أهل السنة ؟ نقول : كيف وهو يتبنى رأيهم كما في النصوص السابقة وفي هذه المسألة بخاصة ؛ وبيان ذلك من وجوه :

١ - تسميته ردود أهل السنة والجماعة على المعطلة من المعتزلة وغيرهم جديلاً ضائعاً ، ففيه إهدار لجهود علماء ربانيين حموا العقيدة من شر أريد بها .

٢ - أنه فسر قوله تعالى : ﴿وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس : ٣٦] بقوله : « زيادة من فضل الله غير محدودة »^(٤) معرضاً بهذا الإطلاق عن التفسير النبوي للزيادة وتقييدها برؤية الله سبحانه وتعالى كما في حديث صهيب رضي الله عنه : « ... فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب من النظر إليه وهي الزيادة »^(٥) .

(١) قول الجهمية والمعتزلة .

(٢) « في ظلال القرآن » (٦ / ٢٤٨٥)

(٣) المرجع السابق (٨ / ٣٨٢) .

(٤) المرجع السابق

(٥) أخرجه مسلم وغيره..

٣ - أنه قال عند تفسيره : « فأما كيف تنظر وبأي جارية تنظر وبأي وسيلة تنظر فذلك حديث لا يخطر على قلب بشر يمسه طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني في قلب المؤمن والسعادة التي يفيضها على الروح والتشوق والتطلع والانطلاق »^(١) ﴿ وجوه يومئذ ناضره لربها ناظره ﴾ [القيامة : ٢٢] .
وقوله هذا مخالف للأحاديث الصريحة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول وإليك بيان ذلك :

أ - عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ... » الحديث .
وزاد البخاري : « إنكم سترون ربكم عياناً »^(٢) .

وفي هذا البيان النبوي دحض لما أنكره سيد فقد خطر ذلك على قلب خير البشر ﷺ وبينه لأصحابه رضي الله عنهم ونقلوه لنا بأمانة وحرص وإخلاص ... فالمؤمنون سيرون ربهم عياناً بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس ليس دونها سحاب لا يضامون في رؤيته سبحانه وتعالى ، ولله در القائل :
وقد يتجلى الله للخلق جنهه كما البدر لا يخفى ورؤك أوضح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصدق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قال ذاك تنجع

ب - أن الآية من حيث دلالتها اللغوية تفيد النظر بالعين وقد جلى هذا المعنى ابن قيم الجوزية رحمه الله فقال : « وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداه (إلى) الصريحة في النظر وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن

(١) « في ظلال القرآن » (٦ / ٣٧٧١) .

(٢) أخرجه الشيخان ، وأحاديث الرؤية متواترة كما نص على ذلك أبو الحسن الأشعري

في « الإبانة » (ص ١٤) ، وابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » (٤ / ٤٧٩) وغيرهم كما بينته في كتابي : « الأدلة والشواهد » (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى يالـى خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه ، فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ ، وإن عدي به (في) فمعناه الاعتبار كقوله تعالى : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ﴾ ، وإن عدي به (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر ﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ »

هذا هو التحقيق والكلام العربي الدقيق وليس التفهيق والتشديق بزخارف القول فدعني من بنيات الطريق .

اعتبار : لقد قفز صلاح الخالدي صاحب كتاب : « في ظلال القرآن في الميزان » (٣ / ٩٥ - ٩٨) عن كل هذه الأقوال الصريحة لسيد في اتهامه لأهل السنة ومخالفته للأحاديث الصريحة الصحيحة والدلائل اللغوية الفصيحة ونقل أقوالاً شاعرية حاملة ليثبت أن سيداً لا ينفي صفات الله ولا يعطلها ... ومن ثم كال لنا أطناناً من التهم والتجهيل والتسفيه وأمتاراً مكعبة من نهش الأعراض ... وليته ردّ علي دليل واحد مما سقناه وأردناه ... فاعتبروا يا أولي الابصار (!)

وأخطاء سيد قطب في « ظلاله » وبخاصة في مسألة البحث لا ينكرها إلا صاحب هوى فقد تتبع كثير من طلاب العلم ومشايخه ما قيل في سيد وظلاله فوجدوا صدق ما ذكرنا وصواب ما نقلنا^(١) ... ولكن كلمة الفصل في سيد قطب

(١) انظر مثال ذلك :

○ « المفسرون بين التأويل والإنبات في آيات الصفات » للأخ الدكتور محمد المغراوي حفظه الله (٢ / ٣١٧ - ٣٣٢) .

○ « المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال » لعبد الله بن محمد الدويش رحمه الله .

○ كتب الأخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله في عقيدة سيد وموقفه من صحابة النبي ﷺ .

رحمه الله وتفسيره : « في ظلال القرآن » محلها كتابي : « تصفية الظلال » إن شاء الله .

ومما يوضح ارتباك مفكرو الإخوان المسلمين في هذا الركن الركين من التوحيد قولهم « كذلك استوى على العرش من المتشابه الذي نقف عنده مؤمنين به دون تعد لحدود أدراكنا كما ذكرت ، على أن العلماء هنا يتحدثون عن مذهبين ، أولهما : ويسمونه مذهب السلف الذي ينص على أن هناك استواء هو أعلم به ، وثانيهما : هو مذهب الخلف الذي يؤولون استوى باستولى فيقولون استوى على العرش استولى عليه وذلك علامة القدرة ، ويستشهدون لمعنى استوى عريية بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مہراق
فاستوى على العراق أي استولى عليها ، ثم يقولون بعدها : بمذهب السلف أسلم لأنه مذهب التسليم ، ومذهب الخلف أحكم لأنه مذهب التأويل طبقاً^(١) .
هذا النص يوحى من طرف خفي : بأن مذهب الخلف أعلم وأحكم لأنه مذهب التأويل طبقاً ، وعلى الرغم من ذلك فهو يدعي أن مذهب السلف التفويض الذي بينا فساد آناً ، وأنه افتراء على السلف بل هو مذهب الخلف « السلف يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه أو أخبر به نبيه ﷺ ، ويؤمنون بذلك حقيقة من غير تأويل ... إلخ في هذه الصفة المميزة للسلفي على غيره من الخلفيين فإن هؤلاء على قسمين :

قسم مفوضة يؤمنون بالفاظ الآيات وأحاديث الصفات دون الإيمان بحقائق معانيتها اللاتمة بالله تعالى ، وهذا هو الذي عليه الآن كثير من الخلفيين الذين لم يدرسوا عقيدة السلف أو درسوها ولم يفهموها أو فهموها ولم يهضموها ولم يؤمنوا بها .

ويقلب هذا على الذين يتظاهرون بأنهم من الدعاة إلى الإسلام : « وفاقد الشيء لا يعطيه » وبعضهم يزعم أن هذا مذهب السلف جهلاً أو تجاهلاً .
وقسم مؤوله معطلة ينكرون حتماً بعض صفات الله تعالى باسم التأويل وتحريف

(١) الإخوان المسلمون : تفسير سورة السجدة (ص ٤ - ٥) .

الكلم عن مواضعه»^(١) .

ومقولتهم : بأن مذهب السلف أسلم ، ولكن مذهب الخلف أعلم وأحكم متناقضة ؛ لأنهم فصلوا السلامة عن العلم والحكمة وهل العلم والحكمة إلا أساساً تقوم عليه السلامة .

والحقيقة أن هذه كلمة حتى أريد بها باطل ، فهم عندما وصفوا مذهب السلف بالسلامة دون العلم أي بالجهل أرادوا تشفي هذا المذهب دون مواجهة أتباعه الذين امتشقوا حسام العلم وتسمنوا غارب الحقيقة ليذبوا عن الإسلام تأويلات الجهمية والمعتزلة ، وكذلك قالوها تمويهاً وتديساً فإن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم ، وأي حكمة في مذهب تبرأ منه شيوخه ومؤسسه ، فالعجب كل العجب من جهل من تمسك بمذهب أعلن أقطابه خطأه وزيفه وأقروا على أنفسهم بالحيرة في أمرهم ، والندم على ما اعتقدوا في الله لما تبين لهم تناقضه ، وذلك واضح في أقوال أئمتهم وأذكياءهم^(٢) .

وهذا البيان كفيلاً لدحض قول منظرهم سعيد حوى : « وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنتين أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي »^(٣) .

وقد يظن بعض الناس : أن هذا الاضطراب عائد لعدم وضوح منهج السلف لدى حسن البنا وشيعته ، ولكننا ننفي ذلك فهذا هو يصف مذهب السلف والخلف بالغلو والتطرف : « ولو بحث الأمر لعلمت أن مسألة الخلاف بين الطريقتين لا تحتل شيئاً من هذا لو ترك أهل كل منها الغلو والتطرف »^(٤) .

(١) « كشف النقاب » محمد ناصر الدين الألباني ، (ص ٨١) .

(٢) انظر لزماً : « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٢٢٧ - ٢٢٩) ، و « النصيحة في صفات الرب جل وعلا » .

وقد فندت هذه المقالة من وجوه عدة في كتابي : « أين الله : دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية » (ص ٨٤ - ٨٨) .

(٣) « جولات في الفقهاء الكبير والأكبر » ، (ص ٨٦ و ٨١) .

(٤) « مجموعة رسائل حسن البنا » (ص ٤٩٦) .

عجبتا كيف يزعمون أنهم على منهج السلف : « وسيجد أصالة العقيدة ومنهج السلف وأهل السنة والجماعة ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ »^(١) وهو في نظر مرشدهم غلوٌ وتطرفٌ أوجب الإخوان المسلمون أن يوصفوا بأنهم غلاة متطرفون أم أن الأمر يقتضي وَضْعَ ١؟

والحق أن حسنَ البناء حاول جمعَ المسلمين على حسابِ العقيدة ، فظن أن هذا الاختلافَ القائم بين أتباعِ السلف وأفراخِ الخلف لا حاجة للإسلام فيه ، فليتنازل كلٌّ منهما عن بعضِ الشيء ويلتقوا في منتصفِ الطريق ، وبخاصةً أبان هذه الظروف العصيبة التي يشهدها العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه .

« وأهم ما يجب أن نتوجه إليه همُّ المسلمين الآن توحيدَ الصفوف وجمعَ الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، والله حسبنا ونعم الوكيل »^(٢) ، « والهدف هو تجميعُ الناس على إعادةِ أحكامِ الإسلام ، لا تفريقهم باتباعِ مذهبٍ من المذاهب والزامِ الناس به فيرضى من يرضى ، ويفضِب من يفضِب ، وتبديدِ الجهود »^(٣) .
ولله در القائل :

أوردھا سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا يا سعدُ تورد الإبل

ثانيًا : التمهيد : والدعوة إلى نبذ الخلاف والتعصب المذهبي في نظير الإخوان المسلمين نَفْحَةٌ في رماذٍ أو صيحةٌ في وادٍ ، لأن الخلافَ ضروريٌّ والإجماعَ على أمرٍ فرعيٍّ متعذرٌ للأسباب التالية :

- ١ - اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه ، وإدراك الدلائل والجهل بها ، والفصوص إلى أعماق المعاني وارتباط الحقائق بعضها ببعض .
- ٢ - اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة .
- ٣ - اختلاف لاطمئنان قلبي إلى الرواية عند التلقين .
- ٤ - اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدمًا على خبر الآحاد

(١) « طريق الدعوة » ، مصطفى مشهور (ص ١٣٣) .

(٢) « مجموعة رسائل حسن البناء » (ص ٥٠٠) .

(٣) « الإخوان المسلمون في سطور » (ص ٤٩) .

مثلاً وذلك لا يقوله به معه^(١) .

هذه الأسباب تُسَوِّغ وجود الاختلاف ، وليست أدلة على جواز الاختلاف^(٢) ، والاختلاف واقع لا محالة ولكنه مذموم شرعاً ، والبون شاسع بين جماعة تقوم على إقرار الاختلاف : « ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله يمكن أن أجمله لك في أن الإخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بالطف وسائل الحب »^(٣) . وأخرى تنهض لاجتثاث الخلاف من أصوله ، فالأولى بناؤها وإلا لاحت به الريح طاحا ، لأن إقرار المختلفين على اختلافهم لن يكون سبيلاً لتجميعهم فمتى كان الاختلاف طريقاً للائتناف ؟ ! اللهم إلا على سنن بني إسرائيل : ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] .

والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا ليقولوا كلمة الفصل في مواطن الاختلاف لقوله تعالى : ﴿ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة : ٢١٣] فلا بد من إرجاع مواطن الاختلاف للحكّمين القذّلين كتاب الله وسنة رسوله ، ومن ثم اقتفاء أثرهما فيما أقرّاه ، وهما يُقرّان لإزالة الاختلاف من أصوله سواء أكان في الأصول أم في الفروع وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضع^(٤) .

فمن البدع : القول بوجوب فهم الكتاب والسنة على ضوء المذاهب الأربعة ؛ لأن الأمة سلّمت قيادتها لها : « ولقد سلّمت الأمة خلال عصورها للكثيرين بأنهم

(١) « دعوتنا » (ص ٢٦ ، ٢٧) .

(٢) انظر لزائماً : « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١١) .

(٣) « دعوتنا » (ص ٣٠) .

(٤) مضى شيء من ذلك (ص ٢١ و ٢٩ - ٣٢) وانظر لزائماً : « هل المسلم ملزم

باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة ؟ » للمعصومي رحمه الله بتحقيقي .

وصلوا إلى رتبة الاجتهاد وخصت منهم بالاعتماد أربعة : أبا حنيفة ، والشافعي ، وأحمد ، ومالكاً في قضايا الفقه العملي ، وسلمت في قضايا العقائد لاثنين أبي الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي ^(١) .

وعليه فالثقة منزوعة عن غيرهم . « أنه لا اطمئنان في شأن الفتوى إلا على مذهب من المذاهب الأربعة ؛ لأن قواعدهما وأصولها وفروعها كلها محفوظة منقولة » ^(٢) .

لأن الوصول إلى مرتبة الاجتهاد أمرٌ صعبٌ بل هو أندر من الكبريت الأحمر « ومن الصعب أن يكون الإنسان مجتهداً ؛ لكثرة الشروط التي يجب أن تتوفر في المجتهد ، فلم يبقَ أمام أكثر الخلق إلا أن يتفقهوا على مذهبٍ لإمام مجتهد ، وأن يستفتوه في المسائل والحوادث وذلك واجبٌ شرعي كيلا يسير الإنسان على غير بصيرة وهذا الذي جعل الأئمة تستقرُّ على المذهبية الفقهية » ^(٣) .

لذلك يجب على كُلِّ إخواني أن يلتزم مذهباً فقهياً يختاره هو : « إننا نعطي الأخ حرية الالتزام بالمذهب الفقهي الذي يريده ولكننا نطالبه أن يتفقه فيه » ^(٤) .

واعلم أيها الأخ الحبيب لا زلت موصولاً بما تحب : أن إلزام المسلم لنفسه بمذهب فقهي معين بدعةٌ للأسباب والأدلة التي سنذكرها ، فكيف بجماعة مسلمة !؟

١ - القولُ بوجوب التمسك بأحد المذاهب الأربعة مبني على إغلاق باب الاجتهاد وهو مما لا دليل عليه ؛ لأنه بابٌ فتحه الله فلا يجوز إغلاقه إلا بنص شرعي من الكتاب والسنة ، وهيئات أن يجد مغلق باب الاجتهاد ما يقوي حججهم ويدعم رأيهم بل النصوص الصحيحة تؤكد استمرار الاجتهاد إلى يوم القيامة كما قال ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ^(٥) .

(١) « جولات في الفقهاء الكبير والأكبر » (ص ٦٦) .

(٢) المصدر السابق ، (ص ٧٠) .

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٧١) .

(٤) المصدر نفسه (ص ٧٩) .

(٥) أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقي وغيرهم وهو صحيح .

٢ - التمهيد - أي التقليد - ديدن عوام المسلمين وجهالهم كما صرح بذلك أئمة العلم والعمل من هذه الأمة كقول الطحاوي « لا يقلد إلا جاهل أو غبي » ، وقول السيوطي : « أن المقلد لا يسمى عالماً »^(١) ، وجزم به الشوكاني : « إن التقليد جهل وليس علم »^(٢) ، وقال ابن قيم الجوزية : « لا تجوز الفتوى بالتقليد ؛ لأنه ليس بعلم ، والفتوى بغير علم حرام ، ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم ، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم »^(٣) ، فكيف يجوز المسلم لنفسه أن يحشر أئمة محمد ﷺ بعد القرن الرابع الهجري في زمرة الجهال ، سبحانه ربنا هذا بهتان عظيم .

٣ - نهى الأئمة الأربعة رحمهم الله عن تقليدهم بل أمروا بتلاميذهم بالبحث عن أدلتهم ومدى صحتها ، فإن تبين لهم ضعفها أو خطأها فليتمسكوا بسنة الرسول ﷺ وليعضوا عليها بالنواجذ ، وهذا من علمهم وتقواهم رحمهم الله جيمعاً حيث أشاروا أنهم لم يحيطوا بالسنة كلها : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [يوسف : ٧٦] .

قال الإمام أبو حنيفة : « لا يحل لأحد أن يأخذ قولنا ما لم يعلم من أين أخذناه »^(٤) .

« إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر رسول الله فتركوا قولي »^(٥) .
وقال الإمام مالك : « إنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »^(٦) .

(١) نقله أبو الحسن السندي الحنفي في « تاحيته على سنن ابن ماجه » (١ / ٧٠) وأقره .

(٢) « إرشاد الفحول » (ص ٢٣٦) .

(٣) « إعلام الموقعين » (١ / ٥١) ..

(٤) « الانتقاء » ، ابن عبد البر ، (ص ٢٠) .

(٥) « الانتقاء » ، ابن عبد البر ، (ص ٢٠) .

(٦) المصدر السابق ، (ص ٧٢) .

وقال الإمام الشافعي - وهو أشدهم انكاراً على مقلديه ، ولقد تبرأ أن يقلد جملة^(١) - : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ؛ فقولوا بسنة رسول الله ، ودعوا ما قلت »^(٢) .

وقال الإمام أحمد - وهو أكثرهم جماعاً للسنة وتمسكاً بها وقد أسلس الشافعي رحمه الله قياده الحديث له - : « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا »^(٣) .

وهناك من يقصر أقوال الأئمة على المجتهدين وهذا خطأ ؛ كما قال الفلاني رحمه الله : « هذا ونحوه ليس في حق المجتهد ، لعدم احتياجه في ذلك إلى قولهم بل هو في حق المقلد »^(٤) .

٤ - من آثار القول بوجود التمدد وإغلاق باب الاجتهاد والتفوق داخل مذاهب محدودة دعوى خطيرة : هي القول بانتهاء تفسير الأدلة ودور اللاحقين هو الترجيح فقط ؛ وهي دعوى باطلة يلزمها نسخ الشريعة ، وهذا إفك مبين ، وأحكم المقلدة قولهم بقول كبيرهم الكرخي : « كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ »^(٥) .

٥ - إن عدم الالتزام بأقوال الرجال هو فعل الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح أهل القرون المشهود لها بالخيرية ، وهذا هو الثابت الصحيح ، وقد

(١) « الأحكام في أصول الأحكام » ابن حزم (٦ / ١٨٨) .

(٢) « المجموع » للنووي ، (١ / ٦٣) ، و « إعلام الموقعين » لابن قيم الجوزية (٢ /

٣٦١) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ٣٠٢) ، و « إيقاظ همم أولي الابصار » (ص ١١٣)

(٤) المرجع السابق (ص ٥٠) .

وقد جمعت في الرد على هذه الفرية رسالة سميتها : « التعظيم والممة في الانتصار للشنة »
بشر الله نشرها بئته وكريمه .

(٥) « الدر المختار » ، ابن عابدين (١ / ٤٥) .

يعترض بعضهم قائلًا : إن أهل المدينة أخذوا العلم عن أصحاب زيد وابن عمر ، وأهل مكة أخذوا العلم عن أصحاب ابن عباس ، وأهل العراق أخذوا عن أصحاب ابن مسعود .

واعلم - فقهاء الله - أن الأخذَ غير الالتزام ، لأن الأخذَ هو القولُ ببعض أقوال الإمام ، بينما الالتزام القول بكل أقواله ، فالذي يأخذ العلم قد يأخذ من ابن عباس مثلاً ما ظهر دليله ، ويأخذ من ابن مسعود ما ظهر دليله أيضاً في مسألة ثانية ، لذلك فالأخذ هو تتبع الأدلة بغض النظر عن ناقليها ، المهم أن يكون الناقل ثقةً والدليل صحيحاً بينما الالتزام يبتُ القصيد فيه هو الإمام نفسه لا قول الإمام ، فسواء أكان قوله موافقاً للدليل أم مخالفاً فالملتزم بالمذهب يأخذ برأي إمامه الذي رفعه لمقام العِصمة ، ولذلك ترى كثيراً من العلماء لا يجروا أن يقول أخطأ الإمام في هذه المسألة مع العلم أن الحديث النبوي بخلاف الفتوى ، وهذا هو المنهي عنه فيما ترى أكان الصحابة من الفريق الأول أم الثاني ؟ إن الجواب الذي لا ريب فيه أنهم كانوا من الفريق الأول . فلذا تبين أن السابقين الأولين من المسلمين لم يكن ديدنهم التقليد والتمذهب ، فلا يجوز للجماعة المسلمة أن تستقر على المذهبية الفقهية لأنها ليست من سمات الفرقة الناجية ؛ لقول رسول الله عندما بين أن فرقة واحدة في الجنة : « هي الجماعة »^(١) ، وفي رواية للترمذي : « قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي »^(٢) ، فقد ثبت أن التزام مذهب بعينه لم يكن عليه الصحابة رضي الله عنهم ولن تكون عليه الفرقة الناجية التي اتبعتهم بإحسان .

وقولنا بعدم جواز التزام مذهب معين لا يعني : إننا نلغي التقليد ، ونفرض الاجتهاد على كل مسلم ، بل إن قولنا يتضمن أن آتاه الله علماً بالكتاب والسنة وفهماً لهما وقدرة على الاستنباط عليه أن يقتحم ميدان الاجتهاد ، ومن لم يكن قريباً

(١) صحيح كما بينته في كتابي : « نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة »

(ص ١٠ - ١٨) .

(٢) صحيح كما بينته في كتابي : « درة الارتباب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب »

(ص ١١ - ١٧) .

له ويستطيع النظر في أدلة المجتهد ويرجح أقواها فهذا عليه أن يتبع الدليل الأقوى والحجة الراجحة ، أما الجاهل العامي فيجوز له أن يُقلد مجتهداً يثق في دينه وعلمه وإذا تبين له خطأ من يقلده فعليه اتباع الدليل ، ولا يجوز له تتبع الرخص في المذاهب والعمل بما يسمى التلفيق .

إذن فمراتب المكلفين ثلاث : « مجتهد ، متبع ، مقلد » وقد صرح بذلك أهل الاختصاص والعلم كالشاطبي^(١) ، وابن عبد البر : « حَذَّ العلم عند العلماء ما استيقنته وتبينته ، وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه ، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليداً فلم يعلمه ، والتقليد عند الجماعة من العلماء غير الإتياع ؛ لأن الإتياع هو : أن تتبع القائل على ما بان لك من حجة قوله ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ولا وجه القول ولا معناه »^(٢) .

ثالثاً - الإخوان المسلمون والشيعة الروافض :

ومما يؤكد التمييع العقدي لدى جماعة الإخوان المسلمين واضطرابهم علاقتهم مع الشيعة الروافض وموقفهم من ثورتهم البائسة في إيران .

ولقد بدأت علاقة الإخوان المسلمين مع الشيعة في عهد حسن البنا ، فقد اشترك في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية : « منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القومي ، والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة ، وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٥٤ م للقاهرة »^(٣) .

واستضاف مراجع الشيعة وآياتهم للتقريب بينهم وبين جماعته كما أخبر المرشد الثالث عمر التلمساني : « وبلغ من حرصه^(٤) على توحيد كلمة المسلمين أنه كان يرمي إلى مؤتمر يجمع الفرق الإسلامية ، لعل الله يهديهم إلى الإجماع على أمر يحول بينهم وبين تكفير بعضهم ، خاصة وأن قرأنا واحداً ، وديننا واحداً ، ورسولنا ﷺ »

(١) « الاعتصام » ، (٢ / ٣٤٣) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » ، (٢ / ٣٦) .

(٣) « السنة المفترى عليها » ، سالم البهنساوي (ص ٥٧) .

(٤) أي حسن البنا .

واحد ، وإلها واحد .

ولقد استضافَ لهذا الغرض فضيلة الشيخ محمد القمي - أحد كبار علماء الشيعة وزعمائهم - في المركز العام فترة ليست بالقصيرة ، كما أنه من المعروف أن الإمام البنا قد قابل المرجع الشيعي آية الله الكاشاني أثناء الحج عام ١٩٤٨ م ، وحدث بينهما تفاهتٌ يشير إليه أحد شخصيات الإخوان المسلمين اليوم وأحد تلامذة الإمام الشهيد الأستاذ عبد المتعال الجبري في كتابه « لماذا اغتيل حسن البنا » (ص ٣٢ / ط ١ - الاعتصام) : « نقل فيه كلاماً للكاتب إنجليزي يذكر فيه دور البنا في التقريب مع الشيعة » .

ويعلق الأستاذ الجبري قائلاً : « لقد صدق روبروشم بحاسته السياسية جهده الإمام في التقريب بين المذاهب الإسلامية ، فما له لو أدرك عن قرب دوره الضخم في هذا المجال مما لا يتسع لذكره المقام »^(١) .

وقال أيضاً : « وفي الأربعينات على ما أذكر كان السيد القمي - وهو شيعي المذهب - ينزل ضيفاً على الإخوان في المركز العام ، ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جاداً على التقريب بين المذاهب ، حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بين المذاهب منفذاً يعملون من خلاله على تمزيق الوحدة الإسلامية ، وسألناه يوماً عن مدى الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، فنهانا عن الدخول في مثل هذه المسائل الشائكة التي لا يليق بالمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بها ، والمسلمون على ما ترى من تناهد يعمل أعداء الإسلام على إشغال ناره . قلنا لفضيلته : نحن لا نسأل عن هذا للتعصب أو توسعة هوة الخلاف بين المسلمين ، ولكننا نسأل للعلم ؛ لأن ما بين السنة والشيعة مذكور في مؤلفات لا حصر لها ، وليس لدينا من سعة الوقت ما يمكننا من البحث في تلك المراجع . فقال رضوان الله عليه : اعلّموا إن أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهذا أصل العقيدة ، والسنة والشيعة فيه سواء ، وعلى النقاء ، أما الخلاف بينهما ؛ فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما »^(٢) .

(١) « الملهم الموهوب حسن البنا » (ص ٧٨) .

(٢) « ذكريات لا مذكرات » (ص ٢٤٩ - ٢٥٠) .

وقال الدكتور عز الدين إبراهيم : « ولي أنا شخصياً تجربة في هذه المسألة ،
فقبل عام ١٩٥٢ م كانت هناك جماعة التقريب بين المذاهب ، والتي كان يشرف
عليها الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمي ، وقد شاركت في عمل تلك الجماعة
وبمباركة الإمام الشهيد حسن البنا ، الذي كان يرى أن المسلمين سنة وشيعة أمة
واحدة ، وأن الخلاف المذهبي لا يفرّق وحدة الأمة ، وكان كل الاخوان المسلمين
متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أن الإسلام يد واحدة ، إله واحد ، كتاب
واحد ، رسول واحد ، حلال واحد ، حرام واحد ، نظام سياسي واحد ، نظام
اقتصادي واحد ، نظام اجتماعي واحد ، دولة واحدة من أجل تطهير العالم من الظلم
والزور والحديعة التي تمارسها القوتان الكبريان ، ويجب أن تكون الشيعة والسنة على
قلب واحد »^(١) .

ولحرص البنا على التقارب الشيعي الإخواني سبيان :

١ - تشابه مناهج جماعة الإخوان المسلمين مع الشيعة وهذا ما اعترف به
المستشار سالم البهنساوي فقال : « ولا غرو في ذلك ؛ فمناهج الجماعتين تؤدي إلى
هذا التعاون »^(٢) .

وقال محمد علي الضناوي نقلاً عن برنارد لويس : « وبالرغم من مذهبهم
الشيعي ؛ فإنهم يحملون فكرة عن الوحدة الإسلامية تماثل إلى حد كبيرة فكرة
الإخوان المصريين ، ولقد كانت بينهم اتصالات »^(٣) .

٢ - تجاهل عقائد الشيعة الخطرة واعتبار الشيعة كالمذاهب الأربعة كما زعم
حسن البنا وشيعته : « الشيعة فرقٌ تشبه على التقريب ما بين المذاهب الأربعة عند أهل
السنة ... وهناك بعض فوارق من الممكن إزالتها ؛ ككنكاح المتعة ، وعدد الزوجات
للمسلم ، وذلك عند بعض فرقهم ، وما أشبه ذلك ، مما لا يجب أن نجعله سبباً
للقطيعة بين أهل السنة والشيعة ، ولقد قام المذهبان جنباً إلى جنب مئات السنين ،

(١) « موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية » (ص ٣٣) .

(٢) « السنة المفترى عليها » (ص ٥٧) .

(٣) « كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث » (ص ١٥٠) .

دون أن يحصل احتكاكٌ بينهما إلا في المؤلفات ، مع العلم بأن أئمتهم قد أثروا التأليف الإسلامي ثروة لا تزال المكتبات تعجُّ بها»^(١) .

وقال محمد الغزالي : « جاءني رجل من العوام مغضباً يتساءل : كيف أصدر شيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهبٌ إسلامي كسائر المذاهب المعروفة ؟

فقلت للرجل : ماذا تعرف عن الشيعة ؟ فسكت قليلاً ، ثم أجاب : ناس على غير ديننا ! فقلت له : لكنني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم ! فعجب الرجل وقال : كيف هذا ؟ قلت له : والأغرب أنهم يقرؤون القرآن مثلنا ، ويعظمون الرسول ، ويحجُّون إلى البيت الحرام !! قال : لقد بلغني أن لهم قرآناً آخر ، وأنهم يذهبون إلى الكعبة ليحرقوها ! فنظرت إلى الرجل راثياً ، وقلت له : أنت معذور ! إن بعضنا يشيع عن البعض الآخر ما يحاول به هدمه وجرح كرامته ؛ مثلما يفعل الروس بالأمريكان ، والأمريكان بالروس ؛ كأننا أُمم متعادية لا أمة واحدة »^(٢) .

ويصرح الغزالي لـ « الطليعة الإسلامية » (عدد ٢٦ مارس ٨٥) ردّاً على سؤال حول دوره في جماعة التقريب ؟ نعم ؛ أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وكان لي عمل دؤوب ومتصل في دار التقريب في القاهرة ، وصادقت الشيخ محمد تقي القمي ، كما صادقت الشيخ محمد جواد ... ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة »^(٣) .

وكتب عمر التلمساني المرشد الثالث مقالاً بعنوان : « شيعة وسنة » ومما جاء فيه : « التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن » .

« ولم تفتقر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة فاتصلوا بآية الله الكاشاني ، واستضافوا في مصر نواب صفوي ، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يدعو إليه إسلامهم وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد ممكن » .

(١) « الملهم الموهوب حسن البنا » ، عمر التلمساني .

(٢) « موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية » (ص ٢٠) .

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٢) .

« وبعيداً عن كل الخلافات السياسية بين الشيعة وغيرهم فما يزال الإخوان المسلمون حريصين كل الحرص على أن يقوم شيء من التقارب المحسوس بين المذاهب المختلفة في صفوف المسلمين » .

« فعلى فقهاءنا أن يبدؤوا فكرة التقريب إعداداً لمستقبل المسلمين »^(١) .

ونقل الدكتور عز الدين ابراهيم جواباً من زينب الغزالي فقال : « والآن مع الإجابة الواضحة للسيدة المجاهدة زينب الغزالي في حديثها لـ « مجلة العالم » لندن عدد ٨٥ مارس ١٩٨٥ .

كان السؤال : إذن ؛ ما رأيك في مشكلة التفريق بين المذاهب الإسلامية ؟
أجابت : لا شك أن هذه مؤامرة صهيونية ، إنني أرى أن الشيعة الجعفرية والزيدية مذاهب إسلامية مثل المذاهب الأربعة لدى السنة ، وعلى عقلاء السنة والشيعة ، وعلى قيادات السنة والشيعة ، أن يجتمعوا في صعيد واحد ، وأن يتفاهموا وأن يتعاونوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضهم ببعض ، وكذلك مذهب الظاهرية لابن حزم ، وأدعو إلى اجتماع علماء الإسلام من كل المذاهب للتصدي لتلك المؤامرة الصهيونية »^(٢) .

والجواب على هذا التهورك الإخواني من وجوه :

١ - إن دعوى أن مذهب الشيعة الإمامية كالمذاهب الأربعة عند المنتسبين لأهل السنة جهلٌ مركبٌ فالخلاف بيننا وبين الشيعة الجعفرية في الأصول التي لا يتم إسلام العبد إلا بها ومن ذلك :

الأول : موقفهم من القرآن الكريم وأنه ناقصٌ ومحرّفٌ ، وأن القرآن الكامل عند علي بن أبي طالب ثم أورثه الأئمة من بعده ، وهو اليوم عند المنتظر .

قال نعمته الله الجزائري - وهو من علمائهم وثقاتهم ومحققينهم - : « ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من

(١) « مجلة الدعوة المصرية » ، (عدد ١٠٥) يوليو ١٩٨٥ م

(٢) « موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية » ، (ص ٣٣) .

إظهار الشفقة على من سبقه^(١) .

وكتابه الكافي مملوء بالروايات الدالة على تحريف القرآن ونقصه كما زعموا^(٢) ، ومؤلفه الكليني الملقب بـ « ثقة الاسلام » كان يعتقد التحريف والنقصان كما قرره الشيعة أنفسهم : « أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لردح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه »^(٣) .

والكافي عندهم بمنزلة صحيح البخاري عن أهل السنة ؛ لأنهم زعموا : أن الكليني معاصر لو كلاء المهدي المنتظر وسفرائه الأربعة ، وبذلك حكموا على أن منابع الكافي وموارده قطعية الاعتبار^(٤) .

وتجد هذه العقيدة الباطلة في عدة كتب أخرى معتمدة عندهم مثل :

٩ - تفسير القمي ، وهو شيخ الكليني ، وقد صرح بهذا المعتقد الباطل في أول تفسيره ، وملاه من أخباره ، وقد زعم أنه لا يذكر فيه إلا مشايخه وثقاته^(٥) .

وهو تفسير معتمد لدى الشيعة لأمرين :

أ - أن كبار علماء الشيعة يوثقونه كالحوثي القائل : « ولذا نحكم بوثاقة جمع مشايخ علي بن إبراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين »^(٦) .

(١) « الأنوار النعمانية » (٢ / ٣٦٢) .

(٢) انظر مثلاً باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية (١ / ٤١٣) (الأرقام : ٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤) ، وباب أن القرآن يرفع كما أنزل (٢ / ٦١٩) (رقم : ٢) ، وباب النوادر (٢ / ٦٢٧) رقم (٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٨) .

(٣) « تفسير الصافي » الفيض الكاشاني ، (المقدمة السادسة ص ١٤) .

(٤) انظر « الوحدة الإسلامية » مقال محمد صالح الحائري الرافضي (ص ٢٢٣) .

(٥) انظر المواضع الآتية : (١ / ٢١١ ، ٣٦٠ ، ٣٨٩ و ٢ / ٢١٧) .

(٦) « معجم رجال الحديث » ، (١ / ٦٣) .

ب - معظم التفاسير المتأخرة كـ « تفسير البرهان » لهاشم البحراني ، و « تفسير الصافي » للفيض الكاشاني تنقل هذه الأباطيل عن تفسير القمي .

٢ - تفسير العياشي وهو من كتبهم المعتمدة^(١) فقد قال عنه شيخهم الطوسي : « جليل القدر واسع الأخبار بصير بالروايات »^(٢) ، وقال محمد حسين الطبطبائي : « أحسن كتاب ألف قديماً في باب ، وأوثق ما ورثناه من قدماء مشايخنا من الكتب التفسير بالمأثور ، فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا بالقبول من غير أن يذكر بقدر أو يغمض فيه بطرف »^(٣) .

٣ - وقد ألف أحد معاصريهم وهو الرافضي الخيث المسمى حسين الطبري كتاباً ملاءم بالزندقة سماه : « فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب » وقال في مقدمته : « فيقول العبد المذنب المسمى حسين بن محمد تقي الدين الطبري جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه : هذا كتاب لطيف ، وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان ، وسميته : « فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب » ، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عاقل ، وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني يوم لا ينفع مال ولا بنون »^(٤) .

وهذا الكتاب من أوثق ما كتب في الإعلان عن هذه العقيدة الزائفة يدل على ذلك عدة أمور :

أ - لقد طبع هذا الكتاب على الحجر عام ١٢٩٨ هـ وعليه خاتم الدولة الإيرانية الرسمي .

ب - مؤلفه يُعَدُّ مَرَجَعاً من مراجعهم ، ولما مات وضعوه في أشرف بقعة عندهم بين العترة والكتاب في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن من باب

(١) انظر لزماماً (١ / ١٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٦) .

(٢) الفهرست (ص ١٦٣ - ١٦٥) .

(٣) مقدمة تفسير العياشي للطبطبائي (ص : ج) .

(٤) « فصل الخطاب » ، (ق ١) .

القبلة في النجف^(١) .

٤ - نصوص التحريف والطعن في الكتاب العزيز كثيرة في كتب الشيعة حتى عدّها عالمهم المجلسي متواترة تساوي أخبار الإمامة التي هي لب التشيع وجوهره : « وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى ، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن أخبار الإمامة »^(٢) .

وقال المفيد : « إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان »^(٣) .

وقال محمد المازندراني : « وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها »^(٤) . ويرى الطبري أن تواترها يغني عن النظر في أسانيدھا : « إن ملاحظة السند في تلك الأخبار الكثيرة توجب سد باب التواتر المعنوي فيها بل هو أشبه بالوسواس الذي ينبغي الاستعاذة منه »^(٥) .

ويقول محسن الكاشاني : « المستفاد من الروايات من طريق أهل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو مغير محرف ، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها : اسم علي في كثير من المواضع ، ومنها لفظة آل محمد غير مرة ، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها ، ومنها غير ذلك ، وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله »^(٦) .

(١) « أعلام الشيعة » ، آغا بزرك الطهراني ، القسم الثاني من الجزء الأول (ص

٥٥٣) .

(٢) « مرآة العقول » (٢ / ٥٣٦) .

(٣) « أوائل المقالات » (ص ٩٨) .

(٤) « شرح جامع الكافي » (١١ / ٧٦) .

(٥) « فصل الخطاب » (ق ١٢٤) .

(٦) « تفسير الضافي » ، المقدمة السادسة .

٥ - والقول بتحريف القرآن هو قول الشيعة الجعفرية كلها كما قال ابن حزم رحمه الله : « ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مُبَدَّلٌ زيد فيه ما ليس منه ، ونقص منه كثير ، ويُبدَّل منه كثير حاشا علي بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ابن أبي طالب وكان إمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله ، وكذلك صاحبه أبو يعلى ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي .
قال أبو محمد : القول بأن بين اللوحين تبديلاً كُفِّرَ صحيح وتكذيب لرسول الله ﷺ » (١) .

وقد كَذَّبَ عَبْدُ الْحُسَيْنِ الْأَمِينِي النجفي في رده على ابن حزم ما نسبته للإمامية من القول بتحريف القرآن فقال : « ليت هذا المجترئ أشار إلى مصدر فريته من كتاب للشيعة موثوق به ، أو حكاية عن عالم من علمائهم تقيم له الجامعة وزناً بل تتنازل معه إلى قول جاهل من جهالهم أو قروي من بسطائهم ، أو ثرثار كمثل هذا الرجل يرمي القول على عواهنه ، وهذه فرق الشيعة في مقدمتهم الإمامية مجمعة على ما بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه » (٢) .

فها نحن قد ذكرنا لهذا النجفي - المعداد من كبراء الشيعة فهم يلقبونه بالخبر العلم الحجة المجاهد - نقولاً متواترة عن شيعته ومن أوثق كتبهم ، وليعلم هذا المتهوك أنه لا يستطيع حجب الشمس بكفه .

إن هذا المفترى لم يلبث أن تناقض فقال مهاجماً أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « سل عنها (٣) أمير المؤمنين (٤) وهو الصديق الأكبر يوم قاده كما يقاد الجمل إلى بيعة عمت شؤونها الإسلام ، وزرعت في قلوب أهلها الآثام ، وعنفت سلمانها (٥) »

(١) « الفصل في الأهواء والملل والنحل » (٥ / ١٨٢) .

(٢) « الغدير » (٣ / ٩٤ - ٩٥) .

(٣) يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) يريد بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) يريد سلمان الفارسي رضي الله عنه .

وطردت مقدادها^(١) ، وفتقت بطن عمارها^(٢) ، وحرّفت القرآن ، وبدّلت الأحكام^(٣) .

وهذا الأسلوب الشيعي لا يخفى على أهل العلم المجاذين فالإثبات في موضع والإنكار في موضع آخر ؛ لكيلا يتفّ أهل السنة على حقيقة مذهبهم فيقعوا فيهم ولذلك قالوا : « لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ بركابكم »^(٤) .

الثاني : موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم فهم عند الشيعة أهل ردة إلا ثلاثة أو سبعة .

لقد امتلأت كتب الشيعة المعتمدة مثل : « الكافي » و « البحار » و « الاختصاص » ، و « رجال الكشي » سباً و طعناً ولعنات وتكفيراً للصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يستثنوا إلا ثلاثة وهم : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي .

روى الكليني في « الكافي »^(٥) عن حمran بن أعين قال : « قلت لأبي جعفر (ع) جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفيناها ، فقال : ألا أحدثك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة » .

وقد وردت روايات عندهم في تعيين هؤلاء الثلاثة :

فمن أبي جعفر (ع) كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت : ومن الثلاثة ، فقال : « المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي رحمه الله وبركاته عليهم ثم عرف الناس بعد يسير »^(٦) .

(١) يريد المقداد بن الاسود رضي الله عنه .

(٢) يريد عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

(٣) « الفدير » (٩ / ٣٨٨) .

(٤) « البحار » (٢ / ٢٣٦) .

(٥) (٢ / ٢٤٤) ، وقارن ب « رجال الكشي » (ص ٧) و « البحار » (٢٢ /

٣٤٥) .

(٦) « شرح الكافي » (١٢ / ٣٢١ - ٣٢٢) .

عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) قال : « إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة علي ، والمقداد ، وسلمان ، وأبو ذر . فقلت فعمار فقال : إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة » (١) .

وهؤلاء الذين عرفوا عددهم أربعة ليصبح مجموع الذين نجوا من الردة - في كتب الشيعة - سبعة ففي « رجال الكشي » عن أبي جعفر قال : « ارتد الناس إلا ثلاثة نفر سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، قال قلت فعمار قال : جاض جوضة (٢) ، ثم رجع ، ثم قال : إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد . فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض هو هكذا فلبب (٣) ووجئت (٤) عنقه حتى تركت كالسلفة فمر به أمير المؤمنين (ع) فقال له : يا أبا عبد الله هذا من ذاك فبايع ، فبايع ، وأما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين (ع) بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به - كذا - ثم أناب الناس بعد فكان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري ، وأبو عمرة ، وشتيرة وكانوا سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين (ع) إلا هؤلاء السبعة » (٥) .

وركز الشيعة حملتهم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ففي « روضة الكافي » (٦) : « أن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ، ولم يتذكرا ما صنعا بأمر المؤمنين ، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال شيخهم نعمة الله الجزائري : « قد وردت في روايات الخاصة : أن الشيطان يغفل بسبعين غلاً من حديد جهنم ، ويساق إلى المحشر ، فينظر

(١) انظر : « تفسير العياشي » (١ / ١٩٩) ، و « البرهان » (١ / ٣١٩) ،

و « الصافي » (١ / ٣٠٥) .

(٢) جادل وعاند .

(٣) جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره .

(٤) ضربه باليد والسكين .

(٥) « رجال الكشي » (ص ١١ - ١٢) .

(٦) « شرح الكافي » (١٢ / ٣٢٣) .

ويرى رجلاً أمامه يقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلاً من أغلال جهنم ، فيدنو الشيطان إليه ويقول : ما فعل الشقي حتى زاد علي في العذاب وأنا أغويت الخلق وأوردتهم موارد الهلاك ؟ فيقول عمر للشيطان : ما فعلت شيئاً سوى أنني غصبت خلافة علي بن أبي طالب »^(١) .

وَعَقَّبَ على هذه الرواية : « والظاهر أنه قد استغلَّ سَبَبَ شقاوته ومزيدَ عذابه ولم يعلم أن كل ما وقع في الدنيا إلى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم إنما هو من فعلته هذه »^(٢) .

وقال في أبي بكر رضي الله عنه : « نُقِلَ في الأخبار أن الخليفة الأول قد كان مع النبي ﷺ وصنمه الذي كان يعبدُه زمن الجاهلية معلق بخيط في عنقه ساتره بثيابه وكان يسجد ، ويقصد أن سجوده لذلك الصنم إلى أن مات النبي ﷺ فأظهروا - كذا - ما كن في قلوبهم »^(٣) .

ولم ينح من طعنهم أحدٌ من الصحابة ، ومن طعن في صحابة رسول الله ﷺ فقد طعن في دين الله وشرعه ، لأن الصحابة رضي الله عنهم شهودنا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

عن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال : سمعت أبا زرعة يقول : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »^(٤) .

ومن زعم أنهم ارتدوا فلا شك في كفره وزندقته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا

(١ ، ٢) « الأنوار النسمانية » (١ / ٨١ - ٨٢) .

(٣) المصدر السابق (٢ / ١١١) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ٤٨) وهو صحيح .

يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم ؛ فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وخيرها هو القرن الأول ، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً ، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها ، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق ^(١) .

الثالث : وهم يفارقون أهل السنة والجماعة في مسائل اعتقاد كثيرة منها : عصمة الأئمة بل يفضلونهم على كل نبي مرسل وملك مقرب ، والإمامة وهي عندهم ركن من أركان الدين ، ويؤمنون بالتقية وبالرجعة والبداء والغيبة ^(٢) .
الرابع : ولهم بالإضافة إلى ذلك شذوذات في الفقه خالفوا المتواتر من النصوص عند أهل السنة ، بل إنهم يقولون في كل مسألة يشذون بها عن أهل السنة ومن أمثلة ذلك « مسألة المتعة » فقد جعلوها :

- ١ - من أركان الإيمان عندهم فيذكرون أن جعفر الصادق قال : « ليس منا من لم يؤمن بكربتنا ^(٣) » ولم يستعمل متعتنا ^(٤) .
- ٢ - ويؤمنون أنها عوض عن المسكرات فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال : « إن الله رآف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم من الأشربة » ^(٥) .
- ٣ - ولم يكتفوا بإباحتها بل رتبوا على تركها وعيها شديداً قالوا : « من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجذع » ^(٦) .

- (١) « الصارم المسلول » (ص ٥٨٦ - ٥٨٧) .
- (٢) وانظر لزاماً : « الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية » للشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله .
- (٣) يقصد الرجعة .
- (٤) انظر « من لا يحضره الفقيه » (٢ / ١٤٨) ، و « وسائل الشيعة » (٤ / ٤٣٨) ، و « تفسير الصافي » (١ / ٣٤٧) .
- (٥) « الروضة من الكافي » (ص ١٥١) ، و « وسائل الشيعة » (١٤ / ٤٣٨) .
- (٦) « منهج الصادقين » فتح الله الكاشاني ، (ص ٣٥٦) .

٤ - وجعلوا لفاعلها أجراً عظيماً حتى زعموا أن من تمتع أربع مرات كان أجره كرسول الله ﷺ ونسبوا هذه الفرية إلى رسول الله ﷺ : « من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه السلام ، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن ، ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة علي ، ومن تمتع أربع مرات كانت درجته كدرجتي »^(١) .

٥ - وعندهم جواز التمتع بالأبكار دون إذن أوليائهن ، عن زياد بن أبيي الحلال قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « لا بأس أن يتمتع بالبكر ما لم يُفَضَّ إليها كراهية العيب على أهلها »^(٢) .

٦ - ولا يوجد في ملة من الملل ما يبيح الزواج من المرأة المتزوجة إلا مذهب مَن ذلك للاباحية الجنسية عنده ... ولكن دين الشيعة يبيح ذلك .

عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : المرأة تتزوج متعة فينقضي شرطها ، وتتزوج رجلاً آخر قبل أن تنقضي عدتها ؟ قال : « وما عليك . إنما إنهم ذلك عليها »^(٣) .

وعن فضل مولى محمد بن راشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قلت : إني تزوجت امرأة متعة ، فوقع في نفسي أن لها زوجاً ففتشت عن ذلك فوجدت لها زوجاً ؟ قال : ولم فتشت »^(٤) ؟

٧ - ويجيزون التمتع بالزواني والمومسات .
عن إسحاق بن جرير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحل أن أتزوجها متعة ؟ قال : فقال : « رفعت راية ؟ » قلت : لا ، لو رفعت راية أخذها السلطان . قال : « نعم تزوجها متعة » !!

(١) المصدر السابق .

(٢) « الفروع من الكافي » (٢ / ٤٦) ، « وسائل الشيعة » (١٤ / ٤٥٧) .

(٣) « من لا يحضره الفقيه » (٢ / ١٤٩٠) ، « وسائل الشيعة » (١٤ / ٤٥٦)

(٤) المصدر السابق ، (١٤ / ٤٥٧) .

قال : ثم أصفى إلى بعض مواليه ، فأسر إليه شيئاً ، فلقيت مولاه ، فقلت له :
ما قال لك ؟ فقال : إنما قال لي : « ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء إنما
يخرجها من حرام إلى حلال » ^(١)

وعن الحسن بن ظريف قال : « كتبت إلى أبي محمد عليه السلام : قد تركت
التمتع ثلاثين سنة ثم نشطت لذلك وكان في الحي امرأة وُصفت لي بالجمال ، فمال
قلبي إليها ، وكانت عاهراً لا تمتنع يد لامس فكرهتها ثم قلت : قد قال الأئمة عليهم
السلام : تمتع بالفاجرة فإنك تخرجها من حرام إلى حلال ، فكتبت إلى أبي محمد
عليه السلام أشاورة في المتعة وقلت : أيجوز بعد هذه السنين أن أتمتع ؟ فكتب : إنما
تُحبي سنة وتميت بدعة فلا بأس » ^(٢)

٨ - بل يبيحون إعارة الفروج - عياداً بالله - وقد وردت روايات في كتبهم
المعتمدة منها :

عن الحسن العطار قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفروج
فقال : لا بأس به . فقلت : فإن كان منه الولد ؟ قال : لصاحب الجارية إلا أن
يشترط عليه » ^(٣)

وهكذا يظهر أن المتعة عند الشيعة فوضى سلوكية وإباحة جنسية تحت ستار
التمتع الذي طرحوا عليه صبغة الدين ظلماً وتدليساً .
وما كنت لأسوق هذا المرويات التي تبخدش الحياء لولا تبجح قادة الإخوان
المسلمين بأن الشيعة تشبه المذاهب الأربعة عند أهل السنة وهناك فوارق من الممكن
إزالتها كمنكاح المتعة ^(٤) .

(١) المصدر السابق نفسه (١٤ / ٤٥٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه ، و « كشف الغمة » (ص ٣٠٧) .

(٣) « وسائل الشيعة » (٧ / ٥٤٠) ، و « فروغ الكافي » (٢ / ٤٨) ،

و « الاستبصار » (٣ / ١٤١) ، و « التهذيب » (٢ / ١٨٥) .

(٤) مضي كلام حسن البنا (ص ٢٢٨) .

إن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر التي أنشأت داراً باسمها ثم قامت بإصدار مجلة « رسالة الإسلام » والتي باركها الشيخ حسن البنا وكان عضواً فيها هي دعوة رافضية قام بها شيخ رافضي من « قُم » إيران وهو المدعو محمد تقي القمي .

وقد وصف أحد أعضائها من شيوخ مصر نشأة الجماعة وخط سيرها وهدفها قال عبد اللطيف محمد السبكي : « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، نشطت في تكوين هذه الجماعة شيخ شيعي .. يقيم في مصر لعهد قريب أو بعيد وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر ، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين التي هتف بها القرآن أول ما هتف : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ .

جذبتني هذه الدعوة ، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأمجاد ، فماذا أجدت جماعتنا وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟ نشطت في صدر عهدها إلى تعاقب الاجتماعات ، فمرة : للتعارف واختيار الرئيس والوكيل والسكرتير إلخ . ومرة ثانية : لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب ، وثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف - مركز الشيعة - يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك في الذكرى الموسمية للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ثم يقترح علينا في هذه الجلسة أن تطلب الجماعة إلى الأزهري تدریس الفقه الشيعي إلى جانب مذاهب أهل السنة ، ويتوارى الاقتراح في سرعة لأنه قبل أوانه كما همس بذلك من همس .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه وتسميها « رسالة الإسلام » ورأيتني ويجب أن يرتاب معي كل عضو بريء أنها تنفق عن سخاء دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة بالزمالك في القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على مجلتها فتكافيء القائمين عليها ، وتكافيء الكاتبين فيها ، وتتألق في طبع أعدادها ، وتغلف ما يطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض فمن

أين ذلك وعلى حساب من يا ترى !؟»^(١).

ولقد اعترف بعض كتاب الشيعة أن دار التقريب نشأت بإيعاز من شيوخ الشيعة : « ليس له^(٢) ولا لغيره من الناس أن يقوم بمثل هذا العمل من وراء المراجع ومن غير موافقتهم »^(٣).

إذن دار التقريب حلقة في سلسلة التآمر الشيعي على أهل السنة والجماعة ؛ لتميع منهجهم ، والظعن في عقيدتهم ، وإضعاف الولاء والبراء عندهم ... لقد أرسل الشيعة دعاة كثر منذ أزمنة غابرة ومن ذلك^(٤)

١ - داعية ضلالة من دعائهم طعن في السنة وذكره السيوطي راداً عليه في رسالته « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة » .

٢ - جمال الدين الرافضي المسمى بالأففاني .

٣ - أبو عبد الله الزنجاني .

٤ - عبد الكريم الزنجاني .

٥ - محمد تقي القمي .

٦ - طالب الرفاعي الحسيني الملقب بـ « إمام الشيعة في جمهورية مصر العربية » .

ولقد استطاعت دار التقريب أن تنتزع فتوى من شيخ الأزهر محمود شلتوت تجعل للروافض نصيباً مفروضاً في الفقه وأصوله وتاريخه ومصطلح الحديث ورجاله في الأزهر^(٥)

ولقد يَسَّرَ اللَّهُ من وَقَفَ في وجه هذه الميوعة ، فلم يكن نصيبها إلا الحبر على

(١) « مجلة الأزهر » ، (٢٤ / ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٢) يشير إلى محمد تقي القمي .

(٣) « الحسيني أقواله وأفعاله » ، أحمد مغنية ، (ص ٢٧) .

(٤) انظر لزماماً « الخطوط العريضة » (ص ٨ - ٩) ، « نشأة التشيع وتطوره » (ص ٤

- ٦) ، ومجلة « الفتح » (١٧ / ٧٠٩) وكلها للعلامة محب الدين الخطيب رحمه الله .

(٥) انظر ملحق الوثائق (رقم ٣)

الورق .

ومن العجيب أن شيخ الأزهر يفتي بما تقدم بينما شيوخ الشيعة يفتون بعكس فتواه فلا يجيزون الدخول في المذاهب الأربعة^(١) .

لقد كانت دار التقريب عاملة ناصبة لرحمة أهل السنة عن دينهم ليدخلوا في التشيع .

ومن العجيب أن يتغنى شيوخ الإخوان بالتقريب على الرغم من استحالة ذلك ؛ لأن الأسس والقواعد التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية يتنافى مع أصول الدين في جميع مذاهبه وفرقه^(٢) .

فلماذا يصر شيوخ الإخوان المسلمين وقادتهم على موقفهم بعد سقوط هذه الدعاوى من عليائها ، وفسادها من عميق أصولها ؟! إنه لم يبق أمامنا إلى السبب الأول وهو تشابه مناهج الإخوان المسلمين مع الشيعة^(٣) .

ولذلك لا تستغرب حماس الإخوان المسلمين الشديد في تأييد ثورة الشيعة البائسة في إيران سنة ١٣٩٩ هـ ؛ فتنادوا مصبحين أن اغدوا على « قم » لتأييد آياتها ، وتقديم مراسم الطاعة لهم .

فقد أصدر التنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين بياناً هاك نصه^(٤) :

« بسم الله الرحمن الرحيم بيان : دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركات الإسلامية في كل من : تركيا ، باكستان ، الهند ، اندونيسيا ، أفغانستان ، ماليزيا ، الفلبين ، بالإضافة إلى تنظيمات الإخوان المسلمين المحلية في العالم العربي ، وأوروبا ، وأميركا إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة

(١) انظر ملحق الوثائق (رقم ٤) .

(٢) لقد قام الشيخ الداعية محب الدين الخطيب رحمه الله مقاماً حسناً في بيان ذلك ، فآلف الرسائل والكتب ومن ذلك كتابه الجامع الماتع « الخطوط العريضة » .

(٣) تقدم اعترافهم بذلك (ص ٢٢٨) .

(٤) مجلة المجتمع الكويتية ، عدد ٤٣٤ الصادر ٢٥ / ٢ / ١٩٧٩ م .

خاصة ، وقابل الإمام آية الله الخميني لتأكيد تضامن الحركة الإسلامية الممثلة في الوفد كافة وهي الإخوان المسلمون ، حزب السلامة التركي ، الجماعة الإسلامية في باكستان ، الجماعة الإسلامية في الهند ، جماعة حزب ماشومي في أندونيسيا ، جماعة شباب الإسلام في ماليزيا ، الجماعة الإسلامية في الفلبين . وقد كان اللقاء مشهداً من مشاهد عظمة الإسلام وقدرته في الوقت اللازم على إذابة الفوارق العنصرية والقومية والمذهبية . وقد اهتم الإمام الخميني بالوضع وأكد لهم أنه ظل دائم الثقة في منفاه بأن رصيده هو رصيد الثورة الإسلامية في العالم وهو كل مسلم موحد يقول : لا إله إلا الله ، ومكانها ليس إيران فقط ، ولكن كل دولة إسلامية يتجبر حاكمها على الدين الإسلامي ، ويتصدى لتيار حركته ، وأن الله الذي أكرم الخميني بالنصر على الشاه سوف ينصر كل خميني على شاهه . وقد أكد الوفد من جانبه للإمام الخميني إن الحركات الإسلامية ستظل على عهدتها في خدمة الثورة الإسلامية في إيران ، وفي كل مكان بكل طاقاتها البشرية والعلمية والمادية .

وبعد أن أدى الوفد صلاة الغائب على الشهداء ، عقد سلسلة من اجتماعات مع الدكتور إبراهيم يزدي نائب رئيس الوزراء والمساعد الشخصي للإمام الخميني والذي كان على صلة شخصية بأعضاء الوفد في المهجر وأثناء التحرك السري لتنظيم الإمام الخميني ضد قوات السافاك ، وقد ركزت هذه الاجتماعات على التنسيق والتعاون القادمين ، ثم زار الوفد رئيس الحكومة الدكتور مهدي بازركان في مقابلة خاصة ، ثم أعلن الوفد في مقابلة تلفزيونية مؤثرة الدعوة إلى يوم تضامن مع الثورة الإيرانية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وخارجه حيثما توجد الجاليات والتجمعات الإسلامية وتقام صلاة الغائب على شهداء الثورة الإيرانية بعد صلاة الجمعة يوم ١٦ / ٣ / ١٩٧٩ وإنا لندعو جميع العاملين في الحقل الإسلامي ، في كل مكان أن يذكروا هذا اليوم ، ويذكروا به ويجعلوا من صلاة الغائب فيه رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية ومصدّقاً لقول الإمام الخميني : إن رصيد الثورة الإسلامية في إيران هو كل مسلم موحد يقول : لا إله إلا الله .. الله أكبر ولله الحمد . الإخوان المسلمون « أ . هـ وأصدر الإخوان المسلمون في الأردن بياناً جاء فيه :

« إن قرار الإخوان المسلمين بتأييد الثورة الإسلامية في إيران قراراً ينسجم تماماً

مع شعارات الجماعة ومرتكراتها وتصورها الإسلامي الصافي ومرتكراتها الحركية التنظيمية .

كان من أولويات طموحات إمامنا الشهيد حسن البنا رحمه الله أن يتجاوز المسلمون خلافاتهم الفقهية والمذهبية ، ولقد بذل رحمه الله جهوداً دؤوبة للتقريب بين السنة والشيعة تمهيداً لإلغاء جميع مظاهر الاختلاف بينهما ، ولقد كان له في هذا السبيل صلات وثيقة بكثير من رجالات الشيعة الموثوقين كالإمام آية الله الكاشاني ، والشهيد الثائر نواب صفوي ، والإمام كاشف الغطاء في العراق وغيرهم ، ولقد رأى الإخوان المسلمون أن قيام الثورة الإسلامية في إيران يفتح الباب مجدداً لاستكمال ما بدأه الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه في محاولة تحقيق تغيير جذري ، في العلاقة بين السنة والشيعة » .

وقد قام وفد من جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بزيارة طهران والتقى برؤوس الشيعة هناك^(١) .

بل قامت جماعة الإخوان في الأردن بعقد مؤتمر حافل في المسجد الحسيني في عمان ، ولقد سمعت أحد محاضريهم يقول : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في إيران » .

وقال فتحي يكن : « وفي التاريخ الإسلامي القريب شاهد على ما نقول ألا هو تجربة الثورة الإسلامية في إيران هذه التجربة التي هبت لمحاربتها وإجهاضها كل قوى الأرض الكافرة ولا تزال بسبب أنها إسلامية وأنها لا شرقية ولا غربية »^(٢) .

وقام بعض مفكري جماعة الإخوان بتأليف كتاباً جمع فيه فتاوى شيوخ الإخوان ومواقفهم المؤيدة لثورة الشيعة سماه : « موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية » وهو يصور التوافق والتوادد بين الإخوان المسلمين والشيعة الروافض ولقد اهتم الرافضة بهذا الكتاب فطبعوه ووزعوه فقد جاء في المقدمة ما نصه :

الناشر : معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، الجمهورية

(١) « مجلة فلسطين » آذار ١٩٩١ م .

(٢) « أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي » (ص ١٤٨) .

الإيرانية ، طهران ، ص ب ١٣١٣ / ١٤١٥٥ .

المطبعة : سبهر ، طهران ، طبع منه : ١٥٠٠٠ نسخة .

التاريخ : الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

وكذلك أبدى الشيعة اهتماماً بـ « العدالة الاجتماعية » لسيد قطب لما فيها من طعن ببعض الصحابة كعثمان بن عفان رضي الله عنه وتنقص ببني أمية^(١) .
ومن المضحك المبكي أن المتورطين يقولون : إن شيعة اليوم ليسوا كشيعة الأئمة ، والخميني معتدل .

وهذه كتبُ الخميني تشهدُ بعكس ما يفترون ؛ فهذا الخميني يوثق كتاباً فيه دعاء لعنِ صنمي قريش وهما في اعتقاد الشيعة - أبو بكر وعمر - واتهماهما بتحريف القرآن الكريم .

والكتاب هو : « تحفة عوام مقبول جديد » وعلى غلافه توثيق الخميني^(٢)

ويفسر الخميني القرآن تفسيراً باطنياً فيقول مفسراً قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا رَسُولٌ كَذِبٌ ﴾ : « فقد أمر الله الرسول ﷺ برُدِّ الأمانة - أي الإمامة - إلى أهلها وهو أمير المؤمنين وعليه هو أن يردّها إلى ما يليه وهكذا »^(٣) .

ويأله الأئمة فيقول : « فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون .

وأن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل .

وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم في المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله »^(٤) .

(١) انظر مثلاً (ص ٢٧٥ - ٢٨٤) من الطبعة المحققة .

(٢) انظر ملحق الوثائق (رقم ٥) .

(٣) « الحكومة الإسلامية » (ص ٨١) .

(٤) المرجع السابق (ص ٥٢) .

فماذا أبقى الخميني لله رب العالمين ... إن ذرات هذا الكون لاتخضع إلا لله الواحد القهار .

والخميني ينفي السهو أو الغفلة عن الأئمة : « نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم ؛ لأن الأئمة الذي لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين »^(١) .

إن هذه العقائد هي عقيدة الغلاة باعتراف أئمة الشيعة قال محمد بن الحسن بن الوليد : « أول درجة في الثلو نفي السهو عن النبي ﷺ والإمام »^(٢)

وقال ابن بابويه القمي في كتابه الذي يعد أحد الأصول الأربعة المعتبرة عند الشيعة : « إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي ﷺ ... »^(٣) .

فالخميني من غلاة الشيعة باعتراف أئمة الشيعة ، والغلاة كفار في تصور آيات الشيعة ويستحقون اللعن : « اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل اسمه وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس »^(٤) .

وكذلك أفتى أهل العلم بكفر الغلاة :
قال عبد القاهر البغدادي : « وزعمت الغلاة من الروافض أن الأئمة أفضل من الانبياء »^(٥) .

وقال القاضي عياض : « وكذلك نقطع بتكفير غلاة الروافض في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء »^(٦) .

وقال شيخ الاسلام : « والرافضة تجعل الأئمة الاثنى عشر أفضل من السابقين

(١) المرجع نفسه (ص ٩١) .

(٢) « من لا يحضره الفقيه » (١ / ٢٣٤) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) « الصلة بين التصوف والتشيع » (ص ١٤٦) .

(٥) « أصول الدين » (ص ٢٩٨) .

(٦) « الشفاء » (٢ / ٢٩٠) .

الأولين من المهاجرين والأنصار ، وغلاتهم يقولون إنهم أفضل من الأنبياء »^(١) .
وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « وأمن اعتقد في غير الانبياء كونه أفضل
منهم أو مساوياً لهم فقد كفر وقد نقل على ذلك الاجماع غير واحد من
العلماء »^(٢) .

وهكذا يتضح للمنصف أن شيعة اليوم كشعبة الأمس بل أشد غلواً ، نعوذ بالله
من الخذلان .

رابعاً : الاستقطاب في التنظيم : ونتيجة حتمية لما سبق كان استقطاب الناس
من كل حدب وصوب هو الطريق الأمثل أمامهم والأكمل في تصوريهم ؛ ليتكاثروا
الناس من حولهم ؛ فتبصر أحدهم يدندن حول أفكار ابن عربي والحلاج : « ﴿ وهو
بكل شيء عليهم ﴾ علم الحقيقة الكاملة ، فحقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة
الإلهية وصادرة عنها ، فهي مستغرقة بعلم الله اللدني بها ، العلم الذي لا يشاركه
أحد في نوعه وصفته وطريقته مهما علم المخلوقون عن ظواهر الأشياء ا .

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب ، فما احتفاله بشيء في هذا الكون
غير الله سبحانه ، وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود حتى ذلك القلب إلا ما يستمدّه
من تلك الحقيقة الكبرى ، وكل شيء وهم ذاهب حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله
المنفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء .

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة ، فأما قبل أن
يصل لهذا الاستقرار فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها ، وتصور
مدلولها ، ومحاولة الوصول إلى هذه المدلول الواحد وكفى

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الإسمائية الكبرى ، وهاموا بها وفيها
وسلكوا إليها مسالك شتى .

وبعضهم قال : أنه يرى الله في كل شيء في الوجود .
وبعضهم قال : إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود .

(١) « منهاج السنة النبوية » (١ / ١٧٧) .

(٢) « الرد على الرافضة » (ص ٢٩) .

وبعضهم قال : رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود .
وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا
المجال ، إلا أن ما يؤخذ عليهم - على وجه الإجمال - هو أنهم أهملوا الحياة بهذا
التصور^(١) .

وثان متعصب متمذهب يرى أن الإسلام يساوي المذاهب الأربعة^(٢) ، وآخر
يصفق للشيعة الشيعية الأثنى عشرية لاعتنة الشيخين ، ومكفرة الصحابة وبياركةا .
« قام الإمام الشهيد حسن البنا بجهد ضخم على هذا الطريق ، يؤكد ذلك ما
يرويه الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه « الإخوان المسلمون كبرى الحركات
الإسلامية الحديثة » من أن بعض الطلاب الشيعة الذين كانوا يدرسون في مصر قد
انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين ، ومن المعروف أن صفوف الإخوان المسلمين
في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، وعندما زار نواب

(١) « في ظلال القرآن » ، سيد قطب ، (٦ / ٣٤٧٩) .

وهذه الفقرات ظلمات بعضها فوق بعض

أ - إطلاقه « الحقيقة الكبرى » على الله خطأ ؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة أو آثار
السلف الصالح .

ب - قوله : « استقرار هذه الحقيقة في القلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة » مبهم يشتبه
بأقوال أهل الحلول والاتحاد .

ت - مدحه للمتصوفة ومباركته لأقوالهم التي تفضي إلى وحدة الوجود تدل على جهله
بمبادئهم وعقيدتهم .

ث - حضره ما يُذكر على المتصوفة إهمالهم للدنيا وهم طلابها - وهل رَقَصَ القوم إلا
القيصع - وتناسى فكرهم وشرهم وقد مضى بيانه وتفنيده :

وهذه الميوعة في الألفاظ جعلت كثيرون يظنون بسيد قطب أنه يعتقد وحدة الوجود،
ولكنه رد على أهل الحلول والاتحاد والوحدة في كتابه : « خصائص التصور الإسلامي » ولكنه
شط به قلبه وخياله فوقع في الإيهام ، فكان ينبغي أن يعلم وهو يفسر كتاب الله أن التفسير غير
نظم الشعر أو كتابة النثر فالواجب على المفسر أن تكون عبارته محددة ودقيقة وجازمة وواضحة .
(٢) انظر فصل « التمدد » (ص ٢٢٢) من هذا الكتاب .

صفوي سوريا وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين ؛ اشتكى إليه الأخير أن بعض شباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية ، فصعد نواب أحد المنابر ، وقال أمام حشد من الشبان الشيعة والسنة : من أراد أن يكون جعفرياً حقيقياً فليتنظم إلى صفوف الإخوان المسلمين »^(١) .

بل إن الإخوان المسلمين شاركوا النصارى وأشركوهم في بعض اللجان : قال الدكتور عبد الفتاح محمد العويسي : « ولكي يدلل الإخوان المسلمون على عدم تعصبهم أشركوا معهم في عضوية اللجنة السياسية التابعة للإخوان المسلمين ، والتي انشئت في عام ١٩٤٨ م اثنين من النصارى هم : وهيب دوس ، و أخنوخ لويس أخنوخ »^(٢) .

وقال محمد حامد أبو النصر - المرشد الرابع - : « دعا أعضاء مكتب الإرشاد الذي قرر تشكيل لجنة سياسية عليا برئاسة وكيل الجماعة ، وعضوية سكرتير الجماعة ، وعضو من أعضاء مكتب الإرشاد ، وثلاثة من كبار الأقباط هم الأستاذ وهيب بك دوس المحامي ، والأستاذ لويس فانوس عضو مجلس النواب ، والاستاذ كريم ثابت الصحفي الكبير »^(٣) .

وبهذا يظهر أن جميع الناس لدى الإخوان المسلمين كان على حساب العقيدة والمنهج فهم يريدون الإسلام بأي اسم كان وبأي اسم خرج ، وهذا ما أكدّه الشيخ محمود محمد الصواف في « صفحات من دفتر ذكرياتي » : « والتقينا في مصر مع الإمام الشهيد رحمه الله وسألناه في الأمر ... فقال لنا : « سيروا مع الشيخ الصواف ... فهذا هو الصحيح ؛ لأننا لا تهمننا الأسماء إنما تهمننا الدعوة الإسلامية ، ويهمننا

(١) « موقف علماء المسلمين » (ص ١٥) .

وقول نواب صفوي المذكور يؤكد تشابه مناهج الطائفتين وتقارب فكر الفرقين كما مضى .

(٢) « تصور الإخوان المسلمون للقضية الفلسطينية » (ص ٢٣) .

(٣) « حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر » (ص ٣٣) .

الإسلام بأي اسم كان وبأي ثوب خرج»^(١) .

وأعلم - عَلَّمَكَ الله - أن التَّجَمُّعَ على مجرد مبادئ عامة ، وأفكارٍ غامضة ، ليس هو الطريق الفضلى بل من الواجب أن يسبق التَّجَمُّعَ الصحيح اتفاقٌ على أفكارٍ واضحة ، وفهمٍ كاملٍ شاملٍ للإسلام - وفي ضوء عقيدة الفرقة الناجية ومنهج الطائفة المنصورة - الذي نعملُ على عودته إلى مركز السيادة والقيادة والتوجيه .

إنه لا يجدي أبداً أن تجمع أشتاتاً من الناس ذوي اتجاهات متضاربة ، وآراء غامضة ، وأفكارٍ متناقضة ، في بنيانٍ واحد ؛ لأنه سرعان ما يدبُ الخلافُ بينهم ، ويحتدمُ النزاعُ ، ويشتدُّ الصراعُ ، فتأتي الفرقةُ بنيانهم من القواعدِ ، فيخزُّ عليهم السقفُ من فوقهم ، وذلك مهما عملت على تأخيرهِ وتأجيلهِ .

ودونك - أخي في الله - شهادةٌ من عصرنا الحاضر ، نطقُ بها مَنْ عايشها ، واكتوى بنايرها .

قال محمد قطب في كتابه « واقعنا المعاصر »^(٢) :

« وأخذت الدعوة مداها في حياة الإمام^(٣) الشهيد ، وانضمَّ إليها مئات الألوف من الناس .

كانوا نماذج شتى ، واتجاهات متعددة .

كان فيهم فريق من الصوفيين الذين ظنوا أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة صوفية جديدة متنوّرة ، تسير على ذات القاعدة الصوفية التي يعرفونها ، ولكنها خالية من البدع التي يقع فيها المنحرفون من الصوفية ، فرأوا أن أتباعها لا يخرج بهم عن طريقهم الذي ألفوه ، وفي الوقت ذاته لا يوقعهم فيما يُعاب على الصوفية من

(١) جريدة المسلمون ، العدد ٣٦ ، السبت ٢٨ المحرم - ٤ صفر ١٤٠٦ هـ الموافق ١٢

- ١٨ أكتوبر ١٩٨٥ م ، (ص ١٠ عمود ١) .

(٢) « واقعنا المعاصر » ، (ص ٤٠٥ - ٤٠٩) .

(٣) إصرارُ كُتّاب الإخوان على إطلاق هذا الوصف على شيخهم يدل على أنهم يرون

أنفسهم جماعة المسلمين ، وقد تقدم ما يدحض ذلك .

انحرافات .

وكان فيهم كثير من الشباب النظيف المتطهر ، الذي لم تلوثه موجة الفساد الكاسحة التي تفسد المجتمع ، وتلوثه بالدنس ، والذي اتخذ موقفاً محدداً من الحضارة الغربية : أن ينتفع بالنافع منها ، الذي لا يتعارض مع عقيدته وأخلاقه ، ولكنه يرفض مادية هذه الحضارة ، وتبذلها الأخلاقي ، وتحللها الجنسي ، واستحلها لكل ما حرم الله .

ولقد كان مثل هؤلاء الشباب موجودين في المجتمع ... لم تكن قد أكلتهم الدوامة ، ولا غلبتهم على نظافتهم وتطهرهم ... ولكنهم كانوا ضائعين ... كانوا أفراداً متناثرين ، لا يربط بينهم رابط ، ولا تجمع بينهم وحدة ... وكانوا قمينين ، أن يعيشوا في عزلتهم الضائعة ، تفنى فيها أعمارهم ، ولا يلتفت إليهم أحد ، إلا بالسخرية إن التفت ، ولا يحدثون تياراً في المجتمع ؛ لأنهم قطرات متناثرة مُزَاحَة من طريق السيل المتدفق ، فحسبها أن تقف في موقعها الذي أزيحت إليه ، حتى تفنى وتضيع ... ومن ثم لم يكن لهم - رغم وجودهم - وجود محسوس !

فالآن وجدوا أنفسهم !

لم يعودوا قطرات متناثرة مزاحة من الطريق ... إنما صاروا - في حس أنفسهم على الأقل - وجوداً محسوساً ، وجوداً مستقلاً متميزاً عن الدوامة الكاسحة ، مغايراً لها في الاتجاه ، تضغطه الموجة الكاسحة ، نعم ، ولكنها لا تفقده وجوده ، ولا تفقده تميزه ، ولا تفقده ترابطه ... بل تزيد .

ثم إنه ينمو ... نمواً سريعاً ... فتحس الموجة الكاسحة ضغطه ، وإن كانت لا تقف له ، ولا تأبه له ، ولا تكف عن الجريان من أجله ، ولكنها تحس بالضيق من وجوده !

وكانت هناك جماهير جاءت لتشبع وجدانها الديني ، وهي لا تعرف من الإسلام إلا ذاك الوجدان ! وكانت تجد في خطب الإمام الشهيد ودروسه من فيض الروحانية - وقد وهب الله له روحانية فياضة مشعة عميقة التأثير - ما يُشبع في نفسها وجدانها الديني ، فيشدنها إلى الجماعة ، فتمارس بعض نشاطاتها ، ولكن مطلبها

الأول هو إشباع ذلك الوجدان !

وكان فيهم كذلك مستنفعون من رجال الأحزاب السياسية القائمة يومئذ !
ظنوا أن هذا حزب سياسي جديد ، ينمو بسرعة متزايدة ... أو قطار جديد ، ينهب
الأرض نهباً ، وتزايد جماهيره ... فحدثتهم أنفسهم أن لعله يكون - بكثرة الجماهير
وترابطهم - أقرب من غيره في الوصول إلى الحكم ... فلا تفتهم إذن الفرصة ، ولا
يفتهم القطار !

وحين جاءت الضربة عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، فرت كثير من تلك الجموع
إلى غير رجعة !

فرّ المتصوفون ... فقد عرفوا - يقيناً - أن هذه الجماعة لم تكن جماعة صوفية
جديدة متنورة ، إنما كانت حركة جهادية ، يتعرض أصحابها لما يتعرض له المجاهدون
في التاريخ كله ؛ من القتل ، والتعذيب ، والتشريد ، والمطاردة ... وما لهذا كانوا قد
جاؤوا ، ولا عندهم احتمال له ، ولا اضطبار عليه ... فالنجاة النجاة من مخاطر
الطريق !

وفرّ المستنفعون ... فقد عرفوا - يقيناً - أن هذا القطار هو أبعد شيء عن
الوصول إلى كراسي الحكم ... وهم لهذا جاؤوا ، لا يعرفون غيره ، ولا يستهدفون
سواه ... فالفرار الفرار قبل أن يدمغوا دمه لا يستطيعون التخلص من عقابيلها فيما
بعد !

وفرت الجماهير ، فما عاد هناك ما يشبع وجدانهم الديني ، وهم لا يملكون
غيره ، ولا يعرفون من الإسلام غيره ، إنما هناك سجن ، وتعذيب ، وتشريد ، وتقتيل
... وما لهذا كانوا قد جاؤوا ، ولا عندهم احتمال له ، ولا اضطبار عليه ... فالهرب
الهرب قبل أن تعثر عليهم السلطات ، وتتهمهم بأنهم كانوا هناك !

وبقي الشباب النظيف المتطهر ... ومع ذلك لم يبق كله ... فما كان كله
يعرف من قبل عقابيل الطريق ... وما كان كله يقدر أن سيناله في الطريق شيء من
العذاب والتضحيات ! إنما كان يظن أنها سياحة طيبة في الجو النقي ، بعيداً عن
قذارات المجتمع الدنس الذي يعيش فيه ، فيها متاعبها الذاتية فحسب ، متاعب المحافظة

على الدين في وسط الفساد الكاسح .

إنما الذين بقوا داخل الجماعة بعد الضربة القاصمة كانوا هم الذين تربوا بالفعل على يد الإمام الشهيد ، والذين كان - في تقسيمه - يسميهم الإخوان العاملين^(١) ، وإن كان كثير من هؤلاء قد ظهرت عليهم فيما بعد آثار التعجل في التكوين والحركة ، التي سنتكلم عنها فيما بعد ...

فرت كثير من الجموع التي كانت تتخلق حول الإمام الشهيد في درسه الأسبوعي ، فتملأ المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين ، وقلأ الشوارع المتفرعة حوله ، حين رأوا أن الأمر ليس عرضاً قريباً ، ولا سفيراً قاصداً ، إنما هو جهاد وعذاب ؛ كما فرّت الجموع التي كانت تستقبل الإمام الشهيد كلما تنقل في مدن القطر أو في أريافه ، في رحلاته الدائمة التي لم يكن يفتر عنها « أ . هـ مختصراً أنه لا يفيدُ التجمع الصحيح في شيء أن تسعى لترضية هذا الاتجاه وذاك ، وأن تجاملَ هذا الشيخ وذاك ، لا بُدَّ من البحث عن الاتجاه السليم ، والصراط المستقيم ، والفهم الصائب ، والرأي الثاقب ، لتبنيه ، واعتناقه ، ودعوة الناس إليه ، وتجميعهم على أساسه ، ليس المهّم في التجمع الكثرة والكُم بل المهّم هو الاتجاه الصحيح والكيف ، ورحم الله القائل : « عليك بسبل الهدى وأن قلَّ السالكون ، وإياك وسبل الضلال وأن كثُرَ الهالكون » .

أليست من أوضح قواعد القتال : رَضُّ الصَّفِّ ، ووحدة الكلمة وإلا هُزِمَ الجَمْعُ وولى الدبر ، لذلك لا بُدَّ من جَمْعِ المسلمين أولاً على كَلِمَةٍ سواءٍ وعقيدة صافية واضحة ، ومن ثم التصدي للجاهلية الحيثة الماكرة وإلا كانت المعركة خاسرة والوجه بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة .

والجماعة التي هذه مواصفاتها يكثر فيها الانقسام والانشقاق ، وهكذا كان الإخوان المسلمون ، وإليك بعض الانقسامات والانشقاقات التي حدثت في وسط الجماعة .

(١) وهو ما سماه البنا « الجهاز الخاص » والذي تبرأ منه في آخر كلماته كما مضى

(ص ١٧٦) ، وانظر لزماماً (ص ٢٥٩) .

١ - انشقاق الاسماعيلية^(١)

٢ - انشقاق شباب محمد ﷺ^(٢) سنة ١٩٣٩ م

٣ - انشقاق عام ١٩٤٧ م بسبب فضيحة صهر المرشد الأول حسن البنا وسكرتيره العام عبد الحكيم عابدين الذي استغل سلطاته في انتهاك حرمة بيوت الإخوان وأعراضهم^(٣)

٤ - وتحدث سعيد حوى عن انشقاق كبير وسط الإخوان المسلمين في سوريا فقال : « وكانت الجماعة خارجة من انقسام خطير ، وانشقاق كبير ، ولا غرابة ، فإن أصوات النقد كانت تلقى آذاناً صاغية ؛ لكثرة الثغر ، والمناخ المساعد ، والأجواء الخارجية الضاغطة ، والتركيب التنظيمي للجماعة هش ، والمتسبون للجماعة أخلاط ، والجماعة ليست قادرة على صهرهم »^(٤) . أ . هـ

والجماعة التي تقوم على هذا الأساس الهش يسهل اختراق صفوفها وسيطرة المشبوهين على قيادتها ، وتأمل هذا الاعتراف الخطير الذي أدلى به أحد رموز الجماعة وقاديتها محمد الغزالي السقا :

« ثم جاءت المحنة الكبرى فقتل حسن جهرة لا اغتيالاً .. واقتيد خيرة إخوانه إلى المنافي والسجون ، وظل الإرهاب المسلط يجرعهم الغصص ويتوقع منهم الفتنة . حتى جاء نصر الله ، فانجابت الغمة وعدنا كما كنا أحراراً ..

أجل عدنا .. وما في نيتنا أن نبدل من منهاجنا شيئاً ! ولا أن نغير من سياستنا إلا ما يضاعف كراهيتنا للحكام المستبدين ! وياعد شقة اللقاء بيننا وبينهم أبداً الأبدين .

(١) « مذكرات الدعوة والداعية » ، (ص ١١٦ - ١٣٠) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٤٨) .

(٣) انظر لزماماً « الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية »

الدكتور زكريا سليمان يومي (ص ٢٨٤ - ٢٨٦) .

(٤) « هذه تجربتي وهذه شهادتي » (ص ٣٤) .

بيد أننا فوجئنا بالواقعة تتسرب إلينا .. وفوجئنا بالدخلاء على الجماعة يُغيرون سيرها ومنهجها .

ونظرت فإذا أناس لم يعذبوا في ذات الله يوماً ينادون طالبين الأمان !!
نعم إن الرجال الذين لم يدخلوا سجنًا ولم يَشَقُّوا في معتقل كانوا أول من رفع راية التسليم ، وقرر أن ينحني مقلداً اليد التي قتلت حسن البنا .
كان هؤلاء الجبناء - في حياة حسن البنا - يقبلون يده ظهراً وبطناً ، فلما ولى هرعوا إلى القصر الملكي ، يقيّدون أسماءهم في سجل التشريفات ، ويهادنون أعضاء الحزب السعدي ، وينظرون إلينا شزراً إذا سألناهم معاتبين ، أو جادلناهم محاسبين .

أرأيت ؟ كان شرف الدعوة التي قادها الإخوان المسلمون أنها خطر على الإقطاع الزراعي ، والافتيات الرأسمالي ، والاستبداد السياسي ، لأنها صدى الإسلام الصحيح . والإسلام الصحيح لا يبقى حيث تسود وتتوغل هذه المفاصل الشائنة ..
غير أن حفنة من الملتحقين بالركب الإسلامي شاءت أن تعكر هذا كله ، وأن تجعل حصاد ربع قرن هشيماً تذروه الرياح :

أي أن الإخوان الأصلاء نجحوا في الحنة التي محصت معدنهم ، فلما عرّ علي الشيطان أن يرحلهم قيد أئمة دس عليها من يلوى زمامهم عن الجادة ويجهد عبثاً ليضلل فقههم للإسلام وجهادهم من أجله .

ومن ثم ينجح حيث فشل السعديون واليهود والإنجليز وغيرهم . وماذا بعد أن يضطرب مسلك الإخوان في نصرة المثل العليا التي كانوا أول من هتف بها ، وحدا الشعب إليها .. ؟

ومن حقلك أن تتساءل : ما الذي عرض جماعة كبيرة كالإخوان المسلمين لهذا الاضطراب الفادح ؟

ما الذي جعل زمامها يقع في يد هذه القيادة الواهنة ؟ ما الذي عجل بكيانها إلى المصير الكابي ؟

والإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى شرح طويل ، غير أنني أوجز هنا ما أراه

مناسباً لكتابنا :

إن الخلل في الجماعة كان يندرك لما اتجهت إلى القاعدة ، وكان يكثر كلما اتجهت إلى القمة .

إن الجمهور الطيب كان حسن الإيمان صادق الوجهة ، لكن أجهزته العليا تطرق إليها أغلب ما في المجتمع المصري من علل ، فلم تتشكل وفق منطق الإيمان ، ولم تتحرك بدوافعه النقية .

كانت المجموعة من الإخوان تتألف في القرية أو في المدينة ، فيستطيع أي رجل غني أو قوي أن يكون في صدارتها ، وأن يتجاوب معها قليلاً لتتجاوب هي معه كثيراً .

وقد تعرض المركز العام نفسه لهذا الخلل ، فتولى أمانة الجماعة رجل ليست له الصلاحية النفسية أو الفكرية لأي مركز قيادي في دعوة مكافحة ، كان تأثير هذا الشخص غريباً في تقريب الجماعة من القصر الملكي ، واصطدمت بتيارات شعبية واسعة النفوذ .

ولم تكن للإسلام أدنى فائدة من هذه الخصومات ، بل لقد عادت عليه بضرر شديد .

ولا غرو .. فإن أعيان القرى وأقرباء الباشوات ترتبط أحوالهم بمصالحهم قبل أي شيء آخر .

وينضم إلى هذا الخلل أن الأيام التي اتسعت فيها دائرة الجماعة كان الشعب المصري في جملته قد توزعته الأحزاب الكبرى ، والتحققت أعداد هائلة من المحامين والأطباء بها .

فإذا نظرنا إلى من انضم إلى الجماعة من هذه الفئات وجدنا نسبة الكفاية الفنية والخلقية تنذبذب فوق الصفر .

بل إن الإخوان أنفسهم اضطروا في أغلب قضاياهم السياسية ، أو فيها كلها إلى توكيل محامين لا ينتسبون إلى جماعتهم .

ومع هذا الفقر المدقع في الكفايات ، فإن سبعة أو ثمانية من الحقوقيين الفاشلين

كانوا هم الذين يسكون بزمام الجماعة في عدة مجالات حساسة ، وكذلك الشأن في بقية أنحاء النشاط الأخرى .

وقد بدأ هذا الداء مبكراً من عهد الأستاذ حسن البنا نفسه .

فقد مرت بهذا الرجل العظيم ظروف جعلته يختار معاونين الأوائل له على أساس الكفاية العادية أو الضعيفة إذا صحبها التفاني في الدعوة والإخلاص للقيادة ، فهي أجدر بالحفاوة من الكفاية الخارقة إذا ضعفت علاقاتها بشخص القائد . ولعل السر في هذا المسلك تخوف الرجل من الانشقاقات التي تهز كيان الجماعة ، وتعرضها للتلاشي ، ثم إيمانه المطلق بأن كفايته الضخمة ستكون مدداً دافعاً وراء كل رجل من رجاله المقربين .

وكان حسن البنا من طراز فريد في دأبه ونصبه ، وكانت ثروته الطائلة من المواهب المتعددة تجعله بالفعل المالك الأوحد لزمام التوجيه والتنفيذ في شئون الجماعة ، فلم يشعر أحد بفراغ الميدان من الرجولات المقتدرة في الصف الأول من جماعة الإخوان المسلمين إلا يوم قتل حسن البنا في الأربعين من عمره

لقد بدأ الأقزام على حقيقةهم بعد أن ولي الرجل الذي طالما سد عجزهم . وكان في الصفوف التالية من يصلحون بلا ريب لقيادة الجماعة اليتيمة ... ولكن المتحاقدين الضعاف من أعضاء مكتب الإرشاد حلوا الأزمة ، - أو حلت بأسمائهم الأزمة - بأن استقدمت الجماعة رجلاً غريباً عنها ليتولى قيادتها . وأكد أرقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدوير النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذه حالها وصنعت ما صنعت .

ولقد سمعنا كلاماً كثيراً عن انتساب عدد من « الماسون » بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان^(١) ، ولكني لا أعرف بالضبط كيف

(١) إن الاتهام بالعمالة للجمعيات المشبوهة والحكام الظلمة والتراشق بذلك موجود بين قيادات جماعة الإخوان المسلمين ؛ فمحمود عبد الحليم في كتابه « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » (٣ / ٢٢٣ - ٢٢٥) ، وعباس السيسي في كتابه : « في قافلة الإخوان المسلمين » (٢ / ١٤٤ - ١٤٥) يتهمان محمد الغزالي بأنه يكذب ، وبالعمالة لجمال عبد الناصر - العبد الخاسر - عميل الأمريكان كما زعموا (١)

استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته .

وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة .
وكان الأستاذ حسن البنا نفسه ، وهو يؤلف جماعته في العهد الأول ، يعلم أن الأعيان والوجهاء وطلاب التسلية الاجتماعية الذين يكثرون في هذه التشكيلات لا يصلحون لأوقات الجد .

فألف ما يسمى بالنظام الخاص ، وهو نظام يضم شباباً مدربين على القتال ، كان المفروض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من إنكليز ويهود .
وقد كان هؤلاء الشبان الأخفياء شراً وبيلاً على الجماعة فيما بعد ، فقد قتل بعضهم بعضاً ، وتحولوا إلى أداة تخريب وارهاب في يد من لا فقه لهم في الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام .
وقد قال حسن البنا فيهم - قبل أن يموت - إنهم ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين^(١) .

ولكنه بعد أن مات وبعد أن أمسك بزمام الدعوة كلها أشخاص آخرون ، نظرنا فإذا الموازين كلها تنقلب رأساً على عقب .

كان السيد حسن الهضيبي رجلاً ملكي النزعة والوجهة .

فلما خان الملك فاروق الشعب المصري المكافح لإخراج الإنكليز ، وأسقط الوزارة التي أعلنت عليهم الحرب وجاء بالسيد حافظ عفيفي باشا على أنقاض الجهاد المطعون في ظهره .. ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكي مهتماً ، وصدرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء !

أي هدوء ؟ هدوء التسليم بالخيانة ، والإهدار لكفاح الأمة وأمانيتها ؟ ذاك ما صدرت به الأوامر ، وباسم السمع والطاعة يجب الانقياد له .. وهيئات لئلى أن ينقاد يجب أن ألقى شعاعاً على الوضع كله ، ليعرف الإخوان الحيارى أين يضعون أقدامهم .

(١) انظر لزماماً (ص ١٧٦ و ٢٥٤) .

ولو كان في ذلك التعرض للقتل ! ممن السلاح ولا يملكون العقل .
وغلبنى السخط على ذلك العمل الشاذ ، إنقاذاً لكرامة الإسلام ودعوته
أن أصور الموقف الذي يجب أن يقفه الإخوان ن فنحن لا نتبع ملكاً خائناً ،
ولا نؤيد سياسة غادر .

ومن ثم نشرت بجريدة (المصري) في (٣١ / ١٢ / ١٩٥١ م) كلمة تحت
عنوان : لن تبلغ أمة هدفها إلا إذا نظمت جبهتها الداخلية .

ماذا في ذلكم البيان يغضب السيد حسن الهضيبي ؟ لقد نار ، وضاق وجاءني
في بيتي الأستاذ عبد العزيز كامل ، والأستاذ خميس حميده وهما من أعضاء مكتب
الارشاد ليخبراني بأن هذا المسلك الفردي منتهى بي إلى الانسلاخ عن الجماعة !
إن الأوامر صادرة بأن يكون حديث الإخوان في هذه الظروف متناولاً
لموضوعات أخرى .. موضوعات تتفق مع رغبة القصر الملكي طبعاً في ترضية الأمة
بإحباط جهادها ، ووأد نظامها الدستوري .

ويؤسفني أن تنشر جريدة المصري رداً عليّ باسم المرشد العام أشرف على كتابته
سعيد رمضان وسيد قطب ، وكان الرد خواء من أي شيء واضح ، أو حاسم ، إنه رد
وكفى ، ومبعث أساي أن الأستاذ سيد قطب ما كان ينتظر منه أن يشارك في هذا
العمل ، ولكنه استدرج وخضع ويغفر الله له ، أما سعيد هذا فقد انطلق يخدم ساداته
خدمة هائلة ويجهده أن يجعل من الدين أفيوناً للشعب حتى ينام ، ولا يشعر في
غفوته إلا بالأحلام .

كانت البلاد كلها تصحو وتغفو على الأنباء المزعجة الآتية من منطقة القناة ،
وعلى ضرورة الإعداد السريع لما قد يتمخض عنه المستقبل ، ولكن المتحدث باسم
الإسلام وضع سياسة الكلام في المركز العام للإخوان المسلمين فإذا هي (غلل القلوب
 وأنواعها ! معرفة الله ! تربية النفس للوصول إلى حضرة القدس !) .

ووقف في المحراب الخميس - وهذا تعبير نستعيره من الأستاذ النابه سعيد
رمضان - وقف إنسان مسكين يربط عباد الله بالإسلام فيلخص لهم باباً من إحياء
العلوم للغزالي ، وآخر من وحي القلم للرافعي ، مع محفوظات من خطب الإمام

الشهيد حسن البنا ، ومنقولات أخرى من جبران خليل جبران وغيره ، وذهينا نستمع إلى التوجيه الجديد ، فكان - ومنطقة القناة يسودها الفزع ، والقصر الملكي يريد إرضاء الانجليز بأي ثمن ، والحكومة القائمة لا تدري ما تصنع - كان هذا التوجيه تخويفاً من مداخل الشيطان إلى القلب ، وتعريفاً بالله ، أذكر أنني سمعت فيه هذه الآيات :

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
غصون من لجين ناظرات بأطراف هي الذهب السبيك
على قصب الزبرجد شاهدات بأن السله ليس له شريك
ومع أنني لا أقول الشعر إلا أن السخرية غلبتني وأنا أشهد هذه المأساة أو هذه المهزلة فقلت متندراً :

افيضوا في التصوف واخذعونا فهذا ما يُسر به الملوك
وذلك لأن صرف الأذهان والمشاعر عن منطقة القناة وما فيها كان الأمل الأكبر للملك فاروق ورجاله ، إلا أن الدين ما كان يليق أن يلعب به على هذا النحو وقد اشمأز جمهور الإخوان من هذه الخطب ، ومشت مجلة الدعوة في طريقتها تقاوم وتهاجم الاستعمار الداخلي والخارجي ، وحرف الوعي الإسلامي حيل الجبناء ومدورة المخادعين وأبى أن ينستمع للخطباء الذي يحرفون الكلم عن مواضعه ويريدون تسخير الدين في خدمة المستبدين .

من ذا ينكر أن معرفة الله أساس الدين ؟ وأن صلاح القلب ملاك الأدب ؟ ولكن إذا كنت متديناً وجاءك الغريم يتقاضاك حقه ، فما معنى أن تلويه عن غرضه بمحاضرة طويلة في التصوف والزهد ؟ إذا كانت للباطل صورة سمجة ، أفتظن للحق الذي يراد به باطل صورة مستحبة ؟

في بعض الأقطار التي تدين بالإسلام لا تزال نظم الحكم أسوأ ما عرف العالم ، فالفرعونية الحاكمة والقارونية الكانزة كلتاها تنشب مخالبتها في عنق الشعب العاني المهين . وفي أيام قرية ذهب داعية كبير إلى هذه البلاد ، واجتمع الناس حوله يستمعون منه الحكمة وفصل الخطاب .

واجتمع الجياع الحفاة يسمعون صوت الإسلام من رجله المرموق (!) فإذا ...
بمحاضرة تستغرق الساعتين عن ... غزوة الحديبية .
ووقف الخطيب في المحراب الخسيس - ولا بأس من استعارة التعبير مرة أخرى
من صاحبه المتصوف الجليل - وقف ليتملق حكام البلد المحروب ويزجي لهم الشاء
ويوزع عليهم البسمات .

وفي هذه المحارب الحسيسة خسر الإسلام معارك ميسورة النجاح لأن الذي
يحارب الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي رجل متكبر طائش يجب أن يفصل من
الجماعة لماذا لأنه يعيش في محراب نفسه !

أما الذين هادنوا الظلم وساروا في ركب الملوك ، وحملت أبدانهم وبطلونهم من
هدايا القصور السادرة ، فهم أهل المحارب الطاهرة .

إننا لم نسكت بداهة على هذا التحول المريب ، وعندما تأتي ساعة الحساب
سنذكر ما قلنا وما قيل لنا ، وسنذكر ما ترك لنا وما أنكر علينا ، ويومئذ تبيض وجوه
وتسود وجوه .

ولست براغب الآن في سرد قصة معينة ولا اسم معين ولست بمتحدث كذلك
عن الخسائر الباهظة التي لحقت الدعوة منذ عامين في ميادين شتى .

هممت - غير مرة أن أطوى هذا الذي كتبته في السمع والطاعة بعد الأحداث
الجسام التي قرعت أنباؤها الآذان ، وأغنت مرارتها عن كل تبيان .

لكني آثرت أن أزوِّجها كما وقعت في إبانها لأمر :

منها إنصاف الحقيقة العارية ، وذكرها للتاريخ العدل .

فلعل المتأمل فيها بعد انقضائها يجد فيها معاني لا تُذكرها - نحن المعاصرين
لها - .

ومنها قمع الغرور الذي يستولي على أغلب العاملين في البيئات الدِّينية ، فيشتطُّ
بهم بعيداً عن مرضاة الله وعن إقناع العقلاء « ^(١) أ . ه باختصار يسير

(١) « من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث » محمد الغزالي (ص ٢٢٢ -

. (٢٢٣)

هذه عجالة حول جماعة الإخوان المسلمين في المنهج والعقيدة والتكوين ولن
أنس مواقفهم التي يتغنون بها ويتفاخرون ويتكاثرون :

أولاً : السياسة :

إن تاريخ الإخوان المسلمين يمثل الفشل السياسي بكل أنواعه وصوره وأبعاده ،
فقد استطاع الضباط الأحرار أن يمتطوا هذه الجماعة حتى وصلوا إلى الحكم^(١) بل
قالوا : إن سيد قطب كان ميرابو^(٢) الثورة ... ثم كان ما كان (!)
وقس على ذلك ما حدث لهم في العراق وسوريا وغيرها من البلدان ... فهم لا
يزالون طليعة الفشل السياسي حتى يوم الناس هذا .

وأما مطالبتهم بالحكم الإسلامي فمن دقق النظر فيما كتبوه أو قالوه يرى أنهم
يرون الوصول للحكم الإسلامي عن طريق الديمقراطية والتعددية السياسية .

قال حسن البنا : « إن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي
تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها ، وعلى الشورى ، واستمداد
السلطة من الأمة ، وعلى مسؤولية الحكام أمام الشعب ، ومحاسبتهم على ما يعلمون
من أعمال وبيان حدود كل سلطة من السلطات هذه الأصول كلها يتجلى للباحث
أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم ، ولهذا
يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة
في العالم كله إلى الإسلام ، وهم لا يعدلون به نظاماً آخر »^(٣) .

وقال فريد عبد الخالق أحد قادتهم : « إننا نريد تحقيق الديمقراطية وعودة الحياة
النيابية » و « الديمقراطية لا بديل لها »^(٤) ، و « إن تغيير مسار المجتمعات لا يمكن أن
يتم إلا في جو من الحرية والديمقراطية يسمحان بازدهار المفاهيم الصحيحة »^(٥) .

(١) وانظر ما كتبه قادة الإخوان المسلمين في العراق والأردن والسودان في كتيب
أصدروه سنة (١٩٥٤ م) بعنوان « حتى يعلم الناس » .

(٢) الرجل الذي مهد للثورة الفرنسية ، وانظر لزماً : « سيد قطب الشهيد الخي » (ص

١٣٨ - ١٤٢) .

(٣) « حسن البنا مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة » (ص ٦٠) .

(٤) « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » (٣ / ٢٧) .

(٥) المرجع السابق (٣ / ٢٨) .

وقال الدكتور يوسف القرضاوي : « والواجب على الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة أن تقف أبداً في وجه الحكم الفردي الديكتاتوري ، والاستبداد السياسي ، والطغيان على حقوق الشعوب ، وأن تكون دائماً في صف الحرية السياسية المتمثلة في الديمقراطية الصحيحة غير الزائفة »^(١) .

وصرح الهضيبي خليفة البنا فقال : « ان الشيوعية لا تقاوم بالقوة ، ولا بالقوانين وأنه لا مانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر ، وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التي تسلكها البلاد »^(٢) .

وطبق البنا ذلك عملياً فقد رشح نفسه للبرلمان مرتين^(٣) وهذا التوجه السياسي الخاطيء جعلهم يعتقدون أحلافاً مع أحزاب علمانية ففي مصر تحالفوا مع الوفد وغيره ، وكذلك صنعوا في اليمن والأردن وقد كتب محمد قطب ردّاً عليهم ضمنه كتابه « واقعنا المعاصر » فليُنظر^(٤) .

ثانياً - قضية المسلمين في فلسطين

عقد محمود عبد العظيم فصلاً تحت عنوان : « في قضية فلسطين » في كتابه « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ »^(٥) وتحدث عن لجنة أمريكية بريطانية مشتركة من أجل قضية فلسطين ، وقد حضر حسن البنا اجتماعاً لها في مصر وألقى كلمة قال فيها : « والناحية التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية ، لأن هذه النقطة ، قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي ، ولهذا فإنني أحب

(١) « أولويات الحركة الإسلامية » (ص ١٥٦) .

(٢) « الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » (٣ / ١١٠) .

(٣) « حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه » (ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٤) انظر غير مأمور كتابي « الثبات على الإسلام » ففيه تنفيذ للمهاة الشعوب وخطة

إبليس ، وانظر مجلتنا « الأصالة » (عدد ٢ ص ١٦ و ٤ ص ١٥) .

(٥) (١ / ٤٠٩) ، وانظر لزماً : « حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية » (ص

٢٨٨) .

أن أوضحها باختصار : فأقرر إن خصومتنا لليهود ليست دينية ، لأن القرآن الكريم حَضَّ على مصافتهم ومصادقتهم ، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية ، وقد أتى عليهم ، وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود ؛ تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية ، فقال تعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ .

إن كلام البنا يهدم ولا يبني ؛ يهدم عشرات الآيات الدالة دلالة قطعية على أن عداوة اليهود دينية منها : ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً ﴾ [النساء : ١٠١] ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ [المائدة : ٨٣] ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عند يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩٠] .

إن اليهود من أعدى الناس للمؤمنين ، وهم أشد الخلق ، والدعوه إلى الله بالحسنى ليس خاصه باليهود بل هي عامة ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] وقوله تعالى الذي استدل به البنا : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] من باب التنبيه وليس الحصر .

وتأمل أيها المصنف هذا الخطاب الذي وجهه البنا إلى حاخامات الطائفة اليهودية المصرية : « خطاب من المرشد العام إلى حاخام وكبار الطائفة الاسرائيلية : تحية طيبة وبعد : فقد قرأت بـ « جريدة أخبار اليوم » و « جريدة الزمان » أمس أن الحكومة المصرية قد اتخذت التدابير اللازمة لحماية ممتلكات اليهود ومتاجرهم ومساكنهم ... إلخ ، فأحببت أن أنتهز هذه الفرصة لأقول :

إن الرابطة الوطنية التي تربط بين المواطنين المصريين جميعاً على اختلاف أديانهم في غنى عن التدابير الحكومية والحماية البوليسية ، ولكن نحن الآن أمام مؤامرة دولية محكمة الأطراف ، تغذيها الصهيونية ؛ لاقتلاع فلسطين من جسم الأمة

العربية ، وهي قلبها النابض .

وأمام هذه الفورة الغامرة من الشعور المتحمس في مصر وغير مصر من بلاد العرب والإسلام ، لا نرى بداً من أن نصارح سيادتكم وأبناء الطائفة الإسرائيلية من مواطنينا الأعزاء بأن خير حماية وأفضل وقاية أن تتقدموا سيادتكم ومعكم وجهاء الطائفة ، فتعلنوا على رؤوس الأشهاد مشاركتكم لمواطنيكم من أبناء الأمة المصرية مادياً وأدبياً في كفاحهم القومي الذي اتّخذوه مسلمين ومسيحيين لإنقاذ فلسطين ، وأن تبرقوا سيادتكم قبل فوات الفرصة لهيئة الأمم المتحدة والوكالة اليهودية ولكل المنظمات والهيئات الدولية والصهيونية التي يهملها الأمر بهذا المعنى ، وبأن المواطنين الإسرائيليين في مصر سيكونون في مقدمة من يعمل على الكفاح لإنقاذ عروبة فلسطين .

يا صاحب السيادة !

بذلك تكونون قد أدّيتم واجبيكم القومي كاملاً ، وأزلتم أي ظل من الشك يريد أن يلقيه المفرضون (!) حول موقف المواطنين الإسرائيليين في مصر ، وواسيتم الأمة كلها والشعوب الإسلامية في أعظم محنة تواجهها في تاريخها الحديث ، ولن ينس لكم الوطن والتاريخ هذا الموقف المجيد ، وتفضلوا بقبول فائق احترامي . حسن البنا (١) .

إنها دعوة إلى القومية التتنة والوطنية الزائفة ، أنها مخاطبة للمغضوب عليهم بلفظ السيادة وهذا يغضب الله .

هذه هي جماعة الإخوان المسلمين من داخلها وباعتراف أكابرها فلذلك لا يخذعنكم يا شباب الإسلام الضّجيج وهل تاريخ هذه الجماعة إلا ضجيج ؟ ولا تغرنكم كثرة الأصابع المرفوعة فقد تبين الصبح لذي عينين ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر .

(١) « في قافلة الإخوان المسلمين » عباس السبيعي (١ / ١٩٤) .

حزب التحرير

نبذة تاريخية : مؤسس حزب التحرير هو الشيخ تقي الدين بن إبراهيم النبهاني وُلد في قرية « إجزم » جنوب مدينة حيفا سنة (١٩٠٩ م) ، وتأثر بجده لأمه الشيخ يوسف اسماعيل النبهاني وهو المعروف بصوفيته وعدائه للسلف الصالح يدل على ذلك بعض آثاره التي تركها مثل : « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » حيث كان متأثراً بالمعتقدات الصوفية التي تبناها السلاطين العثمانيين ، وقد رذَّ عليه الشيخ محمود شكري الألوسي في كتب منها : « غاية الأمان في الرد على النبهاني » .

ثم التحق بالأزهر ثم عمل قاضياً في المحاكم الشرعية وأصبح سنة (١٩٥٠ م) عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية ثم استقال ليرشح نفسه في البرلمان الأردني نائباً عن منطقة القدس لكنه لم يفز ، ثم عمِل مدرساً في الكلية العلمية الإسلامية وفي سنة (١٩٥٢ م) تقدم بطلب رسمي لوزارة الداخلية الأردنية للترخيص لحزبه المسمى حزب التحرير الإسلامي لكنه قوبل بالرفض ومن بعدها والحزب يمارس النشاط الحزبي السري .

وعاش الشيخ تقي الدين النبهاني حتى سنة (١٩٧٧ م) حيث توفي في لبنان ثم تولى قيادة الحزب عبد القديم زلوم .
والآن ننظر في عقائد الحزب وأفكاره ومنهجه في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم .
أولاً - قضية الفكر وثمارها : يرى حزب التحرير أن إعادة الثقة بأفكار الإسلام عن طريق التثقيف والسياسة ومناقشة الأفكار المطروحة والإجابة على الأسئلة ورصد الحوادث والوقائع وجعلها ناطقة بصحة أفكار الإسلام وأحكامه وصدقها سيؤدي إلى حصول الثقة التامة لدى الناس بذلك ، وتكوين أمة تنبت رجالاً يقيمون الحكم الإسلامي^(١) .

(١) انظر : « مفاهيم سياسية لحزب التحرير » (ص ٨٧) ، و « الخلافة » (ص ١٥٨)

و « نداء حار » (ص ٩٦) .

ولذلك أعرض عن مسألة الأخلاق وجعلها لا تُكُونُ أُمَّةً ولا تنهضُ عَثْرَةً .
قال نقي الدين النبهاني : « وقامت إلى جانب الجمعيات الثقافية والخيرية
جمعيات أخلاقية تعمل لنهضة الأمة على أساس الأخلاق بالوعظ والإرشاد
والمحاضرات والنشرات على اعتبار ان الخلق هو أساس النهضة ، وقد بذلت في هذه
الجمعيات جهودٌ وأموالٌ ولكنها لم تكن لها نتائج هامة ، ونفست عاطفة الأمة بهذه
الأحاديث المملولة المكررة المبتذلة !

وقد كان قيامُ مثل هذه الجمعيات مبنياً على الفهم المغلوط لقوله تعالى مخاطباً
الرسول ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ مع أنه وصفٌ لشخص الرسول وليس
للمجتمع ، ولقوله عليه السلام : « إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق » ، ولقوله عليه
السلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، مع أن هذين الحديثين وأمثالهما مما
يتعلق بصفات الفرد لا بالجماعة - مبني كذلك على قول الشاعر :

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإن هم ذهبَ أخلاقُهم ذهبوا

مع أن الأمم لا تكون بالأخلاق ، وإنما تكونُ بالعقائد التي تعتقها وبالأفكارِ
التي تحملها ، وبالأنظمة التي تطبقها » (١) .

وقال أيضاً : « والاخلاق لا تؤثر على قيام المجتمع بحال ، لأن المجتمع يقوم على
أنظمة الحياة ، وتؤثر فيه المشاعر والأفكار ، وأما الخلق فلا يؤثر في قيام المجتمع ، ولا
في رقيه أو انحطاطه ، بل المؤثر هو العرف العام الناجم عن المفاهيم عن الحياة ،
والمستقر للمجتمع ليس الخلق ، وإنما هي الأنظمة التي تُطبق فيه ، والأفكار والمشاعر
التي يحملها الناس والخلق ذاته ناجم عن الأفكار والمشاعر ونتيجة لتطبيق النظام .

وعلى ذلك فلا يجوز أن تحمل الدعوة إلى الأخلاق في المجتمع ، لأن
الأخلاق نتائج لأوامر الله ، فهي تأتي من الدعوة إلى العقيدة ، وإلى تطبيق الإسلام
بصفة عامة ، ولأن في الدعوة إلى الأخلاق قلباً للمفاهيم الإسلامية عن الحياة ، وإبعاداً
للناس عن تفهم حقيقة المجتمع ومقوماته ، وتخديراً لهم بالفضائل الفردية يؤدي إلى
الغفلة عن الوسائل الحقيقية لرفي الحياة . ولهذا كان من الخطر أن تجعل الدعوة
الإسلامية دعوة إلى الأخلاق ، لأنها توهم أن الدعوة الإسلامية دعوةٌ لخلقية ،

(١) « التكتل الحزبي » ، (ص ١٨) .

وتطمس الصورة الفكرية عن الإسلام ، وتحول دون فهم الناس له ، وتصرفهم عن الطريقة الوحيدة التي تؤدي الى تطبيقه وهي قيام الدولة الإسلامية ^(١) .

وقال : « والحاصل : أن الأخلاق ليس من مقومات المجتمع بل هي من مقومات الفرد ، ولذلك لا يصلح المجتمع بالأخلاق ، بل يصلح بالأفكار الإسلامية والمشاعر الإسلامية وتطبيق الأنظمة » ^(٢) :

إن الأخلاق الفاضلة من عناصر بقاء الأمم عزيزة قوية .

ورحم الله أحمد شوقي القائل :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لذلك فالأخلاق تؤثر على قيام المجتمع سلباً وإيجاباً ، لأن الأخلاق أصل تقوم عليه أوامر الله في النفس البشرية ، فإذا طوّعت هذه النفس على الخلق الكريم والسلوك القويم فإنها لا شك رغبة في تعظيم شعائر الله والتزام منهجه ، ومن أصدق من الله حديثاً فهو القائل : ﴿ ذلك ومن يُعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج : ٣٢] .

والأخلاق الكريمة صلب الشريعة ، وجماع الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ ، فلا بُدَّ من تحقيقها في النفس المسلمة حتى تُفلح ، وتقوم على أمر الله .

وحسبك أن تعلم في هذا المقام الكريم أن الله سبحانه وتعالى بين آياته وفصلها للناس لتستقيم على محاسن الأخلاق وصالحها فقال : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١١٧] ، وقال جل ثناؤه : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [طه : ١١٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٨] .

ولما كانت هذه الحقيقة سنة كونية شرعية ؛ فإن جميع المرسلين دعوا أقوامهم إلى تحقيقها :

(١) « نظام الاسلام » (ص ١١٤ - ١١٥) .

(٢) المرجع السابق ، (ص ١١٩) .

فهذا نوح عليه السلام أول رسول إلى الناس يخاطب قومه كما أخبر عنه الله جلّ جلاله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [الشعراء : ١٠٥ - ١١٠] .

وهذا هود ينذر قومه بالأحقاف قائلاً كما أخبر عنه الله عزّ وجلّ : ﴿ كَذَّبَتْ عادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آتِيةً تَغِيْبُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ لَتَكُنَّ مَخْلَدُونَ . وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٢٣ - ١٣٥] .

وكذلك صالح ولوط وشعيب وجميع المرسلين عليهم الصلاة والسلام .
وربّ قائل يقول : هذه آياتٌ تحضُّ على التقوى فما بال الأخلاق قد حشرت في معناها ؟!

إن التقوى هي معيّن الأخلاق الفاضلة تمّدها فترى غَضّة طرية في حياة المؤمنين ، فالقد كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً ، وأتقاهم لله وأعلمهم به ، وبذلك تكون الأخلاق الطيبة هي التقوى التي يراها المؤمنون خيراً ونماءً وبركةً في حياة المجتمع الربّاني ، وأصلها ثابتٌ في قلب المؤمن الذي يغذيها بخشية الله في السرّ والعلن .
ولله در معروف الرصافي القائل :

هي الأخلاقُ تنبُتُ كالنباتِ إذا سقيت بماءِ المكرمات
لذلك ينبغي على كل داعية إلى الله على بصيرة أن يولي قضية الأخلاق اهتماماً كبيراً - ولكن ليس على حساب العقيدة والفقه - والمرني الناجع من أعطى كل ذي حقّ حقه .

ومما يؤكد هذه البدهية « إنما بعثُ لأتمم مكارمَ (وفي رواية : صالح) الأخلاق » ^(١) حيث بيّن رسول الله ﷺ أن إحدى مهماته هي إرساء قواعد مكارم الأخلاق ، وإتمام صالحها ، وبيان معاليها ألا يدل هذا كله على أن للأخلاق دوراً هاماً

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » وأحمد والحاكم وغيرهم من حديث أبي هريرة بإسناد حسن ، وله شواهد ومتابعات ترقى به إلى الصحيح لغيره .

في إنشاء مجتمع الخلافة الراشدة وأثراً بارزاً لاستئناف الحياة الإسلامية .

وحسبنا في هذه العجالة هذا الحديث الكريم لتوضيح هذه الحقيقة ولكن ليعلم الموفق إلى اتباع سنن الهدى أن هذا البيان النبوي هو تفصيل لآيات كريمة في كتاب الله المجيد ، وهي قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] ، وقوله جل ثناؤه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

أليس التزكية تكون بمكارم الأخلاق والاستقامة على صالحها والتمسك بمعالها .

ولأهمية الأخلاق في حياة المجتمع المسلم كانت ركناً في دعوة أينا إبراهيم عليه السلام كما أخبر الله عنه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ - ١٢٩] .

هذه أيها المسلمون الدعاة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووصيته لبناء أمة مسلمة ، ومن أصدق من الله قیلاً : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢]

ألا فليترك الله رجال سفهوا أنفسهم واستخفوا أتباعهم قرروا : أن الأخلاق التي تزكي النفس البشرية لا تؤثر على قيام المجتمع بحال لأن المجتمع يقوم على أنظمة الحياة وتؤثر فيه المشاعر والأفكار وأما الخلق فلا يؤثر في قيام المجتمع ولا في رقيه أو

انحطاطه .

وقولهم : إن الأخلاق من مقومات الفرد وليس من مقومات المجتمع تناقض لأن المجتمع يتكوّن من الأفراد فإذا كانت الأخلاق من مقومات كل فرد في المجتمع فيه ضرورة من مقومات المجتمع (١) .

إن حصر بناء المجتمع في الفكر أدى إلى غنم عناية الحزب بالتربية وتكوين الشخصية المسلمة المتميزة بل صار أمره إلى تعظيم العقل وتقديسه ؛ لأن « الشخصية في كل إنسان تتألف من عقلية ونفسية ولا دخل لشكله ولا جسمه ولا هندامه ولا غير ذلك فكلها قشور ، ومن السطحية أن يظن أحداً أنها عامل من عوامل الشخصية أو تؤثر على الشخصية ذلك أن الانسان يتميز بعقله ، وسلوكه هو الذي يدل على ارتفاعه وانخفاضه » (١) .

وقال تقي الدين النبهاني أيضاً : « وعلى ذلك كان الإيمان بالله آتياً عن طريق العقل ، ولا بد أن يكون هذا الإيمان عن طريق العقل ، فكان بذلك الركيزة التي يقوم عليها الإيمان بالمنيات كلها وبكل ما أخبرنا الله به » (٢) .

ولذلك ترى شيوختهم وشبانهم ليس عليهم ما يميزهم كمسلمين فهم يرتدون ألبسة الكفار ويحلّقون لحاهم وشواربهم - أحياناً - ولا يهتمون بصلاة الجماعة أو غير ذلك مما يميز المسلم في الظاهر عن غيره .

وإذا حاججت أحدهم وألزمته بالدليل الشرعي فإنه يلجأ إلى أحد أمرين : أ - إذا كان عنده التزام عام بالإسلام زحزح الدليل عن مفهومه فتراه يقول في اللحية : إنها مندوبه ، وكذلك صلاة الجماعة .

ب - إذا كان ممن دون ذلك قال : الالتزام بذلك يكون بعد إقامة الدولة الإسلامية ، لأن الخليفة هو الذي يأمر بذلك ، وقد وقع ذلك مع مرتين (٣) :

(١) « الشخصية الإسلامية » تقي الدين النبهاني (١ / ٥) .

(٢) « نظام الإسلام » (ص ١٠) .

(٣) وهذه ليست مواقف شخصية لا تمثل رأي الحزب ؛ لأن الحزب يحرم على التحريري=

الأولى : عندما نصحت لأحدهم لتبرج زوجته وأنه قوَّامٌ عليها وراع في بيته فينبغي أن يرعى رعيته حسب الشريعة ، فقال لي : لا قواماً لي عليها إلا بعد قيام الدولة .

والثانية : عندما نصحت لأحدهم بالمحافظة على الصلاة وبخاصة صلاة الجماعة قال لي : هذا يكون بعد إقامة الدولة ، ولم يكتف بذلك بل حرَّف آية في كتاب الله فقال ألم يقل الله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

يريد أن هذه العبادات لا تكون إلا بعد التمكن ونسي أن التمكن والاستخلاف يكون ثمرة للإيمان والعمل الصالح : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ الآية .

لقد أصبح قيام الدولة والوصول إلى سدة الحكم غاية عند حزب التحرير وهو في الحقيقة وسيلة ليكون الدين كله لله ، وليعبد الله وحده كما قال رسول الله ﷺ : « بعثت بين يدي الساعة بالسَّيِّفِ حتى يَغْيِبَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك له »^(١) .

وهذا كله نتيجة لاعتماد الفكر وسيلة وحيدة للتغيير .

= أن يرى رأياً غير رأي الحزب المتبنى فقد جاء في نشرة شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٠ هـ الموافق شهر آب ١٩٧٠ هـ ما نصه : « إلا أن الحزب في صحفه ونشراته ومناقشاته لا يحمل أي رأي يخالف الرأي الذي تبناه مطلقاً ، وهذا بالنسبة للحزب ، وكما ينطبق ذلك على الحزب ينطبق على أي شاب من شباب الحزب ، فلا يصح لأي شاب أن يؤلف كتاباً أو يصدر صحيفة أو يكتب مقالاً أو يناقش أحداً مجرد مناقشة بأي رأي يخالف آراء الحزب ، فإن كل شاب قد تبنى آراء الحزب تبنياً فلا يحل له أن يخالفها لا فكراً ولا قولاً ولا عملاً ، وإذا صدر منه شيء من ذلك يعالج ثم ينذر ثم يتخذ بحقه الاجراء المقتضى » .

(١) أخرجه أحمد والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » وابن عساكر وحسنه ابن تيمية وابن حجر وصححه الحافظ العراقي .

وإذا كان الفكر بهذه المنزلة لديهم فلننظر في فكرهم .

١ - التفريق بين العقيدة والأحكام الشرعية : فزق حزب التحرير بين العقيدة والشرعية بالاعتماد على الظن ، فأجاز بناء الأحكام الشرعية على الظن ، بينما حرم بناء الاعتقاد على الظن .

« وهناك فرق بين الأحكام الشرعية والعقائد من حيث الدليل ، فالأحكام الشرعية يجوز أن يكون دليلها ظنياً ويجوز أن يكون قطعياً بخلاف العقيدة فإنه يجب أن يكون دليلها قطعياً ولا يجوز أن يكون ظنياً بحال من الأحوال فالعقائد لا تؤخذ إلا عن يقين ، فما كان دليله مقطوعاً به يجب أن يعتقد به ومنكره يكفر ، وما كان دليله ظنياً يحرم على المسلم أن يعتقد به .

لذلك قالوا : يجب أن يكون دليل العقيدة قطعياً والدليل عليه ثلاثة أمور :
أولاً : أن دليلها هو دليل على المسألة المعينة فهو برهان لإثباتها ، ولا يتأتى أن يكون البرهان قد قام على إثبات شيء إلا إذا كان الإثبات مقطوعاً به ، إذ لو كان مظهرنا به لم يكن قد قام البرهان على إثباته ، وعليه فإن إقامة البرهان على الإثبات تختم أن يكون برهاناً قطعياً على أن الدليل والبرهان لا يطلق إلا على المقطوع به ، والظني لا يكون دليلاً ولا برهاناً .

ثانياً : أن كون الشيء عقيدة يعني أن يكون مقطوعاً به ، فتعريف العقيدة هو أنها : « التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل » فالشيء حتى يكون عقيدة لا بد أن يكون تصديقاً جازماً ، فإن كان تصديقاً فقط فلا يكون عقيدة ، فحتى يكون عقيدة يتحتم أن يكون جازماً ، فالعقيدة تعني الجزم .

ثالثاً : أن الله سبحانه وتعالى قد ذم في القرآن الكريم اتباع الظن في العقائد في آيات كثيرة في عدة سور قال تعالى : ﴿ وما لهم به من علم إن يتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [النجم : ٣٧] ^(١) .

والجواب من وجوه متعددة :

(١) « الدوسية » (ص ٣ - ٤)

١ - إن الدليل الأول والثاني أسسا على عقيدة عند القوم مضمونها : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، ويظهر ذلك لمن تأمل حدَّ العقيدة عندهم فهي : تصديق جازم قاطع لا يقبل زيادة ولا نقصاً لذلك لم يَغْدُوا أصلَ التصديق عقيدة .

وقد نبه على هذا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال : « ودع عنك تفريق المتكلمين في اصطلاحهم بين العلم والظن فإنما يريدون بهما معنى آخر غير ما نريد ، ومنه زعم الزاعمين أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص إنكاراً لما يشعر به كل واحد من الناس من اليقين بالشيء ثم ازدياد هذا اليقين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أُولِمُ تَوَاضَعُ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] وإنما الهدى هدى الله » أ . ه بحروغه^(١) .

وفساد هذا القول معلوم علماً يقينياً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ :

أ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤] .

وقال عز ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ سُوقَاتُ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا بَلَغَ لَهُمْ الْإِيمَانُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لُحُوبٌ أَلْفَاظٌ مِّمَّنْ آمَنُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنفال : ٢ - ٤] .

والآيات في هذا الباب كثيرة ، وهذه عقيدة أهل السلف الصالح أهل الحديث حيث صرحوا أن الإيمان يزيد وينقص^(٢) .

ب - كذلك اليقين ذكر في كتاب الله على درجات .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴾ [الحاقة : ٥١] وقال سبحانه : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥] . وقال جل شأنه : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٧] .

(١) « الباعث الحثيث » (ص ٣٧) .

(٢) راجع تفصيل هذا الأمر بأدلته في « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز الحنفى

رحمه الله (ص ٣٣٥ - ٣٤٤) .

وقد بسط القول على هذه الآيات القرآنية شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) .
 ج - وأما سنة رسول الله ﷺ فهي طافحة بهذه المعاني ونكتفي بذكر حديث متواتر دل دلالة على أصل المسألة أي أن الإيمان يزيد وينقص .
 قال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »^(٢) .
 ٢ - أن العقيدة لا تعني التصديق بل تعني الإيمان ، وفرق شاسع بين الكلمتين^(٣) .

٣ - إن استدلالهم بآيات الظن لا يصح ألينة من وجوه :
 أ - إن الله سبحانه وتعالى أنكر اتباع الظن إنكاراً مطلقاً ولم يقيده بالعقيدة دون الأحكام ، وهذا ما صرحوا به ابتداءً عندما نظروا إلى الآيات بعين الانصاف فقالوا : « وعليه فإن الآيات وإن كانت تشمل العقائد والأحكام ... »^(٤) ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا : « على أن هذه الآيات حُصرت في العقائد فهي خاصة في العقيدة »^(٥) فوقعوا في تناقض مركب ، فكيف تكون الآيات تشمل العقائد والأحكام ثم هي خاصة في العقيدة ؟! إن هذا لشيء عجاب .
 ب - والحق أن هذه الآيات شاملة للعقائد والأحكام .
 وقولهم : أن آيات الظن كلها في العقيدة فهي خاصة بالعقيدة لا يسلم لهم من وجهين :

الأول : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

- (١) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ٦٤٥ - ٦٥٠) .
- (٢) ورد عن جمع من الصحابة وقد جمع أحاديثهم في تخريجي لأحاديث « الرخصة » لشيخ الإسلام (رقم ٢٣) فراجع .
- (٣) « الإيمان » (ص ٢٧٤ - ٢٧٨) .
- (٤) « الدوسية » (ص ٤) .
- (٥) المرجع السابق .

الثاني : أن الله عز وجل صرح في مُحكم تنزيله أن الظن الذي أنكره عليّ المشركين يشمل القول به في الأحكام ، ألم تسمع قول الله تعالى الصريح : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا (وهذه عقيدة) ولا حَرَّمنا من شيء (وهذا حكم شرعي) كذلك كَذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظنَّ وإن أنتم لا تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ثبتُ - والله الحمد - أن الظن المنعي على المشركين في الآيات يحرم الحكم به في الأحكام الشرعية كما يحرم الأخذ به في العقيدة ولا فرق .

وأما اعتراضهم أن هذه الآية جاءت في سياق أن المشركين حرموا وأحلوا وأن الله خالق كل شيء فهو يحل ويحرم كما هو في سورة الأنعام الآيات (١٣٥ - ١٥٣) وكل ذلك مرتبط بالعقيدة فأصل التحريم والتحليل هو في العقيدة لأن من نصب نفسه مُشرعاً من دون الله أي يحلل ويحرم فقد فسدت عقيدته وكفر فهو ليس من قبيل أخذ حكم حرم أو ترك أمر واجب وإنما هو من قبيل التحريم والتحليل ابتداء^(١) .

وأما اعتراضهم هذا فمردود بأنهم لم يُحرّموا ذلك من تلقاء أنفسهم بل زعموا أن الله حرم هذه البحيرة والسائبة والهام فالمقصود بقوله تعالى على لسانهم : ﴿ ولا حرّمنا من شيء ﴾ إقامتهم على ذلك - وهو حكم شرعي - بذلك جزم أهل التفسير^(٢) .

ج - لقد ذكر الله الظن في مواطن الاعتقاد ومدحه .
قال تعالى : ﴿ إني ظننت أني ملاق حسبيّ فهو في عيشة راضية في جنة عالية ﴾ [الحاقة : ٢٠ - ٢٢] .
وقال جل شأنه : ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ [التوبة : ١١٨] .

(١) « الاستدلال بالظني في العقيدة » (ص ٩٤) .

(٢) « جامع البيان في تفسير القرآن » (٨ / ٥٧ - ٥٨)

وقال سبحانه : ﴿ الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] .

وقوله جل جلاله : ﴿ قال الذين يظنون أنهم مُلاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وقوله عز ثناؤه : ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ [يوسف : ١١٠] .
فما هو الظن الذي يذمُّ الله المشركين على اتباعه ، ويمدح المؤمنين على فعله أهو هو ؟ إذن فلا بد من تحقيق معنى كلمة الظن .

جاء في كتب اللغة أن الظن هو الشك يعرض لك فتحققه وتحكم به^(١) . قلت : فإذا كان الظن مرجوحاً كان وهماً وتخصّصاً وتخميناً ، وإن كان راجحاً كان علماً و يقيناً^(٢) وعلى ذلك يحمل قول أهل اللغة : الظن شك و يقين^(٣) قال محمد بن القاسم الأنباري في كتاب « الأضداد » : « بأن كلمة الظن من الأضداد ، ونقل عن أبي العباس : إنما جاز أن يقع الظن واليقين لأنه قول بالقلب فإذا صححت دلائل الحق وأماراته كان يقيناً ، وإذا قامت دلائل الشك وبطلت دلائل اليقين كان كذباً ، وإن اعتدلت دلائل الحق والشك كان على بابه شكاً لا يقيناً ولا كذباً » .

وبهذا يتضح لماذا نعى الله على المشركين اتباع الظن لأنه المرجوح الذي لا يفيد إلا الوهم والخرص والتخمين والكذب والقول على الله بغير علم ، يتبين ذلك من الآيات الدالة على ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ [النجم : ٢٣] . وقوله تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ [النساء : ١٥٧] .
وقوله جل وعلا : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] فهذه الآيات بيّنت معنى الظن الذي يتبعه المشركون وأنه التشهي والقول على الله بغير علم وكتاب منير .

(١) « النهاية » (٣ / ١٦٢ - ١٦٣) ، وعنه « لسان العرب » (١٣ / ٢٧٢) .

(٢) « النهاية » (٣ / ١٦٣) .

(٣) « لسان العرب » (١٣ / ٢٧٢) .

فإن قيل : إن قوله تعالى : ﴿ وما تهوى الأنفس ﴾ جاء معطوفاً بالواو وهي لا تفيد المساواة .

قلت : الواو تأتي لمطلق الجمع والمشاركة في الحكم ، فثبت أن الظن - في هذه الآيات - بمنزلة اتباع الهوى فهو الظن المرجوح .

بيد أن ذلك جاء مفسراً في الآيات الأخرى كما سبق ذكره ، وعلم من ذلك أن الظن المدوح في الآيات الأخرى هو الظن الراجح الذي يفيد العلم واليقين ، وهذا هو الحق المبين المستبطن من كلام رب العالمين .

فإن الله - سبحانه - يخبر عن المؤمنين قائلاً : ﴿ الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] ويصف المؤمنين : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤] و ﴿ وهم بالآخرة يوقنون ﴾ [النمل : ٣] فثبت أن قوله تعالى : ﴿ يظنون ﴾ يعني ﴿ يوقنون ﴾ ومنه نجزم أن الظن بمعنى اليقين .

فإذا عرفت هذا عرفت أن الظن المذموم هو المرجوح أو التردد بين طرفي الأمر فهذا هو أكذب الحديث الذي حذر منه ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »^(١) وهو الذي لا يفني من الحق شيئاً ، وهو الإثم الذي أراد الله تعالى : ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وهو الذي ضد اليقين وقد جمع الله جل وعلا شمل هذه المعاني في قوله : ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ومنه نجزم أن الظن الذي اتخذه المشركون شرعاً ومنهاجاً هو الظن المرجوح المبني على اتباع الهوى والحرص والتخمين ، فهو بالذم قمين .
فإن قيل : وإنما الآيات التي ورد فيها كلمة الظن بمعنى العلم فإنه لما كان الظن اسم أمانة (القرينة) فيصبح البحث في الأمانة التي يحصل بها الظن ، فقد ترتقي الأمانة إلى مرتبة اليقين ، أما هي في حد ذاتها لا تفيد اليقين .

فالجواب : ولما كانت الأمانة هي التي تحدد معنى كلمة الظن فإن كان الاحتمال مرجوحاً كان وهمّاً وتخيلاً ، وإن كان راجحاً كان علماً و يقيناً ، لأن كلمة

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

الظن في حد ذاتها لا تفيد الكذب والوهم والحرص والتخمين والقول على الله بغير علم ولا كتاب منير ، وهو ما أسس المشركون دينهم على شفاه .

وبذلك تعلم فساد قول قائلهم : إن الظن يفيد الاحتمالين مع ترجيح أحدهما ، وإنما يفيد تساوي الاحتمالين ، فإذا كانت دلائل الحق أكثر أفادت العلم واليقين ، وإن كانت أقل أفادت الوهم والتخمين .

٢ - وعلى هذا الأساس الباطل بنوا عقيدة باطلة وهي « خبر الآحاد حجة في الأحكام وليس حجة في العقائد » .

والجواب من عدة وجوه متعددة :

أ - هذه العقيدة باطلة لأنها أسست على باطل ، وما لزم الباطل فهو باطل .

ب - قول مبتدع ، وعلم مخترع ، ورأي مصطنع ، لم تعهده خير القرون بل من الثابت أنهم عملوا بخبر الواحد دون تردد .

ت - ليس عليها دليل لا من الكتاب ولا من السنة ، ونحن نطالبهم بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة يثبت عقيدتهم هذه فيقولون : ﴿ أن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ وخبر الآحاد يفيد الظن .

وهذا القول علم فساد في مناقشتنا لمسألة التفريق بين العقيدة والشرعة حيث بينا أن المقصود في هذه الآية ومثيلاتها إنما هو الافتراء والحكم بغير علم ، والتخمين ، والشك ، فإما ترى ما هو الظن الذي يفيد أحاديث الآحاد أو اليقين أم التخمين ؟ ليس من شك أن دلائل الحق في خبر الواحد العدل أكثر وأوفر ؛ لأن المنكرين أنفسهم اختاروا حجة خبر الواحد في الأحكام الشرعية ، فثبت أنهم يقولون بأن الظن الذي يفيد خبر الواحد هو الراجح لا المرجوح لأن الظن المرجوح لا يجوز الأخذ به في العقائد والأحكام اتفاقاً .

إذن قرروا : أن أحاديث الآحاد تفيد العلم من حيث لا يشعرون ، فإن أبوا لزمهم القول بعدم حجة أحاديث الآحاد في الأحكام أيضاً وإلا وقعوا في التناقض ، لذلك فقد كان الخوارج والمعتزلة منطقيين مع أنفسهم عندما جعلوا الآيات الناهية عن الظن ناهية عن الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد والأحكام .

لكن أخطأوا في تفسير الظن الذي تفيدته أحاديث الآحاد وجعلوه كظن
المشركين بربهم وقولهم عليه بغير علم ولا كتاب منير .

ث - وثمة آيات أخرى تفيد أن خبر الآحاد حجة في الدين : عقيدة وأحكاماً
وأنة يفيد العلم لا الظن ؛ كقوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم
يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

فرض على الكفاية أن ينفر من المسلمين طائفة منهم ليتعلموا الدين ولا شك أن
الدين يشمل العقائد والأحكام ، والطائفة تقع في لغة العرب على الواحد فما فوق قال
ابن الأثير رحمه الله : « الطائفة الجماعة من الناس وتقع على الواحد »^(١) ، وقال
البخاري رحمه الله : « ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا ﴾ فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية »^(٢) ، وقال ابن حجر رحمه
الله : « إن طائفة يتناول الواحد فما فوقه ولا يختص بعدد معين وهو منقول عن ابن
عباس وغيره كالنخعي ومجاهد .. »^(٣) .

فلولا أن الحجة تقوم بخبر الآحاد عقيدة وحكماً لما خضَّ الله على التبليغ خضاً
عاماً معللاً إياه بقوله : ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ الصريح في أن العلم يحصل بخبر
الآحاد .

ج - وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا ﴾
[الحجرات : ٦] وفي قراءة حمزة والكسائي وخلف : ﴿ فتتَّبِتُوا ﴾ .
قلت : التثبت والتبين يقين لاشية فيه فَعَلِمَ أن خبر الآحاد يفيد العلم ، وأنه لا
يحتاج إلى تثبت وتبين ، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل
العلم ، فحينئذٍ يستوي الفاسق والعدل وهذا لا يقرُّه العقل بله النقل ، لذلك فالعدل
إذا جاء بخبر سواء أكان في العقيدة أم الأحكام فالحجة قائمة به لا ريب والأخذ به
واجب .

(١) « النهاية » (٤ / ١٥٣) ، وانظر « لسان العرب » (٩ / ٢٢٦) .

(٢) « صحيحه » (١٣ / ٢٣١ - فتح) .

(٣) « فتح الباري » (١٣ / ٢٣٤) .

ووجه الدلالة بواحد من مفهومي الشرط والصفة فإنهما يقتضيان قبول خبر الآحاد أي بدليل الخطاب وهو حجة .

ج - وأما الأحاديث الدالة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام فكثيرة منها قوله ﷺ : « نضر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها »^(١) .

فقد ندب الرسول ﷺ إلى استماع مقالته - وهذا يشمل الدين عقيدة وأحكاماً - وحفظها وتأديتها .

والأمرؤ واحد دل على أنه لا يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه .
خ - كان رسول الله ﷺ يبعث رسله في الآفاق لتعليم الدين وتقوم الحجة على الذين أرسلوا إليه بذلك .

فإن قالوا : « فإنه عليه الصلاة والسلام بعث في وقت واحد إثني عشر رسولاً إلى إثني عشر ملكاً يدعوهم إلى الإسلام وكان كل رسول وحده في الجهة التي أرسل إليها . فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد لما اكتفى الرسول بإرسال واحد للتبليغ فكان هذا دليلاً صريحاً على أن خبر الواحد حجة في التبليغ أي حجة في الحكم الشرعي وخبر الواحد ظني فكان دليلاً على أن الدليل الظني يكفي في الحكم الشرعي »^(٢) . فالرسول مدح الواحد والآحاد في نقل حديثه وهذا دليل على جواز أن يكون خبر الواحد دليلاً على الحكم الشرعي ، وعلاوة على هذا فإن الرسول بعث رسولاً واحداً إلى الملوك ورسولاً واحداً إلى عُماله فلو لم يكن تبليغ الدعوة واجب الاتباع بخبر الواحد ولم يكن تنفيذ أمر الرسول من قبل عامله واجب عليه بخبر الواحد لما اكتفى بإرسال واحد ولكنه وقد اكتفى بإرسال واحد ، لتبليغ الإسلام

(١) قلت : هذا حديث متواتر ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، وانظر لازماً « فيض القدير » (٦ / ٢٨٤) ، و« تدريب الراوي » (٢ / ١٧٩) « مفتاح الجنة في الاحتجاج في السنة » ، و« نظم المتناثر من حديث المتواتر » (ص ٢٤) ، و« دراسة حديث » نضر الله امرأً سمع مقالتي « رواية ودراسة » (ص ٢٣٥) وغيرهم .
(٢) « الدوسية » (ص ٤) .

وتبليغ أمر الرسول فكان ذلك دليلاً صريحاً على جواز الاستدلال بخبر الواحد في الحكم الشرعي»^(١) .

« ولا يقال أن إرسال الرسول للرسل يصلح لأن يكون دليلاً على أن خبر الآحاد يجوز أن يكون دليلاً على العقائد كما جاز أن يكون دليلاً على الحكم الشرعي لأن إرسال الرسول هو تبليغ الإسلام فهو لتبليغ عقيدته فيكون دليلاً على العقيدة ، لا يقال ذلك لأن إرسال الرسول للرسل هو للتبليغ فقط وليس للاعتقاد ، فهو يدل على قبول خبر الواحد في التبليغ لا في العقيدة ، ولا يقال أن قبول تبليغ الإسلام هو تبليغ للعقيدة ولا يقال ذلك لأن قبول تبليغ الإسلام قبول للخبر وليس قبولاً للاعتقاد بما أخبروا عنه بدليل أن على المبلغ أن يُعْمِلَ عقله فيما بلغه فإذا قام الدليل اليقيني عليه اعتقده وحوسب على الكفر به ، وإذا لم يقدّم الدليل القطعي عليه لا يحاسب على الكفر به ، فَرُفُضَ الخبر بالإسلام لا يعتبر كُفْراً ، ولكن رفض الإسلام الذي قام الدليل اليقيني عليه هو الذي يعتبر كُفْراً وعلى ذلك فتبليغ الإسلام لا يعتبر من العقيدة وعليه فإن إرسال الرسول للرسل إلى الملوك لا يصلح دليلاً على أن خبر الواحد يصح أن يكون دليلاً على العقيدة ، فلا يصلح أن يكون دليلاً على أن الدليل الظني يصح في العقائد»^(٢) .

فالجواب :

قال ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن : « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فأول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فتد على فقيرهم ، فإذا أقرؤا بذلك فعخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»^(٣) .

(١) المرجع السابق (ص ٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥) .

(٣) أخرجه الشيخان .

هذا الحديث صاعقة على رؤوس منكري حجية خبر الآحاد في العقائد من وجوه :

١ - لأن تبليغ الإسلام يشمل تبليغ العقيدة لذلك فقولهم أن تبليغ الإسلام ليس تبليغ العقيدة داحض وعليه فتبليغ الإسلام من العقيدة ودون ذلك خطر القتاد ومنه نعلم وجوب الاحتجاج بخبر الآحاد .

٢ - لأن تبليغ الإسلام يشمل العقائد والأحكام فتخصيص التبليغ بالأحكام تخصيص دون مخصص وهذا باطل .

٣ - لأن تخصيص التبليغ بالأحكام لا يصح عقلاً وشرعاً . أما عقلاً فكيف تستسيغ العقول قبول حكم شرعي دون الإيمان به أولاً وأما شرعاً فلأن تبليغ الأحكام الشرعية مشروط بقبول العقيدة كما دل على ذلك قول رسول الله ﷺ فالعقيدة أولاً لو كانوا يعلمون ! .

وأما قولهم الآنف إن على المبلغ أن يعمل عقله فيما بلغه فإذا أقام الدليل اليقيني اعتقده وحوسب على الكفر به ، وإذا لم يقم الدليل القطعي عليه لا يحاسب على الكفر به .

قلت : هذا اشتراط للنظر في صحة الإيمان وعدم قبول التقليد في العقيدة ، وهو باطل من وجوه :

١ - فرقوا بين المتلازمات في الاستدلال وهذا باطل لأن العقيدة تضمن حكماً شرعياً والحكم الشرعي يتضمن عقيدة ، وسيأتي بيانه قريباً إن شاء الله .

لذلك لم يؤثر عن السلف الصالح التفريق بين العقيدة والشرعة ، فكان هذا التفريق أمراً حادثاً مبتدعاً .

٢ - احتجوا بقوله تعالى : ﴿ فَسَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] وهو احتجاج منهافت لأن الأمر العام بنص الآية الكريمة فهي لم تحدد مجال السؤال أهم في العقائد أم في الأحكام .

وكذلك الآية وردت في الرد على المشركين لما أنكروا كون الرسول بشراً : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم .. ﴾ وبهذا السياق تكون الآية حجة

عليهم - لو أردنا أن نعكس المسألة عليهم - لأنها حجة في جواز التقليد في العقيدة لا في الأحكام الشرعية .
والحق الحقيقي بالقبول أن لفظ الآية عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٣ - يجب على المسلم أن يتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمر ، وأن يستسلم لحكم الله ورسوله ﷺ في كل شأن ، ولا فرق بين عقيدة وشريعة .

هذا في عموم مسائل الإسلام ، وأما أصله هو الإيمان بالله ورسوله فإن يشرع بناؤه على التفكير والنظر في ملكوت الله ، ولكن إذا آمن رجل ونطق بالشهادتين دون أن يفعل ذلك فإن إيمانه مقبول وهو معدود من المسلمين ، بل إن الإسلام يقبل إسلام من آمن كرهاً كما قال النبي ﷺ : « عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » وفي رواية : « عجت لأقوام يساقون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون »^(١) بل إن كثيراً من قبائل العرب أسلمت متابعة وتقليداً لأميرها عندما آمن ، وما إسلام عامة قبيلة الأوس في المدينة يبعد عن سمع وبصر النبي ﷺ .

ولقد أرسل النبي ﷺ إلى هرقل يدعو للإسلام قائلاً : « أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين »^(٢) .

وما ذلك إلا لأن الرسول ﷺ يعلم أن الناس تبع لساداتهم ، وأن شأن الناس التقليد ، والقليل الذي يستقل بالبحث والنظر .

ونرسل هذا الحديث الأخير على قولهم : « فرفض الخبر بالإسلام لا يعتبر كفراً ولكن رفض الإسلام الذي قام عليه الدليل اليقيني هو الذي يعتبر كفراً »^(٣) فيدمغه فإذا هو زاهق لأن رسول الله ﷺ قال في كتابه لهرقل : « فإن توليت فإن عليك إثم

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه الشيخان ، والمراد بالأريسيين : الفلاحين كما جاء صريحاً في رواية عند أبي

عبيد في « الأموال » (ص ٣٠) الذي قال : لم يرد الفلاحين ولكن أراد أهل مملكته جميعاً وذلك لأن العجم عند العرب فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث .

(٣) « الدوسية » (ص ٥) .

الأريسيين .. « أي : إن اعرضت ولم تقبل ما أرسلت لك به ، وهذا رفض الخبر بالإسلام ابتداءً وإلا كيف تقام الحجة على المخالفين الذين يرفضون الخبر بالإسلام إذا كان المراد بقيام الحجة عليهم الدليل القطعي وإن إرسال الرسل تترى لا يفيد ذلك ، فإن الذي يرفض الخبر بالإسلام لا يمكن أن تقام عليه الحجة أبداً لأنه أغلق باب البحث والنظر والاستدلال ابتداءً فهو أظلم من من قبل الخبر وناقش ونظر واستدل لكنه لم يقتنع ومن ذلك نعلم أن طريق العقل الذي سلكوه لم يقدمهم في يوم من الأيام إلى القطع والجزم وإنما هو خيالات وأوهام وحيرة وشك واضطراب وهل كانت نهاية المتكلمين إلا هذه !؟

وأزيد أدلتي قوة وبسطة فأقول : إن هذه السفسطة باطلة نقلاً وعقلاً .
أما النقل : فقد أخبر ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مرَّقه - فحسبت أن ابن المسيب قال - فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق^(١) » .

قلت : لو لم يكن رفض الخبر بالإسلام كفرةً لما دعا عليه النبي ﷺ .

(١) أخرجه البخاري وغيره .

والفائل : « فحسب أن ابن المسيب » هو الزهري وقع في جميع الطرق مرسلًا ، لكن له

شواهد

(أ) حديث التبوخي رسول قيصر إلى الرسول ﷺ أخرجه أحمد (١ / ٤٤١ - ٤٤٢ و

٤ / ٧٥) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد .

قلت : وإسناده ضعيف ، لأن فيه سعيد بن أبي راشد مقبول أي عند المتابعة فمثله يستشهد

به ويعتضد .

(ب) حديث عبد الله بن حذافة عند ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١ / ٢٦٠) .

(ت) وروي مرسلًا من طرق كثيرة كما في « البداية والنهاية » لابن كثير (٤ / ٢٦٨ -

٢٦٩) و« الأموال » لأبي عبيد (ص ٣١) .

وليعلم الموفق لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ أن الله أجاب دعوة رسوله فسلط شيرويه على

والده كسرى الذي مزق كتاب رسول الله ﷺ فقتله ، ومثلك بقدره فلم يبق إلا يسيراً حتى =

وأما العقل : فإن هذا السفسطة تقتضي إبطال فائدة إرسال النبي ﷺ الرسل إلى ملوك الأرض وهذا ضرب من العبث والرسول ﷺ معصوم عن العبث .

ومثل القائلين بهذه السفسطة كمثل رجل ذهب يطوف في آفاق الأرض يدعو إلى الله ولكنه بعدما يبلغهم الإسلام يقول لهم : إني واحد لا تقوم بي الحجة عليكم فيكون كالتالي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً (١) .

أو أنه بلغ الناس وعلمهم أن حديث الآحاد لا تقوم به الحجة في العقيدة ، فقيل له : إذن لا تؤمن لك حتى تأتينا بجمع يؤمن تواطؤهم على الكذب (١) .

واعلم أن الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد والأحكام هو الثابت عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام لا نعلم خلافاً وقع في احتجاجهم به في العقائد ولو وقع لنقل كما نقل في الأحكام كقصة عمر بن الخطاب مع أبي موسى الأشعري في مسألة الاستئذان ، وقصة أبي بكر رضي الله عنه في توريث الجدة .

بل هناك أحاديث كثيرة تدل يقيناً على أن رسول الله ﷺ قبل خبر الواحد في العقيدة ومن أوضحها قصة تميم المداري رضي الله عنه في خبر الدجال والجساسة^(١) .

قال النووي : « وفيه قبول خبر الواحد »^(٢) .

قلت : أي في العقيدة فإن هذا الحديث ليس فيه إلا عقيدة ، ومن ذلك تعلم فساد ما قالوه عن النووي : إنه لا يأخذ بخبر الآحاد في العقيدة^(٣) .

وقال ابن القيم : « وقد كان ﷺ يقطع بصدق أصحابه كما قطع بصدق تميم

= مات ، فولى أهل فارس أمرهم ابنته فقال ﷺ : « لن يفلاح قوم ولوا أمرهم امرأة » أخرجه البخاري وغيره والقصة مشهورة انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (١ / ٢٦٠) ، و« تاريخ الأمم والملوك » للطبري (٣ / ٩٠ - ٩١) و« البداية والنهاية » لابن كثير (٤ / ٢٦٨ - ٢٧٢) ، و« فتح الباري » لابن حجر (٨ / ١٢٧ و ١٣ / ٢٤٢) .

(١) أخرجه مسلم من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

(٢) « شرح صحيح مسلم » (١٨ / ٨١) .

(٣) وانظر ما يأتي ان شاء الله (ص ٢٩١) .

الداري لما أخبره بقصة الدجال وروى ذلك على المنبر ولم يقل أخبرني جبريل عن الله بل قال : « حدثني تميم الداري » ، ومن له أدنى معرفة بالسنة يرى هذا كثيراً فيما يجزم بصدق أصحابه ويرتب على أخبارهم مقتضاها من المحاربة والمسالمة والقتل والقتال ، ونحن نشهد بالله ولله شهادة على البت والقطع لا نمتري فيها ، ولا نشك على صدقهم نجزم به جزمًا ضروريًا لا يمكننا دفعه في نفوسنا ومن هذا أنه كان يجزم بصدقهم فيما يخبرونه به من رؤى المنام ويجزم لهم بتأويلها ويقول أنها رؤيا حق وأثنى الله تعالى عليه بذلك في قوله : ﴿ ومنهم الذي يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ [التوبة : ٦١] « أ . هـ »^(١) فإن قالوا : خبر الواحد يحتمل الصدق والكذب ولذلك لا يصح الاحتجاج به في العقيدة .

أجيبهم بقول ابن أبي العز الحنفي : « ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته ، وبين للناس حاله قال سفيان بن عيينة : ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث ، وقال عبد الله بن المبارك : لو هم رجل في البحر أن يكذب في الحديث لأصبح والناس يقولون فلان كذاب .

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث والبحث عن سير الرواة ليقف على أحوالهم وأقوالهم وشدة حذرهم في الطغيان والزلل ، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك ، وقد نقلوا الدين إلينا كما نقل إليهم فهُم تُرْكُ^(٢) الإسلام وعصاية الإيمان ، وهم نقاد الأخبار وصيارفة الحديث ، فإذا وقف المرء على من هذا شأنهم وعرف حالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه ، ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم في العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره ما ليس لغيرهم به شعور فضلاً أن يكون معلوماً لهم أو مظلوناً

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » (٢ / ٣٦٠) .

(٢) يريد أنهم دروعه وحفظته .

كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم ، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم ، وكل ذي صنعة هو أخبر بها من غيره ، فلو سألت البقال عن أمر العطر أو العطار عن البز ونحو ذلك لعد ذلك جهلاً كبيراً ^(١) .

فإن قالوا : كثرت الأحاديث والآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم رددنا عليهم بما نقله ابن قيم الجوزية عن الإمام المظفر : « ما اختلطت إلى على الجاهلين بها ، فأما العلماء فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير ، فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها ، ولئن دخل في أعمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث فلا يروج ذلك على جهابذة الحديث وورثة العلماء ^(٢) حتى أنهم عدوا أغاليط من غلط في الإسناد والمتون بل تراهم يعدون على كل واحد منهم كما ترك في حديث غلط وفي كل حرف حرّف وماذا صحّف فإذا لم ترج عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها ؟ وهو قول بعض الملحدة وما يقول هذا إلا جاهل مبتدع كذاب يريد أن يهجن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة فيغالط جهال الناس بهذه الدعوى ، وما احتج مُبتدع في رد آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهن ولا أشد استحالة من هذه الحجة فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يُسَفَّ في فيه ، وينفى من بلد الإسلام ، فتدبر رحمك الله أيجعل حكم من أفنى عمره في طلب آثار النبي ﷺ شرقاً وغرباً برأً وبحراً ، وارتحل في طلب الحديث الواحد فراسخ ، واتهم أباه وأدناه في خبر يرويه عن رسول الله ﷺ إذا كان موضع التهمة ولم يحابه في مقال ولا خطاب غضباً لله وحمية لدينه ، ثم أَلَفَ الكتب في معرفة المحدثين وأسمائهم وأنسابهم وقدر أعمارهم وذكر أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم ، وفصل بين الرديء والجيد والصحيح والسقيم حباً لله ورسوله وغيره على الإسلام والسنة ، ثم استعمل آثاره كلها حتى فيما عدا العبادات من أكله وطعامه

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٣٥٥ - ٣٥٦) .

(٢) هكذا في الأصل ، وصوابه : « وورثة الأنبياء » لأن العلماء ورثة الأنبياء كما جاءت

الرواية بذلك .

وشرابه ونومه ويقظته وقيامه وقعوده ودخوله وخروجه وجميع سنته وسيرته حتى في حركاته وحركاته ، ثم دعا الناس إلى ذلك وحققهم عليه وتدينهم إلى استعماله وحب إليهم ذلك بكل ما يملكه حتى بذل ماله ونفسه كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وإرادته وخواتمه وهو أجسه ، ثم تراه يرد ما هو أوضح من الصبح من سنة النبي ﷺ وأشهر من الشمس برأي دجيل واستحسان دميم وظن فاسد ونظر مشوب بالهوى ، فانظر وقلك الله للحق أي الفريقين أحق أن ينسب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر ، فإذا قضيت بين هذين بوافر ليلك وصحيح نظرك وثاقب فهمك فليكن شركك لله تعالى حسب ما أراك من الحق ووفقك للصواب وألهمك من السداد .

وعلق ابن القيم قائلاً : « ومن المعلوم أن من هذا عنايته بسنة رسول الله ﷺ وهدية فإنها تفيد عنده من العلم الضروري والنظري ما لا تفيد عند المعرض عنها المشتغل بغيرها ، وهذا شأن من غني بسيرة رجل وهدية وكلامه وأحواله فإنه يعلم من ذلك بالضرورة ما هو مجهول لغيره » (١) .

فإن قالوا : أخبار الآحاد لم تفد إلا الظن

قلت : فهم مخبرون عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها العلم وهم صادقون فيما أخبروا به عن أنفسهم ، كاذبون في إخبارهم أنها لا تفيد العلم لأهل السنة والحديث ، ولذلك قال ابن قيم الجوزية مقررًا هذه الحقيقة وموضحًا هذه النكتة الدقيقة : « وأما المقام السابع : وهو أن كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل ليس هو صفة للدليل في نفسه ، فهذا أمر لا ينازعه فيه عاقل فقد يكون قطعياً عند زيد ما هو ظني عند عمرو ، فقولهم : إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم إذا لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم ، فقولهم : لم نستفد بها العلم لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواحد للشيء العالم به غير واجد له ولا عالم به فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حياً أو بغضاً فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض ويكثر له من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وجدته ولو

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » (٢ / ٤١٠ - ٤١٤) .

كان حقاً لا شراكك أنا وأنت فيه ، وهذا عين الباطل وأحسن ما قيل :
أقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وإن استطعت الملام لم

فيقال له : اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ﷺ والحرص عليه وتنعمه
وجسمه ومعرفة أحوال نقلته وسيرتهم واعرض عما سواه واجعله غاية طلبك ونهاية
قصديك بل احرص عليه حرص اتباع أرباب المذاهب على معرفة مذاهب أئمتهم
بحيث حصل لهم العلم الضروري بأنها مذاهبهم وأقوالهم ولو أنكرك ذلك عليهم منكر
لسخروا منه ، وحينئذ تعلم هل تفيد أخبار رسول الله ﷺ العلم أو لا تفيده ، فأما مع
إعراضك عنها وعن طلبها فهي لا تفيدك علماً ولو قلت لا تفيدك أيضاً طناً لكنت
مخبراً بحصنتك ونصيبتك منها ^(١) أ . هـ

وقد أخبرني أحد الفضلاء بعد أن رجع للحق في هذه المسألة - بعد طول
بحث وأناة - أنه وجد ذلك بنفسه .

قلت له : يلزمك أن تقول : من جرب تجربتي عرف معرفتي .

فإن قالوا : بل غيرا قال ذلك كالنووي رحمه الله

قلت : اتحد المنكرون ما صرح به النووي رحمه الله من أن أحاديث الآحاد
تفيد الظن ما لم تتواتر ^(٢) ، وكذلك ما تعقب به ابن الصلاح : « وهكذا الذي ذكره
الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والأكثر ، فإنهم قالوا : أحاديث
الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن فإنها آحاد ، والآحاد إنما تفيد الظن على
ما تقرر ... » ^(٣)

أقول : اتخذوا ذلك ذريعة لرد أحاديث الرسول ﷺ في مجال العقيدة وهو
خطأ من عادة وجوه :

أ - أن النووي رحمه الله عندما صرح أنها تفيد الظن لم يصرح أنها حجة في
الأحكام الشرعية دون العقائد ، وإنما زعموا ذلك لأن من أصولهم الباطلة أن الظن

(١) المصدر السابق (٢ / ٤٣٢ - ٤٣٣) .

(٢) « تدريب الراوي » (١ / ١١٢) .

(٣) « شرح صحيح مسلم » (١ / ٢٠) .

حُجَّة في الأحكام دون العقائد فالزمو النوي بأصولهم ضربة لازب .
والنوي رحمه الله لا يفهم الظن الذي تفيدته أخبار الآحاد كفهمهم ولو فهمه
كفهمهم فلا يجوز نسبة هذا المذهب إليه ما لم يصرح به ، ولو كان لازماً لأن لازم
المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر في أصول الفقه .

ب - وكيف ينسب إلى الإمام النوي أنه يرد خبر الواحد في العقيدة وهو
يصرح أنه يعتقد ما تفيدته أحاديث الآحاد المروية في صحيح مسلم فقال معلقاً
على حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه وهو يشتمل على عقائد : « وفي الحديث
العمل بخبر الواحد »^(١) .

وقال : « وهذا عظيم الموقع ، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على
العقائد ، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من جميع ملل الكفر على اختلاف
عقائدهم »^(٢) .

وقال معلقاً على حديث أبي ذر الغفاري القدسي الصحيح : « يا عبادي إني
حرمت الظلم على نفسي ... » : « فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد
(وذكروها) ومنما ما اشتمل عليه في البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين ... »^(٣) .
ومضى تصريحه بقبول خبر الواحد دل على ذلك حديث الجساسة وكله في
العقائد^(٤) .

فإن قالوا : هو ظني لجواز الخطأ والنسيان على الثقة
قلت : هذا الدليل مردود عليهم من عدة وجوه :
١ - بمعرفة شروط الحديث الصحيح وَحْدَهُ وهي :
أ - أن ينقله عدل « في دينه ومروءته » .

(١) المصدر السابق (١ / ١٧١) .

(٢) المصدر نفسه (١ / ٢٢٧) .

(٣) « الأذكار » (ص ٣٦٨) .

(٤) (ص ٢٨٧) من هذا الكتاب .

- ب - أن ينقله ضابط « من قبل حفظه وفهمه » .
- ت - اتصال السند « عدل ضابط ثقة عن مثله إلى منتهاه » .
- ث - من غير شذوذ « فلا يخالف من هو أوثق منه أو مجموعته من الثقات » .
- ج - ولا علة قاذحة .
- وهذه الشروط تتضمن عدة أمور :
- أ - التأكد من حفظ الراوي وأنه لم ينس .
- ب - التأكد من فهم الراوي وأنه لم يغلط .
- ت - التأكد من عدم المخالفة .
- ث - السلامة من العلل والخلل والزلل .
- فإذا تبين عكس ذلك لم يكن الحديث صحيحاً ، وعندئذ لا يكون مقبولاً في العقائد ، ولا في الأحكام .
- ٢ - فإذا كان الأمر كما سبق ، فإن احتمال وقوع النسيان والخطأ والمخالفة في هذه القضية غير وراذ ، ليس لعصمة الثقة ، إنما لتأكد العلماء من ذلك .
- إذن فلا يجوز رده لدليل الاحتمال ، إلا إذا ثبت هذا الاحتمال ، وذلك لأن الاحتمال لا يصلح دليلاً للاستدلال والاستشهاد ، فإذا ما ثبت الاحتمال وأصبح يقيناً فعندئذ يصبح حجة في المعارضة ، أما والأمر احتمالي فلا حجة لمن قال به لأنه ليس بحجة .
- وقبول الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة هو مذهب الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أئمة المسلمين وقد ذكرت مذاهبهم ومناهجهم بالتفصيل في كتابي « الأدلة والشواهد علي وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد » فاغنى عن التكرار .
- وبلغ حزب التحرير الدرك الأسفل من التناقض عندما قال : نصدق أحاديث الآحاد ولا نعتقد بها : « فالحكم الشرعي في العقائد أنه يحرم أن يكون دليلها ظنياً وكل مسلم يني عقيدته على دليل ظني يكون قد ارتكب حراماً وكان إثماً عند الله .

غير أنه يجب أن يعلم أن الجرام هو الاعتقاد وليس مجرد التصديق ، فالتصديق لا شيء فيه وهو مباح ، ولكن الجزم هو الحرام ، لأنه جزم بني على ظن ولزم الله لمن يبني عقيدته على الظن إلا أن عدم الاعتقاد لا يعني الإنكار وإنما يعني فقط عدم الجزم ، فليس معنى لا اعتقد بالشئ انكره بل معناه لا اجزم به ، فلا بد من ملاحظة هذه الناحية الدقيقة لملاحظة تامة ، لأنه قد وردت أحاديث صحيحة ظنية في أمور تعتبر من العقائد وليس من الأحكام الشرعية ، فليس معنى تحريم الاعتقاد بالظني رفض ما في هذه الأحاديث وعدم التصديق بما جاء فيها ، بل معناه فقط عدم الجزم بما في هذه الآحاد ولكن يجوز التصديق بها ، ويجوز قبولها ، والحرام إنما هو الاعتقاد بها أي الجزم بها ، بل منها ما جاء النص طالباً العمل به فيعمل به ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال » وعن عائشة أن النبي ﷺ : « كان يدعو في الصلاة ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات ، اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم » فهذان الحديثان خبر آحاد وفيهما طلب فعل أي طلب القيام بهذا الدعاء بعد الفراغ من التشهد ، فيندب الدعاء بهذا الدعاء بعد الفراغ من التشهد ، وما جاء فيهما يجوز تصديقه ، ولكن الذي يحرم هو الجزم به أي الاعتقاد به ما دام قد جاء في حديث آحاد أي بدليل ظني ، فان جاء بالتواتر فحينئذ يجب الاعتقاد به « (١) » .

وهذا قول متهاافت متناقض لأنهم فصلوا بين الإيمان والاعتقاد ، وظنوا أن الاعتقاد مرحلة بعد الإيمان وما علموا أن الاعتقاد أساس الإيمان .
فإن كنتم غير معتقدين ، فأنتم غير مؤمنين بها ؛ لأن الإيمان لا يجوز دون الاعتقاد .

فإن قالوا : هي أحاديث يجوز تصديقها ، قلنا لهم بالمقابل الذي يجوز عليه الصدق يجوز عليه الكذب ، والإسلام لا يعترف بهذه القاعدة ، أما تصديق لا يخالطه شك ، وأما أن يتولى المرء غير هذه السبيل .

(١) « الدوسية » (ص ٦) .

ناهيك أن هذه الأمور المذكورة مثل المسيح الدجال ، وعذاب القبر متواترة كما
يبيته في كتابي « الأدلة والشواهد » .

وما كان حزب التحرير ليضل ههنا الضلال وينخرف عن البيضاء إلا أنه تبني
عقيدة أخرى تلزمه تبني الأولى وهي :

٣ - وجوب طاعة الخليفة الصالح ، فيما تنبأه من الأحكام ، ولو خالف النص
في وجهة نظر المأمور ، وزعم الحزب أن العمل جرى على ذلك في عصر الخلافة
الراشدة ، والمسلمين الأولين ^(١)

وقال النبهاني أيضاً : « فقد كان الخليفة يتبنى حكماً شرعياً خاصاً يأمر الناس
بالعمل به ، فكانوا يلتزمون به ويتزكون رأيهم واجتهادهم ... فكان الاجماع
« إجماع الصحابة » منعقداً على أن للإمام أن يتبنى أحكاماً معينة ويأمر بالعمل بها ،
وعلى المسلمين طاعتها ولو خالفت اجتهادهم .

والتواعد الشرعية المشهورة هي « للسلطان أن يحدث من الأقضية بقدر ما
يحدث من المشكلات » و « أمر الإمام يرفع الخلاف » و « أمر الإمام نافذ ظاهراً
وباطناً » ولذلك صار الخلفاء بعد ذلك يتبنون أحكاماً معينة ، فقد تبني هارون الرشيد
كتاب « الخراج » في الناحية الاقتصادية وألزم الناس بالعمل بالأحكام التي وردت
فيه ^(٢)

إن فكرة تبني الأحكام الشرعية كما يطرحها حزب التحرير تبدو في ظاهرها
جميلة لأنها تداعب أحلام الناشئة ولكنها خطيرة على العقيدة الإسلامية والأحكام
الفقهية وبخاصة أن حزب التحرير اختار لكل سؤال جواباً ، وتبني لك مسألة حكماً ،
فأتى بما لم تأت به الأوائل ، وسنذكر شيئاً من ذلك في باب « شذوذه الفقهي » إن
شاء الله

ناهيك أنه زعم باطل لا سبيل لهم الى إثباته ، وليس عليه شبه دليل ، وكيف
وهو منقوض بعشرات الأدلة ولكن نكتفي بإيراد دليلين منها :

(١) « الدولة الإسلامية » (ص ١٠٨) .

(٢) « نظام الإسلام » (ص ٧٤ - ٧٥) .

أ - قال ابن جريج : ولقد أخبرني عكرمة : أن أسيد بن حضير الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة أخبره : أنه كان عاملاً على اليمامة ، وأن مروان كتب إليه أن معاوية كتب إليه : أن أيما رجل سرق منه سرقة فهو أحق بها حيث وجدها .

ثم كتبت بذلك إلى مروان ، وكتب مروان إلى معاوية : أن النبي ﷺ قضى بأنه : « إذا كان الذي ابتاعها (يعني السرقة) غير متهم ، يخير سيدها ، فإن شاء أخذ الذي سرق منه بثمنها ، وإن شاء اتبع سارقها » (١) .

ثم قضى بذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان .

فبعث مروان بكتابي إلى معاوية ، وكتب معاوية إلى مروان : إنك لست ولا أسيد تقضيان عليّ ، ولكني أقضي عليكما فيما وليت عليكما ، فأنفذ ما أمرتك به ، فبعث مروان بكتاب معاوية ؛ فقلت : والله لا أقضي - ما وليت - بما قال معاوية .

ب - مخالفة علي لعثمان رضي الله عنهما إبان خلافة الأخير فلم يطمعه في ما أمر به من عدم التمتع والعمرة في الحج مخالفة صريحة .

عن سعيد بن المسيب قال : اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان ؛ فكان عثمان ينهى عن التمتع والعمرة ، فقال علي : ما تريد إلى أمر فعله رسول فتنهى عنه ؟

فقال عثمان : دعنا منك فقال : إني لا أستطيع أن أدعك فلما أن رأى علي ذلك أهل بهما جميعاً (٢)

والحقيقة : أن المسلم إذا تبين له أن أمر الخليفة مخالف لنص صريح ، وجب عليه مخالفته ولا يأثم ، لأن الرسول ﷺ يقول : « اتما الطاعة في المعروف » (٣) . فقد حصر الرسول ﷺ الطاعة الواجبة لأولي الأمر في المعروف ، ولا طاعة لهم في معصية الله ، ومخالفة الدليل الصحيح معصية لله ورسوله ، سواء أكان في الأحكام أم في العقائد ، والتفريق بينهما لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا

(١) أخرجه النسائي وأحمد الحاكم وهو صحيح .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه أبو داود وغيره وهو صحيح .

من قول صاحب .

ثم تدبر قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرِّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] في هذه الآية لم يفرد الله لأولي الأمر طاعة قائمة بذاتها كما أفرد طاعة الله وطاعة رسوله ، فإن طاعة الله واجبة ، لأن الله لا يأمر إلا بالخير والحق ؛ وطاعة الرسول ﷺ كذلك ؛ فمحمد ﷺ معصوم في أمور الشريعة وتبليغها للناس فهو أمين من السماء ، فطاعته واجبة لأنها من طاعة الله بل هي طاعة الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرِّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وفي الآية لفظة رائعة تنبه أن الرسول مَبْلَغُ ما أنزل إليه من ربه ، والله أنزل إليه منهاجاً كاملاً شاملاً غير منقوص ، والرسول بَلَّغَهُ كما أنزل إليه ، واشهد المسلمين على ذلك في حجة الوداع ، وشهد الله له بذلك : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] .

ولكن أولي الأمر بشر ، والبشر خطاءون ، فهم يصيئون ويخطئون ، فما أصابوا فيه أطلعناهم ، وما أخطأوا فيه خالفناهم ونصحنا لهم فإن أصرروا على خطأهم فلا طاعة لهم ، لأن المعروف ما استحسنته الشرع .

ثانياً - مبدأ النُصْرَة :

وهذا الرأي يتبناه حزب التحرير ، ويراه من الوسائل المشروعة من أجل الوصول إلى سُدَّة الحكم ، وإقامة دولة الخلافة ، والاستعانة المقصودة هنا بالاستعانة بكافر ، أو مشرك أو إنسان غير مسلم قالوا : « وقد يكون طلبُ النصرة من رئيس دولة ، أو رئيس كتلة ، أو قائد جماعة ، أو زعيم قبيلة أو من سفير ، أو ما شاكل ذلك »^(١) .

فإن قيل : إن حزب التحرير يمنع الاستعانة بالمشركين .

قلت : إنه يستثني من ذلك حالة : « ما إذا أراد كافر بمفرده أو عدد منهم بشكل انفرادي أن ينضموا لجيش المسلمين ويحاربوا تحت رايته فإن ذلك جائز »^(٢) . وهذا خطأ من الناحيتين : العقلية والنقلية .

(١) « نظام الإسلام » .

(٢) رسالة تسمى عندهم كتاب الصوم (ص ٥١ - ٥٢) .

أما العقلية ؛ فإن العقل المنصف ليعجب أن يستعين إنساناً بآخر مناهض لفكرة ، على تحقيق فكرة ، والإسلام مبدأ ، ورسالة سماوية ، ومنهج رباني ، وما دونه أنظمة وضعية ، وقوانين أرضية ، فلا مجال للالتقاء بين الفكر الإسلامي الصحيح ، والأفكار الأرضية الوثنية .

إذن فلا مهادنة ، ولا أنصاف حلول ، ولا لقاء في منتصف الطريق ، فالإسلام يأتي ذلك ، ويفعلها صريحة مدوية إما إسلام ، وإما كفر ، إما توحيد وإما شرك ، وكل مسلم يعلم أن وظيفة الإسلام هي إقصاء الجاهلية وأنظمة الكفر من قيادة البشرية وتولي هذه القيادة على منهجه الخاص المميز ، المستقل الملامح ، الأصيل الخصائص الشريف الغايات ليعبد الله وحده ، ويكون الدين كله لله .

فكيف يجيز العقل الحزب التحريمي الجمع بين النقيضين في آن واحد ؟

وكيف يجيز له أن يجمع في صفة كفر وإيمان ؟

كيف يسمح الحزب لنفسه - والذي يدعي أن مبدأه الإسلام - أن يربط على شهادات الناس المنحرفين عن نهج الإسلام ؟

هل يعتقد الحزب أن الكافر أو المشرك أو الإنسان المنحرف ينصر الحزب ويساعده لسواد عينه ١٩ .

إن اعتقد ذلك فالحزب ينقصه العلم بطبيعة هذا الدين ، ويفتقر الى الإحاطة الشاملة المفصلة بطبيعة البشر ، فإن كل إنسان فيه روح الانتماء والولاء لفكره وعقيدته التي يحملها في هذه الحياة ... إن الحياة عقيدة وجهاد .

ورأيهم مخالف لنصوص القرآن والسنة إذ أنه يقتضي أن يختلط الحابل بالنابل ، والحديث بالطيب ، فيصبح الصف الإسلامي فيه من كل كتاب فقرة ، ومن كل بحر قطرة .

وهذا عكس نصوص القرآن والسنة التي تنص على وجوب سفور الكفر والشر والاحرام ، وأن ذلك ضروري لوضوح وبروز الإيمان والخير والإصلاح .

فاستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني ، وذلك أن أي غيبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غيبشاً وشبهة ولبساً في موقف المؤمنين

وفي سبلهم : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

ولنعد إلى مبدأ النظرية ونعرضه عرضاً واضحاً على كتاب الله وسنة رسوله ؛ لأن القول التفصيل لهما : « خرج رسول الله ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة ، أدركه رجل قد كانت تذكر فيه جرأة ونجدة » ففرح أصحاب رسول الله حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال : « أتؤمن بالله » ؟ قال لا : « فارجع فلن استعين بمشرك » فلما أسلم أذن له ^(١) .

وهذا دليل على عدم جواز الاستعانة بالمشركون في القتال ولو كانوا منفردين ويقاتلون تحت راية الإسلام ، وهو قول طائفة من أهل العلم ، ولكن أبا حنيفة وأصحابه ذهبوا إلى جواز الاستعانة .

ودليل الحنفية أن رسول الله استعان بصفوان بن أمية الجمحي يوم حنين ، واستعان بيهود بني قينقاع ورخص لهم بذلك ، وهذه الأخبار مرسلة ^(٢) .

فإن قالوا : المراسيل حجة يستشهد به « الحديث المرسل هو ما سقط منه الصحابي ، كأن يقول التابعي قال رسول الله ﷺ كذا أو فعل كذا أو فعل بحضرته كذا وصورته حديث التابعي الذي قد أدرك جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الحيار ، ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قال : قال رسول الله ﷺ » والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين :

أي هو ما رواه التابعي عن النبي بدون ذكر الصحابة ، ولا فرق بين التابعي الصغير والكبير لأن المشهور التسوية بين التابعين

وقد اختلف المحدثون والأصوليون والأئمة في الاحتجاج بالمرسل ؛ فمنهم من لا يحتج به ويعتبره كالحديث المنقطع مردوداً ، ومنهم من يحتج به ، والذين لا يحتجون بالمرسل إنما يردونه لعلّة ، وهي لأنه حذف منه راو غير معروف ، وقد يكون غير ثقة ،

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجها أبو داود في « المراسيل » والترمذي وغيرهما .

والعبرة في الرواية بالثقة واليقين ، ولا حجة في المجهول . هذه هي علة رد المرسل وهي علة صحيحة والرد بها صحيح ولكنها لا تنطبق على المرسل ؛ لأن الراوي المحذوف صحابي ، وهو وإن كان غير معروف من ناحية شخصه ولكنه معروف أنه صحابي ، والصحابة كلهم عدول ، فلا يكون غير ثقة ، بل هو ثقة يقيناً ، وعليه ذلك فلا تنطبق العلة التي ردوا بها الحديث المرسل عليه ، ولا يوجد سبب آخر لرده ، وبما أنه مستوف شروط المتن والسند والراوي ، والمحذوف من سنده صحابي لا يضر جهله ، ما دام عرف أنه صحابي ، فهو ثقة ، فذلك يدل على أن الحديث المرسل حجة يُستدل به ، قد يقال إن العلة هي احتمال رواية التابعي عن تابعي مثله عن الصحابي ، فسقوط الصحابي لا يعني سقوط راو واحد ، بل هو انقطاع يحتمل سقوط راوين تتحقق في أحدهما العدالة وهو الصحابي ، ويشك في أمر الآخر هو التابعي فيوجد في الحديث احتمال الجرح أو عدم الضبط ولذلك يُردّ قد يقال هذا الكلام ، والجواب عليه هو أن تعريف الحديث المرسل هو « ما رواه التابعي عن النبي ﷺ بدون ذكر الصحابي » فلا يدخل فيه رواية التابعي عن التابعي غير المذكور على أنه لو فرضنا دخول هذه الصورة وهي احتمال سقوط تابعي مع عدم ذكر الصحابي ، فإنه يكون احتمال سقوطه من قبيل التوهم ، بل هو توهم ، ولا يصل إلى درجة الاحتمال ، لأنه يتوهم أن يكون رواه تابعي عن تابعي لم يذكر ، ولم يذكر الصحابي ، أي يفرض أن يكون سقط منه تابعي ، ولا يوجد دليل على هذا الفرض التقديري ، فهو مجرد توهم ، والتوهم لا قيمة له ولا يُبنى عليه حكم ، ولا يقال فيه إنه رواه مجهول ، لأنه لا يوجد شيء قد أسندت إليه رواية حتى يقال عنه أنه مجهول ، وعليه فلا يعتبر الحديث المرسل من الحديث المردود بل هو من الحديث المجهول الذي يحتاج به (١) .

(١) « الشخصية الإسلامية » (١ / ٣٠١ - ٣٠٢) .

وكلامهم على الحديث المرسل عليه مأخذات :

أ - جهل حدّ الحديث المرسل فهو ما رواه تابعي عن النبي ﷺ فتقيده بـ « ما سقط منه الصحابي » خطأ .

ب - تناقضهم في حدّه فتارة يقولون : « هو ما سقط منه الصحابي » ، وأخرى : « ما =

قلنا : هذا مخالف لمصطلح الحديث ، وما اتفق عليه علماء الحديث ، فهم متفقون على أن الحديث المرسل ضعيف ، وإن تعددت طرقه .

يقول ابن الصلاح : « ثم اعلم : أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف إلا أن يصح مخرجه لمجيئه من وجه آخر »^(١) .

ويقول أيضاً : « لعل الباحث الفهم يقول : إنا نجد أحاديث محكوماً بضعفها مع كونها قد رويت بأسانيد كثيرة من وجوه مثل « الأذنان من الرأس »^(٢) ونحوه ، فهل جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن لأن بعض ذلك عضد بعضاً ، كما قلتم في نوع الحسن .

وجواب ذلك : أنه ليس كل ضعيف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه ، بل ذاك يتفاوت فمنه ما يزول عنه الضعف ، كأن يكون ضعفه ناشئاً من ضعف راويه ، وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال زال بنحو ذلك ، كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ إذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه آخر ، ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف ، وذلك كالضعيف الذي ينشأ من كون الراوي متهمياً بالكذب ، أو كون الحديث شاذاً ، وهذه جملة تفاصيلها قررت بالمباشرة والبحث ، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل ، والحكم بضعفه ، هو المذهب الذي

= رواه التابعي عن النبي ﷺ بدون ذكر الصحابي .

ت - الصور التي جعلوها توهماً ليس كذلك بل هي حقيقة وأمثلتها في كتب الرجال والمصطلح كثيرة لكنهم لعدم عنايتهم بالحديث الشريف وعلومه جعلوها توهماً وهم الواهمون .

ث - لا يقال في مثل الحديث المرسل جهالة الصحابي لا تضر ؛ لأن الصحابي كلهم عدول ؛ لأن القائل لن يستطع إثبات أن الساقط من السند هو صحابي .

(١) « المقدمة » (ص ٥٨) .

(٢) انظر تفاصيل تخريج هذا الحديث في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٣٦)

استقر عليه رأي جماهير الحفاظ ، ونقاد الأثر ، وقد تداولوه في تصانيفهم^(١) .

قلت : قول ابن الصلاح حق وصدق ، ومن أراد الزيادة فعلية الرجوع إلى أمات كتب الحديث ، وعيونها^(٢) .

وخلاصة القول : إن أحاديث المجيزين مرسله ، والأحاديث المرسله ضعيفة لا حجة فيها ، وإن تعددت طرقها .

وعلى ذلك فالاستعانة بالمشركين في القتال لا تجوز أصلاً ، وهذه من طبيعة هذا الدين القويم ، وأصل من أصوله التي جاء لتحقيقها . وعلى فرض صحة أدلة القوم ، فإنها تبیح ، وأدلتنا تمنع والحاظر مقدم على المبیح كما هو مقرر في علم الأصول . وكذلك أدلتهم فعل ، وأدلتنا قول والقوم مقدم على الفعل كما لا يخفى .

ثالثاً - القضاء والقدر

إن مسألة القضاء والقدر من أدق المسائل التي يجب على المسلم أن يوعل فيها برفق إلا أن حزب التحرير قال فيها قولاً لم تقبله الأوائل ، ولا نريد الخوض في هذه المسألة بل نرغب في الإشارة إلى أمور :

أولاً : قولهم : « وأما مسألة القضاء والقدر فإنها لم تأت في الكتاب ولا في السنة بهذين اللفظين مقرونين ، ولا نطق بها الصحابة ولا التابعون ولا كانت معروفة في أيامهم »^(٣) .

وهذا الإطلاق غير صحيح على الإطلاق ، فقد جاء هذان اللفظان مقرونين في أحاديث صحيحة كقوله ﷺ : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس »^(٤) .

(١) « المقدمة » (ص ٣٦ - ٣٧)

(٢) « الكفاية » ، (ص ٤٨٧) ، و « شرح نخبة الفكر » (ص ١٧) ، و « التقريب » (ص ٥٨ ، ٦٨) .

(٣) « الدوسية » (ص ١٨) .

(٤) أخرجه الطيالسي وغيره وحسنه الحفاظ في « فتح الباري » (١٠ / ١٦٧) .

فإن قيل : هي أحاديث آحاد .

قلنا : هي حجة في العقائد والأحكام كما سبق بيانه ، ناهيك أنهم لا يدخلون مسألة القضاء والقدر في باب العقائد : « فمسألة القضاء والقدر ليست مسألة جاء الإسلام يطلب الإيمان بها ، ولا مسألة جاءت الآيات والأحاديث تأمر بالاعتقاد بها فلا دخل لها في عقائد المسلمين التي أمروا أن يعتقدوا بها »^(١) فإذا كانت مسألة القضاء والقدر ليست عقيدة عندهم فهي حكم شرعي وخبر الآحاد حجة في الأحكام الشرعية عندهم ؛ فإن رفضوا هذا القول وقعوا في التناقض :

ثانياً : « وقد انقسم خصوم المعتزلة فريقين : فريق يقال لهم الجبرية وهم الذين يقولون بالتعبير الصريح إن الإنسان كالريشة في الفضاء تحركها الرياح حيث تشاء فلا إرادة له ولا اختيار بل هو مجبر على جميع أفعاله ، مجبر على كل شيء .

وفريق آخر هم أهل السنة ، وهؤلاء ردوا على المعتزلة وردوا على الجبرية ، فقالوا في الرد على المعتزلة : إن أفعال العباد كلها بإرادة الله ومشيئته ، والإرادة والمشيئة بمعنى واحد ، وهي صفة أزلية في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع ، مع استواء نسبة القدرة إلى الكل ، وأفعال العباد بحكمه ، إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقضيته أي قضاؤه وهو عبارة عن الفعل مع زيادة إحكام ، قال تعالى : ﴿ ففصاهن سبع سنوات ﴾ ﴿ وقضى ربك ﴾ والمراد بالقضاء المقضي ، لا صفة من صفات الله وفعل العبد بتقدير الله وهو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد من حسن وقبح ونفع وضرر ، وما يحويه من زمان ومكان ، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب ، والمقصود تعميم إرادة الله وقدرته ، لأن الكل يخلق الله وهو يستدعي القدرة والإرادة لعدم الإكراه والإجبار .

وقالوا : إن قيل : فإن على قولكم يكون الكافر مجبراً على كفره والفاسق في فسقه فلا يصح تكليف بالإيمان والطاعة .

قلنا : أي أجابوا : إن الله تعالى أراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلا جبر ، كما أنه تعالى علم منهما الكفر والفسق بالاختيار ولم يلزم تكليف المحال .

(١) « الدوسية » (ص ٢٣) .

وقالوا في الرد على المعتزلة والجبرية : للعباد أفعال اختيارية يثابون بها إن كانت طاعة ، وأنها لم تشمل كل شيء وإن هناك أفعالاً تجري على مشيئة الله واختياره ويكون هناك خالق غير الله ، ويعاقبون عليها إن كانت معصية ، وبينوا كون وجه كونها اختيارية مع أنهم يقولون : إن الله مستقل بخلق الأفعال وإيجادها فقالوا : إن الخالق لفعل العبد هو الله تعالى ، وإن لقدرة العبد وإرادته مدخلا في بعض الأفعال كحركة البطن دون البعض كحركة الارتعاش وإن الله تعالى خالق كل شيء ، والعبد كاسب ، ثم وضحوا ذلك فقالوا : إن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب ، وإيجاد الله الفعل عقب ذلك خلق ، والمقدور الواحد داخل تحت القدرتين لكن بجهتين مختلفتين ، فالفعل مقدور لله بجهة الإيجاد ، ومقدور للعبد بجهة الكسب ، وبعبارة أخرى إن الله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بقدرة العبد وإرادته ، فهذا الاقتران هو الكسب وقد أيدوا دليلهم العقلي هذا بالآيات التي أيد الجبرية بها رأيهم على خلق الله للأفعال وإرادته لها ، وأيدوا رأيهم في الكسب الذي يقولون به بقوله تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ واعتبروا أنفسهم أنهم ردوا على المعتزلة والجبرية ، واعتبروا أنفسهم أنهم اتوا برأي جديد غير رأي المعتزلة والجبرية ، وقالوا عن رأيهم : أنه خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

هذه خلاصة رأي أهل السنة ، وبالتدقيق فيه يتبين بوضوح أن رأيهم ورأي الجبرية واحد ، وأنهم جبريون ، والظاهر أنهم كانوا في حيرة بين أدلة المعتزلة وأدلة الجبرية ، فأرادوا أن يسلكوا سبيلاً وسطاً ، فاخترعوا ما سموه « الكسب » وقسروه ذلك التفسير ، وهو أنه : الاقتران العادي بين القدرة المحدثه - وهي قدرة الإنسان - والفعل ، فالله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد ، وإرادته ، لا بقدرة العبد وإرادته ، فهذا الاقتران هو الكسب أي : أن الله يخلق الفعل في اللحظة التي يهب العبد بفعله ، فيكون الفعل مخلوقاً لله وليس للعبد ، ولكن جرى خلقه مقترناً بإرادة العبد أن يفعل ، وهذا الاقتران هو ما اطلقوا عليه الكسب ، وهذا لا يقدم ولا يؤخر في المسألة ، فهو تعبير آخر عن الجبر ، فهو يرى أن القدرة الحادثة - أي قدرة

الإنسان - لا تؤثر في المقدور ، ولم ينكر أن هنا الذي سماه كسباً من خلق الله ، فالنتيجة أن العبد مجبور على القيام بالفعل وليس مختاراً فيكونون قد قالوا بالجبر ولكن بطريق اللف والدوران والتلاعب بالألفاظ ، ولهذا فإنه لا يوجد هناك سوى رأيين في مسألة القضاء والقدر التي أخذت من الفلسفة اليونانية .

أحدهما رأي المعتزلة : وهو القول بحرية الإرادة وأن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله بنفسه ، ويخلق ما تولد من هذه الأفعال وهو خواص الأشياء .

وثانيهما قول خصوم المعتزلة من المسلمين وهو القول بالجبر وأن الإنسان مجبر على القيام بأفعاله وأنه لا إرادة له بفعلها ، وكذلك فيما تولد منها وهو خواص الأشياء .

وهكذا استمر النقاش في القضاء والقدر وصار كل فريق يفهمه على خلاف الفريق الآخر ، وقد جاء بعد شيوخ المعتزلة وشيوخ أهل السنة تلامذتهم واتباعهم واستمر النقاش بينهم وتجدد في كل عصر ، ونظراً لضمور المعتزلة وغلبة أهل السنة ، صار النقاش يميل إلى جانب رأي أهل السنة^(١) .

والجواب من وجوه :

أ - ردود أهل السنة لم تكن على المعتزلة فحسب بل على الجبرية أيضاً فكل المذهبيين باطل^(٢) .

ب - نسب إلى أهل السنة مذهب باطل وهو « الكسب » والتسوية بين الإرادة والمشيئة وهذا مذهب الأشعرية وليس أهل السنة والجماعة اتباع السلف أهل الحديث . فإن قيل : المراد بأهل السنة هم الأشاعرة .

قلنا : لا يجوز تسمية الأشاعرة بأهل السنة وهم ليسوا من أهل السنة بشهادة علماء أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح .

(١) « الدوسية » (ص ٢١ - ٢٢) .

(٢) من شاء التفصيل فعليه بكتابي « مناظرات السلف » حيث نقلت مناظرتين عن « شفاء العليل » لابن قيم الجوزية ؛ الأولى مناظره بين جبري وسني ، والثانية بين قدري وسني جمعتها مجلس مذاكرة .

١ - نص الإمام أحمد وابن المديني وغيرهم على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعد من أهل السنة وإن وافق السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص الشرعية^(١) ، ولا شك أن مصدر التلقي الهام عند الأشاعرة هو العقل وقد صرح كبارهم بذلك ويتقدمه على النقل عند التعارض ولما رد عليهم ابن تيمية في كتابه الفذ « درء تعارض العقل والنقل » استفتحه بذكر قانونهم الكلي في التعارض^(٢) .

٢ - نقل ابن عبد البر عن فقيه المالكية ابن خوزير منداد شارح قول الإمام مالك : « لا تجوز شهادة أهل الأهواء » فقال : « أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها »^(٣) .

٣ - قال أبو العباس بن سريج الملقب بالشافعي الثاني : « ولا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبّهة والكرامية والمكيّفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل »^(٤)

٤ - قال أبو الحسن الكرجي من كبار علماء الشافعية : « لم يزل الأئمة الشافعية يأتون ويستكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبرؤوا مما بنى الأشعري مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبائهم عن الحوم حواليه على ما سمعت من عدة من المشايخ والأئمة ... ومعلوم شدة الشيخ^(٥) على أصحاب الكلام حتى ميز فقه الشافعي من أصول الأشعري ، وعلق عنه أبو بكر الرازقاني وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً

(١) انظر « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١ / ١٥٧ ، ١٦٥) .

(٢) ومن شاء البسط فعليه بـ « أساس التقديس » للرازي (ص ١٦٨ - ١٧٣) ،

و « الشامل » للجويني (ص ٥٦١) ، و « المواقف » للإيجي (ص ٣٩ - ٤٠) .

(٣) « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ٩٦) .

(٤) « اجتناع الجيوش الإسلامية » (ص ٦٢) .

(٥) هو أبو حامد الاسفرائيني .

لأصحابنا ميزه وقال : هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية ولم يعددهم من أصحاب الشافعي ، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين « (١) » .

والقول الصحيح أن الأشعرية من أهل القبلة وليسوا من أهل السنة والجماعة ، ولما حار كبرائهم رجعوا عن أشعريتهم كالجويني والرازي والغزالي وغيرهم فلو كانوا حقاً على السنة واتباع السلف فعن أي شيء رجعوا ؟ ولماذا رجعوا ؟ فليتأمل اللبيب هذا المقام فإنه فصل الخطاب .

ت - وصفهم لأهل السنة بأنهم جبريون من صفات أهل الأهواء كما قال الإمام أحمد إمام أهل السنة : « وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون عيبتهم ، والطعن عليهم ، والوقيعة فيهم ، والازدراء بهم عند السفهاء والجهال ... وأما القدرية : فإنهم يسمون أهل السنة والإثبات مجبرة وكذبت القدرية بل هم أولى بالكذب والخلاف ؛ ألغوا قدر الله عز وجل عن خلقه ، وقالوا ليس له بأهل وتبارك الله » (٢) .

فإن قالوا : المراد بأن الكسب هو جبر .

قلنا : نظرية الكسب مألها جبر خالص لأنها تنفي قدرة العبد ، وحقيقة الكسب عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمه فضلاً عن إفهامه لغيرهم .

مما يقال ولا حقيقة تحت معقولة تدنو إلى الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي (٣) وطرفة النظام

وهو ما أقر به الرازي فقال : « إن الإنسان مجبور في صورة مختار » (٤) ، وأما عقيدة أهل السنة والجماعة اتباع السلف في هذه المسألة فقد هدامهم الله لما اختلفوا

(١) « التسعينية » (ص ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٢) « كتاب السنة » (ص ٨٦ - بديل الرد على الزنادقة والجهمية) .

(٣) نسبة إلى أبي هاشم الجبائي .

(٤) انظر تفاسيها عندهم في كتبهم : « الإنصاف » (ص ٤٥ - ٤٦) ،

« الإرشاد » (ص ١٨٧ - ٢٠٣) .

فيه من الحق فجاء رأيهم وسطاً بين إفراط وتفریط ، فالقدريّة أثبتوا الاختيار المحض للعبد وأن الله ليس له إرادة ومشية في فعل العبد ، وهذا شرك في الربوبية .

والجبرية نفوا اختيار العبد وادخلوه دائرة الإجبار ، وأنه كريشة في الفضاء تحركها الرياح ، وتمسك كل منهم ببعض آيات القرآن التي تنصر رأيهم ، وأعرض عن الآيات الأخرى التي تعارض فهمهم ، والقرآن لا يعارض بعضه بعضاً بل يشرح بعضه بعضاً ، إذن فلا بد من التوفيق .

فقال أهل السنة اتباع السلف : إن العباد فاعلون حقيقة ، وإن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز ، وأن الله خالقهم وخالق أعمالهم لقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] ، وقوله : ﴿ خلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ [الفرقان : ٢] .

إذن أهل السنة والجماعة أثبتوا للعبد مشية واختياراً تابعين لمشية الله كما قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكويد : ٢٨ ، ٢٩] .

ونزید رأي أهل السنة والجماعة إيضاحاً فنقول إن الله خالق للعباد وجميع صفاتهم التي من جملة القادرة والإرادة اللتين بهما يوجد العبد جميع أفعاله ، وخالق السبب التام خالق لمسببه ، فإن الله خالق للقوى التي في العبد ، والعبد هو الفاعل حقيقة لأفعاله بالقوة التي أعطاه الله إياها فيجب التفريق بين خلق الفعل وفعل الفعل ، فإن خالق الفعل هو الله وفاعل الفعل هو العبد ، والله أعلم .

وقد وضع هذا المقام ابن القيم توضيحاً حسناً فقال : « وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه ، وهم براء من باطلهم فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض ، والقول به ونصيره وموالاة أهل من ذلك الوجه ، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكشوره ومعاداة أهل من هذا الوجه ، فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق ، ولا يردون حق طائفة من الطوائف ، ولا يقابلون بدعة ببدة ، ولا يردون باطلاً بباطل ، ولا يحملهم شئاً قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم ،

بل يقولون فيهم الحق ، ويحكمون في مقالاتهم بالعدل ، والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يتعدل بين الطوائف فقال : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أُمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الشورى : ١٥] .

فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه وأن يستقيم في نفسه كما أمره ، وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق ، وأن يؤمن بالحق جميعه ، ولا يؤمن ببعضه دون بعض ، وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات .

وأنت إذا تأملت هذه الآية وجدت أهل الكلام الباطل ، وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أبخس الناس منها حظاً وأقلهم نصيباً ، ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها ، وهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل أسعد بالحق من جميع الطوائف ، فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ، ومشيتته العامة ، وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وأنهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه .

والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيتته وخلقه ؛ فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته ، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة إذا قالها غيرهم على المجاز إذ العالم غلويه وسفليه وكل حي يفعل فعلاً فإن فعله بقوة فيه على الفعل ، وهو في حَوْلٍ مِنْ تَرَكَ إِلَى فَعَلٍ وَمِنْ فَعَلٍ إِلَى تَرَكَ ، ومن فعل إلى فعل ، وذلك كله بالله تعالى لا بالعبد .

ويؤمنون بأن من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً ، والمصلي مصلياً ، والمتحرك متحركاً ، وهو الذي يُسَيِّر عبده في البر والبحر ، وهو المسير والعبد السائر ، وهو المحرك والعبد المتحرك وهو المقيم والعبد القائم ، وهو الهادي والعبد المهتدي ، وأنه المطعم والعبد الطاعم ، وهو المحيي المميت والعبد الذي يحيى ويموت ، ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وإرادته

واختياره وفعله حقيقة لا مجازاً .

وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوي وغيره ، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيتته وتكوينه ، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم ، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه هو المقادير لهم على ذلك ، القادر عليه ، الذي شاء منهم وخلقه لهم ، ومشيتهم وفعلهم بعد مشيئته ، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله ، وما يفعلون إلا أن يشاء الله .

وإذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ، ووجدت سائر المذاهب خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، فقريب منه ، وبعيد ، وبين ذلك ^(١) .

ثالثاً : زعم حزب التحرير أن جميع المذاهب في هذه المسألة خطأ وأن الأمة عاشت قروناً في الخطأ : « والخطأ في هذا البحث جاء من المعتزلة أولاً وتبعهم أهل السنة والجمهورية في الخطأ ، لأنهم جعلوا كلام المعتزلة وآراءهم محل البحث وانصرفوا للرد عليهم ، وبما أن أصل البحث كان خطأ فقد استمر الخطأ وعاش المسلمون قروناً في دوامة القضاء والقدر يبحثونها على نفس الصعيد الأصلي ، والخطأ في هذا البحث آت من عدة وجوه (ثم ذكرها) .

ومن هذا كله يتبين أن أصل البحث في مسألة القضاء والقدر كان خطأ لأنه فكرة من أفكار الفلسفة اليونانية ... ولذلك كان البحث كله خطأ وقد جر إلى خطأ بل أخطاء وكذلك كانت جميع الآراء التي جاءت في القضاء والقدر خطأ محضاً سواء آراء المعتزلة أم آراء أهل السنة أم آراء الجبرية أم الآراء التي جاءت بعدهم وأوغلت بالفروض والخيالات » ^(٢) .

(١) « شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل » (١ / ١٥١ -

١٥٢) .

(٢) « الدوسية » (ص ٢٣ - ٢٥) :

والجواب من وجوه :

أ - إن هذا الزعم باطل من أساسه لأنه لا يتصور استمرار الخطأ في الأمة المحمدية المرحومة أربعة عشر قرناً حتى يأت حزب التحرير ليحرر المسألة ويوضحها ، وذلك لأن الأمة كما هو معلوم بالضرورة لا تجتمع على ضلالة ، والضلالة تعني الخطأ أو الكفر فكما أنها لا تجتمع على الكفر والردة كذلك لا تجتمع على خطأ بحيث يخفي على العلماء في كل العصور سبحانه هذا بهتان عظيم .

ب - إن حزب التحرير وهو يظن أنه جاء بالقول الفصل ينهدر جهود وأبحاث هامة لعلماء الأمة السابقين حرروا المسألة وجاؤوا بما يشفي العليل ويروي العليل كالإمام البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد » ، وابن قيم الجوزية في « شفاء العليل » وغيرهم كثير ... إن حزب التحرير بهذا الموقف ليقطع صلته بأمنته ويظهر على حقيقة أنه دخیل عليها .

ت - إن حزب التحرير يدعي الإحاطة بجميع الآراء والأقوال والمذاهب التي وردت في هذه المسألة ثم يخطئها وهذا افتئات وتشبع بما لم يعط فلقد أعرض بالكلية عن مذهب السلف في المسألة أهو الجهل أم التجاهل !؟

رابعاً : ونختتم هذه الجولة بما ادعاه حزب التحرير الصواب في مسألة القضاء والقدر فقال : « والرأي الصواب في المسألة كما وردت في الفلسفة اليونانية وهي أفعال العباد هل يقومون بها بإرادتهم أم جبراً منهم وما تولد من هذه الأفعال هل هم أوجدوه أم وجد جبراً عنهم ، الرأي الصواب في هذه المسألة بالنسبة لأفعال العباد أن الإنسان يعيش في دائرتين .

أحدهما يسيطر عليها وهي الدائرة التي تقع في نطاق تصرفاته وضمن نطاقها تحصل أفعاله التي يقوم بها بمحض اختياره .

والأخرى تسيطر عليه وهي الدائرة التي يقع هو في نطاقها وتقع ضمن هذه الدائرة الأفعال التي لا دخل له بها سواء وقعت منه أو عليه .

فالأفعال التي تقع في الدائرة التي تسيطر عليه لا دخل له بها ولا شأن له بوجودها ، وهي قسسان : قسم يقتضيه نظام الوجود ، وقسم تقع فيه الأفعال التي

ليست في مقدوره والتي لا قبل له بدفعها ولا يقتضيها نظام الوجود ، أما ما يقتضيه نظام الوجود فهو يخضع لها ولذلك يسير بحسبها سيراً جبرياً ، لأنه يسير مع الكون ومع الحياة طبق نظام مخصوص لا يتخلف ، ولذلك تقع الأعمال في هذه الدائرة على غير إرادة منه ، وهو مسير فيها وليس بمخير ، وأما الأفعال التي ليست في مقدوره والتي لا قبل له بدفعها ولا يقتضيها نظام الوجود فهي الأفعال التي تحصل من الإنسان أو عليه جبراً عنه ولا يملك دفعها مطلقاً كما لو سقط شخص عن ظهر حائط على شخص آخر فقتله ، وكما لو تدهور قطار أو سيارة أو سقطت طائرة لخلل طارئ ولم يكن بالإمكان تلافيه فتسبب عن هذا السقوط والتدهور قتل الركاب ، وما شاكل ذلك ، فإن هذه الأفعال التي حصلت من الإنسان أو عليه وإن كانت ليست مما يقتضيه نظام الوجود ولكنها وقعت من الإنسان أو عليه على غير إرادة منه وهي ليست في مقدوره ، فهي داخلية في الدائرة التي تسيطر عليه ، فهذه الأفعال كلها التي حصلت في الدائرة التي تسيطر على الإنسان هي التي تسمى قضاء ، لأن الله وحده هو الذي قضاه ، ولذلك لا يحاسب العبد على هذه الأفعال مهما كان فيها من نفع أو ضرر أو حب أو كراهية بالنسبة للإنسان ، أي مهما كان فيهما من خير أو شر حسب تفسير الإنسان لها ، لأن الإنسان لا أثر له بها ولا يعلم عنها ولا إن كيفية إيجادها ولا يملك دفعها أو جلبها مطلقاً ، وعلى الإنسان أن يؤمن بهذا القضاء أنه من الله سبحانه وتعالى .

أما بالنسبة لما تولد من أفعال الإنسان كالطعم الذي يحصل للشيء من فعل الإنسان والقطع الذي يحصل من السكين ، واللذة والصحة والشهوة والحرارة والبرودة والجبن الشجاعة وغير ذلك أي بالنسبة لخاصيات الأشياء فالرأي الصواب في هذه الخاصيات أنها هي القدر ، وهذه قد خلقها الله سبحانه وتعالى وأوجدها وليس الإنسان ، فخلق في النار خاصية الإحراق ، وفي الخشب خاصية الاحتراق وفي السكين خاصية القطع ، وجعلها لازمة لا حسب نظام الوجود لا تتخلف وكما خلق في الأشياء خاصيات خلق في الإنسان الغرائز والحاجات العضوية وجعل فيها خاصيات معينة كخواص الأشياء خاصيات معينة كخواص الأشياء ، فكانت الشهوة والجبن

والشجاعة والجوع والعطش إلى غير ذلك فالله وحده هو الذي خلق الأشياء والفرائز وقدر فيها خواصها ، وهي ليست من الإنسان ولا شأن للعبد فيها ، ولا أثر له مطلقاً ، وعلى الإنسان أن يؤمن بأن الذي قدر في هذه الأشياء الخاصيات هو الله سبحانه وتعالى ، وهذه الخاصيات فيها قابلية لأن يعمل الإنسان بواسطتها عملاً وفق أوامر الله ونواهيه فيكون خيراً ، أو يخالف أوامر الله فيكون شراً ، سواء في استعمال الأشياء بخواصها أو باستجابته للفرائز والحاجات العضوية ، خيراً إن كانت حسب أوامر الله ونواهيه ، وشراً إن كانت مخالفة لأوامر الله ونواهيه .

فهذه الأفعال التي تقع من الإنسان في الدائرة التي تسيطر عليه وهذه الخاصيات للأشياء والفرائز ، هذان الأمران هما القضاء والقدر ، وهما من الله سبحانه وتعالى خيراً أو شراً ، ومن هنا يجب الإيمان بالقضاء والقدر خيرهما وشرهما من الله تعالى ، أي يجب الإيمان بأن الأفعال التي تقع في الدائرة التي تسيطر على الإنسان وخواص الأشياء والفرائز كلها من الله تعالى خيرهما وشرهما وهذا هو الصواب في مسألة القضاء والقدر .

أما الأفعال التي يسيطر عليها الإنسان فهي الدائرة التي يسير فيها مختاراً ضمن النظام الذي يختاره سواء شريعة الله أو غيرها ، وهذه الدائرة هي التي تقع فيها الأعمال التي تصدر من الإنسان أو عليه بإرادته ، فهو يمشي ويأكل ويشرب ويسافر في أي وقت يشاء ويمتنع عن ذلك في أي وقت يشاء ، يفعل مختاراً ويمتنع عن الفعل مختاراً ، ولذلك يسأل عن الأفعال التي يقوم بها ضمن هذه الدائرة وهذه الأفعال هي محل التكليف وهي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، وهذه ليست من القضاء والقدر ولا شأن للقضاء والقدر فيها ، لأنه مختار في القيام بها وليس مجبراً عليها . أما كون الله خلق هذا الفعل أم العبد فليس ذلك وارداً هنا ، لأن المسألة هنا هي قيام العبد نفسه بفعله مختاراً غير مجبر ، وليس المسألة هي إيجاد الفعل من العدم ، فالمسألة هي الإنابة على الفعل والعقاب عليه ، والعبد قام بالفعل مختاراً غير مجبر ، ولذلك كان الإنسان مسؤولاً عن هذا الفعل مسؤولاً عما كسبه ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ فإيجاد الفعل من العدم غير وارد هنا ولا محل له فلا محل لبحثه في الأفعال الاختيارية ، وأما إرادة الله للفعل فإنه قد أراده خيراً أم شراً ، لأنه لا يقع

ففي ملكه إلا ما يريد ، ولكن معنى إرادته هنا أنه لا يقع في ملكه شيء جبراً عنه ، فإذا عمل العبد عملاً ولم يمنعه الله منه ولم يرغمه عليه ، بل تركه يعمل مختاراً ، كان فعله هذا بإرادة الله تعالى لا جبراً عنه ، وكان فعل العبد نفسه باختياره ، وكانت الإرادة غير مجبرة على العمل ، فبحث الإرادة لا دخل له في الأفعال الاختيارية ، لأن البحث ليس أن الله أراد الفعل أم لم يردده ، بل البحث هو هل قام العبد بالفعل مجبراً أم مختاراً ، وبما أنه ثبت أنه قام بالفعل مختاراً في الأفعال الاختيارية ، أي التي تقع في الدائرة التي يسيطر عليها لذلك لم يكن مجبراً فلا تكون هذه الأفعال داخلة بالقضاء والقدر^(١) .

والجواب من عدة وجوه :

١ - قولهم والرأي الصواب في المسألة كما وردت في الفلسفة اليونانية تناقض فهم نعوا على المعتزلة ومن رد عليهم بحثهم للمسألة وهي ليست إسلامية بل من الفلسفة اليونانية وها هم يقعون فيما عابوه على غيرهم .

٢ - إن مسألة القضاء والقدر لا تتعلق فقط بخلق أفعال العباد بل إنها أربع مراتب ، قال ابن قيم الجوزية : « مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها »^(٢) .

٣ - إن حزب التحرير تكلم عن دائرتين وهما دائرة الأفعال الاختيارية ودائرة الأفعال غير الاختيارية ، ومعلوم أن مسألة خلق أفعال العباد بحثها أفعال العبد الاختيارية .

(١) « الدوسية » (ص ٢٥ - ٢٦) .

(٢) « شفاء العليل » (١ / ٩١) .

٤ - أنه عاد إلى قول المعتزلة وأيده : « احداها يسيطر عليها وهي الدائرة التي تقع في نطاق تصرفاته وضمن نطاقها تحصل أفعاله التي يقوم بها بمحض اختياره ... أما الأفعال التي يسيطر عليها الإنسان فهي الدائرة التي يسير فيها مختاراً ضمن النظام الذي يختاره سواء شريعة الله أو غيرها وهذه الدائرة هي التي تقع فيها الأعمال التي تصدر من الإنسان أو عليه بإرادته ، فهو يمشي ويشرب ويسافر في أي وقت يشاء ويمتنع عن ذلك في أي وقت يشاء يفعل مختاراً ويمتنع عن الفعل مختاراً ، ولذلك يسأل عن الأفعال التي يقوم بها ضمن هذه الدائرة وهذه الأفعال هي محل التكليف وهي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، وهذه ليست من القضاء والقدر ولا شأن للقضاء والقدر فيها لأنه مختار في القيام بها وليس مجبراً عليها ... الخ » وهذا هو مذهب المعتزلة كما نقلوه : « فالمعتزلة يقولون أفعال العباد مخلوقة لهم ومن عملهم هم لا من عمل الله وباختيارهم المحض ففي قدرتهم أن يفعلوها وأن يتركوها من غير دخل لإرادة الله وقدرته ... »^(١) وهو ظلمات بعضها فوق بعض ولا يسمع المقام لتفنيده ومكانه المطلقات في هذا الباب كـ « شفاء العليل » لاین قیم الجوزية رحمه الله .

رابعاً - صفات الله

قال تقي الدين النبهاني : « لم تعرف قبل ظهور المتكلمين مسألة صفات الله ، ولم تُثر في أي بحث من الأبحاث ، فلم يرد في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف كلمة صفات الله ، ولم يُعرف عن أحد من الصحابة أنه ذكر كلمة صفات الله أو تحدث عن صفات الله »^(٢) .

قلت : هذا هو منهج النبهاني في إطلاق النفي وادعاء الإحاطة ، وكان الأخرى به أن يقول لم أفق على شيء من ذلك ، لأن فوق كل ذي علم عليم .

إن صفات الله أو صفة الرحمن وردت في أحاديث صحيحة صريحة منها : عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم

(١) « الدورية » (ص ١٨) .

(٢) « الشخصية الإسلامية » (١ / ٩٧) .

يقول هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : « أخبروه أن الله يحبه »^(١)

وقال : « ثم إن وصف الله إنما يؤخذ من القرآن ، وكما ورد في القرآن ، فالعلم يؤخذ من مثل قوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس في كتاب مبين ﴾ ، والحياة تؤخذ من مثل قوله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ ، والقدرة تؤخذ من مثل قوله تعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ﴾ ﴿ ألم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ، والسمع من مثل قوله تعالى : ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ ﴿ والله سميع عليم ﴾ ، والبصر من مثل قوله تعالى : ﴿ وإن الله سميع بصير ﴾ ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ ﴿ وإن الله هو السميع البصير ﴾ ، والكلام من مثل قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ والإرادة من مثل قوله تعالى : ﴿ فقال لما يريد ﴾ ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ ، والخالق من مثل قوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ ﴿ وخلق كل شيء فقدره ﴾ فهذه أوصاف وردت في القرآن الكريم كما وردت أوصاف غيرها مثل الوجدانية والقدّم وغيرها ولم يكن هنالك خلاف بين المسلمين بأن الله واحد أزلي حي قادر سميع بصير متكلم عالم مُريد »^(٢) وهذا الكلام عليه مأخذات منها :

- ١ - ذكر هذه الصفات وهي المسئلة عند الأشاعرة صفات المعاني وهي العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة تحكم محض .
- ٢ - قوله : « إن وصف الله إنما يؤخذ من القرآن » إلغاء لدور السنة في هذا

(١) أخرجه البخاري .

(٢) « الشخصية الإسلامية » ، (١ / ٩٧ - ٩٨) .

الباب ، وهو ثسرة طبيعية لمن أنكر حجية خبر الأحاد في العقيدة كما بينته في كتابي « الأدلة والشواهد »^(١) .

٣ - وقال : والكلام هو صفة أزلية عبر عنه بالنظم المسمى بالقرآن ، والله تعالى متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والاصوات ، وهو صفة منافية للسكوت والآفة ، والله تعالى متكلم بها أمر ، ناه ، مخبر ، وكل من يأمر وينهى ويخبر ، يجد من نفسه معنى ثم يدل عليه »^(٢) .

قلت : هذا كلام الأشاعرة وهو المسمى عندهم بالكلام النفسي ، وقد ردّ عليهم علماء السلف بدعتهم وبينوا سفههم وأن الله متكلم متى شاء بصوت وحرف وأن هذا لا يستلزم حارجة كما يدعون .

ومرة أخرى يزعم أن الأمة عاشت في الخطأ في هذه المسألة فقال : « وهكذا نشب الجدل بين المتكلمين المعتزلة من جانب ، والسنة من جانب آخر ، في صفات الله ، كما نشب في غيرها من مثل القضاء والقدر ، والغريب أن نقاط الجدل التي أثارها المتكلمون ، كان قد أثارها نفسها الفلاسفة اليونان من قبل . فالفلاسفة اليونان كانوا قد أثاروا هذه النقاط بالنسبة لصفات الخالق ، فجاء المعتزلة يجيبون عليها ولكن جواباً في حدود إيمانهم بالله ، وفي حدود آرائهم بالتوحيد . وتصدى لهم أهل السنة لتخفيف هذا الاندفاع وراء الفلسفة اليونانية ، ووراء ما توصل إليه الفروض النظرية والقضايا المنطقية ولكنهم وقعوا في نفس ما وقع به المعتزلة فردوا على الصعيد نفسه ، وهو جعل العقل أساساً للنقاش والجدال فيما يدركه وما لا يدركه ، وما يحسه الإنسان وما لا يحسه ، وجعلوا آيات القرآن والأحاديث مؤيدة لأقوالهم ، وأولوا ما ورد من آيات وأحاديث تخالف آراءهم . وبذلك استوى المتكلمون جميعاً من معتزلة وأهل سنة وغيرهم في جعل العقل هو الأساس ، وجعل آيات الله تؤيد ما يرشد إليه العقل أو تؤول لتفهم حسب ما يرشد إليه عقل الفاهم منهم »^(٣) .

وقال : « ولهذا كان بحث المتكلمين جميعاً في صفات الله في غير محله وهو خطأ محض »^(٤) .

(١) (ص ٩٩ - ١٠٠) .

(٢) « الشخصية الإسلامية » (١ / ٩٩ - ١٠٠) .

(٣) المرجع السابق (١ / ١٠١) .

(٤) المرجع السابق نفسه (١ / ١٠٤) .

قلت : مضى الجواب عن هذا الادعاء^(١) .

ثم يبين منهجه في الصفات وهو التفويض : « فصفات الله توقيفية ، فما ورد منها في النصوص القطعية ذكرناه بالقدر الذي ورد في النصوص ليس غير ، فلا يجوز أن نزيد صفة لم ترد ولا أن نشرح صفة بغير ما ورد عنها بالنص القطعي »^(٢) .

قلت : مضى بيان تهافت التفويض في بيان عقيدة حسن البنا وشيعته^(٣) .

خامساً - الشذوذ الفقهي :

وأما شذوذ حزب التحرير الفقهي فأمر مشهور ويحتاج مجلداً ولكن نكتفي بإشارة أصبع للسمايين بمعنى الألوان فأصبحوا أبواق تردد ما يملى عليها ولا تعقل ما يلقي إليها .

١ - القتال تحت راية الكفر والعملاء :

« ... إلى غير ذلك من الآيات وكلها جاءت مطلقة غير مقيدة والمطلق يجري على إطلاقه ما لم يرد دليل التقييد ولم يرد دليل يقيدتها تحت راية الحاكم العادل دون الحاكم الجائر أو الحاكم الصالح دون الحاكم الفاسق ، أو الحاكم المخلص دون الحاكم العميل بل جاءت مطلقة وهذا يعني أن القتال فرض تحت راية أي حاكم مطلقاً .

على أن هناك أحاديث تدل على أن جور الحاكم لا يمنع القتال معه وهو يعني قاتلوا مع الإمام الجائر ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « والجهاد ماض مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » فهذا دليل على أنه لا فرق في وجوب الجهاد بين أن يكون مع الإمام العادل أو الجائر ، على أن هناك أحاديث تنص بصراحة على وجوب القتال مع الحاكم الفاجر فقد أخرج أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الجهاد ماض مع البر والفاجر » وعن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً ، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برأ كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر » فهذا نص في وجوب الجهاد تحت راية الفاسق وإن عمل الكبائر ،

(١) (ص ٣١٠) من هذا الكتاب .

(٢) « الشخصية الإسلامية » (١ / ٨٤) .

(٣) (ص ١٩٨) من هذا الكتاب .

وعلى هذا فإنه علاوة على أن أدلة وجوب الجهاد كلها مطلقة غير مقيدة فإن هناك أدلة أخرى تنص على وجوب الجهاد مع الحكام الفساق والفجار ، ومثلهم من يحكمون بأحكام الكفر ، ومن يكونون عملاء للكفار ما دام القتال قتال كفار .

وهنا قد يرد سؤال وهو أن العميل قد يهيء معركة مصطنعة مع الكفار لتنفيذ خطة لدولة كافرة فهل في هذه الحال يجب القتال تحت راية ذلك الحاكم العميل ؟ والجواب على ذلك إن كانت هذه الخطة ليس فيها ضرب المسلمين ولا إيقاع أذى بهم فالقتال واجب تحت راية ذلك الحاكم ولو كان تنفيذاً لخطة دولة كافرة ما دام قتالاً للكفار ، لأن أدلة الجهاد جاءت عامة غير مقيدة ، وتقيدها بأية حالة من الحالات يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة حتى يصلح لتقييد المطلق ولم يأت دليل يقيّد والعقل لا يصلح لتقييد النص ، لذلك كان القتال واجباً ، أما إذا كانت تلك الخطة تضرب المسلمين وهي معمولة لهلاك المسلمين ، فإنه حينئذ لا يقاوم تحت رايته بل يحرم القتال تحت راية ذلك الحاكم وذلك لأن ضرب المسلمين وإهلاكهم حرام والقاعدة الشرعية « الوسيلة إلى الحرام حرام » سواء أكانت الوسيلة واجباً أم مندوباً أم مباحاً فإنها تصبح حراماً ، ففي هذه الحال أوصل الواجب وهو القتال تحت راية الحاكم في هذه الحال إلى حرام ، فكان حراماً فتطبق عليها القاعدة المذكورة فكانت حرمة القتال في هذه الحالة ليس تقييداً للمطلق ، بل يبقى المطلق على إطلاقه ، وإنما هي عملاً بحكم آخر في حالة معينة وعلى هذا يظل الحكم الشرعي كما هو والجهاد واجب تحت راية كل حاكم أيّاً كان ذلك الحاكم ^(١) .

وهذا قول مردود عقلاً ونقلاً ؛ لأنه التباس المفاهيم الإسلامية ، بالأنظمة الأرضية الوضعية ، وكذلك اختلاط الشارات والعناوين مما لا يقره دين ولا عرف ، فإن الإسلام نظام مميز ، له أسسه وخواصه وركائزه ، التي لا تلتقي مع أي نظام أرضي ومن خرج عن هذه القواعد المحددة كان في خطر عظيم .

وأما قولهم : ورد في استمرار القتال إلى يوم القيامة أحاديث جمّة ، ونصوص كثيرة ولا يمتنع أحد ، وأنه ماضٍ مع كل أمير ير وفاجر .
فالجواب : إن هذه الأحاديث لا تصح وعلى افتراض صحتها - وهي غير

(١) « الدوسية » (ص ٦٢) .

صحيحة - فهي تجيز القتال تحت قيادة الأمير البر والفاجر ، والأمير إذا كان فاجراً أو فاسقاً ، لا يعني أن تكون الراية فاجرة وفاسقة ؛ لأنه ورد في بعض الآثار : أن الوليد بن عقبة كان أميراً على رهط من المسلمين ، وشرب الخمر فأراد الجند جلده ، فمنعهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مستندلاً بأن الرسول نهى عن إقامة الحدود في الغزو .
فهذا الأمير فاسق ، ولكن الراية مسلمة ، لذلك قاتل الصحابة بقيادته ولكن موضوع البحث إذا كانت الراية فاجرة وفاسقة وكافرة وليست في سبيل الله ، فهذا هو محور كلامنا ، ومدار بحثنا وهو المنهي عنه كما ورد في عدة أحاديث صحيحة منها :

عن جندب بن عبد الله البجلي : « من قتل تحت راية عُمية ، يدعو إلى عصبية ، أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية »^(١) .

عن أبي هريرة : « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عُمية يفضب بعصبية ، أو يدعو إلى عصبية ، أو ينصر عصبية ، فقتل فقتلته جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفني لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه »^(٢) .
ومن المفاهيم الإسلامية التي يجب وضوحها لدى كل مسلم أن الإمارات في التصور الإسلامي ثلاث :

أ - الإمارة البرة ، وهي ما كان على منهاج النبوة ؛ أمير بر ، وراية برة مثل الخلفاء الراشدين ، فقد كانت دولتهم رضوان الله عليهم امتداداً أميناً لمواريث النبوة ، مبرأة من وصمة القومية ، أو العصبية ، أو الاحتراف السياسي بمعانيها المظلمة الشائعة في النظم الرضعية الجاهلية .

ب - الإمارة الفاجرة ، وهي مما كان فيها الأمير فاجراً ، والراية برة ، وما أعظم كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث أنكر الخوارج ضرورة الخلافة فقال : « لا بُدَّ للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

فقل يا أمير المؤمنين : هذه البرة قد عرفناها ، فما بال الفاجرة ؟
فقال : تقام بها الحدود ، وتأمين السبل ، ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها
الفيء ^(١) .

ت - الإمارة الكافرة ، وهي ما كان فيها الأمير فاجراً كافراً ، والراية على
شاكلته .

ولذلك فإن هذه الأحاديث لا تصلح للاحتجاج بها على القتال تحت راية
الكفار والعلماء .

ناهيك أن القتال تحت راية الكفار والعلماء تنفيذاً لخطه دوله كافره فإن هذا
القتال ليس في سبيل الله وعليه فإن الاحتجاج بالآيات الدالة على وجوب القتال في
سبيل الله مردود وغير مقبول لأن الجهاد في سبيل الله هو أن تكون كلمة الله هي
العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وفي هذا القتال الذي يتم تنفيذاً لخطه دولة
كافره تكون كلمة الكفار هي العليا ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :
سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء أي ذلك في
سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في
سبيل الله » ^(٢) .

فهل تنفيذ أغراض الكفار وتسخير المسلمين لأعداء الله وتقتيلهم في ساحات
المعارك خدمة لأعداء الله في سبيل الله ؟!

لا شك أن الذين كفروا وعملاءهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وليس في سبيل
الله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ
الطاغوت ﴾ [النساء : ٧٦] .

ثمة أمر آخر أليس قتال المسلمين بجانب الكفار تنفيذاً لخطه دوله كافره ضرباً
للمسلمين وإهلاكاً لهم .

فإن قيل : هذه الصورة التي فيها قتال المسلمين كفاراً بجانب الكفار ، وإنما

(١) « السياسة الشرعية » ، ابن تيمية ، (ص ٥٧) .

(٢) أخرجه الشيخان .

أردنا أن نهيء عسيل معركة مع إسرائيل تنفيذاً لمخطط أمريكي أو إنجليزي كما حدث في حرب حزيران (١٩٦٧ م) وتشرين أول سنة (١٩٧٣ م) الخ^(١) .
فالجواب : إن الفتوى المتقدمة لا تسعف هذا التأول والذي يريد التنهieb من خطورتها والتقليل من شأنيتها .

وأما الصورة الجديدة لهذه الفتوى فإن جميع الحروب التي يخطط لها الكفار ودول الاستعمار سواء أحارب فيها المسلمون لوحدهم أم بجانب دول كافرة فالمراد منها إنهاك قوى المسلمين ، واستنزاف ثرواتهم ، وطاقاتهم ، وضرب الدعاة الاسلاميين ، والواقع الذي يتجسج حزب التحرير بفهمه ورصده أكبر دليل ؛ فما من معركة مع اليهود إلا وكان وقودها الحقيقي الشباب الإسلامي والدعاة إلى الله ، والهدف منها التسكين لدولة المنسخ اليهودي في فلسطين السلبية ، وتوطيد أركان الأنظمة التي تدعمنها وتحميها ، وتقود الأمة للاعتراف بها كواقع ما له من دافع .

٢ - نظام العقوبات : صاغ حزب التحرير أقوالاً مفادها أن نظام العقوبات الإسلامي يحكم بأن يقتل المسلم بالكافر ، وأن دية الذمي كدية المسلم « أما الكافر غير الحربي فإنه إما أن يكون ذمياً أو مستأمناً ، فإن كان الكافر ذمياً فإنه يعامل معاملة المسلم في صيانة دمه وماله وعرضه ، ودمه حرام على المسلمين كدم المسلم .

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

وروى الترمذي في « صحيحه »^(٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين خريفاً » .

فإنهذان الحديثان دلا على تحريم قتل المعاهد والذمي ، واشتملا على تشديد الوعيد على قتل المعاهد والذمي لدلاتهما على تخليده في النار^(٣) ، وتحريم الجنة عليه .

(١) الرد على كتاب « الدعوة الإسلامية فريضة شرعية » (ص ١٣ - ١٧) .

(٢) هذا تساهل واضح ، والصواب « سنه » .

(٣) هذا تكفير بالمعصية ، وهو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة موافق لعقيدة الخوارج نعوذ بالله من الخذلان .

وأخرج البيهقي من حديث عبد الرحمن البيلماني : أن رسول الله قتل مسلماً بمعاهد ، وقال : « أن أكرم من وفي بدمته » .
وأخرج الطبراني : أن علياً أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فقامت عليه البيعة فأمر بقتله ^(١) .
والجواب من أوجه :

أ - حديث البخاري والترمذي ليس فيهما دليل على قتل المسلم بالكافر ، وإنما عمدة هذا القول في الاستدلال حديث ابن البيلماني الذي أخرجه البيهقي والدارقطني وابن أبي شيبة والطحاوي وهو حديث منكر أعله الطحاوي بالإرسال ، وقد وصله الدارقطني والبيهقي عن ابن البيلماني عن ابن عمر وقال الدارقطني : « ابن البيلماني ضعيف لا تقوم به حجة إذا وصل فكيف بما أرسله » ، وأقره الحافظ ابن حجر ^(٢) .
ويزيد الحديث ضعفاً مخالفته ومعارضته للثابت الصحيح : « لا يقتل مسلم بكافر » ^(٣) . وبه أخذ جمهور الأئمة ولم يخالف إلا الحنفية .

ب - أما أثر علي الذي أخرجه الطبراني ؛ فإسناده ضعيف ضعفه الزيلعي ^(٤) ، وأعله بأن فيه حسين بن ميمون ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي في الحديث ، وذكره البخاري في « الضعفاء » ومما يطمئن القلب إلى ضعفه وأنه من الآثار المكذوبة ، مخالفته لحديث علي السابق .

فيا عجباً لقرم يستحلون دماء المسلمين بالأحاديث الواهية المنكرة ، وكم لهذا الحزب من سبقتات ومخالفات دليhle أحاديث أوهى من خيوط العنكبوت ، ولولا ضيق المجال لأتينا عليها واحدة تلو الأخرى ، ولكن هاك مثلاً آخر .

(١) « نظام العقوبات » عبد الرحمن المالكي (ص ١٠٠) .

(٢) « فتح الباري » (١٢ / ٢٢١) .

(٣) أخرجه البخاري وغيره من حديث علي رضي الله عنه ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٤) « نصب الراية » (٤ / ٣٣٧) .

يستدل حزب التحرير على قوله بأن دية الذمي كدية المسلم « وأما كون دية الذمي كدية المسلم قوله ﷺ : « وأن في النفس الدية مائة من الإبل » ، وكلمة نفس تشمل الكافر والمسلم غير أن الكافر الحربي جاءت نصوص تهدر دمه فلا دية له فتكون مقصودها الذمي ، وهناك نصوص صريحة : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله » ووجه الاستدلال أنها ذكرت الدية مطلقة غير مقيدة .

أخرج الترمذي أن النبي ﷺ ودى العامرين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية ، وكان لهما عهد من النبي ولم يشعر به عمرو بدية المسلمين .

وأخرج البيهقي عن الزهري : إنها كانت دية اليهودي والنصراني في زمن النبي مثل دية لمسلم وفي زمن أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما كان معاوية أعطى أهل المقتول النصف والتقى النصف في بيت المال .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي قال : « دية اليهودي والنصراني مثل دية المسلم » . وعن ابن عمر : « أن النبي ودى ذمياً دية مسلم » .
والجواب :

١ - إن كلمتي نفس ودية وأن كانتا عامة فقد جاءت الأحاديث الصحيحة وقيدتها بأن دية الذمي نصف دية المسلم .

٢ - والأحاديث التي يستدل بها الحنفية ومن بعدهم حزب التحرير منكراً ، وإليك البيان :

أ - حديث الزهري الذي أخرجه البيهقي قال فيه (٨ / ١٠٢) : « رده الشافعي بكونه مرسلأ ، وبأن الزهري قبيح المرسل » ، وذلك لأن الزهري من كبار الحفاظ ولا يرسل إلا لعللة^(١) ، وتقدم الرد على احتجاجهم بالمرسل^(٢) .

ب - وأما حديث ابن عمر الذي أخرجه الدارقطني والبيهقي ضعفه الدارقطني بقوله : « لم يرفعه عن نافع غير أبي كرز وهو متروك ، واسمه عبد الله بن عبد الملك

(١) « نيل الأوطار » الشوكاني (٧ / ٥٥) .

(٢) (ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

الفهري » .

ت - بقية الآثار منكراً لمخالفتها ما رواه الثقات عن الرسول ﷺ : « أن عقل^(١) الكتائبين نصف عقل المسلمين ، وهم اليهود والنصارى »^(٢) وله لفظ آخر : « كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ثمانمائة دينار - ثمانية آلاف درهم - ودية أهل الكتاب يومئذ نصف دية المسلمين »^(٣) « دية الكافر نصف دية المسلم »^(٤) .

٣ - الزواج من المحارم

قال المحامي السوري عبد الرحمن المالكي : « من تزوج بإحدى محارمه المؤبدة يسجن عشر سنوات »^(٥) .

الزواج من المحارم أشد جرماً وأغلظ حرمة من الزنا ، لأن حرمة المحارم كالأم والأخت وزوجة الأب وغيرهن من المعلوم من الدين بالضرورة ، والزواج يعني استمرار الزنا بل استحلاله والعياذ بالله .

وتتضح هذه الصورة إذا علمنا أن جريمة الزنى تتفاوت في الاثم بالنسبة للمزني بها ؛ فالزنا بحليلة الجار أشد من الزنا بغيرها وهو ما أخبر عنه رسول الله ﷺ بقول : « لأن يزني الرجل بعشرة نسوة خير له من أن يزني بامرأة جاره »^(٦) ، والزنا بنساء المجاهدين أشد كما أخبر به الصادق الأمين : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى » ثم التفت

(١) - السدّية .

(٢) - أخرجه الترمذي وأحمد وابن خزيمة وهو حسن .

(٣) - أخرجه أبو داود .

(٤) - أخرجه أبو داود بإسناد حسن .

(٥) - « نظام العقوبات » (ص ٢٠٥) .

(٦) - أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » وأحمد وغيرهما وهو صحيح .

إلينا رسول الله فقال : « ما ظنكم »^(١) ولذلك فإن الزنا بالمحارم أو الزواج منهم فيه العقوبة المغلظة .

قال العلامة ابن كثير - بعد تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] - : فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه ، فيقتل ويصير ماله فيماً لبيت المال ، كما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من طرق عن البراء بن عازب عن خاله أبي بردة - وفي رواية ابن عمر وفي رواية عمه - أنه بعث رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه من بعده أن يقتله ويأخذ ماله ، وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أشعث عن عدي ابن ثابت عن البراء بن عازب قال : مر بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقد له النبي ﷺ فقلت له : أي عم أين بعثك النبي ﷺ ؟ قال : بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه^(٢) فإن قالوا : « هذا حكمه التعزير فقط ولا يحد وذلك لأن عقد الزواج شبهة يدرأ به الحد لقوله ﷺ : « ادروا الحدود بالشبهات » والتعزير عقوبة موكولة إلى الخليفة فهو الذي يقدرها ويعنيها بحيث تكون رادعة ، وهذا الحكم ليس استنتاجاً جديداً بل هو رأي للإمام أبي حنيفة ، فقد قال رحمه الله فيمن تزوج امرأة محرمة عليه وهو يعلم بأنه لا يحد وإنما يعاقب عقوبة تعزيرية ، واستدل بالحديث التالي : « أتينا امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر لما استحلت من فرجها » فمع الحكم ببطالان النكاح أسقط الحد ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : هذا دليل على أن صورة العقد مسقط للحد ، وإن كان العقد باطلاً شرعاً ، وهذا الرأي موجود في كتاب المبسوط^(٣) .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » (١ / ٤٧٩) .

(٣) كتاب الرد على « الدعوة الإسلامية » (ص ٨٥ - ٨٦) .

قلنا : هذا كلام متهاافت ساقط فإن الزواج من المحارم ليس في حرمة شبهة بل هو معلوم بالضرورة ، والحديث الذي فيه اشتراط الولي لا ينتزل على هذا المسألة فشتان ما بينهما ، ناهيك أنه تقدم حكم رسول الله ﷺ فيمن تزوج باحدى محارمه ولا يعارض حكم رسول الله باجتهاد فقيه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

٤ - أمثلة متفرقة :

ونكتفي بهذه الأمثلة لكن فتاوى هذا الحزب الشاذة التي لا يقرها شرع أو عقل أو عرف كثيرة منها :

١ - القبلة بشهوة مباحة وليس حراماً كما في نشرة جواب وسؤال (٢٤ ربيع أول ١٣٩٠ هـ) الموافق (٢٩ / ٥ / ١٩٧٠ م) .

٢ - جواز لبس الباروكة والبنطال كما في نشره جواب وسؤال (٢ محرم ١٣٩٢ هـ) الموافق (٢٧ / ٢ / ١٩٧٢ م) .

٣ - سقوط الصلاة والصوم عن رائد الغضاء المسلم وسكان القطبين الذي راح صاحب الرد على كتاب « الدعوة الإسلامية » يجلب بخيله ورجله ليثبت صحته وصادقه^(١) .

٤ - التبرج يرجع فيه للمجتمع فما يقرره المجتمع بشأنه يكون هو المعتبر كما في جواب وسؤال (٢٤ / محرم / ١٣٩٠ هـ) الموافق (١ / ٤ / ١٩٧٠ م) .

٥ - جواز مصافحة النساء كما في نشره بتاريخ (١٧ ربيع أول ١٣٨٣ هـ) الموافق (٧ / ٨ / ١٩٦٣ م) ونشرة أخرى بتاريخ (٢٠ صفر ١٣٩٠ هـ) الموافق (٢٦ / ٤ / ١٩٧٠ م) .

٦ - النظر إلى صورة المرأة ليس بحرام ولو بشهوة كما في نشرة (١٦ شوال ١٣٨٨ هـ) الموافق (٤ / ١ / ١٩٦٩ م) وفيها : « والتفكير بشهوة ، والتخيل بشهوة ، والنظر إلى الصورة بشهوة ليس بحرام ، وبناء على هذا فإن الذهاب إلى السينما ليس بحرام لأنها صورة متحركة » وجاء في نشرة (٢١ جمادى ١٣٩٠ هـ) الموافق (٢٤ / ٧ / ١٩٧٠ م) : « ولذلك فإن النظر إلى صورة المرأة سواء في المرأة

(١) (ص ٩٦ - ١٠٤) .

أو على بطاقة أو جريدة أو ما شاكل ذلك ليس بحرام » .

٧ - التخييل للعملية الجنسية ولو مع أجنبية مباح كما في جواب على سؤال (١٥) بتاريخ (١٦ شوال ١٣٨٨ هـ) الموافق (٤ / ١ / ١٩٦٩ م) : « التخييل والتفكير بما يتعلق بالناحية الجنسية ليس بجرام سواء أكان ذلك أثناء الجماع أم غير ذلك وسواء تخيل زوجته أو أجنبية كل ذلك ليس بحرام ولا بمكروه وإنما هو مباح » .

٨ - لم يحرم زواج المتعة كما في جواب على سؤال (٢٦) في (شهر جمادى ١٣٩٠ هـ) الموافق (شهر آب ١٩٧٠ م) : « المتعة في مذهب جعفر زواج ، ومذهب جعفر يعتبره الحزب كمذهب أبي حنيفة ، والتبني فيها قد يجر إلى مناقشات جانبية ، فرجح عدم التبني ، ولكن أخرج جواب سؤال ، وشبابه لا يخالفون ما يخرج من آراء ولو لم تكن متبناة » .

٩ - إباحة الغناء كما في جواب سؤال (٩) بتاريخ (٢٠ صفر ١٣٩٠ هـ) الموافق (٢٦ / ٤ / ١٩٧٠ م) : « صوت المرأة ليس بعورة ، والغناء مباح وسماعه مباح والأحاديث الواردة في النهي عن الغناء لم يصح منها حديث ، وما صح منها لا يعتبر تحريم للغناء وأحاديث إباحة الغناء صحيحة » .

سادساً . القهافت السياسي :

وأما الوعي السياسي الذي يتبجح حزب التحرير به فإنه لا يتعدى رصد الإذاعات وتبعية وكالات الأنباء وقراءة المجلات والجرائد : « كان الشيخ (التبهاني) يقضي جل وقته في القراءة والكتابة والمذايع أمامه يستمع منه أخبار العالم ليكتب منشوراته السياسية القوية »^(١) .

وهذا لا يسن ولا يغني من جوع وإليك بعض وعيهم السياسي .

١ - حكام تركيا والأفغان ليسوا عملاء وباقي حكام البلاد الإسلامية عملاء .

« وهنا قد يرد سؤال وهو أن البلاد الإسلامية صحيح أنها مقسمة إلى دول ولكنها متحررة من الاستعمار ومن سلطان الكفار وحكامها مسلمون ، وهي إنما تحكم بنظام كفر . فالكفاح إنما يكون لنظام الكفر ولا يوجد أي كفاح للكفار ؟ والجواب

(١) « حزب التحرير الإسلامي » ، عوني جدوع العبيدي (ص ١١٢) .

على ذلك هو أن الأمة الإسلامية منكوبة ببلاءين :
أحدهما : إن حكامها عملاء للكفار المستعمرين .

وثانيها : إنها تحكم بغير ما أنزل الله ، أي تحكم بنظام كفر ولذلك كان لزاماً عليها في البلدان التي فيها دول حكامها ليسوا عملاء للكفار مثل تركيا والأفغان أن تكافح نظام الكفر لإزالته ، وللحكم بما أنزل الله أي لإقامة الخلافة الإسلامية . أما في البلدان التي حكامها عملاء كباكستان والعراق والأردن ولبنان والسعودية وإيران والجمهورية العربية وأندونيسيا والسودان وغيرها فانه فرض على الأمة أن تكافح عمولة العملاء فتكشفيهم وتفضح أعمالهم ، وأن تكافح كذلك نظام الكفر لإزالته ولإقامة سلطان الإسلام وحكم القرآن . فهؤلاء العملاء يكافحون قطعاً بث أفكار الإسلام في الطريق السياسي ذاتياً من أنفسهم وبتحريض من الدول الكافرة ؛ لأن الحكام في العالم الإسلامي تملكهم ثلاث حالات قد أثرت عليهم حتى افقدت بعضهم الإيمان بالإسلام كنظام للحكم وكمتهج للحياة وبذلك أصبحوا كفاراً ولو صاموا ولو صلوا ، وبعثت في البعض الآخر اليأس من صلاح هذه الأمة ولكنهم ظلوا يؤمنون بالإسلام كنظام للحكم وكنتهج للحياة وأوجدت عندهم جميعاً الشعور بالعجز الدائم عن الوقوف في وجه الدول الكبرى الكافرة الا بالاستناد إلى عمولة دولة كبرى كافرة فأدى ذلك إلى تصورهم الخطر عليهم وعلى البلاد من أي عمل لإعادة الدولة الإسلامية إلى الوجود . أما هذه الحالات الثلاث فهي : عدم الثقة بالإسلام كمبدأ عالمي للحياة والحكم وعلاقات الدول ، وعدم الثقة بالأمة الإسلامية كأمة قادرة على أن تقتعد مكان الصدارة بين الأمم الكبرى ، والثالث هو الرعب الذي قذف في قلوبهم من الدول الكبرى الكافرة وما لديها من معدات الدمار ومن أساليب المكر والخداع . ومن أجل ذلك نأوا بجانبهم عن الإسلام وجعلوا ركيزة بقائهم في الحكم الاستعانة بالدول الكبرى والاستناد إليها لا الاستعانة بقوة بلادهم والاستناد إلى أمتهم ، واستسلموا للكفار الحربيين . ولذلك فإنهم سيقاومون إعادة الثقة بأفكار الإسلام وأحكامه ، أي سيقاومون بث أفكار الإسلام في الطريق السياسي باعتبارهم هم أداة في يد الكفار الغربيين ، ولهذا فإن المقاوم في الحقيقة هم الكفار الغربيون وليسوا هؤلاء الحكام المسلمين . ومن هنا يجب أن ندرك الصعوبة على هذا الأساس ، وأن يعلم أن هذه هي

الصعوبة الأساسية في انهاض الأمة وإعادة الدولة ، وأن يستعد المسلمون لذلك كل الاستعداد . فإن هذا الكفاح أمر لا بد منه وهو فرض كفرض الجهاد سواء بسواء»^(١) .

بهذا الوعي السياسي الثاقب يقرر حزب التحرير أن حكام تركيا ليسوا عملاء ويعتد حكام الدول الأخرى عملاء (!)

لقد كتب حزب التحرير كلامه هذا أيام كانت تركيا - ولا تزال - مرتمة في أحضان المعسكر الغربي الصليبي الحاقدا بل إنها عضو في حلف شمال الأطلسي . إن حكام تركيا هم أبطال معاهدة لوزان التي عقدها الأوروبيون بعد إسقاط الخلافة على يد الذئب الأغبر مصطفى كمال أتاتورك وهي أربعة شروط :

١ - إسقاط الخلافة الإسلامية .

٢ - محاربة الشعائر الإسلامية .

٣ - سحق أية محاولة لإعادة الخلافة .

٤ - وضع قانون أوروبي بدل الشريعة الإسلامية .

ولقد مثّل الأوروبيين فيها وزير خارجية بريطانيا المدعو (كرزون) الذي قال بعدها : « لن تقوم لتركيا بعد اليوم قائمة لأننا نزعنا عنصري القوة منها وهما : الإسلام والخلافة » ؛ فصنف له مجلس العموم البريطاني .

حكام تركيا الذين لا يسمحون برفع الأذان من فوق مآذن مساجدها ليسوا عملاء إذن فمن العملاء ؟!

٢ - ثورة الشيعة البائسة

لقد صنف حزب التحرير لثورة الشيعة البائسة وشدوا الرحال إلى طهران لدعوة الخميني إلى تنصيب نفسه إماماً للمسلمين ورئساً لدولة المستضعفين ولكنه أهملهم ولم يلتفت إليهم ، ودونك خطابهم للخميني :

(١) « نداء حار إلى المسلمين » (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ .

سماحة الإمام آية الله الخميني المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نحمد الله إليكم أن جعلنا من المسلمين ، ونشكره ونثني عليه الثناء كله ؛ أن أكرمنا وجعلنا نحن حزب التحرير ، ممن يعملون لإعادة حكم الله إلى الأرض ، بإقامة الخلافة الإسلامية لتطبق كتاب الله وسنة رسوله ، وتحمل الإسلام رسالة إلى العالم بطريق الجهاد .

وهذا ما حفزنا على اللقاء بكم أكثر من مرة ، وكنا في لقائنا الأخير بكم ، والذي تم قبل أربعة أشهر تقريباً ، قد قدمنا لكم مذكرة بعد اللقاء ، كما قدمنا لـابراهيم يزدي وزير الخارجية مذكرة كذلك ، بينا لكم فيها الحلول الناجعة ، التي يجب أن تبادروا باتخاذها ، لحل المشاكل التي تعترضكم في الداخل والخارج . وبيننا لكم فيها أنكم جانبتم الصواب ، بتأخيركم بوضع الإسلام كاملاً موضع التطبيق ، مما عقد أمامكم الأمور ، وزاد الصعاب ، وأبقى ازدواجية الحكم قائمة ، واستشراء الفوضى مستمراً ، مما أتاح الفرصة أمام أعداء الإسلام ، كي يثبتوا أنفسهم ، ويعلموا عداؤهم للإسلام ولحكم الإسلام وأنظمتهم . مع أننا ألحنا عليكم بوجوب الحسم السريع للأمور ، وذلك بالبدء بتنصيب رئيس للدولة يبايعه أهل الحل والعقد ، على السمع والطاعة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله .

وكنا قد اقترحنا عليكم أن تكون أنت بالذات أول رئيس ينصب للدولة ، وأن تبادر فوراً بعد تنصيبك رئيساً ومبايعتك بإلغاء الحكومة القائمة للانتهاء من ازدواجية الحكم الموجودة . وأن تباشر عندئذ تسلم مقاليد الحكم فوراً ، وأن تكون جهازاً للدولة ليكون معك ، تقيمه على أساس الأحكام الشرعية وأن تعلن تبني دستور إسلامي للدولة ، مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله .

وقد قدمنا لك مشروع دستور إسلامي كاملاً ، مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله من إجماع الصحابة والقياس في كل مادة من مواده ، وقدمنا لك معه مقدمة له تبين الأسباب الموجبة لكل مادة من مواده ، والدليل الذي أخذت منه .

كما ألحنا عليكم باستئصال الوسط السياسي السابق ، ومنع أي عمل سياسي لا يقوم على عقيدة الإسلام ، ولا يكون متبنياً للأحكام الشرعية ، وكذلك منع أي تكتل سياسي لا يقوم على عقيدة الإسلام ، ولا يكون متبنياً للأحكام الشرعية ، وكذلك منع أي تكتل سياسي يقوم على أساس قومي أو وطني ، أو على أساس فكرة المادية ، أو فكرة فصل الدين عن الحياة ، وحصر الأعمال السياسية ، والتكتلات السياسية بالأعمال السياسية والتكتلات التي تقوم على أساس العقيدة الإسلامية ، وتبني الأحكام الإسلامية .

كما ألحنا عليكم بوجوب التخلص من أي نفوذ لروسيا أو للدول الغربية خاصة أمريكا ، وإلغاء كافة الاتفاقات المعقودة معها ، خاصة الاتفاقات العسكرية ، وبالأخص إتفاقية الأمن المتبادل التي تتعهد أمريكا بموجبتها بحماية إيران ولو بالأسلحة المتطورة .

كما ألحنا عليكم بالتخلص من أدوات هذا النفوذ المتمثل في المستشارين والخبراء والشركات والمدارس والمستشفيات والإرساليات واستبدالها بأسلوب السفارة ، الأسلوب الذي يحقق الفائدة ، ويمنع الضرر عن البلاد .

وها قد مضى أكثر من أربعة أشهر على لقائنا الأخير ولم يتغير شيء ، وبقي كل شيء على حاله السابقة . وزاد الأعداء ضراوة وشراسة ، والأمر سوءاً ، ثم أعلن أخيراً عن مسودة دستور ، وانتخبت لجنة خبراء لدراسة هذه المسودة وإعطاء رأيها فيها وفي ما يطرح من مقترحات غيرها^(١) .

إن هذا الخطاب يمثل عزل النظرة السياسية عن العقيدة ، فتراهم يخاطبون الخميني بالإمام وينتظرون منه ومن شيعته خيراً ... إنهم يريدونه إماماً لهم ولكنه يأبى إلا أن يكشر عن رافضيته ويصر على شيعته ويعلمها صريحة مدوية في المادة (١٣) من الفصل الثاني : « الدين الرسمي في إيران هو الإسلام وأن المذهب الجعفري هو

(١) « نص نقض مشروع الدستور الإيراني » (ص ٣ - ٦) .

مذهب أكثرية المسلمين في إيران » .
بكل صراحة يقول الخميني للمخدوعين : إن إيران دولة شيعية ولن تكون غير ذلك (١) ولكن المخدوعين يلهثون وراء السراب يظنونهم ماءً .

نكتفي بهاذين المثالين لأن أبجديات الوعي السياسي عند حزب التحرير مبنية على نظرية الحاكم العميل فالحكام عملاء انجليز أو أمريكيان ولا ثالث لهما .

إن المسلم الذي يسعى لاستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة ويعمل على إقامة حكم الله في الأرض ليعبد الله وحده ، ويكون الدين كله لله حسب ما يعلم أن الحكم لله وحده وأن الذي لا يحكم بما أنزل الله عميل للشيطان ، أما سياسة التصنيف فهي لا تزيد المهتم بها إلا جهلاً في دينه .

إن المسلم الذي يسعى لتحقيق عبودية الله في الأرض يعلم يقيناً أن الإنجليز والأمريكان ودول الكفر جميعها تسعى لطمس معالم هذا الدين فهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠]

نعم ... حسينا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة بفهم السلف الصالح فهما المعيار لكل فكر وعقيدة ، وهما حبل النجاة وطوق الحياة من كل شر يحيق بالمسلمين .

حسبنا هذا التفاوت بيننا وبينكم
ولله در القائل :

هذا الحق ما به خفاء فدعني من بنيات الطريق

... نعم هذه بنيات الطريق التي اتبعها حزب التحرير لينحرف بالأمة الإسلامية عن طريق الحق ... وإن كنت في مرة مما قرأت فاستمع إلى الحزب يصف نفسه في شهادته على نفسه التي سطرها في جوابه على سؤال بتاريخ (٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هـ) الموافق (٢٦ / ٦ / ١٩٧٠ م) : « إن حزب التحرير وهو حزب إسلامي من حيث مبدؤه ليس حزباً إسلامياً كالتكتلات الإسلامية ، فهو لا يُعَلِّم الناس الإسلام ، ولا يدعو المسلمين للإسلام ، ولا يعظ الناس بالإسلام ، فالإسلام مبدؤه

وليس عمله ، والإسلام أساسه وليس صفته ، فهو يتولى السلطة في جميع الأحيان سواء أكان في الحكم أو خارج الحكم ، فعمله كله محصور بالسياسة إما عملياً بمباشرتها ، وإما نظرياً بمحاسبة الحكام على أساس الإسلام » .

بل إنه يعد دعوته إلى الدين والفقه فتنة فقال في شهادة في التاريخ السابق نفسه : « إن الحزب قد جرت محاولات ثلاث لفتته عن حقيقته بجره عن السياسة إلى الدين والفقه ، فإنه لما بدأ نائبه^(١) في مجلس النواب الأردني يلقي البيانات السياسية سياسية بحته نبح بعض المتألهين من شباب الحزب وغيرهم متسائلين أين الإسلام في هذه البيانات ؟ وأين العقائد والأحكام في مناقشات حزب التحرير ؟ ثم أنه لما اندفع الحزب في التعليقات الأسبوعية والتعليقات السياسية صاح الكثيرون من شباب الحزب وغيرهم قائلين لقد انحرف الحزب عن طريقه فلم يعد حزباً إسلامياً كسائر الأحزاب ، وصاروا يحاولون إرجاع الحزب عن السياسة وعن النشرات السياسية ليعود لنشرات حكم الإسلام وللنقاش في أحكام الشرع ، ثم إنه لما بدأ يهاجم أشخاص الحكام ويحصر نشراته بالتعرض لأعمالهم ويحصر ضرب العلاقات بعلاقات السلطة مع الأمة هال الكثيرين من الشباب وغيرهم أن يهاجم الحزب الأشخاص وأن يكشف أعمال معينة لحكام معينين ، وقالوا صار الحزب يسب ويشتم وشغل الحزب عن الأفكار بالأشخاص ، وعن الإسلام بالحكام وحاولوا إعادته لنشرات الإسلام ، وإبعاده للتعرض لأشخاص الحكام .

هذه الفتن الثلاث قد تغلب عليها الحزب ليس بالتصدي لدحضها ، ولا بقبول النقاش بها بل مضى بالبيانات السياسية وبالأعمال السياسية ، ومضى يضرب الأيدي التي تقبض على السلطة ضربات قوية متتالية لتحطيم أضلاعها وإزالة هيبتها وأطماع الناس بها ، وحافظ على حقيقته الحزبية بأنه حزب سياسي ولا عمل له إلا السياسة ، ولم تستطع هذه الغيرة المغلوطة وإن كان أصحابها صادقين أن ترحزه قيد شعره عن هويته ولا أثرت قيد أتملة على واقع شخصيته » .

(١) هو الشيخ أحمد محمد الداعور

جماعة التبليغ

نبذه تاريخية : مؤسس جماعة التبليغ هو محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي الديوبندي الجشتي . الكاندهلوي : نسبة إلى قرية كاندهلة من قرى سهارنפור بالهند المولود فيها سنة ١٣٠٣ هـ . والديوبندي : نسبة إلى ديوبند وهي أكبر مدرسة للمذهبية الحنفية في شبه القارة الهندية ، وقد أسست سنة ١٢٨٣ هـ ، ويزعم مؤسسوها أن النبي ﷺ أسسها ويحضر اجتماعات مشايخها ويدقق حساباتها . والجشتي نسبة إلى الطريقة الصوفية المسماة الجشتية ، وتبدأ سلسلتها في الهند من خواجه معين الدين الجشتي ، وتوفي محمد إلياس سنة ١٣٦٤ هـ ، ثم خلفه ابنه محمد يوسف المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ^(١) ، ثم خلفه إنعام الحسن المتوفى سنة ١٤١٦ هـ . ولم يخلف أنعام الحسن أحد حتى كتابه هذه السطور والأسباب الحقيقية غامضة ولكن بعض أعضاء جماعة التبليغ يقولون : إنهم في انتظار المهدي ، وبعضهم يتناقل أنباء خلافات في صفوف التبليغيين حول زعامة الجماعة .

أصول جماعة التبليغ :

يقول محمد إلياس : « انكشفت علي هذه الطريقة للتبليغ وألقي في روعي في المنام تفسير الآية : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] إنك أخرجت للناس مثل الأنبياء .

وفي تعبير هذا المعنى بـ ﴿ أخرجت ﴾ إشارة إلى أن العمل لا يكون في مكان واحد بل يحتاج فيه إلى رحلات إلى البلاد ، وعملك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأشير بقوله : ﴿ تؤمنون ﴾ أن نفس إيمانك يرقى ويزدهر وإلا فحصول نفس الإيمان معلوم من ﴿ كنتم خير أمة ﴾ الأعاجم سوى العرب ؛ لأنه قيل فيهم : ﴿ لست عليهم بمصطبر ﴾ ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ .

والمراد من ﴿ كنتم خير أمة ﴾ العرب والمراد من الناس غيرهم من الأعاجم ،

(١) انظر « جماعة التبليغ : عقيدتها وأفكارها ومشايخها » (ص ٥) .

والقرينة على هذا قوله : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ﴾ فقال هناك : ﴿ خيراً لهم ﴾ بدل خيراً لكم ؛ لأن تكميل الإيمان المبلغ والداعي يحصل بالتبليغ سواء قبل المخاطب دعوته أم لم يقبله ، وإن تأثر المخاطب بالتبليغ فاشتغل بأمر الدعوة والتبليغ استفاد شخصياً فلا يتوقف فائدة المبلغ على قبول الدعوة وعدم قبوله « (١) » .

ويزعم أن هذا كان في المدينة النبوية ؛ كما نقل أبو الحسن الندوي : « أقام بعد الحج مدة في المدينة المنورة في شهر شوال ١٣٤٤ هـ فكان يقول الشيخ : إني أمرت أثناء إقامتي في المدينة في المدينة بالقيام بالتبليغ وقيل : نستخدمك ففضيت أياماً في قلق واضطراب كيف يقوم مثلي الضعيف بهذا العمل ، فقصصت هذه القصة أمام عارف فقال : لماذا أنت في هذا القلق والاضطراب فما قيل لك أن تقوم بالعمل وإنما قيل لك نستخدمك فمن يرد أن يستخدمك فليستخدم » (٢) .

وكان يقول الشيخ إلياس : « إني إذا كنت أذكر كنت أحس ثقلًا فلما قلت للشيخ الكنكوهي (مرشده رشيد أحمد) فترعد وقال : شكا هذه الشكوى الشيخ محمد قاسم إلى حاجي إمداد الله » (٣) .

أما شكوى الشيخ محمد قاسم نانوتوي إلى مرشده فهي : « كلما وضعت السبحة في يدي ابتليت بمصيبة وبلغ الثقل بحيث لو وضع أحد علي صخور كأن كل صخرة منها مائة طن ، ووقف اللسان والقلب ، فقال الشيخ إمداد الله (لمريده محمد قاسم نانوتوي) : إن هذا فيضان النبوة على قلبك ، وهذا هو الثقل الذي كان يحسه النبي ﷺ وقت الوحي فيستخدمك الله بعمل كان يفعله الأنبياء » (٤) .

ويكتب الشيخ إلياس في خطاب عام أرسله إلى أعضاء جماعته : « إذ لم يرد الله أن يقوم أحد بعسل فلا يمكن حتى الأنبياء أن يبذلوا جهودهم فيقوموا بشيء وإذا

(١) « ملفوظات إلياس » (ص ٥٧) نقلاً عن « جماعة التبليغ عقيدتها وأفكارها

ومشايعها » (ص ١٤) .

(٢) « الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية » نقلاً عن المرجع السابق (ص ١٥) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) « سوانح قاسمي » (١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩) نقلاً عن المرجع السابق .

أراد الله شيئاً يتم أمثالكم الضعفاء بالعمل الذي لم يستطع الأنبياء» (١) .
ورؤيا محمد إلياس وتكليفه بالتبليغ والخروج يتناولها أقطاب جماعة التبليغ ويتبجحون بها ويعتقدون أنها كرامة لشيخهم الأول ، فقد حدثنا أقطاب جماعة التبليغ أن محمد إلياس نشأ في الهند في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وأخذ يذكر قومه بالإسلام ويشد عضده أخوه ، لكنه لم يجد أذنًا واعية بادئ بدء ، فجهز نفسه قاصداً المدينة النبوية وهناك استأذن خادم الحجرة النبوية في المبيت فإذن له فشد المئزر واستقر ثلاثة أيام بلياليهن صائماً قائماً داعياً الله أن يهديه للتي هي أقوم ؛ فكان يرى رسول الله ﷺ في كل ليلة فيطمئنه ويأمره بالرجوع إلى بلده وإعادة الكرة مرة أخرى (٢) ، فقفل راجعاً مستبشراً وقد ازداد نشاطاً فاستجاب له بعض الناس واتسعت دائرة دعوته ، وخرج تلاميذه زرافات ووحدانا يطوفون أرجاء المعمورة يحملون دعوة الله للأحمر والأسود من الناس ، ويقولون : أن همهم إقامة الدين في العالم بأسره إلى يوم الدين .

إن هذه المزاعم التي ادّعاها محمد إلياس من سبل المتصوفة التي يصطادون بها عوام الناس ، وهي عند التحقيق والتدقيق ليس لها أصل ولا تقوم على أساس :
١ - تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ الآية فيه الطامات التالية :

أ - تفسير القرآن بالرأي والهوى وما تتطلع إليه نفسه من نشر التبليغ ، وقد ورد الوعد الشديد عن السلف الصالح لمن فسر القرآن برأيه وأنه مخالف لسبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين ، وأنه مفتر على الله بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير .

ب - تفسير باطني لا يقره عرف إسلامي ولا لغة ، وتأمل التفسير الحق الذي ذكره العلامة ابن كثير : « يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ خير الناس للناس تأتون بهم في السلام في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام ، وهكذا قال ابن عباس وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس .

(١) « مكاتيب إلياس » (ص ١٠٧ ، ١٠٨) نقلاً عن المرجع السابق نفسه .

(٢) انظر لزاداً (ص ١١٠) من هذا الكتاب .

والمعنى : أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

والصحيح : أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ أي : خياراً ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ الآية .

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل » وهو حديث مشهور .

وإنما حازت الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل ، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامهم .

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا (ثم ساقها) فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ ثم قال : من سره أن يكون في هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها .

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ الآية ؛ ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأييهم فقال تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ ^(١) أ . ه مختصراً
ومن كلام ابن كثير يتبين ما يأتي :

(١) « تفسير القرآن العظيم » (١ / ٣٩٩ - ٤٠٤) .

أولاً : أن قوله تعالى : « أخرجت » أظهرت وليس التنقل والرحلة والسياحة .
ثانياً : المراد بالناس البشرية كلها عربهم وعجمهم .
٢ - في كلامه تلويح بادعاء النبوة لكنه مغطى بالدعوة والتبليغ ، وهذا التلميح واضح في مواطن :

أ - قوله : « انكشفت علي هذه الطريقة للتبليغ وألقى في روعي في المنام » وهذا نوع وحي : فإن قيل : مراده الالهام . قلت : لا يوجد في هذه الأمة ملهمين ومُحدّثين وذلك لكمال شريعتها وعدم حاجتها لذلك ، وأن يكن فعمر وأما غيره فلا كما صرح بذلك رسول الله ﷺ^(١) .

ب - ادعاؤه أنه أخرج للناس مثل الأنبياء وهذه دعوى المساواة .
ت - قوله : إني أمرت أثناء إقامتي في المدينة بالقيام بالتبليغ وقيل : « نستخدمك » نهذا صريح أنه أوحى إليه بالتبليغ .
وهذا وحي من الشيطان وزخرفة من إبليس لأن الوحي الإلهي إلى الأنبياء انقطع بموت محمد ﷺ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ : « انطلق بنا إلى أمّ أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها ، بكت ، فقالا لها : ما يُبكّيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها »^(٢) .

ث - زعم محمد إلياس في مكاتيبه أن أعضاء جماعته يقومون بالعمل الذي لم يستطعه الأنبياء .

وهذه الطامة تدل على الجهل المركب والهوى والتعصب فإن عبادة الأنبياء لاتساويها عبادة ولو كانت في الظاهر أكثر منها ، ويدل على هذا حديث النفر الذي جاؤوا إلى بيوت النبي ﷺ فسألوا عن عبادته فلما أخبروا بها تقالّوها ... فأرادوا

(١) انظر ترمذاً (ص ١٠٦ و ١٠٨) من هذا الكتاب .

(٢) أخرج مسلم .

الزيادة عليها فوقعوا في الابتداء وقال لهم رسول الله ﷺ : « من رغب عن سنتي فليس مني »^(١) ، وكذلك تدل على هذه المسألة أحاديث الخوارج المشهورة التي جاء فيها « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم » ومع ذلك فلمت يزدد الخوارج من الله إلا بعداً ... فليتأمل المنصف هذا المقام فإنه مضلة أفهام ومزلة أقدام .

وهذه الرؤيا التي ادعاها محمد إلياس وتبجح بها تلاميذه وطبقتها جماعته ولكنه لم يستطع بفضل الله أن يخفي تهافتها تلبس من محمد إلياس ليخفي سرقة لأفكار جماعة النور في تركيا فإن الصفات الستة التي يدندن حولها وضعها الشيخ بدیع الزمان سميد النوري ، ولما حضر محمد إلياس إلى الحجاز سمع بها وتبطنها وادعى أنه رآها في المنام ... ولكنها أضغاث أحلام ليس لها شكل ولا قوام^(٢) .

الخروج التبليغي والسياسة في الأرض

أبرز سمات جماعة التبليغ هو التبليغ الجماعي أو ما يسمونه « الخروج » فهو الأصل الذي بنى عليه محمد إلياس رؤيته وطريقته ، ولذلك فأهل التبليغ يغالون في هذا الخروج كثيراً حتى إنهم يعدونه الجهاد الأكبر وذلك واضح في احتجاجهم عليه بآيات وأحاديث الجهاد في سبيل الله ، وقاموا بتحديد مدة الخروج بثلاثة أيام ، أو أربعين يوماً ، أو أربعة أشهر ، أو سنة .

قال الدكتور الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله : « ظهرت في هذا القرن الرابع عشر في بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دعوة عرف أهلها بالإخلاص لها ، والصبر وتحمل المشاق في نشرها والاستماتة وبذل النفس والنفس في خدمتها . ألا وهي دعوة قوم يسمون أنفسهم أهل التبليغ ، ووضعوا لدعوتهم أركاناً ستة مدارها على السياسة فهي الركن الأساسي عندهم فهي بمنزلة الشهاداتتين عند أهل الاستقامة فمن قبلها واشتغل بها أحبوه وأكرموا وغفروا له ذنوبه وتقصيره ، وضلاله وبدعته ، ومن خالفهم فيها لم يقبلوا منه شيئاً وإن كان مؤدياً لجميع الواجبات

(١) متفق عليه .

(٢) وانظر تفاصيل هذه الحقيقة التاريخية : « جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها »

(ص ٤٥ - ٤٦)

قائماً بالفرائض والسنن متبعاً لأقوم السنن ، فهي خلاصة دينهم عليها يوالون أو يعادون ، ويحبون أو ييغضون »^(١) .

وقال الشيخ سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي : « وفي التبليغ الجماعي يقولون : إنه الجهاد الأكبر ، ويكرهون كل دعوة لا تقوم على نطمهم هذا ، ويمنعون الناس عن الدعوة إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله في حلقته خاصة^(٢) ، إلا في أصولهم وتعاليمهم ومنهجهم ، وإلا في نطاق الحكايات والأقوال والأحلام والرؤى الصالحة والفضائل مما يلائم عقائدهم وخرافاتهم ، ويبالغون في خروجهم الجماعي للتبليغ مبالغات عجيبة ، ويغالون فيه مغالاة ما بعدها مغالاة ، يتجاوزون فيها الحدود المعقولة والمنقولة ويقصر عنها البيان »^(٣)

وقال : « ومما يعرف عن هؤلاء : أنهم يعتقدون أن من خرج معهم في التبليغ الجماعي ، فقد جاهد جهاداً كبيراً وأكبر ، الذي ما عليه من مزيد إلا التكرار منه ، فإنهم يرون الخروج معهم في التبليغ الجماعي أفضل من الجهاد بالسيف والقلم وأفضل من محاربة أعداء الله ورسوله وجهاد في سبيله ، وأفضل من الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين^(٤) ، فمن أتى بذلك أتى بسنة الأنبياء والمرسلين ، وأتى بسنة سيد الأنبياء والمرسلين ، وأتى بالذي وكالذي خرج له الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في المعارك وميادين الجهاد »^(٥) .

(١) « السراج المنير » (ص ١) .

(٢) وقد حصل مثل هذا مع الشيخ محمد نسيب الرفاعي رحمه الله عندما ألقى في مركز التبليغ في الأردن كلمة حول العقيدة فنار عليه التبليغيون وأخرجوه وأسأؤوا إليه .

(٣) « نظرة غابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية » (ص ٤٣) .

(٤) ومما يؤكد هذا الواقع ما حدثني به ثقات من أهل العلم وطلابه عايشوا جهاداً مسلمي الأفغان ضد الشيوعية أن جماعات التبليغ كانت تأتي إلى المجاهدين في مواقعهم ومعسكراتهم تدعوهم للخروج التبليغي (!) .

وانظر لزماً ما ذكره الشيخ حمود التويجري في كتابه « القول البليغ » (ص ٤٩) القصة الثانية عشرة .

(٥) « نظرة غابرة اعتبارية » (ص ٥١) .

والجواب من وجوه :

١ - استدلالهم على أصل خروجهم بقول الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ الآية باطل كما تقدم .

٢ - استدلالهم بآيات الجهاد في سبيل الله وأحاديثه تحريف لأن المراد القتال في سبيل الله ومحاربة أعدائه .

٣ - استدلالهم بانتشار قبور الصحابة في خارج الجزيرة العربية على خروجهم استدلال فاسد ؛ لأن الصحابة خرجوا في جيش الفتح الإسلامي للقتال في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا .

٤ - استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ﴾ [التوبة : ١١٢] على خروجهم جهل بكتاب الله لأن المراد بالسائحين المجاهدون في سبيل الله قال ابن كثير : « وجاء ما يدل على أن السياحة هي الجهاد ... وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض »^(١) .

٥ - تحديدهم خروجهم بثلاثة أيام ، أو أربعين يوماً ، أو ثلاثة شهور أو سنة بدعة ليس لها أصل في الشرع ، وقد زادها بعضهم ضلالاً باستدلالهم عليها بآيات لا تدل على ذلك بوجه من الوجوه ، فقد استدل بعضهم على ثلاثة أيام بقوله تعالى : ﴿ فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ [هود : ٦٥] ، وبأن أقل مدة للقصر هي ثلاثة أيام ، وعلى أربعين يوماً بقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، وعلى أربعة أشهر بقوله تعالى : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ [التوبة : ٢] ، وبقوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

إن هذا الاستدلال تكلف وتعسف وتحريف لآيات الله عن مواضعها^(٢) .

(١) « تفسير القرآن العظيم » (٢ / ٤٠٧) .

(٢) وانظر تفصيل الرد على جهلهم المركب كتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله :

« القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ » (ص ٣٢٠ - ٣٢٧) .

٦ - استدلالهم بأن خروجهم لا يخلو من فوائد منها أنه قد أسلم على أيديهم أعداد كثيرة من مشركين وأهل ملل مخالفة لدين الإسلام .

والجواب من عدة وجوه :

أ - الغاية لا تسوّغ الوسيلة فكما أن الغاية شريفة يجب أن تكون الوسيلة نظيفة من البدع ، وخروج التبليغ الجماعي من شر البدع الدعوية .

ب - كثير من العصاة الذين انضموا لجماعة التبليغ وتقيّدوا برسومها حالهم من قبل خير ؛ لأن المعصية أهون شراً من البدعة ، لأن العاصي ترجى توبته خلافاً لأهل البدع الذين تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، فلا ترجى توبتهم ، ولذلك قال سفيان الثوري رحمه الله : « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، لأن المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها » .

ونكتة هذا المقام أن العاصي يقر أنه مخالف لأمر الله ، مرتكب لمعصيته ، فوقع التوبة منه وارد ، لأنه لا يزعم أن ما هو عليه هو دين الله ، بخلاف المبتدع ، الذي يظن بل يعتقد أن ما عليه هو وأصحابه دين الله بل جوهر الدين ولبابه ، فيغلب عليه الاستمرار في بدعته ؛ لظنه أنها الإسلام ، فلا تقع منه التوبة إلا من تداركه الله برحمته .

وهذا الأصل تضافرت على تأصيله كلمات أهل العلم والإيمان : قال العز بن عبد السلام يصف الصوفية^(١) : « وهم شرٌّ من قطاع الطريق ، لأنهم يقطعون طرق الداهيين إلى الله ، وقد اعتمدوا على كلمات قبيحات يطلقونها على الله ، ويسبون الأدب على الأنبياء والرسل^(٢) ، واتباع الأنبياء من العلماء الأتقياء ، وينهون من يصحبهم عن السماع من الفقهاء^(٣) ، لعلمهم بأن الفقهاء ينهون عن صحبتهم ، وعن سلوك طريقهم^(٤) » .

(١) وسيأتي بيان تصوف جماعة التبليغ وشروعه .

(٢) كما زعم محمد إلياس أنه وجماعته يقومون بما عجز الأنبياء والرسل عن تحقيقه !

(٣) وهذه الخصلة من صفات أهل الأهواء قديماً وحديثاً وقد تقدم مثال من صنيع جماعة

الإخوان المسلمين (ص ١٦٦) وسيأتي بيان حال جماعة التبليغ في تفصيل موقفهم من العلم (ص ٢٦٥) .

(٤) « قواعد الأحكام » (٢ / ١٧٩ - ١٨٠) .

ورد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله على مبتدعة الرافعية عندما زعموا أنهم انقذوا أناساً من المعاصي فقال : « وكان قد قال بعضهم : نحن نُتَوَّبُ الناس . فقلت : ماذا تتوبونهم ؟ قال : من قطع الطريق والسرقة ، ونحو ذلك .

قلت : حالهم قبل تتوييكم خير من حالهم بعد تتوييكم ، فإنهم كانوا فاسقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه ، ويرجون رحمة الله ، ويتوبون إليه ، أو ينوون التوبة ، فجعلتموهم بتتوييكم ضالين مشركين ، خارجين عن شريعة الإسلام ، يحبون ما ييغضه الله ، ويغضون ما يحبه الله ، وثبت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي »^(١) .

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في ترجمة مهيار الديلمي : « كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم من سب الصحابة^(٢) وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار ، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة »^(٣) .

وعلق الشيخ حمود التويجري رحمه الله قائلاً : « وقد ذكر هذه القصة أيضاً كثير من المؤرخين ممن كانوا قبل زمان ابن كثير ومن كانوا بعد زمانه ، ولم ينكر أحد منهم قول ابن برهان لمهيار ، فدل على موافقتهم له ورضاهم بقوله .

وهذه القصة مطابقة لحال الذين يسلمون على أيدي التبليغيين ثم يصنيرون تابعين لهم على البدع والضلالات والجهالات وفساد العقيدة ... »^(٤)

وقال أيضاً معلقاً على مقولة التبليغيين السابقة : « إن هذه الفائدة وإن كانت حسنة في مبدئها ، فإنها في الغالب لا تخلو من المساوئ في نهايتها ، وذلك أنه لم

(١) « الرسائل والمسائل » (١ / ١٥٣) .

(٢) هذا هو أساس مذهب الرفض قديماً وحديثاً ، وانظر ما تقدم (ص ٢٣٥) لعل المخدوعين بسراب إيران يستفيقون .

(٣) « البداية والنهاية » (١٢ / ٤١) .

(٤) « القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ » (ص ٢٢٥) .

يذكر عن الذين يُسلمون على أيدي التبليغيين أنهم بعد إسلامهم يتمسكون بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وإنما يكونون في الغالب مندمجين مع التبليغيين وتمسكين بما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات والخرافات ، ومن كانوا بهذه الصفة ، فإنه لا يفرح بإسلامهم ... وكيف يفرح بإسلام أناس يكونون أتباعاً لأناس يمنعونهم من التصريح بالكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر ، ويجعلون هذا المنع أصلاً من أصولهم التي يدعون الناس إليها ؟ ومن أصولهم أيضاً تعطيل جميع النصوص الواردة في الكتاب والسنة بصدد الكفر بالطاغوت والنهي عن المنكر تعطيلاً باتاً .

وكيف يفرح بإسلام أناس يكونون أتباعاً لأناس كانوا يرابطون على القبور وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور ، ويستعملون التمايم والتعاويز الشريكة والشعوذة والأحوال الشيطانية في الاستشفاء من الأمراض ، علاوة على ما هم عليه من البدع والضلالات والجهالات وفساد العقيدة ، ولا سيما في توحيد الألوهية الذي هو أعظم أصول الإسلام ؟!

ومن كانوا بهذه الصفة الذميمة ، فإنه لا يفرح بإسلام الذين يسلمون على أيديهم ، ويكونون مندمجين معهم وتابعين لهم على ما هم عليه من البدع والجهالات وفساد العقيدة ^(١) .

٧ - يخرجون إلى أماكن شتى من العالم قائلين للناس : « نحن خرجنا لتتعلم ونحصل صفات الصحابة لا لتعلم » وهذا قول متناقض ؛ لأنهم جعلوا العلم لأناس مخصصين فهو في تصورهم مرحلة بعد الدعوة ، وهو منقوض بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فلقد أجمع أولو الألباب على أن العلم يأتي قبل العمل ، لأن العمل إن لم يبن على علم فهو باطل .. أو ليس العلم يقتضي العمل ، فإن يصلح العلم صلح العمل ، وأن فسد العلم فسد العمل ، فكيف يسمح هؤلاء لأنفسهم بالعمل للإسلام دون العلم بالإسلام ، إن هذا لشيء عجاب ؟!

لقد أكد القرآن أن العلم يكون أولاً ثم العمل كما في قول الله : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ [محمد : ١٩] فبدأ بالعلم قبل العمل ، ولذلك

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) باختصار .

ترجم الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحة قائلًا : « باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى فأعلم أنه لا إله إلا الله فبدأ بالعلم » .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، هذه الآية تؤكد أن البصيرة تكون قبل الدعوة : ﴿ ادعوا إلى الله على بصيرة ﴾ كقولك : أسير على الطريق فالطريق موجودة قبل المسير ، وكذلك البصيرة تكون قبل الدعوة .

قال ابن أبي العز : « فإن كان قوله : ﴿ ومن اتبعني ﴾ معطوفاً على الضمير المنفصل ، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء دون غيرهم وكلا المعنيين حق »^(١)

وقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] فحصر الخشية على وجهي الأكمل والأمثل للعلماء قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والمعنى أنه لا يخشاه إلا عالم ، فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [الزمر : ٩] ، والخشية أبدا متضمنة للرجاء ، ولولاه لكانت قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله »^(٢)

ولو عرجت على السنة المطهرة الصحيحة لوجدت الأمر في غاية الوضوح كما في قوله ﷺ : « نضر الله أمراً سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »^(٣) .
وقوله : ﷺ « نضر الله أمراً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مُبَلِّغ أَوْعَى من سامع »^(٤) .

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (ص ٦٨) .

(٢) « الإيمان » (١٧ - ١٨) .

(٣) أخرجه أحمد و دارمي وابن حبان من حديث زيد رضي الله عنه وهو صحيح .

(٤) أخرجه أبو داود الترمذي وأحمد وابن حبان من حديث عبد الله ابن مسعود رضي

عنهم وهو صحيح .

وقوله ﷺ : « نضر الله عبداً سمع مقالتي ، فوعاها وحفظها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها »^(١) .

وقوله ﷺ : « نضر الله عبداً سمع مقالتي ، فوعاها ، ثم بلغها عني ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »^(٢) .

يستنبط من هذه الأحاديث^(٣) مراتب التبليغ يا جماعة التبليغ وإليكموها للتبليغ :

أ - تلقى العلم - سمع مقالتي - من أهل العلم فالذي يريد التعلم يذهب إلى مناهل العلم ، كالذي يريد الماء يرد البئر ، أما أن تطوف على القرى وتلتقي بأناس جهلة وتدعي أن هذه طريق العلم فهذا لا يقره شرع ولا عقل ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه .

لذلك اشترط علماء الحديث في الراوي أن يكون قد سمع الحديث الذي يرويه وإلا كانت روايته تدليساً إن أوهم السماع وهو لم يسمع .

ب - الفهم - فوعاها - كيلا يكون المسلم كالخمار يحمل أسفاراً ، والفهم سبيل التطبيق ؛ لأن فائدة العلم التطبيق ، وإلا كنا كما قال الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول
ت - الحفظ - وحفظها - وهو وسيلة لحفظ العلم من الضياع ، أو أن تتطرق إليه آفة النسيان فيدخل في الحديث ما ليس منه ، وهذا دليل على عدم جواز رواية الحديث بالمعنى ، تلك الدعوى التي اتخذها الخراصون سلماً للطعن في حديث المصطفى ﷺ كي يروجوا بدعتهم القائلة بعدم الاحتجاج بالحديث باللغة والتي أسسوها على ثلاثة أركان هشة .

الأول : أن الحديث لم يكتب زمن رسول الله ، وهذا يدل على مبلغهم من

(١) أخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم من حديث مطعم بن جبير رضي الله عنه وهو

صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه وأحمد من حديث أنس رضي الله عنه وهو صحيح

(٣) وهي مجموعها متواترة كما تقدم (ص ٢٨٢) .

العلم ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه^(١) دليل على أن الحديث دُونَ في عصره ﷺ ، وخبر الصحيفة الصادقة لا يخفى على من عنده أدنى معرفة بعلم الحديث الشريف .

الثاني : جواز رواية الحديث بالمعنى ، وفيما سبق دليل قاطع أن هذا افتراء ، فرسول الله اشترط الحفظ في الراوي ، وأن يبلغ الحديث كما سمعه دون زيادة أو نقصان ، فكيف ينقضون شرطاً اشترطه الصادق الأمين ، ومن هذه الأحاديث وضع علماء الحديث تعريف الحديث الصحيح الثابت فقالوا : « هو ما نقله عدل ضابط ثقة عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة » .

الثالث : رواة بعض الأحاديث أعاجم ، فإليت شعري وهل أقطاب اللغة الذين سلسلت في أيدهم أئنة النحو والصرف والبلاغة إلا أعاجم كسيبويه الذي عقدت له الإمامة في النحو حتى سمي كتابه : « قرآن النحو » ، وثمت أمر آخر : إن العجمة ليست جنساً وإنما في اللسان لقوله تعالى : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي ﴾ [النحل : ١٠٣] .

د - الدعوة : « ثم أداها إلى من لم يسمعها » وهي تبليغ العلم الذي علمته واستيقنته ؛ ليعم الخير ، ويتقهقر الشر وينزوي .

إذن فمعالم الطريق هي : علم ، وفهم ، وحفظ ، وعمل ، ودعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الرشيد ، وما دون ذلك خطر القتاد .

ورب قائل منهم يقول : إن الله يقول : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] فإننا في خروجنا إلى البيئات الطيبة الطاهرة نحقق صفات التقوى والصلاح وهذا كفيل بتعليمنا .

وهذا استدلال صوفي مردود من وجوه :

أ - أن الواو في ﴿ ويعلمكم ﴾ ليست للعطف ، وإنما للاستئناف ؛ فمعنى الآية : « اتقوا الله وخافوا الله أيها المتدابرون في الكتاب والشهود أن تضاروهم ، وفي

(١) ماضي تخريجه (ص ٥٣) .

غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه ، ويعني بقوله : ﴿ ويعلمكم الله ﴾ : وبين لكم الواجب لكم وعليكم ، فاعملوا به ^(١)

ب - لقد حاد رسول الله ﷺ طريق طلب العلم الشرعي وبينه فقال : « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرَّ الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه » ^(٢) .
و (إنما) للحصر ، ومعنى ذلك : أن لا طريق للحصول على العلم والوصول إليه إلا بالتعلم ، والتعلم يقتضي بذلك الجهد في طلب العلم وتحصيله .

ت - قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ^(٣) ، فجعل الرسول ﷺ طلب العلم فرضاً ، وهذا الطلب لا بدَّ له من طريق يسلكه طالب العلم ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ؛ سلك الله به طريقاً إلى الجنة » ^(٤) .

ث - وقوله تعالى : ﴿ ويعلمكم الله ﴾ ؛ كقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ [الحديد : ٢٨] ^(٥) .

ومعناه : أن من اتقى الله وطلب علم ذلك ؛ جعل الله في قلبه نوراً يفهم به ما يلقي إليه ، ويفرق به بين الحق والباطل ^(٦) .

وهذا الفهم هو الذي أشار إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأله أبو جحيفة : هل عندكم كتاب ؟ قال : « لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم » ^(٧)

(١) « جامع البيان في تفسير القرآن » ، ابن جرير الطبري ، (٣ / ٩١) .

(٢) حسن كما في « الصحيحة » (٣٤٢) لشيخنا .

(٣) صحيح بشواهده كما في « تخريج أحاديث مشكلة الفقر » (٨٦) لشيخنا .

(٤) حسن كما في « صحيح الترغيب والترهيب » (٦٨) لشيخنا .

(٥) « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير (١ / ٣٤٤) .

(٦) انظر « الجامع لأحكام القرآن » ، القرطبي (٣ / ٤٦) .

(٧) أخرجه البخاري .

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ سمعوا حديث رسول الله وجدّوا في تحصيله ورووه ، فاتاهم الله فهماً ، وهم أئمة المتقين : ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ [الفرقان : ٧٤] فكل تقي يأتم بهم ، والتقوى واجبة ، فعلم أن الائتمام بهم واجب ، والعنود عن سبيلهم مظنة الفتنة والمحنة .

ج - التقوى ثمرة للعلم النافع والعمل الصالح وليس العكس وهم عكسوا الأمر فجعلوا العلم ثمرة التقوى^(١)

وليتذكر التبليغيون أن الدعوة إلى الإسلام بغير علم يضر الإسلام أكثر مما يجلب له نفعاً ، لأن الشيء إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضده ، وهذا ما يحدث في صفوفهم فإنها عبارة عن مجموعات من الناس لا يستطيعون الثبات أمام خبث هذه الجاهلية الخبيثة ، فهم يقفون على أرض واهية تنزلزل من تحتهم ، فلا تركيز على عقيدة ، ولا اهتمام بعلم ، ولا التفاف حول العلماء .

٨ - ويمكن التيقن من فساد الخروج الجماعي التبليغي من ثماره ، فقد قيل في حق الدجالين : من ثمارهم تعرفونهم ، وقد ذكر الدكتور الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله مفاسد الخروج التبليغي فقال : « وقد ترتبت على دعوتهم مفاسد عظيمة في الدين والدنيا :

فأولها : الابتداع في دين الله ، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ .

وثانيها : تضييع العيال والوالدين والأزواج وإهدار حقوقهم .

ومنها : صرف المتعلمين عن تعلم العلوم النافعة في الدين .

ومنها : تحطيل تجارة التجار ، وتضييع أهلهم ومن يعيش معهم أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة ، فكلم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم ، وكلم من يعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم ، فصار هؤلاء يشتمكون إلى الله ثم إلى الناس هذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير .

فوجب على من ن عنده علم يقلل به شر هذه الطائفة أن يبرز علمه وأن

(١) انظر لزماماً كتابي « منهج الانبياء في تركية النفوس » (ص ١٠٠ - ١٣٠) .

يظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم»^(١)

قلت : ومن شرورهم على السنة المطهرة أن أذاعوا بين الناس الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأشاعوا الأحاديث التي لا أصل لها فقد وصفهم أحد الأذكياء بقوله : جماعة التبليغ من مظان الأحاديث الموضوعة .

وذلك أنهم لا يهتمون بالتمييز بين صحيح الأحاديث وسقيمها بل إنهم يتندرون في مجالسهم بطلاب العلم المهتمين بهذا المقام العظيم فقال لي أحدهم وقد نهته على جملة من الأحاديث الباطلة في بيانه : الضعيف نطعمه برسماً ليسمن (!) وبعضهم يقول : إن الأحاديث الضعيفة حجة في فضائل الأعمال .

إن كثيراً من جماعة التبليغ يظنون أن هذا القول لا خلاف فيه عند العلماء ، وليس كذلك بل الخلاف معروف ، كما هو مبسوط في كتب مصطلح الحديث فقد نقل الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله عن جماعة المحدثين أنهم لا يرون العلم بالحديث الضعيف مطلقاً ؛ كالبخاري ، ومسلم ، ويحيى بن معين وابن العربي الفقيه المالكي ، وقال : وهذا مذهب ابن حزم رحمه الله حيث قال في « الملل والنحل » : « ما نقله أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة ، أو ثقة عن ثقة ، حتى يبلغ النبي ﷺ إلا أن في الطريق رجلاً مجروحاً بكذب أو غفلة ، أو مجهول الحال ، فهذا يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ، ولا تصديقه ، ولا الأخذ بشيء منه »^(٢) .

وليس لدى المخالف لهذا القول دليل من الكتاب والسنة إلا بعض العبارات التي تنقض قولهم لأنه فهم خطأ لعبارة منسوبة إلى ثلاثة جهابذة من كبار أئمة الحديث ، وهم عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وعبد الرحمن بن مهدي ، فقد روي عن هؤلاء الثلاثة قولهم : « إذا روينا في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا »^(٣) .

(١) « السراج المنير » (ص ١ ، ٢) .

(٢) « فرائد التحديث » (ص ١١٣) .

(٣) « الكفاية في علم الرواية » ، الخطيب البغدادي (ص ١٣٣) .

قال ابن كثير : « وإن غرض هؤلاء الأئمة من التشديد ليس مقابلة أحدها بالآخر كتقابل الصحيح بالضعيف في نظرنا نحن ، وإنما كانوا إذا رَوَوْا في الحلال والحرام يتشددون فلا يحتجون إلا بأعلى درجات الصحة ، وهو المتفق عليه في عصرهم على نسبته بالصحيح ، فإن رَوَوْا في الفضائل ونحو ذلك لم يجدوا ضرورة في التشدد ، بل جنحوا إلى قبول ما هو دونه في الدرجة ، وهو الحسن الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم »^(١) .

ويقول الشيخ أحمد شاكر : « وأما ما قاله أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك : إذا رَوَيْنَا في الحلال والحرام تشددنا ، وإذا رَوَيْنَا الفضائل ونحوها تساهلنا ؛ فإنما يريدون به - فيما أرجح والله أعلم - من التساهل إنما هو الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة ، فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح والحسن ، لم يكن في عصرهم مستقراً واضحاً »^(٢) .

ويؤيده قول شيخ الإسلام رحمه الله : « ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة ، لكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت ، إذا لم يعلم أنه كذب ، وذلك أن العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعي ، وروى في فضله حديث لا يعلم أنه كذب ، جاز أن يكون الثواب حقاً ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف ، ومن قال هذا خالف الإجماع »^(٣) .

وقال : « ما كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن ، فقد غلط عليه »^(٤) .

(١) « اختصار علوم الحديث » (ص ١٠١) .

(٢) « الباعث الحثيث » (ص ١٠١) .

(٣) « قاعدة جلية في التوسل والوسيلة » (ص ٨٤) .

(٤) المرجع السابق (ص ٨٥) .

إن تجويز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال معناه إثبات مشروعية العمل به ، وذلك لا يجوز لأن المشروعية أقل درجاتها الاستحباب ، وهو حكم من الأحكام الخمسة التي لا تثبت إلا بدليل صحيح أو حسن ، ولا يجدي الضعيف فيها باتفاق العلماء ، قال ابن تيمية : « لم يقل أحد من الأئمة أنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف ، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع » .

وهذا هو الصواب ؛ لأن الرواية الضعيفة لا يمكن أن تكون مصدراً لحكم شرعي ، ولا لفضيلة خلقية ، لأن الفضائل كالأحكام من دعائم الدين الأساسية ، بل إنها من الأهداف السامية التي جاء الإسلام لترسيخها في النفس الأدمية ، ومن المثل العليا التي بعث من أجلها الرسول ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »^(١) لذلك لا يجوز أن يكون بناء هذه الدعامة واهياً على شفا جرف هار .

والعلماء الذين أجازوا العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال قرروا شروطاً لو تفحصتها لوجدتهم في الحقيقة لا يجيزون العمل به ، وإنما النزاع بيننا وبينهم لفظي .

لقد وقع التبليغيون في الكذب على رسول الله لأنهم يروون عنه ما هب ودب وهو القائل ﷺ : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع »^(٢) وقال ﷺ : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »^(٣) .

ومن أمثلة ذلك ما ملؤوا به كتابهم المسمى « تبليغي نصاب »^(٤) .

٩ - ويصطادون السذج بالأمثلة المغلوطة والتشبيهات المقلوبة وهي كثيرة يستحي الأريب من تكرارها ولكن لا بأس بمثال واحد ليتضح حالهم :

(١) مضي تخريجه (ص ٢٧٠) .

(٢) أخرجه مسلم في « المقدمة » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في « المقدمة » من حديث سفرة بن جندب رضي الله عنه .

(٤) أي منهج التبليغ ، وهو المقرر لغير العرب وقد ترجم لعدة لغات إلا اللغة العربية

خشية أن يطالع على طاماته أهل العلم وانظر ملحق الوثائق (رقم ١٣) .

حينما يريدون ترغيب فرد في الخروج يقولون : يا أخي إنك إذا وضعت في كأس الشاي سكرًا ثم صببت عليه شايًا وشربته دون تحريك لم تذق حلاوته ولم تعرف طعمه ، فإذا حركته عرفتته ووجدته حلواً فكذا الإيمان موجود في قلبك ولا بد من تحريكه لتذوق طعمه وتعرف حلاوته فهيا للخروج في سبيل الله لتنقذ الناس .

وبعضهم يطرح أسئلة على المستمعين الذين جلسوا ليسمعوا كلام الدين والإيمان كما يقولون في بداية بياناتهم : رأيتم لو وجد أحدكم هراً يحترق أيتركه ؟ فيسارع الجالسون بقولهم لا بل ننقذه ؛ فيستغل التبليغي لحظة طغيان العاطفة على العقل ويقول : إخوانكم من المسلمين يحترقون في نار جهنم وأنتم تنظرون إليهم فهيا إلى إنقاذهم ... فلا يشعر المرء إلا وهو أسير لجماعة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله البدعة والفتنة .

الصفات الستة :

منهج جماعة التبليغ الذي تسير عليه وأصولها التي ترجع إليها تسمى الصفات الستة وهي :

- ١ - تحقيق الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- ٢ - الصلاة ذات الخشوع والخضوع .
- ٣ - العلم مع الذكر .
- ٤ - إكرام المسلمين .
- ٥ - تصحيح النية وإخلاصها .
- ٦ - الخروج في سبيل الله .

وقبل مناقشة هذه الصفات التبليغية ينبغي أن نعلم كيف يفهمها التبليغيون ، فلقد وضع التبليغيون ضابطاً لفهمهم ودعوتهم وحركتهم : وهو كل شيء يسبب النفرة أو الفرقة فيجب على التبليغي البعد عنه ، وعدم الاقتراب منه ضمن ما يسمونه « هدايات » ، ويحللون ذلك : بأنهم لا يشيرون إلى القذى في أعين إخوانهم وإلى المنكرات في تصرفاتهم ، ولكنهم يعطونهم المرأة ، ويوفرون لهم فرصة النظر فيها ، وتفقد أحوالهم وإصلاح ما فسد منها^(١) .

(١) « رأي آخر في جماعة التبليغ » الشيخ سعد الحصين (ص ٢١) بخط يده .

الصفة الأولى : تحقيق الكلمة الطيبة

المراد بتحقيق لا إله إلا الله عند التبليغيين هو توحيد الربوبية ولذلك يفسرونها بقولهم لا خالق . لا رازق ، لا محيي ، لا مميت ... إلا الله .

ويعرضون بالكلمة عن تخليص التوحيد من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والإلحاد في أسماء الله وصفاته فهم يضربون صفحاً عن توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، لأن الكلام في توحيد الألوهية يسبب الفرقة والاختلاف والنفرة بين المسلمين ففيهم القبورى والصوفى وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه يسبب النفرة لأن هناك أشعرية ، وماتريدية ، وجهمية ، وحلولية وهؤلاء كلهم مختلفون في هذا الباب ، وأما توحيد الربوبية فكل منتسب للإسلام يقر به ، ولذلك إذا قام أحدهم ليبين قال : الحمد لله الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا .. إلخ .

قال الشيخ .. بعد الحصين : « ... ولكن هناك خطأ في العقيدة يغلب على الجميع وهو فهم الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) فهماً خاطئاً لم يقع فيه إبليس أعاذنا الله منه ولا مشركو قريش من قبل : على أن مقصدها (بتعبيرهم المتداول) إخراج اليقين (بمعنى التوكل) الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين على ذات الله أنه الخالق الرازق المحيي المميت المدير المتصرف ... ومن لم يقع في هذا الخطأ منه بلسانه فإنه لا ينكره على غيره تمثيلاً مع قاعدتهم الأساسية : عدم الخوض في الخلافات ... وبسبب الجهل الغالب عليهم »^(١) .

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله : « وقد ذكر العلماء العارفون بجماعة التبليغ كثيراً مما هم عليه من البدع والخرافات والضلالات وأنواع المنكرات وفساد العقيدة ، ولا سيما في توحيد الألوهية ، فهم في هذا الباب لا يزيدون على ما كان عليه أهل الجاهلية الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ .

لأنهم إنما يقرّون بتوحيد الربوبية فقط كما كان المشركون من العرب يقرّون بذلك .

ويفسرون معنى (لا إله إلا الله) بمعنى توحيد الربوبية ، وهو أن الله تعالى

(١) المرجع السابق (ص ١٧) .

هو الخالق الرازق المدبّر للأمور ، وقد كان المشركون يقرّون بهذا التوحيد ؛ كما ذكر الله ذلك عنهم في آيات كثيرة من القرآن ، ولم ينفعهم ذلك ، ولم يدخلوا به في الإسلام .

وقد جهل التبليغيّون معنى (لا إله إلا الله) على الحقيقة ، وهو أنه المستحقّ للعبادة دون ما سواه ، فيجب إفراده بجميع أنواع العبادة ، ولا يجوز صرف شيء منها لغيره ، ومن صرف منها شيئاً لغيره ؛ فقد جعل ذلك الغير شريكاً له في الألوهية ، ومن خفي عليه هذا المعنى ؛ فهو من أجهل الناس ، ولا خير فيه .
وأما توحيد الأسماء والصفات ، فإن التبليغيين فيهم أشعرية وماتريدية وهما من المذاهب المخالفة لعقيدة أهل السنة .

وأما باب السلوك فإنهم صوفية ، والصوفية من شر أهل البدع ، وقد تقدم ذكر الطرق الأربع التي كانوا يبايعون على الأخذ بها ^(١)

قال الأخ الدكتور الشمس السلفي الأفغاني « أما غلاة الديوبندية فلهم شعبتان : الأولى : شعبة التربية والتبليغ ، وهي المعنية بجماعة التبليغ ، فجماعة التبليغ كما أنهم ديوبندية أقحاح كذلك ماتريدية أجلاّد ، ويحملون أفكاراً صوفية خطيرة وبدعاً قبورية كثيرة مع فوائد علمية وفيرة .

وقد ألف الشيخ العلامة محمد زكريا رحمه الله كتباً كثيرة تعدّ منهجاً لجماعة التبليغ يسرون عليه ويبتدون مع أن تلك الكتب المكتظة ببِدع وخرافات وتبركات ما أنزل الله بها من سلطان فهذه الكتب دليل قاطع على أن هذه الجماعة مبتدعة تحمل أفكاراً قبورية كثيرة خطيرة ^(٢) .

وقد اعترف أميرهم أنعام الحسن أنهم يبايعون على أربع طرق صوفية هي : الجشتية ، والقادرية ، والسهروردية ، والنقشبندية فقال : « إن البيعة في الطرق الصوفية رائجة ومنتشرة في شبه القارة الهندية ، والواقع أننا إن لم نبايع هؤلاء الذين يصرون علينا لذلك فإنهم حسناً سيبايعون غيرنا ويقعون في حائل المبتدعة والمنحرفين من

(١) « القول بالبلغ في التحذير من جماعة التبليغ » (ص ٨ - ٩) .

(٢) « الماتريدية » (٣ / ٣٠٢ - ٣٠٣) .

المتصوفة الزنادقة»^(١) .

إن جماعة التبليغ صوفيون حتى النخاع ومما يدل على ذلك أمور :
١ - ممارسة الأرواد الصوفية بَقْلُو ، قال الشيخ سعد الحصين : « وقد ثبت عندي أن من أرواد طرقهم الأربع ما يلي :
« لا إله إلا الله » ٢٠٠ مرة في الليل مع تحريك الرأس من اليمين وإلى أعلى ثم خفضه حتى تقع في القلب .

« إلا الله » ٤٠٠ مرة قبل التهجد مع تحريك الرأس من أعلى إلى أسفل .
« الله الله » ٦٠٠ مرة في أي وقت يومياً
« الأنفاس القدسية » ١٠ دقائق في أي وقت وطريقتها لصق اللسان بسقف الفم ، وإدخال الهواء من الأنف وإخراجه على صورة لفظ الجلالة .
« المراقبة » نصف ساعة مرة في الأسبوع وطريقتها الانتقال إلى قبر أحد المشايخ ، وتغطية الرأس ، وترديد : الله حاضري الله ناظري »^(٢)
٢ - ممارسة الحجب والتمايم والشعوذة^(٣)

قال الشيخ التويجري رحمه الله : « ومن الشراكيات الرائجة عند التبليغيين التمايم والحروز والحجب التي تشمل على الطلاسم والأسماء الغريبة والمربعات والأرقام والرموز المبهمة التي لا تخلو من الالتجاء إلى غير الله والاستعاذة بضره »^(٤)
ويقول محمد أسلم : « وكان يكتب (زكريا) التمايم في ذاك الوقت كل يوم »^(٥)

-
- (١) رسالة أنعام الحسن الجوابية على رسالة الشيخ سعد الحصين (ورقة ١ سطر ٢٢ - ٢٣) انظر ملحق الوثائق (رقم ٩) .
(٢) « رأي آخر في جماعة التبليغ » (ص ١٨) وقال في الحاشية (٤) « أملي علي هذا الورد شيخان من كبار الجماعة وقدمائها : مولانا يعقوب منشي ومولانا موسى كرمادي بحضور ثلاثة من الجماعة .
(٣) انظر رسالة الشيخ سعد الحصين إلى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله (ص ٨) في ملحق الوثائق (رقم ١٢) .
(٤) « القول البليغ » (ص ١٣) .
(٥) « جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها » (ص ٣٤) .

٣ - المراقبة عند القبور للاستمداد ، وقد مارسها أمراؤهم ، فقد كان المؤسس محمد إلياس يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني^(١) ، وفي المراقبة الجشتية عند قبر عبد القدوس الكنكوهي الذي كانت تسيطر عليه فكره وحدة الوجود^(٢) .

وابنه محمد يوسف كان يفعل ذلك :

« يقول الشيخ سردار محمد الباكستاني - باب المجيدي ، المدينة المنورة - قد ظللت في جماعة التبليغ عشرة سنوات تقريباً وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ (ذاك الوقت) قرياً من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رحمه الله في محله نظام الدين (مقر الجماعة) دهلي فكنا نجلس حول قبره وقتاً طويلاً في حالة المراقبة ساتري الرؤوس .

الشيخ محمد يوسف كان يقول إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس رحمه الله يوزع النور (الذي ينزل من السماء في قبره) بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به وكذلك كنا نجلس أيضاً على قبر الشيخ عبد الرحيم رأي فوري في هيئة المراقبة .

الشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقباً عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة .

هذه الطريقة معروفة بين مشايخ جماعة التبليغ وهم يعملون عليها بالكثرة^(٣) .

قال الشيخ سيف الرحمن الدهلوي : « إن أكابر أهل التبليغ يربطون على القبور ، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور ، ويقرؤون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية مثل ما يقرؤ القبوريون بنفس المعنى .

(١) المرجع السابق ، (ص ١٢) .

(٢) « الإمام السهرندي حياته وأعماله » ، أبو الحسن الندوي ، (ص ١١٨) .

(٣) « جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها » ، (ص ٢٧) .

ويأتي شيخهم الشيخ زكريا شيخ الحديث عندهم وبمدرستهم ببلدة سهارنفور بالهند يأتي إلى المدينة المنورة ، ويرابط عند قبر النبي ﷺ بالجانب الشرقي من القبر ونحو الأقدام الشريفة ، ويذهب في المراقبة عدة ساعات ؛ كما شاهده الكثيرون ^(١) .

٤ - منوعات صوفية

نقل محمد أسلم عن منظر جماعة التبليغ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي طامات صوفية تحت عنوان : « التصوف الشرعي وبركاته » ^(٢) :

« يقول ذهب بن الورد أحد المشائخ : أنا كنت أصلي يومئذ في الحطيم فسمعت هذا الصوت من كسوة الكعبة : أنا أشكو أولاً إلى الله ثم اليك يا جبريل أن الناس يشتغلون حولي في الضحك والسخرية واللغو وان لم ينتهوا عن هذه الأمور اتفطر بحيث ينفصل كل صخرة من الآخر ^(٣) .

ويقول موسى بن محمد : إن رجلاً أعجبياً كان يطوف مرة وكان رجلاً ديناً وصالحاً وسمع في أثناء طوافه صوت خلخال امرأة كانت تطوف فنظر هذا الرجل إليها فخرجت يد من الركن اليماني ولطمته لكمة خرجت عينه من رأسه وخرج صوت من جدار بيت الله وهو إنك تطوف بيتي وتنظر إلى غيري فهذه اللطمة جزاء هذه النظرة وإن تعمل مرة ثانية نجرك أكثر من ذلك .

وقد يروى عن بعض المشائخ أن كثيراً ممن كان في خراسان اقرب من مكة من البعض الذين يطوفون البيت بل البعض منهم تذهب إليهم الكعبة لزيارتهم ^(٤)

إن مذاهب الأئمة الأربعة متفق على أن إرادة زيارة القبر النبوي ﷺ مستحبة (قصد الزيارة من الخارج) ^(٥)

من زار قبري فكأنه زارني في حياتي - حديث

(١) « نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية » (ص ٤٧) .

(٢) « جماعة التبليغ » (ص ٣٥ - ٣٨) .

(٣) « فضائل حج » (ص ٩٤) .

(٤) المرجع السابق (ص ١٠٠) .

(٥) المرجع نفسه (١٠٨) .

من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي - حديث
من جاء لزيارة قبري ولم ينو سواه شيئاً وجبت له شفاعتي - حديث^(١)
وبناء على هذا الحديث ينوي أول مرة لزيارة القبر فحسب^(٢)
وقد نقل العلامة الشامة علي الملا جاس أنه سافر مرة لنية الزيارة ولم يشمل فيه
الحج لكي تكون النية للزيارة فقط والمحبة تقتضي هذا^(٣)
من حج ولم يزرنني فقد ظلمني - حديث^(٤)
وعن ابن عباس من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان
مبرورتان أخرجه الأديلمي وكذا في الاتحاف - الحديث^(٥) .

يقول سليمان بن سحيم : إني زرت النبي ﷺ في المنام فسألته هل تعرف
الذين يحضرون في خدمتك ويسلمون عليك فقال النبي ﷺ : نعم أعلمهم وأرد
عليهم السلام - أخرجه سعيد بن منصور وكذا في الاتحاف^(٦)

وقد ثبت السفر من الصحابة والتابعين لزيارة قبر النبي ﷺ^(٧)
وقد تعددت الروايات عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يرسل الركاب
دائماً ليوصلوا سلامه على قبر النبي ﷺ - شفاء الاسقام -^(٨)

وكتب العلامة السبكي أنه ثبت بسند جيد سفر بلال من الشام لزيارة قبر النبي
ﷺ ، وقد رجحه العالم رشيد أحمد الكنكوهي فكتب في زبدة المناسك : فإذا قصد
السفر إلى المدينة فأحسن أن ينوي لزيارة القبر النبوي ﷺ ليكون مصداق الحديث
النبوي « من أتى لزيارتي فقد وجبت له شفاعتي »^(٩) ويتوب إلى الله بوسيلة النبي
ﷺ^(١٠)

وإذا زار قبر أحد يذهب إليه من طرف رجله لأن الله يلهم على الميت كشف

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) المرجع نفسه (٩٨) . | (٢) المرجع نفسه (١١٠) . |
| (٣) المرجع نفسه (١١٥) . | (٤) المرجع نفسه (١١٤) . |
| (٥) المرجع نفسه (١١٣) . | (٦) المرجع نفسه (١١٥) . |
| (٧) المرجع نفسه (١١٦) . | (٨) المرجع نفسه (١١٧) . |
| (٩) المرجع نفسه (١٢٠) . | (١٠) المرجع نفسه (١٢٧) . |

الآتي فيسهل عليه (الميت في القبر) أن يراه ، وإذا أتى من جانب رأسه فيتعب الميت ويشق عليه رؤيته - فتح القدير^(١)

ويخيل أن وجه النبي ﷺ أمامه وهو قد عرف أنه حضر لزيارته ﷺ فالذي دعا بوسيلة ﷺ .. يقبل دعاؤه وأعطى ما سأل ويشهد على هذا التجربة والوقائع ويفهم كأنه حضر في مجلسه في حياته لأنه ليس هناك فرق بين حياته ومماته ﷺ وفي مشاهدته أحوال الأمة وظهور إرادتهم وقصدهم^(٢) ، وبعد السلام يدعو بتوسل النبي ﷺ ويطلب الشفاعة ويقول : يا رسول الله أسأل الشفاعة وأتوسل بك إلى الله لأن أموت مسلماً على ملتك وستك^(٣) ، ويجعل وجهه إلى الرسول ﷺ أيضاً عند هذا الدعاء .

وإن قال أحد : السلام على النبي ﷺ يعرض سلامه عليه ﷺ بقوله السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يتشفع بك إلى ربك .

ويقول صاحب الاتحاف وكان عمل السلف والخلف إرسال الناس للسلام عليه ﷺ ، وكان السلاطين يرسلون رسلهم خاصاً إلى المدينة لأبلاغ السلام عليه ﷺ^(٤) ولا يجعل ظهره جانب القبر النبوي بدون حاجة ماسة إليه لا في الصلاة ولا في خارجها شرح لباب^(٥)

وقال النبي ﷺ في المنام : قل لأبي حازم إنك تمر من عندي إعراضاً عني ولا تقف علي فتسلم^(٦) (وبعد هذا) يهتم اهتماماً كثيراً للحضور إلى القبر النبوي^(٧) .

(١) المرجع نفسه (١٢٧) .

(٢) المرجع نفسه (١٢٨) .

(٣) المرجع نفسه (١٣٢) .

(٤) المرجع نفسه (١٣٣) .

(٥) المرجع نفسه (١٣٧) .

(٦) المرجع نفسه (١٣٧) .

(٧) المرجع نفسه (١٣٨) .

وقال النبي ﷺ : لو كان إبراهيم (ابنه ﷺ) حياً لكان نبياً .
السيد أحمد الرفاعي كان من كبار الصوفية وقصته مشهورة إنه لما فرغ من الحج
سنة ٥٥٥ هـ حضر للزيارة ووقف أمام قبره ﷺ فقرأ هذين البيتين :

وحالة البعد روحي كنت أرسلها تسقبل الأرض عني وهي نائبي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فأخرج اليد الشريفة من القبر فقبلها الرفاعي ويقال أنه في ذلك الوقت كان عدد
الحاضرين في المسجد النبوي تسعين ألفاً الذين شاهدوا هذا المشهد وزاروا يد النبي
ﷺ يذكر من بين هؤلاء الشاهدين المحبوب السبحاني والقطب الرباني الشيخ عبد
القادر الجيلاني نور الله مرقده^(١) وقال ذاك البدوي إني قد ظلمت نفسي وقد
جئت إليك طالباً للمغفرة فجاء الصوت من القبر قد غفر لك^(٢)

ويقول ابن جلاء : حضرت المدينة الطيبة وكنت جائعاً فحضرت عند القبر
الشريف وقلت : أنا ضيفك يا رسول الله فطرات علي سنة فزرت رسول الله ﷺ
فاعطاني خبزاً ، فأكلت نصفه لما استيقظت كان النصف الآخر في يدي^(٣) .

يقول الشيخ ذو النون المصري : إني رأيت شاباً عند الكعبة يركع ويسجد كما
ينقر لديك فقلت : إنك تصلي الصلاة بسرعة ، فقال : أطلب إجازة الرجوع الى
الموطن فإذا رأيت أن بطاقة من القرطاس سقطت من الفوق وكان فيه مكتوباً هذا من
الله الذي هو صاحب عزة ومغفرة إلى عبد الشكور : ارجع إلى بلدك فقد غفر لك ما
تقدم من خطاياك وما تأخر^(٤)

وزار النبي ﷺ في المنام ... فقال يارب كم شاهداً أتيتك به إنك حججت
فإنك لا تسلم هذا ، فاسمع فإن الحقيقة هي أنك تصدقت على امرأة كانت من
سلالتي وأنفقت عليها زادك وتركت الحج فدعوت الله عز وجل أن يعطيك جزاؤه

(١) المرجع السابق نفسه (١٥٠) .

(٢) المرجع السابق نفسه (١٥١) .

(٣) المرجع السابق نفسه (١٥٣) .

(٤) المرجع السابق نفسه (٢١٠) ..

أحسن الجزاء فجعل الله ملكاً في صورتك وأمره أن يحج البيت كل عام بذلك .

وورد مثل هذا في الحج للإمام عبد الله بن المبارك^(١)
إن هذه الأحوال والوقائع التي مرت عليك تبني على العشق والمحبة ، وقوانين
العشق والمحبة تختلف عن عامة القوانين فلا تندرج أصول العشق وضوابطه تحت أصل
للدراة والمطالعة بل تحصل من العشق والمحبة « أ . هـ

الصفة الثانية : الصلاة ذات الخشوع والخضوع :

ولا يتحقق الخشوع والخضوع في الصلاة عن التبليغيين إلا عند القبور فالمرکز
الرئيس المسمى نظام الدين في دلهي يشمل أربعة قبور في الركن الخلفي من المصلی
وهي : قبور محمد إلیاس وابنه محمد يوسف واثنين آخرين^(٢)

قال الشيخ التويزي رحمه الله : « وهذا شبيه بفعل اليهود والنصارى الذين
اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد وقد لعنهم رسول الله ﷺ على هذا الصنيع
وأخبر أنهم من شرار الخلق عند الله »^(٣)

ونقل محمد أسلم عن مؤسس جماعة التبليغ محمد إلیاس أنه كان يجلس أكثر
الأحيان خلف قبر عبد القدوس الكنكوهي ، وكان يجلس في الخلوة قرب قبر السيد
نور محمد الباديوي ويصلي بالجماعة هناك^(٤)

ذكر الشيخ محمد تقي الدين الهلالي : « أن أحد رؤساء التبليغيين أخبره أنه أقام
يوماً وليلة في قبة تُعبد من دون الله ، وصلى في المسجد المتصل بها خمس صلوات ،
وهو يعلم ما رواد البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : قال

(١) المرجع السابق نفسه (١٦٤) .

(٢) انظر « رأي آخر في جماعة التبليغ » (ص ٧) .

(٣) « القول البليغ » (ص ١٢) ، وانظر لزماً للوقوف على أدلة تحريم الصلاة في القبور
وعندها إليها كتاب شيخنا ناصر الدين الألباني حفظه الله « تحذير الساجد من اتخاذ القبور
مساجد » .

(٤) « جماعة التبليغ » (ص ١٣) .

رسول الله : « لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد » ؛ يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره ؛ غير أنه خُشي أن يُتَّخذ مسجداً .

وعن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما : أنهما وصفتا لرسول الله ﷺ كنيسة بأرض الحبشة ، وذكرتا من حسننها وما فيها من تصاوير ، فقال النبي ﷺ : « أولئك قومٌ إذا مات فيهم الرجل الصالح ؛ بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

فلعن النبي ﷺ اليهود والنصارى إنما وقع لتحذير أمته أن يعملوا مثل عملهم ، ومن صلى عند قبر ؛ فقد اتَّخذ ذلك المكان مسجداً ؛ أي : موضع سجود ، سواء أكان عليه بناء أم لا .

فقلت له : كيف تترك خمس صلوات ولا تخاف لعن رسول الله ﷺ لمن عمل ذلك العمل ، ومن ترك صلاة واحدة حتى خرج جميع وقتها ؛ فهو كافر بإجماع الصحابة ؟!

فلم يستطع جواباً ، ولو أجاب وأفشى السر ؛ لقال : إني صليت في ذلك الوثن تودُّداً إلى المشركين ليقبلوا دعوتي للخروج إلى السياحة ، ويعلموا أنني مسالم لهم ، غير منكر عليهم^(١)

فما أشدَّ شؤم هذه الدعوة النحسة على أهلها ، والتي توقعهم في ترك الصلاة - وهو كفر - ، والصلاة التي صلوها عند الأوثان باطلة قطعاً ؛ لأنَّ القبول لا يجتمع مع

(١) هذا هو الحق ، والتبليغيون يروون قصة لقنها لهم عمر بالنبوري الذي يسمونه « أمير العرب » خلاصتها : أن جماعة تبليغية خرجت إلى إحدى القرى ؛ فوجدوا أهلها يطوفون حول قبر شيخ فذهب أمير الجماعة وصار يطوف مع الطائفين وأثناء طوافه قال لكبير أهل القرية : أتدري ماذا قال لي الشيخ - يعني صاحب القبر - ؟ قال كبير القوم : لا . قال أمير الجماعة التبليغية : إنه أخبرني أنكم يجب أن تخرجوا معنا في سبيل الله عندئذٍ خرج كبير القوم وطائفة من أهل القرية وأثناء الخروج تلمسوا أن الطواف بالقبور لا يجوز ، فأراد كبير أهل القرية أن يعود وينهدم القبر ويزيله فقال له أمير الجماعة التبليغية : لا ينبغي لك هذا ولكن افعل مع أهل قريتك كما صنعت معكم !!

لعن فاعليها»^(١) .

والصلاة عند جماعة التبليغ مقيدة بالمذهب الحنفي فهم يمنعون الجمع بين الصلاتين في السفر منعاً مطلقاً ، وإذا نوقشوا افتوا بالجمع الصوري ، ويمنعون الصلاة بالطائرة ... الخ^(٢)

الصفة الثالثة : العلم مع الذكر :

ويحارب التبليغيون العلم الشرعي حرباً غير معلنة ولهم في ذلك وسائل خبيثة منها :

١ - تقسيم العلم إلى علم مسائل وعلم فضائل ، فيهربون من علم المسائل وهو علم التوحيد والفقه لأن هذا العلم للعلماء ومن أراداه من الخارجين فليطلبه عن علماء بلده ، ويعتقدون أن هذا العلم يصرف الإنسان عن العمل ويورث النفرة والاختلاف ويزعمون أنه مبني على القيل والقال المنهي عنه المبطئ عن العمل .

وأما علم الفضائل فيتساهلون فيه فيسوقون الأحاديث التي لا أصل لها والضعيفة والموضوعة والخرافات والخزعبلات الصوفية والرؤى والتجارب .

وحشي دهاقنة التبليغ أن يطلب بعض الخارجين علم المسائل عند علماء بلده لأنه إذا تعلم تركتهم حينما يرى العجب العجائب في عقائدهم وسلوكهم ودعوتهم ولذلك شغلوا وقت الخارجين معهم لكي لا يجدوا وقتاً للعلم والتعلم وسؤال أهل العلم والذكر ، وإليك طريقته التنفيذ كما ينقلها الشيخ سعد الحصين الذي عاش في صفوفهم وعرفهم كما يعرف الرجل أبناءه ودافع عنهم قبل أن تنكشف له الحقيقة المرة التي حجبته عنه وعن أمثاله من أهل التوحيد سنين عدداً : « يجتمع الدعاة ومن استجاب لهم ليلة العطلة الأسبوعية في المسجد (المركز) ويقوم واحد منهم سبق اختياره في اجتماع الشورى الأسبوعي بوعظهم وتحريك الإيمان في قلوبهم بالآيات والأحاديث والتقصير ، وفي النهاية مطالبتهم بتفريغ بعض أوقاتهم للدين الله بعيداً عن مشاغل دنياهم ، ويسجل المستجيبون ليتم توزيعهم في وقت لاحق جماعات على الأحياء والقرى والمدن القريبة والبعيدة كل بحسب جهده ، وماله ووقت فراغه .

(١) « السراج المنير » (ص ١٠ - ١١) .

(٢) انظر لزوماً « القول البليغ » (ص ١٩١ - ١٩٨) .

ويعتكف أفراد الجماعة ومن استجاب لهم بقية الليل في المسجد وفي الصباح يتكلم أحد القادماء في الخارجين بما يسمى في اصطلاحهم : « هدايات » وتعني : التوجيه إلى إخلاص النية في خروجهم لله سبحانه وتعالى ، والتقيّد بأداب الدعوة وآداب السفر وآداب الإقامة في المساجد .

ثم تجتمع كل جماعة بأمرها يوصيهم ويرشدهم ، ويجمع نفقتهم ، ويعين اثنين منهم لتحضير وسائل السفر .

وتبدأ أعمال الخروج فور ركوبهم وسيلة السفر بقراءة القرآن والحديث ، وبعد وصولهم المسجد وأداء تحيته يجتمعون للشورى حول ترتيب عملهم وتوزيعه خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة على الوظائف التالية :

- ١ - إعداد الطعام ويقوم به إثنان منهم أو ثلاثة .
- ٢ - زيارة إمام المسجد ومركز الشرطة والمهتمين من أهل الحي .
- ٣ - إمامة حلقة التعليم .
- ٤ - التدريس بالجماعة بعد صلاة العصر .
- ٥ - درس العصر .
- ٦ - التذكير بأداب الجولة .
- ٧ - درس المغرب .
- ٨ - درس العشاء .
- ٩ - التذكير بأداب الطعام وآداب النوم .
- ١٠ - صلاة الفجر .

وينتظم مسانيم على النحو التالي :

أولاً : حوالي الساعة التاسعة صباحاً يجتمعون على « حلقة التعليم » ويقتصر على :

- ١ - تلاوة العشر سور الأخيرة من القرآن يشترك كل منهم في القراءة والاستماع .
- ٢ - قراءة بعض الأحاديث النبوية في فضائل الأعمال من كتاب « رياض

الصالحين » للتبويي خاصاً بالعرب .. ومن كتاب « تبليغي نصاب » لمحمد زكريا الكاندهلوي خاصاً بالعجم .

٣ - التدبير على إلقاء الموعظة بتعداد الأصول الستة أو الصفات الست التي مر ذكرها إجمالاً أو تفصيلاً .

٤ - تدارس آداب وأصول الجماعة وهي كالتالي :

- الالتزام بأربع : طاعة الأمير ، الاشتراك في الأعمال الجماعية ، الصبر والتحمل ، نظافة المسجد .

- الاشتغال بأربع : الدعوة ، العبادات ، حلقة التعليم ، الخدمة .

- التقنين من أربع : الطعام ، المنام ، الكلام ، وقت قضاء الحاجات (الخاصة) .

- تجنب أربع : الإسراف ، الإشراف ، السؤال ، استعمال ملك الغير إلا بإذنه .

- عدم الخوض في أربع : المسائل الفقهية ، المسائل السياسية ، أوضاع الجماعات الأخرى ، الجدل .

- عند زيارة الحكام تبين لهم الأحوال (نشاط الجماعة) والعلماء بطلب منهم الدعاء ، والمثقفون يدعون بدون إلحاح ، ويركز في الدعوة على العوام .

ثانياً : بعد صلاة الظهر يتولى أحدهم تعريف المصلين بأهداف خروجهم وأنهم جاءوا من بلاد وقبائل ومنهن شتى لا يريدون غرضاً دنيوياً وإنما زاروهم لله ولدين الله راجين منهم أن ينصروهم في هذا السبيل ، وبعد التعارف يكون الغداء والراحة .

ثالثاً : بعد صلاة العصر يلقي أحدهم موعظة قصيرة يحث فيها المصلين على الاشتراك مع الخارجين في زيارات خاصة في البيوت لمن يرون حاجتهم للزيارة .

رابعاً : قبل المغرب بساعة يجتمع الخارجون للاستماع إلى آداب الجولة العامة ، ويختار منهم أمير جمعة أو أكثر للتجول على الناس في الأماكن العامة : الشارع ، المحل التجاري ، السبيل ، والتادي ، ودعوة من يلقونه إلى المسجد بعد تذكيره بغاية وجوده ومستقبله الأخرى ، ويعين من بينهم أميراً ودليلاً ومتكلماً ويبقى واحد منهم منعزلاً لذكر الله في المسجد سبباً لتجاذب الجولة ، وآخر لاستقبال المستجيبين ، وثالث

مع بقية الخارجين في تلاوة لفضائل الأعمال .
خامساً : بعد صلاة المغرب مباشرة يعلن أحدهم عن الموعظة الرئيسية بعد صلاة
النافلة بالصيغة التالية : « إن نجاحنا وفلاحنا باتباع أوامر الله وعلى طريق رسوله ، ان
شاء الله بعد السنة الراتبية تسمعون إلى كلام بالتفصيل في الدين والإيمان » .
وبعد النافلة يتكلم أحدهم في نطاق الأصول الستة أو الصفات الست مثيراً
العاطفة والغيرة الدينية مستعيناً ببعض الآيات والأحاديث (الضعيفة غالباً) والقصص
(الإسرائيلية غالباً) .

ويختتم الترس بالهدف الأساسي له : (التشكيل) - ويعنون به دعوة
الحاضرين وتسجيل المستجيبين منهم للخروج في سبيل الله - وبالثناء الجماعي .
سادساً : بعد صلاة العشاء يقرأ أحدهم قصة أو أكثر من كتاب « حياة
الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوي بقصد ألا يستكثر الدعاة جهدهم ونفقتهم
ولحثهم على بذل المزيد .

سابعاً : يذكروهم واحد منهم أو أكثر بآداب الطعام والنوم قبل انصرافهم
إليهما ، وربما ذكروا في هذا الوقت أو غيره بآداب المساجد وآداب الغسل .
ثامناً : قد يقتسمون ساعات الليل في التهجد ، ويختلف جهدهم باختلاف
أفرادهم ، ولكن على الجميع الاستيقاظ قبل نصف ساعة على الأقل من أذان الفجر
لقيام شيء من الليل وصلاة الصبح .

تاسعاً : بعد الصلاة يحدثهم أحدهم عن عظمة الله وعن الدار الآخرة ، وربما
تدارسوا الأصول أو الصفات أو أعادوا تلاوة العشر سور القصار من القرآن حتى
الشروق .

عاشراً : بعد انتشار الشمس يصلون سبحة الضحى ويتناولون طعام الإفطار
وينالون قسطاً من الراحة حتى الساعة التاسعة تقريباً حيث يجتمعون لحلقة جديدة من
التعليم والتشاور في أعمال الأربع وعشرين ساعة التالية^(١)

تنبيه : حكاية مذهبهم كافية في بيان بطلانه ، لكن ينبغي التنبيه على فساد

(١) « رأي آخر في جماعة التبليغ » (ص ١٠ - ١٤) .

تقسيمهم للعلم وترتيبهم لهذا التقسيم فأقول مستعيناً بالله :
أ - الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تحض على العلم وطلبه وتبين شرفه ومنزلة أهله عامة ليس فيها إشارة أو إيماء إلى هذا التقسيم .

ب - كل شعيرة من شعائر الدين لها أحكام وفضائل بينها الشرع فلا يجوز سلخ الحكم عن الفضيلة ، لأن الفضائل ثمار للأحكام الشرعية فلا يحوز الفضائل إلا من أدى الشعائر كما شرعها الله وبينها رسوله ﷺ ، ولنضرب على ذلك مثلاً فضائل الوضوء لا يصل إليها إلا من توضأ كما شرع الله .

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره »^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب »^(٢)

واعلم أيها المسلم أن هذه الفضيلة الجليلة لا ينالها إلا من توضأ كما أمره الله وبيته رسول الله ﷺ فطبق صفة وضوء النبي ﷺ ، ودونك البرهان :

أ - لقد ورد في حديث عثمان رضي الله عنه الأنف شرط وهو إحسان الوضوء ، وهذا الشرط ورد أيضاً في عدة أحاديث أخر منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينتقص ذلك من أجره شيئاً »^(٣) وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يقبل عليها بقلبه ووجهه وجبت له الجنة »^(٤) وورد أيضاً من

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما وهو صحيح .

(٤) أخرجه النسائي وهو صحيح .

حديث زيد بن خالد الجهني وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم .
ب - وهذا الإحسان لا يكون إلا كما أمر الله كما ورد مفسراً في عدة
أحاديث صحيحة منها حديث أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « من تَوْضَأَ كما أمر وصَلَّى كما أمر غفر له ما تقدم من عمل (وفي رواية :
ذنبه) »^(١)

ت - وأمر الله بيته أجود بيان وفصله أحسن تفصيل رسول الله ﷺ في عدة
أحاديث منها حديث عثمان أنه دعا بوضوء فذكر صفة وضوء النبي ﷺ ثم قال :
قال رسول الله ﷺ في آخر الحديث : « من تَوْضَأَ مثل وضوئي هذا ثم قام فصَلَّى
ركعتين لا يُحْدِثُ فيها نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٢)

ث - الحصول على الفصائل والوصول إلى الدرجات العلى لا يتم إلا بسلامة
التوحيد وصفاء العقيدة والإخلاص لله ومتابعة رسول الله ﷺ شبراً بشبر .

وقد تقدم بيان : أن التبليغيين صوفيون غلاة ، وماتريديون أجلاذ ، وحنفية
متعصبة ، وكل هذه عوائق بينهم وبين صفاء العقيدة بل إنهم يؤدون صلواتهم عند
القبور فكيف ينالون الأجور ؟

٢ - ومن حرق محاربة التبليغ للعلم والعلماء وطلابه أنهم يفضلون الخارجين
في صفوفهم على أولئك جميعاً فتراهم يقولون لمن خرج معهم : ما شاء الله أنت داعية
والداعية مثل السحاب يمر على الناس في أرضهم فيسقيهم وينبت العشب والكلأ أما
العلماء وطلاب العلم فإنهم آبار قد يقتلك الظمأ قبل أن تصل إليهم بل قد تأتي البئر
ولا تشرب منها لأن الدلو التي تلقى فيها غير موجودة ، فيتكون في ذهن الخارج معهم
أنه أفضل من العلماء وطلاب العلم الذين يقتصر نفعهم على أنفسهم وعلى القليل ممن
استطاع الوصول إليهم بينما هو نفعه قد عمَّ الباد والحاضر .

إن هذا المشء المزيف يريد أن يَنْقُصَ على التبليغيين من وجوه :

أ - إن السحاب لا ينبت إلا الكلأ الموسمي وكلأ البهائم وقد لا ينزل قطراً وقد

(١) أخرجه النسائي وابن ماجه وابن حبان وهو حسن .

(٢) أخرجه الشيخان .

يكون فيه الدمار والهلاك بخلاف ماء الآبار فإنه يسقى منها وتثبت كل زوج بهيج وحياة الناس حولها مستقرة ، والآبار ينتفع بها من مرّ بها ، وكلما نضح منها صفى لونها ، وطاب ماؤها ، وحسن ريحها .

ب - إن العلماء هم الدعاة ، فخير الدعاة هم الرسل ثم ورثتهم وهم العلماء فمن فرق بين العلماء والدعاة فقد سفه نفسه .

ت - إن العلماء إذا حيل بينهم وبين الدعوة إلى الله فقد ركب الموجة العوام فعندئذ تقع الفتنة والعياذ بالله .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »^(١)

٣ - الإيحاء إلى مريدي طلب العلم الشرعي أن طريق الوجد والدوق أقرب وأيسر وذلك عندما يقول أحدهم أمام المبتدئين لآخر : إلى أين ستذهب يا فلان ؟ فيقول الآخر : سأذهب إلى العلماء ، فيقول الأول : ولم ؟ فيقول الآخر : كي أتعلم الحلال من الحرام . فيقول الأول مستهجنًا : أنت لا تعرف الحلال من الحرام مالك يا رجل ؟ ألم تسمع قول رسول الله ﷺ : « استفت قلبك » إن كثيراً من الدواب يعرف ذلك : ألا ترى إلى الهرة حينما تضع طعاماً في مكان ثم تذهب ثم تعود إليه فترى الهرة تأكل منه ، فإنها حين تراك تهرب بخلاف ما إذا قدّمت لها الطعام فإنها ستأتي وتأكل عندك أتعرف لماذا هربت في المرة الأولى ولم تفعل ذلك في المرة الثانية ؟ فيجب الآخر وقد أخذته الدهشة وعلته الرخصاء : لا ، فيقول الأول : وقد أيقن أنه اصطاد فريسته وحال بينها وبين طوق الحياة وحبل النجاة : إنها في المرة الأولى علمت أنها وقعت في الحرام فلذلك هربت منك ، والثانية علمت أنها وقعت في الحلال ولذلك أكلت عندك ... يا أخي إن الفطرة السليمة والعقول المستقيمة تميز بين الحلال والحرام وإن أفتاك الناس وأفتوك .

وهكذا أخي المسلم يقف التبليغيون في طريق العلم بالمرصاد يصدون عنه وينأون والله بصير بالعباد .

(١) رواه الشيخان .

٤ - حصر مصادر تلقي العلم في ثلاثة كتب قال الشيخ سعد الحصين :
« وكما أشرت من قبل فإن منهمجهم يقتصر على ثلاثة كتب بالإضافة إلى
العشر سور القصيرة من كتاب الله :

١ - « رياض الصالحين » للنووي خصّ به العرب وهو من أصح كتب الحديث
في فضائل الأعمال وأكثرها ملاءمة لهذا الغرض ، وقد تلقته الأمة بالقبول
والاستفادة^(١)

٢ - « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوي خصّ به العرب أيضاً وهو
مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة ، ولا يجوز وضعه بين يدي العوام الذين لا
يردون غيره ، وبالتالي لا يميزون بين الغث والتسمين وإنما ينتج عن تداول مثل هذا
الكتاب بينهم : نشر الأحاديث الضعيفة ، والقصص الكاذبة اعتقاداً بأنها
صحيحة^(٢) .

٣ - « تبليغي نصاب » لمحمد زكريا الكاندهلوي^(٣) خصّ به العجم وهو يجمع
إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة تزوين بعض البدع مثل : الحث على زيارة قبر النبي
ﷺ للحاج أو الاستدلال بما روي عن النبي ﷺ : « من حجّ ولم يزرني فقد
جفاني »^(٤) ، وكذلك تزوين الشرك مثل : « يا رسول الله أسألك الشفاعة » ،
وتصديق الخرافة مثل : حكاية خروج يد النبي ﷺ من قبره تلبية لطلب أحمد الرفاعي
لتقبيلها^(٥) ^(٦) .

(١) وهم لا يقرؤون منه إلا أبواب الفضائل ، أما الأبواب التي تتحدث عن العقيدة
والعبادات مثل كتاب الأمور المنهي عنها فلا يقتربون منها ولا يثيرون إليها ، وكذلك يقرؤون
الحديث دون وقوف على معانيه أو شيء من فقهه .

(٢) وقد قام بعض أهل العلم وطلابه بتحقيق الكتاب والاقصار على الصحيح منه ، إلا
أن ذلك أثار التبليغيين ووصفوا من فعل ذلك بأنه يريد أن يدمر الدعوة ، وقد وصلت بعض النسخ
المحققة إلى مركزهم في الأردن ؛ فقام إمام المركز أمام المصلين وتكلم بكلام يدم فيه هذا الصنيع ،
ويتهم من حققه بتهم ما أنزل الله بها من سلطان ... إلخ .

(٣) ويحتري على « فضائل حج » .

(٤) « فضائل حج » (ص ١٢٤) .

(٥) المرجع السابق (ص ١٦٧) .

(٦) « رأي آخر في جماعة التبليغ » (ص ١٦) .

وقال أيضاً : « وأخطر من هذا كله إن كتاب « تبليغي نصاب » الذي سبقت الإشارة إليه ويعتبر جزءاً أساسياً من منهج الجماعة لغير العرب يتضمن سيلاً من البدع والخرافات والشركيات .. ومن الأمثلة على ذلك :

- ١ - « يقول الإمام النووي في مناسكه أنه ينبغي للحاج إذا فرغ من حجة أن يبادر بالسفر إلى المدينة المنورة بنية زيارة القبر المبارك لأن زيارة قبر الرسول ﷺ من أهم القربات والمسابي التي فيها فلاح »^(١)
- ٢ - « وهناك بعض الناس لهم من المنزلة العالية ما يجعل الكعبة المشرفة تتجه إليهم لزيارتهم بدلاً من زيارتهم لها »^(٢)
- ٣ - « يا رسول الله أسألك الشفاعة ؛ واتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلماً على ملتك وستك »^(٣) »^(٤)

هذا هو علم جماعة التبليغ أما ذكرهم فهو صوفي مبتدع فقد تقدم شيء من ذلك^(٥) ، وأزديك مثلاً : في جولاتهم المقامية (أي التي في الحي) أو جولاتهم الانتقالية (تكون في حي آخر) يقوم أمير الخروج بتقسيم الخارجين معه إلى مجموعتين : المجموعة الأولى - وقد يكون واحد - تلزم الذكر بتكوين حلقة ذكر مستمر حتى تعود المجموعة الثانية التي تقوم بطرق البيوت المجاورة للمسجد لدعوتهم للحضور والمشاركة في البرنامج التبليغي ، فإن وجدت المجموعة الثانية نجاحاً وإقبالاً قالوا : إخواننا لم ينفلوا عن الذكر ، وإن لم يجدوا الجواب المناسب قالوا : إخواننا غفلوا عن الذكر . يعلمون ذلك بأن المجموعة الأولى أشبه بمولد الكهرباء ولذلك يسمونها عندنا في الأردن بـ « الدينمو » ، والمجموعة الثانية أشبه بالمصابيح في آخر سلك الكهرباء ، إذا اشتعل مولد الكهرباء أثار المصابيح ، وإذا ضعف ضعفت .

(١) « فضائل حج » (ص ١٢٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ١١١) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٤٦) .

(٤) « رأي آخر في جماعة التبليغ » (ص ١٨)

(٥) (ص ٢٥٧) من هذا الكتاب .

الصفة الرابعة : إكرام المسلمين .

قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله : « إكرام كل مسلم صحيحة لو أنهم يطبقونها ولكنهم لا يطبقونها إلا مع من يفعل بدعتهم وهي السياحة ومن تنزه عنها من المسلمين يعضونه أشد البغض »^(١)

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله : « قد حصل منهم الأذى لغير واحد من المخالفين لهم والمنكرين لبدعتهم ، وحصل من بعض أمرائهم العقوبة الشديدة لمن عاب أفعالهم وسياحتهم ، كما تقدم ذلك في القصة الخامسة عشرة من قصصهم المنكرة وهي قصتهم مع فاروق حنيف فلتراجع القصة وليراجع التعليق عليها فإنه مهم جداً ، وفيه بيان مخالفتهم لأصلهم الذي زعموا وهو إكرام المسلم .

وهذا الأصل يعد معدوماً عند التبليغيين في حق المسلم المتمسك بالسنة وإنما يعملون به مع المرافقين لهم والمتبعين لبدعتهم »^(٢)

قلت : ذكر الشيخ حمود التويجري رحمه الله قصصاً كثيرة عجيبة تدل على أن التبليغيين لا يكرمون أهل الإسلام والسنة وإنما يكرمون أهل الشرك والبدعة^(٣) منها قصة فاروق حنيف وتعاذيه من قبل القادري أمير جماعة التبليغ في الدار البيضاء بالكهرباء حتى صانع الفجر ، وقد كتبها فاروق حنيف بقلمه ، ومن اطلع على تفاصيلها اقشعرّ بدنه وتقرزت نفسه من هذه الجماعة المنحرفة عن سمت النبوة والسلف الصالح في إكرام المؤمنين ، والتواضع للمسلمين ، وخفض الجناح للموحدين .

وقد رأيت من هذه الجماعة أفعالاً تؤكد كل ما ذكر عنهم في هذا الباب ؛ فعندما صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى وقرأ بعض الإخوة ما ذكرته عن جماعة التبليغ حول اللقاء الذي تم مع أميرهم أبي مصطفى الرفاتي ذهب إليهم في مركزهم ليسألهم فحاولوا الإنكار وقالوا له : إذا كان الكاتب صادقاً فاحضره إلى هنا لنناقشه ، فجاءني الأخ وأخبرني بذلك فقلت : إني على أتم الاستعداد ، وخذ منهم موعداً ،

(١) « السراج المنير » (ص ١٥) .

(٢) « القدر البليغ » (ص ٢٠٩) .

(٣) المرجع السابق (ص ٣٨ - ٦٣) .

فذهب إليهم وتم الاتفاق على موعد ... وذهبنا إلى مركزهم فلما رأوني قالوا : إنه هو وأرادوا الهجوم علي لضربي لولا أن الله وفقني وحضر معي يومئذ بعض إخواننا فحالوا بينهم وبين ما يشتهون .

وبعد مدة كنت مع أحد الإخوة الذين تركوا سياحتهم والتزموا بمنهج السلف الصالح نتجول في إحدى مكتبات عمان لشراء بعض الكتب العلمية ، فرأنا صاحب قديم من جماعة التبليغ لهذا الأخ فبادره قائلاً : لماذا ارتددت يا أبا محمد ؟

الصفة الخامسة : تصحيح النية وإخلاصها .

مما يدل على فساد هذه الصفة عند جماعة التبليغ أمور :

١ - خلو هذه القاعدة من شرط أساسي وهو تصحيح العمل ، فإن النية والعمل مقترنان لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات »^(١) .

٢ - ممارسة التبليغيين لأعمال التصوف التي تفسد القلوب وتخبط الأعمال .

٣ - الإخلاص أمر قلبي لا يطلع عليه إلا الله ، وإنما إماره ذلك اتباع رسول الله ﷺ ، والتقيد بما شرع الله في الظاهر والباطن ، لأن الظاهر على الباطن دليل .

الصفة السادسة : الخروج في سبيل الله

قد تقدم بيان مفساد هذه الصفة وإظهار ضرورها ؛ فأغنى عن الإعادة لمن أراد الله له التوفيق والسعادة .

تجزئة الإسلام وفصل الدين عن الحياة :

هذه من السبل التي اتبعتها جماعة التبليغ أدت إلى فساد تصورهم الإسلامي ، فقادهم ذلك إلى تجزئة الإسلام وعزله عن الحياة ، ويحبكون عبارات خاوية على عروشها مثل : « السياسة أن تترك السياسة » ، وعلى شاكلتهم المتصوفة « السياسة نياسة » .

إن السياسة معناها رعاية شؤون الأمة ، ورعاية شؤون الأمة تحتاج إلى منهج ، أوجد منهج يصلح لهذه المهمة غير الإسلام ؟ إذن فالإسلام سياسة بمفهوم الإسلام ،

(١) متفق عليه .

وهذا ليس بدعاً فشيخ الإسلام هضم هذا المفهوم الإسلامي البحت في كتابه القيم « السياسة الشرعية » ، وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية في كتابه القيم : « الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية » .

نعم ليس الإسلام سياسة بمفهوم النفاق والدجل والكذب .
إن الإسلام منهج شمولي فهو دنيا وآخرة ، وعبادة وقيادة ، وعقيدة وسلوك ، ولكن يا للأسف فواقع المسلمين المعاصر يجعل هذه البدهيات من المعضلات ، ويقوم على مبدأ واحد من وراء الحدود ، مستورد من وراء البحار ، هو فصل الدين عن الدولة « دع ما لله لله ، وما لقىصر لقىصر » ، وقد آن لأمتنا أن تنوب إلى دينها العظيم بعد طول تردد ، فتبصر حقائقه ، وتأخذ الكتاب بقوة واعتزاز ، وذلك لأن الدين منهج شمولي ، أنزله الله لتكون له الكلمة العليا والقول الفصل في حياة المجتمع والفرد ، ومن ثم فمن يقين القول أن هذا الدين يقرر قيام الدولة والسلطة التي تنظم شئونها ، بل يجاوز هذا التقرير النظري إلى الوجوب والإلزام ، حماية للدنيا والآخرة معاً .
وليس أدل على ذلك من أوامر القرآن الصريحة التي تكلف النبي ﷺ والمؤمنين بالقيام بشؤون الحكم والسياسة ، من تعبئة الجيوش ، وإعلان الحرب ، وإبرام معاهدات الصلح ، والهدنة ، أو نقضها ، وجباية الأموال وانفاقها ، وإقامة الحدود والقصاص ، ومعاملة الأسرى ، وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر بشروطها ، وإنه لمن نافلة القول سرد الآيات البيّنات الكثيرة للتدليل على ذلك ، ولكن كل الذي ذكرناه غيض من فيض وكله بداهة من اللباب في شؤون الحكم وسياسة الدول ، ولم يضع كمبادئ مجردة ، وشعارات نظرية ، وإنما وضع موضع التنفيذ في واقع رائع ، ومجتمع كريم .

فتاوى العلماء في جماعة التبليغ :

- ١ - فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .
« من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :
فقد تلقيت خطاب سموكم (رقم ٣٧ / ٤ / ٥ - د في ٢١ / ١ / ١٣٨٢ هـ) وما برفقته ، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

من محمد عبد الحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سمّوها « كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية » ، وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم ، وأعرض لسموكم أن الجمعية لا خير فيها ؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة ، فقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم ؛ وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك ، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه ، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها ، ونسأل الله أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ص - م - ٤٠٥ - في ٢٩ / ١ / ١٣٨٢ هـ ^(١)

تنبيه :

يوجد للشيخ محمد بن إبراهيم فتوى سابقة لهذه الفتوى بتسع سنوات تدعو علماء الإحساء والمقاطعة الشرقية في فتح المساجد لجماعة التبليغ وتشجيعها .

والظاهر أن مشايخ التبليغ استطاعوا بادئ بدء خديعة الشيخ محمد بن إبراهيم فحصلوا على تأييده ثم اكتشف أمرهم فحذر من خطرهم .

قال الشيخ حمود التويج : « وهذا الكتاب لم يوضع في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم لما طبعت ، لأنه قد رجع عنه بما صرح في كتابه الأخير الذي هو ناسخ لما كان قبله » ^(٢)

٢ - فتوى اللجنة الدائمة للافتاء رقم (١٦٧٤ في ٧ / ١ / ١٣٩٧ هـ) « وعلى هذا يمكن أن نبين لك باعتمادك مع جماعة التبليغ أو مرجعاً لجانبها على ما يبدو من سؤالك : إن جماعة التبليغ فيها نشاط في العمل بما تعتقد ، ووداعة في الأخلاق ، وعدم احتقار الناس ، وفيها مسالة لغيرها فلا ... ^(٣) مع فرد ولا جماعة في جدل ولا مع حكومة في خصومة أو نزاع ولكنها غلت في المسالة والسلبية

(١) « فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم » (١ / ٢٦٧ - ٢٦٨) نقلاً عن « القول البليغ

في التحذير من جماعة التبليغ » للشيخ حمود التويجري (ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٢) « القول البليغ » (ص ٢٨٩) .

(٣) غير واضح في الأصل .

والإجمال في الدعوة حتى تركت الكلام في تفاصيل عقيدة التوحيد وهو أصل الإسلام ، وهو الذي بدأت به الرسل عليهم الصلاة والسلام دعوتهم وصارحوا به أهمهم حتى قامت الخصومات والحروب بين الفريقين ، وكان الجهاد في سبيل الله نصرة لدينه وإعلاء لكلمته ، ولم يعرف عنهم مجرد الخروج والدعوة إليه الذي هو من المبادئ والأصول المعروفة عند جماعة التبليغ ، ولم يعرف عنهم مجرد المسألة بل كانوا يصدعون بالحق كما يحرصون على العمل به لا يخشون في ذلك لومة لائم ، ولا غصبة وجيه أو حكومة ولو ترتب على ذلك اضطهاد وهجرة وحرب وقتل نفوس ، ولم يعرف عن جماعة التبليغ أنهم وقفوا مواقف الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى تفاصيل الشريعة أصولها وفروعها إنما لديهم مجرد خروج وإجمال في الدعوة لا يصل بمن يخرج معهم إلى وعي إسلامي أو معرفة بتفاصيل دينه ، وليس في هذا اتباع لسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وما ذكر فهو على سبيل المثال نصحاً لجماعة التبليغ عند هذه المناسبة وعليهم أن يتصفحوا عملهم وطريقتهم في الدعوة ويعرضوا ذلك على نصوص الشريعة ، وما بينته من طرق العمل والدعوة وتقارن بينه وبين ما هي عليه فما وجدته موافقاً لزمته وحمدت الله على التوفيق ، وما وجدته مخالفاً أقلعت عنه وتخلصت منه واعتصمت بكتاب الله تعالى وهدى رسوله ﷺ .

أما الجماعات الأخرى فسوف ننصح لها إن شاء الله في المناسبات كما نصحننا وننصح لكم ونسأل الله التوفيق للجميع^(١) .

وصدرت فتوى أخرى برقم (٦٥٦ بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٤٠١ هـ) : « جماعة التبليغ فيهم حسن سمع ووداعة نفس ومداومة على الصلوات في المساجد ، ولكن هذا جانب من الدين الإسلامي ، وقد تركوا جوانب أخرى من الإسلام كالدعوة إلى التوحيد ، وتعليم الناس تفاصيل أركانه وعقائده الثابتة الصحيحة ، وإرشادهم إلى أحكام العبادات والمعاملات ، والدعوة إلى تطبيق أحكام شريعة الإسلام في السفر والإقامة ، وليس مجرد الخروج جهاداً في سبيل الله ، ولم يفعله النبي ﷺ ، وإنما الجهاد في سبيل الله الذي حققه ﷺ هو الجهاد باللسان بلاغاً وإرشاداً وتعليماً ودفعاً

(١) انظر ملحق الوثائق (رقم ٦) .

للشبه ودحضاً للشرك والإلحاد ، والجهاد بالمال والسلاح قتالاً للكفار ، وإذلالاً لهم ، واضعافاً لشوكتهم ، وتذليلاً للعقبات التي تعتبر عائقاً وعقبة في سبيل نشر الإسلام فبلغ ﷺ وأرشد وعلم وجاهد هو وأصحابه رضي الله عنهم بالنفس والمال والسلاح حتى صارت كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى ، وعز المؤمنون وذل الكافرون إلى غير ذلك من أنواع الجهاد الذي زانت به سيرته وسيرة أصحابه ، وسار على نهجها الرعيل الأول من سلف هذه الأمة وسادتها ، وليس في خروج جماعة التبليغ شيء من ذلك فخرجهم على النحو المعروف عنهم بدع في القول والعمل ، وتحديد مدة له بدعة ، وتركهم للأهل والأعمال من أمله بدعة ، ودعواهم أنه جهاد في سبيل الله كاذب وتخريف لنصوص الإسلام وأعمال الرسول ﷺ ومن تبعه عن مواضعها .

وهذا وقد صدرت فتوى مفصلة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء من قبل في جماعة التبليغ وجماعة أخرى فترفق لك صورتها زيادة في الفائدة ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .
اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء^(١) .

٣ - « جماعة التبليغ : عقيدتها وأفكار مشايخها »^(٢) بحث قدمه الشيخ محمد أسلم الباكستاني رحمه الله للجامعة الإسلامية سنة (١٣٩٧ هـ) نقل فيه من الكتب المعتبرة لدى قدماء جماعة التبليغ نصوصاً تدل على ابتداع الجماعة وانحرافها عن منهج السلف الصالح .

٤ - لخص الدكتور الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله رسالة محمد أسلم وزاد عليها وسمى تلخيصه « السراج المنير » وقال في مقدمته :
« فيقول أفقر العباد إلى رحمة ربه وأحوجهم إلى زيادة فضله محمد تقي الدين ابن عبد القادر الهلالي الحسيني ، غفر الله ذنبه ، وستره في الدارين ، ظهرت في القرن الرابع عشر في بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دعوة عرف أهلها بالإخلاص لها ، والصبر وتحمل المشاق في نشرها ، والاستماتة وبذل النفس والنفيس

(١) انظر ملحق الوثائق (رقم ٧) .

(٢) وهو من أقوى الكتب في بابه ، ولا يزال مضروباً على الآلة الكاتبة ، فعسى أن يسر الله له من ينشره بين المسلمين .

في خدمتها ، ألا وهي دعوة قوم يسمون أنفسهم أهل التبليغ ، ووضعوا لدعوتهم أركاناً مدارها على السياحة فهي الركن الأساسي عندهم فهي بمنزلة الشهادات عند أهل الاستقامة فمن قبلها واشتغل بها أحبوه وأكرموه وغفروا له ذنوبه وتقصيره وضلاله

وبدعته ، ومن خالفهم فيها لم يقبلوا منه شيئاً وإن كان مؤدياً لجميع الواجبات ، قائماً بالفرائض والسنن ، متبعاً لأقوم السنن فهي خلاصة دينهم عليها يوالون أو يعادون ، ويحبون أو يتعصبون ، وقد ترتبت على دعوتهم مفاصد عظيمة في الدين والدنيا فأولها الابتداع في دين الله ، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ ، وثانيها تضييع العيال والوالدين والأزواج وإهدار حقوقهم ، ومنها صرف المتعلمين عن تعلم العلوم النافعة في الدين والدنيا ، ومنها تعطيل تجارة التجار ، وتضييع أهلهم ومن يعيش معهم أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة فكم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم ، وكم من يعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم فصار هؤلاء يشتكون إلى الله ثم إلى الناس من هذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير ، فوجب على من كان عنده علم يقلل به شر هذه الطائفة أن يبرز علمه ، وأن يظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم عاملاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ أُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٥٩ - ١٦٠] وقد ألف القائد محمد أسلم الباكستاني جزء سماه « جماعة التبليغ عقائدها وأفكارها ومشايخها » ذكر فيه ما لهم وما عليهم ، ونقل أخبارهم من كتبهم ، وقد رأيت أن أخلص كلامه رجاء أن ينفع الله به من لم يكن وقع في حبالهم واستهوته حيلهم .

ولكنني رأيت أن أقدم قبل ذلك مقدمة في الحكم الشرعي بدليله على هذه الفرقة ، وذكر بعض أثارها السيئة .

٥ - قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله في مقدمة كتابه القيم « القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ » : « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا جواب كتاب أرسله بعض الإخوان إليّ ، ومضمونه السؤال عن

جماعة التبليغ ، وعن كثرة الأقوال فيهم بين مؤيد لهم ومستنكر لأعمالهم ، وذكر السائل أنه قرأ فتوى من الشيخ محمد بن إبراهيم تتضمن التوقف في أمرهم .
ويقول السائل : هل أنصح بالخروج معهم داخل البلاد السعودية أو خارجها أم لا ؟

والجواب : أن أقول : أما جماعة التبليغ ؛ فإنهم جماعة بدعة وضلالة ، وليسوا على الأمر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، وإنما هم على بعض طرق الصوفية ومناهجهم المبتدعة .

٦ - الشيخ سعد الحصين رافق جماعة التبليغ ثماني سنين ، ودافع عنهم ، وشاركهم في خروجهم في أقطار كثيرة لكنه لما اكتشف حقيقة هذه الجماعة كتب محذراً منها ومن عقائدها الصوفية القبورية .

قال في مقدمة رسالته « رأي آخر في جماعة التبليغ » المقدمة إلى الندوة التي عقدها مكتب التربية العربي لدول الخليج سنة ١٤٠٥ هـ : « فلقد تعرفت على « جماعة التبليغ » قبل ثمانية أعوام وسعدت بمعرفتها إذ أظهرت لي عملياً أن في استطاعة المسلم المعاصر بصرف النظر عن مستواه الدراسي والاجتماعي أن يعيش إسلامه ويحقق هدف وجوده بأقل قدر من التكلفة المادية والاحتياج للبشر وتحمل منه أعداء الإسلام في الفكر والتطبيق ، رأيت فيها المدرسة النموذجية ومركز التدريب الناجح والتنظيم الإداري البسيط الفعال .. بالإضافة إلى ما يعرفه الجميع عنها : مركزاً عاماً للدعوة المتطوعة إلى الله تعالى .

وقبل بضعة أشهر من كتابة هذه الأسطر تعرفت على بعض ما كنت أجهله من أمرها وما كنت أتمنى ألا يوجد فيها :

١ - مبايعة أميرها في الهند وبعض قدمائها في الباكستان للآلاف من العجم ولعدد من العرب .

٢ - اشتغال كتاب « تبليغي نصاب » وهو أهم كتبها عند العجم (بعد القرآن) على نصوص شركية وبدعية وخرافية .

٣ - ممارسة بعض قدمائها من العجم كتابه الحجب الشركية ، ولأنه سبق لي

أن دافعت عن هذه الجماعة وبرأتها من مثل هذه العيوب (على جهل منّي بوجودها) وزينتها في نظر كثير من العلماء وطلاب العلم والعوام والحكام .. فقد رأيت لزماً عليّ أن أظهر لهؤلاء وخاصة لأخواني جماعة التبليغ ما عرفته أخيراً عنها لعل الله أن يبرئ ذمتي ، وأن يعين على إزالة هذه المنكرات منها ، ويوجه إليها طلاب العلم الشرعي الذين يندر وجودهم في صفوفها بسبب العجز والكسل أو بسبب إحساسهم بانحراف أمرائها ومنهجها أو لأي سبب آخر .

وقد أجملت تنفيذ ذلك يوماً بعد يوم لعل الجماعة تقتنع وتقوم بإصلاح نفسها أو لعلني أحصل على أكثر مما حصلت عليه من ترجمة لبعض النصوص المنحرفة في كتبها المعتبرة والثبت من صحة نسبة نصوص أخرى منحرفة نسبت إليها .

وفي هذه الأثناء تلقيت دعوة مكتب التربية العربي لدول الخليج برقم ١٧ / ١ وتاريخ ١٤٠٥ / ١ / ٤ هـ لإعداد بحث في هذا الموضوع فرأيت ضرورة الاستجابة الفورية للأسباب التالية :

١ - قلة من يمكن أن يقوم عني بهذه المهمة لانصراف المتعلمين عموماً وطلاب علم الشريعة خصوصاً عن الاشتراك في هذه الجماعة .

٢ - أن مجسوع ما توفّر لي من اشتراك في نشاط هذه الجماعة وإطلاع على النصوص العربية في كتاب « تبليغي نصاب » وترجمة لبعض النصوص الأوردية في نفس الكتاب وفي تراجم أميرها الأول محمد إلياس وأميرها الثاني ابنه محمد يوسف ومؤلف « تبليغي نصاب » محمد زكريا .. واستفاده من خبرة بعض المجتهدين فيها . مجموع ذلك فيما أرى كافٍ لتقديم عرض صادق عنها في حدود استطاعتي .

٣ - أنّ لي ما يطمئنني على حيادي في هذا العرض استمراري حتى هذا اليوم على الاشتراك في نشاط الجماعة ، ودفاعي عنها فيما لا يصدق أو لا يهيم من الاتهامات الموجهة إليها ... ومن ناحية أخرى مبادرتي برّد الخطأ عندما ثبت لي وجوده فيها .

وعلى قارئ هذه الأسطر أن يتذكر أن موضوع هذه الرسالة يجب إخضاعه لمواصفات البحث المتعارف عليها في العصر الحاضر لأن « جماعة التبليغ » قطعة من

تاريخ الإسلام في حقبة ماضية يعاد بعثها في العصر الحاضر ولا تكاد تتأثر به .. ومرة أخرى يسعدني أنها كذلك .

وأسأل الله أن يأخذ بيدي حتى لا يدفعني حبي لهذه الجماعة إلى التعصب لها .. وحتى لا يدفعني إدراكي أخيراً لأخطاء كبيرة فيها إلى التجني عليها ، وأن يرينا جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .. وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه سميع مجيب » .

وقد كتب الشيخ سعد الحصين مراسلات كثيرة لأهل العلم يوضح فيها حال جماعة التبليغ كما رآها من داخلها ، واعتراف من بايع أميرها على الطرق الصوفية الخرافية^(١) .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

(١) انظر نماذج من هذه المراسلات في ملحق الوثائق (رقم : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

واقع الجماعات الإسلامية

بدأ المسلمون يستيقظون فيرون واقعاً قريراً ، ودياراً مفتتةً ، واتجاهات كثيرة تدعوهم للتخلي عن إسلامهم ومصدر عزيتهم ، فأخذت كل طائفة من المسلمين تنظر للواقع من جهة تختلف عن نظرة الطائفة الأخرى .

ولذلك فالحق يُقال : إن الجماعات العاملة اليوم في ميدان الدعوة تختلف بينها اختلافاً واسعاً حول منهج الدعوة ، ونقطة الانطلاق ، وكيفية المسير . وأخطر خلاف يحول بين اتفاقهم على كلمة سواء أمران :

الأول : عدم إدراكهم لحجمهم :

إننا لم نزل نشاهد الحزبية الضيقة قد ضربت بجرانها حول عقول كثير من الجماعات العاملة في ميدان الدعوة إلى الله ، فأصبحت لا ترى إلا نفسها ، وهضمت وجود الآخرين من حولها .

وتنامى الأمر حتى رأينا أن بعضها يدعي أنه جماعة المسلمين ، وأن مؤسسها هو إمام المسلمين ، وينوا على هذه التوهيمات قصوراً أضخم من جبال الهمالايا ، ولكنها أرفع من أعواد الخيزان : فبعضها ادعى وجوب البيعة لإمامهم ، وآخرون كفروا الشواذ الأعظم من المسلمين بعد قرون الخير المفضلة ، ورهط زعموا أنهم الجماعة الأم التي يجب على الآخرين أن يلتفوا من حولها ، ويستظلوا برائتها ، وتناسى أكثرهم أنهم يعملون لإعادة جماعة المسلمين ، فلو كانت جماعة المسلمين موجودة ، وإمامها موجوداً لما رأينا هذا الاختلاف والتعدد الذي ما أنزل الله به من سلطان .

والحقيقة أن العاملين للإسلام هم جماعات من المسلمين ، وليس جماعة المسلمين ؛ لأنه ليس للمسلمين اليوم جماعة ولا إمام .

واعلم أيها المسلم : أن جماعة المسلمين هي التي ينتظم في سلكها جميع المسلمين ، ويكون لها إمام منفذ لأحكام الله حيث تجب طاعته ، وإعطاؤه صفقة اليد وثمره الفؤاد ؛ فهي دولة الإسلام التي على رأسها خليفة منفذ لأحكام الله ، وأما الجماعات التي تعمل على إعادة دولة الخلافة فهي جماعات من المسلمين ، يجب أن

تعاون فيما بينها ، وتلغي الحواجز القائمة بين أفرادها ، ليلتقوا على كلمة سواء تحت كلمة التوحيد .

نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن الطبري رحمه الله قوله :
« واختلف في هذا الأمر ، وفي الجماعة : فقال قوم : هو للوجوب ، والجماعة السواد الأعظم ، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن ابن مسعود : أنه وصي من سأل له قتل عثمان أن عليك بالجماعة ؛ فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة . وقال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم . وقال قوم : المراد بهم أهل العلم ؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين .
والصواب : أن المراد من الخير لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن تكث بيعته خرج عن الجماعة .

وفي الحديث : أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحد في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر ، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث ، وبه يجمع ما ظاهره الاختلاف منها « أهـ »^(١)
إن هذه الجماعات يجب على المسلم أن يتولاها نصحاً وإرشاداً فيما خالفت في الحق أو قصرت فيه من الحق .

وهذه الجماعات يجب عليها أن تتعاون فيما اتفقت عليه من الحق ، وينصح بعضها بعضاً فيما اختلفوا فيه ، ويسألوا الله أن يهديهم في ذلك إلى صراط مستقيم .
وهذه الجماعات يجب أن تكون يداً واحدة لبناء صرح الإسلام الشامخ ، وبعث مجده من جديد ؛ لأنها إذا وقفت فردى فلن تستطيع ذلك ، والله يتولى الصالحين .

وهذه الجماعات يجب أن تُغذي أتباعها بالحق والحب لجميع المسلمين ، فتحطم حواجز الحزبية التي فرقت شملها ، وأضعفت قوتها ، وذهبت بريحتها .
وبذلك ؛ فإن الخارج من هذه الجماعات ليس بخارج من جماعة المسلمين ؛ لأن هذه الجماعات ليس لها صفة ذلك ، ولا لمؤسسيها أهلية لإدعاء الإمامة .

(١) « فتح الباري » ، (١٣ / ٣٧) .

الآخر : اختلافهم في مصادر التلقي والفهم للكتاب والسنة .
أمر رسول الله ﷺ حذيفة رضي الله عنه باعتزال جميع الفرق التي تدعو إلى جهنم أيام الشرور والفتن ، عندما لا يكون للمسلمين جماعة ولا إمام .

وقد تنوعت كلمات العلماء في شرح هذا الأمر النبوي ، والذي شرح صدرى إليه أن هذا الأمر النبوي فيه وجوب التزام الحق ، ومناصرة أهله ، والتعاون على أسائه ، ودونك البيان :

١ - هذا أمر بلزوم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ، يدل على ذلك قوله ﷺ في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه : « من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنها ضلالة ، فمن أردك ذلك منكم فعليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين عَضُوا عليها بالنواجذ »^(١) .

ففي حديث حذيفة أمره أن يعض على أصل شجرة عند الاختلاف معتزلاً فرق الضلالة ، وفي حديث العرياض أمره أن يعض على السنة النبوية بفهم الصحابة بالنواجذ عند الاختلاف ، وأن يتعد عن المحدثات فإنها ضلالة .

فإذا جمعنا بين الحديثين ظهر معنى رائق ؛ وهو : وجوب التزام الكتاب والسنة النبوية بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم عند ظهور فرق الضلالة ، وغياب جماعة المسلمين وإمامها .

٢ - يدل ذلك على ذلك أن الأمر بأن يعض على أصل شجرة في حديث حذيفة ليس ظاهره المراد ، وإنما معناه : الثبات والصبر على الحق ، واعتزال فرق الضلالة التي جانبت الحق .

أو معناه : أن دوحه الإسلام الوارفة ستعصف بها الرياح الهوج ؛ فتخطم أغصانها فلا يبقى إلا أصلها الثابت الذي يقف متحدياً الأعاصير ، عندئذ يجب على المسلمين أن يحتضنوا هذا الأصل ويفدوه بالنفس والنفيس ؛ لأنه سينمو مرة أخرى رغم شدة رياح السُموم .

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وهو صحيح .

٣ - حيثُ يجبُ على المسلم أن يمدَّ يده للطائفة التي أحاطت هذا الأصل الثابت لتردُّ عنه عوادي الفتن ، وضواري المحن .
هذه الطائفة لا تزال ظاهرة على الحق حتى يُقاتل آخرهم الدجال^(١) .
وبذلك يتمخض الأمر عن ثلاثة أحوال :

أ - وجوب لزوم جماعة المسلمين وطاعة أئمتهم ولو عصوا ؛ ألم تسمع رسول الله يقول في رواية : قلت : كيف أصنع يا رسول الله ! إن أدركني ذلك ؟ قال : « تسمع وتطيع الأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع »^(٢) .
وهذا أمرٌ جهله كثيرٌ من المسلمين عندما رأوا فساد وظلم الخلفاء المتأخرين في دولة الخلافة ؛ فسعوا للتحالف مع الكفرة ؛ لإزالة دولة الخلافة ، وتناسوا أنه لا يجوز الخروج على الأئمة ما لم يروا الكفر البواح والشرك الضراخ الذي عندهم عليه من الله بُرهان .

ب - فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ، فعلى المسلم أن يعتزل فرق الضلالة وأحزاب الفرقة .

ت - اعتزال فرق الضلالة لا يعني العزلة المطلقة التي يُترك فيها الباطل يصول ويجول دون مُنازع ؛ بل على المسلمين التمسك بأصول هذا الدين كتاباً وسنة ، وفهمهما بفهم صحابة رسول الله ومن سار على دربهم من أئمة الهدى ، ودعوة البشرية لهدى الأصول العظميين اللذين سيجكمان الأرض ومن عليها ، ولتعلمن نبأه بعد حين ، لأنَّ وجودَ فرق الضلالة لا يعني خلوة الأرض من قائم لله بحجة ؛ لأنَّ رسول الله أخبر في أحاديث متواترة عن وجود طائفة تحمل الحق في كلِّ المصير حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك لا يضُرُّهم من خالفهم أو خذلهم .

وأرجو الله أن يوفق الدعاة العاملين المُخلصين لإيجاد جماعة المسلمين التي تقتضي أثر رسول الله وصحابته ، لتعود دولة الإسلام تخفق رايته من جديد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، والله يتولى الصالحين ، ولا يحقق ذلك إلا اتباع المنهج السلفي .

(١) مضى تخريج حديث الطائفة المنصورة (ص ٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم .

المنهج السلفي

أولاً : السَّلَفُ والسَّلَفِيَّةُ لغةً واصطلاحاً وزماناً

يَتَّبِعِي لِسَالِكِ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ عَلَى بَصِيرَةٍ - وهذا شرطه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] - أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَدْلُولَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَشْتَقَاتِهَا يَعْلُو عَلَى آصَارِ الْحَرْبِيَّةِ الْمُقَيَّتَةِ ، وَيَسْمُو فَوْقَ دِهَالِيزِ السَّرِيَّةِ الْمَمِيَّتَةِ ؛ لِأَنَّهَا وَاضِحَةٌ كَالشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وهذه الكلمة من حيثُ « اللغة » تدلُّ على من تقدَّم وسبقَ بالعلم والإيمان والفضل والإحسان .

قال ابن منظور : « والسَّلَفُ أَيْضاً مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ آبَائِكَ وَذَوِي قَرَابَتِكَ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَكَ فِي السَّنِّ وَالْفَضْلِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ السَّلَفَ الصَّالِحَ »^(١) .

قلت : ومنه قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها : « فَإِنَّهُ نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ »^(٢) .

وروي عن النبي ﷺ قوله لابنته زينب عندما توفيت رضي الله عنها : « الْحَقِّي بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عَثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ »^(٣)

أما « الاصطلاح » ؛ فهو وصفٌ لازمٌ يَخْتَصُّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ

(١) « لسان العرب » (٩ / ١٥٩)

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٠) (٩٨) .

(٣) أخرجه أحمد ، وابن سعد في « الطبقات » ، وأعله شيخنا حفظه الله في

« الضعيفة » (١٧١٥) بعلي بن زيد بن جدعان .

عنهم ويشاركهم فيه غيرهم تبعاً وتباعاً .

قال القلشاني : « السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم ، المهتدون بهدي النبي ﷺ ، الحافظون لسنة ؛ اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة الأئمة ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وأفرغوا في نصيح الأمة ونفعها ، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم .

قد أثنى الله عليهم في كتابه بقوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ الآية [الحشر : ٨] .

وذكر تعالى فيها المهاجرين والأنصار ثم مدح إتباعهم ، ورضي ذلك ومن الذين جاءوا من بعدهم .

وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾ الآية [النساء : ١١٥] .

فيجب إتباعهم فيما نقلوه ، واقتفاء أثرهم فيما عملوه ، والاستغفار لهم قال تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ [الحشر : ١٠] « أ.هـ^(١)

وأقر أهل الكلام قديمهم وحديثهم بهذا الاصطلاح .

قال الغزالي مُعرِّفاً كلمة السلف : « أعني مذهب الصحابة والتابعين »^(٢) .

وقال البيهقري : « والمراد بمن سلف من تقدم من الأنبياء والتابعين وتابعيهم »^(٣) .

وقد تناقل أهل العلم في القرون المفضلة هذا المصطلح للدلالة على عصر الصحابة ومنهجهم :

(١) « تحرير المقالة من شرح الرسالة » (ق ٣٦) .

(٢) « إجماع العوام عن علم الكلام » (ز ص ٦٢) .

(٣) « شرح جوهرة التوحيد » (ص ١١١) .

١ - قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ : رَأْسُ بْنُ سَعْدٍ : « كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ الْفَحُولَةَ ؛ لِأَنَّهَا أُجْرِي وَأَجْسَرُ »^(١) .

قَالَ الْخَافِضُ بْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مُفَسِّرًا كَلِمَةَ السَّلَفِ : « أَي : مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدِهِمْ » .

قُلْتُ : الْمُرَادُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِأَنَّ رَأْسُ بْنَ سَعْدٍ تَابِعِي ، فَالسَّلَفُ عِنْدَهُ هُمُ الصَّحَابَةُ لَا رَيْبَ .

٢ - قَالَ الْبُخَارِيُّ : بَابُ مَا كَانَ السَّلَفُ يَدْخِرُونَ فِي بَيْوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ^(٢) .

قُلْتُ : الْمُرَادُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٣ - قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَقَالَ الزُّهْرِيُّ فِي عِظَامِ الْمَوْتَى - نَحْوُ الْفِيلِ وَغَيْرِهِ - أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ سَلَفِ الْعُلَمَاءِ يَمْتَشِطُونَ بِهَا وَيَذْهَبُونَ فِيهَا ، لَا يَرَوْنَ بَأْسًا^(٣) .

قُلْتُ : الْمُرَادُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، لِأَنَّ الزُّهْرِيَّ تَابِعِي .

٤ - أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ شَقِيقٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارِكِ يَقُولُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ : « دَعُوا حَدِيثَ عَمْرٍو ابْنِ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلَفَ »^(٤) .

قُلْتُ : الْمُرَادُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٥ - قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : « اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا وَكُفْ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَاكَ مَا وَسَعَهُمْ »^(٥) .

(١) « فَتَحُ الْبَارِي » (٦ / ٦٦) .

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (٩ / ٥٥٢) .

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (١ / ٣٤٢) .

(٤) فِي « الْمَقْدِمَةِ » (ص ١٦) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْآجُرِّي فِي « الشَّرِيعَةِ » (ص ٥٨) .

قلت : المراد الصحابة رضوان الله عليهم .
ولذلك فكلمة « السلف » اكتسبت هذا المعنى الاصطلاحي والذي لا يتجاوزه إلى غيره .
أما من حيث « الزمان » فهي تستعمل للدلالة على خير القرون وأولها بالابتداء والاتباع ، وهي القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية على لسان خير البرية محمد ﷺ بقوله : « خيرُ الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينته ، ويمينه شهادته »^(١) .

ولكن التحديد الزمني غير دقيق لحصر مفهوم السلف حيث نرى كثيراً من الفرق الضالة والبدع قد أطلت برؤوسها في تلك الفترة الزمنية ، لذلك فوجود الإنسان في ذلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنه على منهج السلف ما لم يكن موافقاً للصحابة رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسنة ، ولذلك يقيد العلماء هذا المصطلح بـ « السلف الصالح » .

وبهذا يظهر أن مصطلح « السلف » حين يُطلق لا يُصرف إلى السبق الزمني فقط ، بل إلى أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان .
وعلى هذا الاعتبار استقر مصطلح « السلف » ؛ فهو يُطلق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه قبل الاختلاف والافتراق .

وأما « السلفية » فهي نسبة إلى « السلف » ، وهو انتساب محمود إلى منهج سديد ، وليس ابتداءً مذهب جديد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً »^(٢) .

(١) وهو حديث متواتر مضى تخريجه (ص ١٣) .

(٢) « مجمر الفتاوى » (٤ / ١٤٩) .

وقد يَظُنُّ بعضُ الناسِ مَن يعرفون ولكنَّهم يحرفون عند ذكرِ « السلفيّة » : أنَّها إطارٌ جديدٌ لجماعةٍ إسلاميّةٍ جديدةٍ انتزعت نفسها من قلبِ دائرةِ الجماعةِ الإسلاميّةِ الواحدةِ ، وهي تتخذُ لنفسِها من معنى هذا العنوانِ وحده مفهومًا مُعيّنًا ، فتمتازُ عن بقيةِ المُسلمينَ بأحكامِها وميولاتِها بل تختلفُ عنهم حتّى بمزاجِها النفسي ومقاييسِها الأخلاقيّة^(١).

وليسَ لذلكِ واقعٌ ألبتّة في المنهج السلفيّ ، إذ السلفيّةُ تعنى : الإسلامُ المُصَفّى من رواسبِ الحضاراتِ القديمةِ ، وموروثاتِ الفرقِ العديدةِ بكماله وشُموله كتاباً وستّة بفهمِ السلفِ الممدوحينَ بنصوصِ الكتابِ والسنةِ .

وهذا الظنُّ إمّا صنّعه أوهاّم قومٌ نفروا من هذه الكلمةِ الطيبةِ المباركةِ التي أصلُها ضاربٌ في جذورِ تاريخِ هذه الأُمّةِ حتّى تلتقي بالصدرِ الأوّلِ ... حتّى زعموا أنَّ هذه الكلمةَ وليدةُ حركةِ الإصلاحِ التي حملَ لواءَها كلّ من جمالِ الدينِ الأفغانيّ ومحمد عبده أيّامَ الاحتلالِ الإنجليزي لمصر^(٢) .

وقائلُ هذا الوهمِ أو ناقلُه يجهلُ تاريخَ هذه الكلمةِ الموصولةِ بـ « السلفِ

(١) انظر ما كتبه الدكتورُ البوطيّ في كتابه : « السلفيّةُ مرحلةٌ زمنيّةٌ مباركةٌ لا مذهبٌ

إسلاميّ » .

وهذا الكتابُ ظاهره الرّحمة وباطنه من قبيله البدعة والفتنة ومن ذلك :

١ - حاولَ تَفليسَ السلفِ من منهجهم العلميّ في التلقّي والاستدلال والاستنباط ، وبذلك جعلهم بمنزلةِ الأُميين الذين لا يَعلمونَ الكتابَ إلّا أمانيّ .

٢ - جعل السلفيّةُ مرحلةَ تاريخيّةٍ مضت وانقضت ، ولن تُعودَ إلى ذكرياتٍ وأُمّيات .

٣ - ادعى أنَّ الانتسابَ للسلفِ بدعة ، فأنكرَ أمراً ملأَ سمعَ الزمانِ ، وتناقله الركبان .

٤ - إلتفافَ حولِ منهجِ السلفِ لتصحيحِ مذهبِ الخلفِ حيثُ آل أمرُه إلى اعتبارِ مذهبِ

الخلفِ حرزاً من مُضلاتِ الهوى ، فأخفى حقائقَ تاريخيّةٍ أظهرت أن مذهبَ الخلفِ أدّى إلى

انهيارِ الشخصيةِ المسلمةِ وتمييعِ المنهجِ الإسلاميّ .

(٢) كما في المصدرِ السابقِ .

الصالح » ؛ معنى واشتقاقاً وزماناً ، فلقد كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْأَوَّلُونَ يَصِفُونَ كُلَّ مُتَّبِعٍ لِفَهْمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ بِأَنَّهُ سَلَفِي .

فهذا مؤرِّخُ الْإِسْلَامِ الْحَفِظَةُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ يَنْقُلُ مَقُولَةَ الْحَافِظِ الدَّارِقُطِيِّ : « مَا شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ » . ثُمَّ يَقُولُ : « لَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلُ أَبَدًا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا الْجِدَالِ ، وَلَا خَاضَ فِي ذَلِكَ ، بَلْ كَانَ سَلَفِيًّا »^(١) .

ثانياً : المنهج السلفي ومستقبل الإسلام

لقد تكاثرت الآيات القرآنية وتواترت الأحاديث النبوية وتضافرت المؤشرات العالمية على أن المستقبل للإسلام وحده ... فمن يعيده ؟

لقد جاءنا اليقين أن الذي يعيده هو المنهج السلفي كما جاء في كلام رسول الله ﷺ ومن ذلك :

١ - حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ، فيكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت »^(٢) .

ووجه الدلالة : أن مستقبل الإسلام يتحقق بإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فمن حقق الخلافة الراشدة التي كانت بعد النبوة ؟ أليس السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ... إذن فالذي يعيد الخلافة الراشدة في آخر الزمان هم من كان على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ - حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم ، هذا يهودي

(١) « سير أعلام النبلاء » (١٦ / ٤٥٧) .

(٢) أخرجه أحمد والطحاوي بإسناد حسن .

ورائي فاقتله»^(١) .

وجه الدلالة : أن قتال اليهود في آخر الزمان لن يكون مع الصحابة رضي الله عنهم ... فكيف صح الخطاب لهم ؟ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قوله : « تقاتلكم اليهود » جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل ، لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل ، لكن لما كانوا مشتركين في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذلك»^(٢) .

وبذلك يتبين أن الذي يعيد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ويقاوم اليهود ويستأصل شأفتهم هو المنهج السلفي .

ثالثاً : وسائل المنهج السلفي في التغيير :

١ - التصفية : إن هذه الأمور لن تتحقق إلا برجوع المسلمين إلى إسلامهم المصفى من كل دخيل ، لقوله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة»^(٣) ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(٤) .

ونقصد بالتصفية أموراً :

أ - تصفية العقيدة الإسلامية من آراء فرق الضلالة كالمعتزلة ، والجهمية ، والخوارج ، والمرجئة ، والصوفية ، والشيعية ، مثل جحد الصفات وتأويلها ، ورد أحاديث الآحاد الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ، وأذكار الصوفية الشركية .

ب - تصفية المذاهب الإسلامية من الاجتهادات الخاطئة المخالفة لكتاب الله

(١) متفق عليه .

(٢) « فتح الباري » (٦ / ٦١٠) .

(٣) هي بيع شيء بثلثين مؤجل ثم شرائه قبل قبض الثمن بثلثين نقد أقل من ذلك القدر .

(٤) حسن لغيره - أخرجه أبو داود وأحمد والبيهقي وغيرهم من طرق عن ابن عمر وله

شاهد من حديث جابر بن عبد الله ، وانظر لزماماً « تحذير أهل الإيمان » (ص ٩٠ - ٩٣)

بتحقيقي .

وسنة رسوله ، وأهمية ذلك تنكشف للباحث الدارس للفقهاء المقارن^(١) .

ت - تصفية كتب تفسير القرآن وكتب السنة مما خالطها وشوه جمالها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات الساقطة .

ث - تصفية معاجم اللغة مما أدخله النحاة المتأخرون الذين سلكوا مسلك المعتزلة من مصطلحات ليس له أصل في اللغة العربية لترويج بدعة التأويل^(٢) ، وكإدعائهم أن اللغة تنقسم إلى حقيقة ومجاز^(٣) .

ج - تصفية التاريخ الإسلامي مما أدخله فيه الوضاعون الكذابون وأحفادهم من المستشرقين ، وكأن تاريخ المسلمين ممثل في القيان والغلمان والمعارف ومجالس الأغاني ، وكأن خلفاء المسلمين باحثون عن الشهوات والمذات ولا يهمهم أمر الإسلام والمسلمين ، كما صنع المرجفون في تأريخ الخليفة المسلم هارون الرشيد وغيره .

والأدلة الشرعية الدالة على أهمية التصفية وضرورتها كثيرة أوضحها حديث إبراهيم بن عبد الرحمن مرسلاً قال رسول الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »^(٤) .

ووجه الدلالة : أن رسول الله ﷺ وصف أهل العلم الذين يقومون بواجب التصفية فيطهرون الإسلام من التحريف والتأويل والانتحال ليعود صافياً نقياً كما أنزل على محمد رسول الله ﷺ بالعدالة .

٢ - التريية : إن التصفية لن تؤتي أكلها إلا بتريية المسلمين علي الإسلام المصفى ، والمراد بالتريية : بلوغ النفس البشرية كمالها المهيأ لها شيئاً فشيئاً ، والمربي علي الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه خالق الخلق ، وواهب المواهب كما أخبر في خاتمة سور القرآن : ﴿ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس ﴾

(١) للتفصيل انظر « إعلام الموقعين » لابن قيم الجوزية ، و « إيقاظ همم أولي الأبصار » للفلاّني .

(٢) انظر لزماماً (ص ٢٠٦) .

(٣) انظر لزماماً (ص ٢١٢) .

(٤) حسن لغيره ، وقد استوفيت طرقة ورواياته في جزء مفرد .

[الناس : ١ - ٣] ، وقرر ذلك رسول الله ﷺ : « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »^(١) ، فمن أجل ذلك نسبت التربية إلى الرب تبارك وتعالى فقليل : التربية الربانية .

الاسس العامة للتربية الربانية :

أ - ربانية الغاية والوسيلة .

قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ب - ليس لها وسائل خاصة بها عن مجموع شعائر الإسلام لما كان مقررّاً في أصول المنهج الرباني بفهم سلف الأمة الصالح : أن الذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة لذلك فالتربية الربانية ليس لها أعمال خاصة بها أو طقوس تتعلق بصفتها دون شعائر الإسلام .

إن الطريق المؤدي إلى التربية الربانية والتركيزية الإيمانية هو العبادة وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ٢١] .

ت - موافقتها للفطرة البشرية

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [الروم : ٣٠] وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة »^(٢) ولذلك فالتربية الربانية تقوم على استعداد النفس البشرية للترويض والتربية ، ولذلك أقسم الله على هذا الأساس المتين من فاتحة سورة الشمس إلى قوله : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس : ٧ - ١٠] ، ومن ثم تقوم التربية الربانية على

(١) أخرجه مسلم .

(٢) متفق عليه .

المحافظة على فطرة الإنسان ورعايتها ، ومن ذلك الأمر بخصال الفطرة العشر ، وتحريم تغيير خلق الله لأن ذلك إفساد للفطرة ، ومن ثم تنمية مواهب الإنسان واستعداداته كلها ، ثم توجيه ذلك كله نحو كمالها المهيأ لها .

ث - تقديم تصورات واضحة الله والكون والحياة

وهذا الأساس يقوم على ركنين هامين :

الأول : عرض هذه التصورات عرضاً مقنعاً .

الآخر : ربط هذه التصورات بحركة الانسان وتحويلها إلى قوة دافعة لتحقيق مقتضيات خلافة الإنسان في الأرض على منهاج الله الذي بينه رسول الله ﷺ .

ضوابط التربية الربانية :

أ - توحيد مصدر التلقي ؛ لأن ذلك عصمة من الضلال وأمان من الزيغ ؛ كما قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي »^(١)

ب - تصفية مصدر التلقي مما شابه فعكر روائه ، وخالطه فشوّه جماله ، وقد تقدم بيان ذلك .

ت - التلقي للتنفيذ والتطبيق كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كُبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « كنا نتعلم العشر آيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها »^(٢)

ولله در القائل :

وعالم بعلمه لم يعلمن معذب قبل عباد الوثن

ث - أن يكون المربي عالماً ربانياً

(١) صحيح بشواهد كذا بيته في كتابي « مجمع البحرين في تخريج أحاديث لوجين » .

(٢) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » بإسناد صحيح .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُم الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِم الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمِ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣] .

قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ولكن يموت العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »^(١)

ج - التدرج في التربية

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩] . وفسر ابن عباس رضي الله عنه ذلك بقوله : « حكماء علماء »^(٢) والحكمة والعلم يقتضيان وضع الشيء في موضعه ، ولذلك ورد عند البخاري في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل بأن الرباني هو الذي يربي الناس على صغار العلم قبل كباره .

ح - ربط المُرَبَّى بالله ورسوله وليس بالأشخاص أو الشيوخ أو الأحزاب أو الياфطات أو الشعارات ؛ ليكون تلقى خطاب الشرع سليماً فيثمر عملاً مستقيماً ليعظم الرب تبارك وتعالى ويتبع النبي الأمي ﷺ .

ولذلك نعى الله سبحانه وتعالى على الذين أفسدوا هذا الضابط بقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .

خ - تعاهد المُرَبَّى ومتابعته وتقويم سلوكه كما في سورة العصر : ﴿ والعصر . إن الإنسان لَفِي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي وابن أبي عاصم بإسناد حسن ، وورد عند الحري في « غريب الحديث » عن ابن مسعود بإسناد صحيح .

ومما يدل على ضرورة التربية قوله تعالى - مبيناً وظيفة رسول الله ﷺ -
﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ، وقال : ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وقال : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [الجمعة : ٢] .
وهكذا يبين رب العالمين وظيفة رسوله الأمين وأنها التعليم والتزكية وهي المراد بالتصفية والتربية .

فإن قيل : ما هو أثر التصفية والتربية في استئناف حياة إسلامية وإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ؟

فالجواب : لقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض ، وبالتمكين لدينهم ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وهو وعد واقع ما له من دافع ، وعد صادق غير مكذوب ، ولن يخلف الله الميعاد : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ .

والاستخلاف وعد الله للمؤمنين في كل عصر فهو سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً : ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ .

وبداية الاستخلاف وآيته : ﴿ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ ، لأن التمكين للمدين في تصريف شؤون الحياة لا يتم إلا بتمكينه في قلوب دعائه ، فالمؤمنون عندما يتمكن الدين من نفوسهم قبل أرضهم يأمرهم بالإصلاح والعدل ، وينشرون الإيمان والأمن فيكون مجتمعهم واحدة مكيّنة وطمأنينة ... وهنا يبرز أثر العبودية لله قبل الاستخلاف والتمكين وبعده في قول الله : ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن ... فهل تحقيق العبودية يكون بعد الاستخلاف والتمكين ؟

والجواب بلا خلاف : إن تحقيق العبودية سبب في الاستخلاف والتمكين لأن

للاستخلاف تكاليف في ذات النفس وواقع الحياة ، فالعبودية حقيقة ضخمة لا بد أن يحققها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله ، ولا بد أن يبحث عن مصداقها في الحياة الإسلامية ، وهو يدرك شروطها : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ [الحج : ٤٠ ، ٤١] .

وإذا كانت العبودية لله سبب استخلاف وتمكين جيل القدوة الأول محمد ﷺ والذين معه فبهي كذلك سبب استخلاف وتمكين الطائفة المنصورة الذين هم على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها ... وتدير - إن شئت - وصف رسول الله ﷺ للجيل المؤمن الذي لم يأت بعد ؛ وهو يستأصل يهود من الأرض لينقذ البلاد والعباد من مكرمهم وشركهم : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يخثي اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الفرق ؛ فإنه من شجر اليهود »^(١)

إن الشجر والحجر ينادي هذا الجيل الرباني : يا مسلم يا عبد الله ، فهو يصفه بالإسلام المصفي والعبودية لله رب العالمين ... ومنه ندرك تحقيق أهمية العبودية في استخلاف الأمة الإسلامية ، واستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج السنة النبوية .

ألا إن وعد الله قائم ... ألا إن شرط الله معروف ؛ فمن شاء الوعد الكريم فليقم بالشرط ، ومن وفى رُفِّي له ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ ... ولكنكم تستعجلون .

ولقد نبه على هذا الأمر شيخنا حفظه الله فقرر أن التصفية والتربية نقطة البداية وعمادها وأنها مصاحبة للجيل المسلم في كل مراحلها حتى ينضج ويستوي على سوقه ويؤتي أكله رجالاً يحبون الله ويحبهم أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فقال : « ... ذهب فيها إلى أنه لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين : التصفية والتربية .

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأردت بالأول منهما أموراً :

الأول : تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك ، وجحد الصفات الإلهية وتأويلها ، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها .
الثاني : تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة .

الثالث : تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والاسرائيليات المنكرة .

وأما الواجب الآخر ، فأريد به تربية الجيل الناشيء على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكر تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره ، دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة .

ومما لا ريب فيه : أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهوداً جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المختصة التي يهملها إقامة المجتمع الإسلامي المنشود ، كل في مجاله واختصاصه ، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا ، متفاخرين بكثرة عددنا ، متواكلين على فضل ربنا ، أو خروج المهدي ونزول عيسى ، صائحين بأن الإسلام دستورنا ، جازمين بأننا سنقيم دولتنا فذاك محال ، بل وضلال لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معاً ، قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ، وقال ﷺ : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم : « أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ، تقم لكم على أرضكم » وهذا كلام جميل جداً ، ولكن أجمل منه العمل به ^(١) .

وقال أيضاً : « واقع كثير من الدعاة المسلمين اليوم ، وموقفهم السلبي تجاه تفرق المسلمين في فهمهم للدين ، فإنهم يدعون كل من ينتمي إليهم على أفكاره وآرائه ، دون أن يحملوهم بالعلم والحجة من الكتاب والسنة على توحيدها ، وتصحيح الخطأ منهما ، وجل اهتمامهم إنما هو في توجيههم إلى الأخلاق الإسلامية ، وآخرون منهم

(١) « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (٢ / المقدمة) .

لا شغل لهم إلا تثقيف اتباعهم بالسياسة والاقتصاد ، ونحو ذلك مما يدور عليه كلام أكثر الكتاب اليوم حوله ، ونرى فيهم من لا يقيم الصلاة ، ومع ذلك فهم جميعاً يسعون إلى إيجاد المجتمع الإسلامي ، وإقامة الحكم الإسلامي ، وهيئات هيئات ... إن مجتمعاً كهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بدأ الدعوة إليه بمثل ما بدأ به رسول الله ﷺ من الدعوة إلى الله حسبما جاء في كتاب الله ، وبينه رسول الله ﷺ .

ومن البديهي : أن مثل هذه الدعوة لا يمكن النهوض بها ، بعد ما دخل فيها ما ليس منها من طريق الدس على النبي ﷺ باسم الحديث ، والدس على تفسير القرآن باسم التأويل ، فلا بد من الاهتمام الجدي العلمي لتصفية المصدرين المذكورين مما دخل فيهما لنتمكن من تصفية الإسلام من مختلف الأفكار والعقائد المنتشرة في الفرق الإسلامية ، حتى مما ينتسب إلى السنة منهم ، وأعتقد أن كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس الصحيح من التصفية فسوف لا يكتب لها النجاح اللائق بدين الله الخالد^(١)

ومن حسنات هذه الخطوة الرائعة في الطريق الإسلامي إحياء دوافع قوية وكثيرة في نفوس الشباب المسلم ، للبحث وراء الحق المصفى ، وطلب الدليل ، وعدم الاقتناع بالعرف الخاطئ الموروث عن الآباء والأجداد ، وهذا بشهادة الجميع : « لقد ترتبت فوائد كثيرة على وجود ما اشتهر بالحركة السلفية من كونها أعادت علم الحديث حياً وحركت علم دليل الأقوال الفقهية بعدما اندثر ، وأرجعت الصلة القوية بالكتاب والسنة ، وأعادت الحيوية إلى دراسة النصوص ، وأحدثت نهضة علمية »^(٢)

وهذا لا يتم إلا بإحياء التفكير الإسلامي الحر المنضبط بقواعد منهج السلف الصالح ولذلك لا بد من فتح باب الاجتهاد ، لأنه مصدر هام من مصادر الشريعة الإسلامية ، وضرورة من ضرورات وجودها واستمرارها ، ولا يجوز لأحد أن يغلق بابه الذي فتحه الله ، أو يلغي أمره الذي شرعه الله .

وهو ميسور لمن يسره الله عليه وكانت عنده الأهلية له والاستعداد ﴿﴾ ولقد

(١) « مختصر العلو » (ص ٥٩ - ٦٠) .

(٢) « جولات في الفقهاء » ، سعيد حوى (ص ١٤٠) .

يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ﴿ [القمر : ١٧] ، ويجوز للعامي والجاهل التقليد شرط ألا يلتزم مذهباً بعينه ، وأن يدع تقليده في كل مسألة ثبت خطؤها ، وتبين مخالفتها للكتاب والسنة ، وأن الدليل الصحيح ينقضها وينقضها .

وبين المجتهد والمقلد مرتبة وسطى هي الاتباع ، وصاحبها كل مسلم لديه قدرة مناسبة للفهم فعليه أن يتبع أقوال العلماء المقرونة بالأدلة ، وجمهور العلماء على إثبات هذه المرتبة ، أما من أنكرها فإنه يشبهها من حيث لا يدري لأنهم يقرون بوجود المرجح في المذاهب ، وهل الترجيح إلا مرتبة فوق المقلد ودون المجتهد .

وهذا السبيل اتباع لوصية الأئمة رحمهم الله حيث قالوا : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » ، سواء صح الحديث عن أحدهم أو غيره لقول الشافعي رحمه الله : « أنتم أعلم بالحديث مني فما صح عندكم فأخبرنا به لنعمل بمقتضاه » .

لذلك إذا أردت أخي المسلم أن تعرف الإسلام على حقيقة ليزداد إيمانك به فلا تلتفت إلى واقع المسلمين المعاصر ولا تُغرم بقوله أدعياء العلم اهتماماً ، هؤلاء المقلدون الذين لا يعرفون من الإسلام إلا الاسم ، ومن القرآن إلا الرسم ، ومن العبادات إلا الجسم ، عليك بالمورد الصافي الذي ورده من قبل سلفنا الصالح ؛ كتاب الله وسنة رسوله ، عض عليهما بالتواجد ، وما دون ذلك فاضرب به عرض الحائط ، وإن استعجم عليك شيء فعليك بعلماء الحديث لأنهم مصاييح الدجى بهم تنجلي حنادس الظلمات ، فهم ورثة الأنبياء ، ورحم الله إمام السنة أحمد بن حنبل القائل :

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| دين النبي محمد أخبار | نعم المطية للفتى آثار |
| لا ترغن عن الحديث وأهله | فالرأي ليل والحديث نهار |
| ولربما جهل الفتى أثر الهدى | والشمس بازغة لها أنوار |

وإياك والمقلدين أن ترجع إليهم لأنهم يحاربون الاجتهاد والمجتهدين ، ويضعون للاجتهاد شروطاً ما أنزل الله بها من سلطان ، لأنهم ألفوا مشايخهم على هذه الطريق فهم على آثارهم يهرعون ، ولآبائهم يقلدون .

ولقد كان من آثار هذه الآراء الضالة المضللة والتي ينسبها أصحابها للإسلام أثراً سيئاً بالنسبة لنظر الناس إلى الإسلام ، وفتحت للملاحدة أبواباً لينفذوا منها ويطعنوا الإسلام من خلفه .

وإذا ما ظهر مجتهد أو عالم حديث فإن هؤلاء القوم يكثرون حفر الأخاديد ونشر المزالق ليطيحوا به ﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ [الذاريات : ٥٣] ولكن على دعاة السنة أن يتبعوا قول الله تعالى : ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم وذکر فإن الذکری تنفع المؤمنین﴾ [الذاريات : ٥٤ ، ٥٥] ولست مغالياً إذا قلت : إن سد باب الاجتهاد كان سبباً مهماً في انحطاط المسلمين وإعراض كثير من الناس عن الإسلام ، ونفورهم من الدين واتجاههم شطر مبادئ الأرض الوضعية ، ومحاربتهم للإسلام ظلماً وجهاً بسبب هؤلاء المتعصبين الجاهلين^(١) .

رابعاً : الأصول العلمية للمنهج السلفي :

أولاً - التوحيد : وهو بالمفهوم السلفي أصول عظيمة ، وقضايا كبيرة ، الإخلال بقضية منها إشراك بالله أو إلحاد في صفاته وأسمائه ، وكثير من الدعاة يجهل جل هذه الأصول فيقع في الشرك من حيث لا يدري ويظن نفسه مؤمناً موحداً ، وحقيقة الأمر أن هذا عائد لقصور في الفهم ؛ لأنهم فهموا من معنى التوحيد أنه لا خالق إلا الله ، وهذا شيء من أشياء ، ونوع من أنواع التوحيد واليكملوها :

١ - توحيد الربوبية : أن تؤمن بالله رباً ، خالقاً لكل شيء ، ومديراً لأمر كل شيء ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وهذا التوحيد يسمى توحيد الأفعال ، وهو أمر فطري في النفس البشرية : ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف : ١٧٢] والإقرار به وحده لا يدخل العبد في الإسلام ، ولا ينجيه من الخلود في جهنم ، لأن مشركي العرب أقروا به ومع ذلك حاربهم الرسول وقاتلهم^(٢) .

٢ - توحيد الأسماء والصفات : وهو أن تؤمن بصفات الله العلي وأسمائه الحسنی على الوجه الذي يليق به تعالى دون تحريف أو تكييف أو تأويل أو تعطيل أو تفويض أو حشرها في زمرة المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وأنها توقيفية لا يجوز لبشر أن يطلق على ذات الله غيرها ، واطلاقات الفلاسفة وأوصاف أدعياء العلم لا يجوز ترددها ، فإننا مأمورون وملزمون بما صح عن الرسول ﷺ .

(١) انظر لزماماً مقدمة « هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان » للمعصومي وما دعاه لتأليف رسالته يتبين لك صحة ما ذكرنا .

(٢) انظر لزماماً : « الإيمان » ، ابن تيمية (ص ٧٢ ، ٧٣) ، و« شرح العقيدة الطحاوية » ، ابن أبي العز الحنفي (ص ٧٩ - ٨١) .

والسلفيون هم الفئة الوحيدة التي تركز على هذا الأصل المتين ، والركن الركين ، باتباع السلف الصالح فيه ولقد أحيوا عقائد اندرست أو كادت ، كعلو الله على خلقه ، ومباينته لهم ، واستوائه على عرشه ، وهي العقيدة التي تضمنها حديث الجارية « أين الله » حتى أن مخالفينهم يسخرون منهم لاهتمامهم بهذا الموضوع ، وتناسوا أنه امتحان قبول عقده الرسول ﷺ لتلك الجارية منحها على أثره درجة الإيمان « اعتقها فإنها مؤمنة » ناهيك على أنه العلامة الفارقة التي تداولها علماء السلف ليميزوا الشيء المتبع من المبتدع في عهد الأهواء والفرق .

٣- توحيد الألوهية : وهو : إفراد الله بالعبادة على إطلاقها كالصلاة والصوم والزكاة والحج والدعاء والسجود والحب والبغض والقسم والتعظيم والخشية والرجاء والخوف والاستعاذة والاستغاثة والذبيح والنذر ... الخ .

وهذا الشرك منتشر بين المسلمين ، ويكفيك راحة إلى قبر من القبور المخصصة حتى تشاهد كل ذلك قد طلب من غير الله ، وهذه لا يفعلها عوام الناس وجهالهم فقط ، بل يصنعها كثير ممن يدعون التقوى والصلاح والإصلاح من أهل الطرق الصوفية ، والمناهج التعبدية المخترعة المبتدعة^(١) ، نسأل الله العافية .

وعلى المسلم أن يؤمن بأن الحكم لله وحده وليس لسواه حق التشريع ، والمشاركة المتنافية للحكم لله تعالى لا فرق فيها بين كون البشر المتبع من دون الله مسلماً أخطأ في حكم من أحكام الله ، كما صنع المقلدون حيث أعرضوا عن الكتاب والسنة واشتغلوا بآراء الرجال ، فجعلوا التقليد ديناً واجباً على كل مسلم جاء بعد القرن الرابع من الهجرة ، واتهموا من حاول الخلاص من الجمود المذهبي إلى التمسك بهدي الرسول بما شاءت لهم أهواؤهم ، أو كافراً نصب نفسه مشرعاً مع الله فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

إن قضايا التوحيد لا تتجزأ ولا تقبل المساومة لأنها أركان في فهم العقيدة السليمة ، وفي معنى لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله رباً له الخلق والأمر ، يجب عليه أن يعتقد أنه هو الإله الواحد الموصوف بصفات الكمال والجلال سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ، وأنه يجب أن يؤمن به وفق جميع هذه الصفات ، وكذلك يجب

(١) انظر (ص ٣٦٤) .

إفراده بالعبادة لأنه هو المعبود بحق ، وكذلك يجب الإيمان والعمل ليكون دينه هو الأعلى الأمر الناهي في حياة البشر جميعها .

ثانياً - الاتباع : إن الذي يؤمن بالله حسب الأصول السالفة يجب عليه أفراد رسول الله بالاتباع وذلك تحقيقاً لقوله : « أشهد أن محمداً رسول الله » وهذه الشهادة لا تكون كاملة إلا بالأصول الآتية :

١ - الإيمان بأن محمداً ﷺ بشر كسائر البشر : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ [الكهف : ١١٠] .

٢ - الإيمان بأنه بشر رسول يوحى إليه ﴿ يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وتفصيل ذلك :

أ - أن محمداً ﷺ مبلغ عن ربه وليس له من الأمر في شيء ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور : ٥٤] .

ب - وأن محمداً ﷺ جاء بوحين :

الأول : كتاب الله .

والثاني : سنته ﷺ ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] فإذا كانت هذه الآية مجملة ففي القرآن ما يفسرها ويثبت أن السنة وحي من الله ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [النحل : ٤٤] فالذكر هنا هو نبيان ما نُزل للناس ، والذي أنزل للناس هو القرآن ، والذكر الذي يبين القرآن يجب أن يكون غير القرآن ، وهي السنة كما قال ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه »^(١) .

وهذا هو فهم السلف الصالح قال التابعي حسان بن عطية رحمه الله « كان جبريل ينزل على النبي بالسنة فيعلمه إياهما كما يعلمه القرآن » .

وأيد هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية في مواطن كثيرة من كتبه وأهمها « الإيمان » ، والشافعي في كتابه القيم « الرسالة » ، وابن حزم في « الإحكام »

(١) صحيح كما بينته في رسالتنا « الأصالة » (عدد ١٣ ، ١٤ ص ١٠٢ - ١١٦) .

والسيوطي في « مفتاح الجنة »^(١) .

ت - وإذا كان أمر السنة كذلك فإنها تشمل جميع أنواع الحكم الشرعي التكليفي : الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح وليس كما اشتهر عند المتأخرين وعامة المسلمين بأن السنة هي المندوب فقط .

ث - ويكون من ردّ الثابت الصحيح منها كمن ردّ القرآن الكريم .

ج - وهي مفسرة القرآن مبينة لمجمله ، مخصصة لعامه ، مقيدة لمطلقه .

٣ - الاعتقاد أن اتباع الرسول هي السبيل لتحقيق توحيد الله ونيل رضاه ومحبته : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فلا يجوز أن نتلقى أمراً أو نهياً من غيره ، لأنه هو المبلغ - بأمر الله - لجميع شؤون الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية .

٤ - حب الرسول ﷺ كما قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين »^(٢) وحب الرسول ﷺ ليس في إلقاء القصائد العصماء أو الإدعاء بينما أقوالنا وأفعالنا تخالف نهجه وهديه ، وإنما كمال حبه هو التزام هديه وطاعته لأنها طاعة الله ﷻ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﷻ [النساء : ٨٠] .

٥ - وكمال طاعته ﷺ أن تعبد الله بما شرع لا بالأهواء والعوائد والبدع^(٣) ، لأن « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »^(٤) ، وكما قال الإمام مالك : « من زعم أن في الإسلام بدعة حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة » .

ولا بد لتحقيق هذه الأصول وإخراجها إلى حيز الوجود من وجود رجال ينشئون على شاكلة الطراز الأول ، ويتربون على المنهاج السلفي الذي كان به العز

(١) انظر لزماماً ما كتبه حول هذه المسألة في رسالتنا « الأصالة » (عدد ١٧ ص ١٦ -

٢٦) .

(٢) متفق عليه .

(٣) انظر لزماماً لتفصيل هذه المسائل كتابي : « البدعة وأثرها السيئ في الأمة الإسلامية »

(٤) أخرجه الدارمي من قول ابن عمر رضي الله عنهما بسند صحيح .

والسيادة والنصر والتمكين ، ورحم الله إمام دار الهجرة القائل : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

رجال يعلمون الكتاب كما أنزل والحكمة كما بلغت حسب الأصول والقواعد التي حبرها السلف الصالح أهل الحديث تحبيراً قد زكوا أنفسهم واخبتوا إلى الله الذي إذا ذكر وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وتنبهت ، ويقفون بعد ذلك في وجه هذا الباطل الذي ملأ الأرض شراً وظلماً وجوراً ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إن إنشاء مجتمع إسلامي رباني واستئناف حياة إسلامية راشدة على منهاج النبوة يقتضي تعاوناً بين الدعاة السلفيين على البر والتقوى ولذلك ينبغي البعد عن الفردية والفوضى في هذا الباب وإلا كان عملنا استنابات بذور في الهواء .

خامساً : فقه التعاون الشرعي :

١ - البعد عن التحزب البدعي الذي قُطِعَ الأمة أئماً وجعلها شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون .

٢ - أن يتولى العلماء الربانيون توجيه شباب الصحوة الإسلامية وتربيتهم .

٣ - التفاف طلاب العلم والدعاة حول علماء السلف ليكونوا عوناً لهم على القيام بالنصح للأمة .

٤ - المتابعة بين العلماء وطلاب العلم وعامة المسلمين في ميادين التعليم والتربية والدعوة^(١)

سادساً : زوايا في وجه التيار السلفي

لقد مدَّ المنهج السلفي ظلاله الوارفة على كثير من التجمعات الإسلامية فأخذت الأرض تنقص من تحت أقدام أهل الأهواء والبدع ، ولكن هذا الانتشار تهب في وجهه زوايا منها :

(١) وانظر ما كتبه الأخ أبو باسم عبد الرحيم آل كنعان في رسالته الطيبة « وجهة نظر

في المتابعة وبيان أثرها في الفرد والمجتمع » .

١ - اختلاط مفهوم العمل الجماعي في أذهان كثير من المنتسبين إلى المنهج السلفي فلا يفرقون بين التعاون الشرعي وبين التحزب البدعي ، فترى بعضهم يعيشون في فوضى ويتحركون فرادى ، وآخرون دبّ إليهم داء الجماعات الحزبية فظهر عند بعض هذه الجهات تقسيم السلفيين إلى : جماعة شيخ ، وجماعة إدارة ، ومما يؤكد أن جماعة الإدارة هي حزبية رفضهم للتعاون الشرعي مع جماعة الشيخ .

٢ - تسللت إلى الساحة السلفية بعض الدعوات المشبوهة كالقبطية وبعض الجماعات الجهادية وقد تجمعت ثوب أهل السنة والجماعة لتقول لجموع الشباب الذين نهلوا من نبع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح : نحن منكم وإلحكم ! ألم تروا أننا نترتّباً بزئكم ونتنسب إلى أهل السنة والجماعة ، وقاسموهم لإنهم لهم من الناصحين .

ولكن العلماء الناصحين قالوا : انظروا إلى فعل أيديهم ولا تلتفتوا إلى دموع أعينهم .. قدموع التماسيح لا تغر العيون التي تنظر بنور مشكاة المصابيح ... فلو كانوا صادقين فلّم يشنون حملات التجريح والظعن والهمز واللمز والتحامل على علماء المنهاج السلفي ودعائه الذين عرفوا به وعرف بهم في هذا القرن ؟

تارة بالظعن في علمهم وفهمهم وأنهم فقهاء الحبض والنفاس ، لا يدرون شيئاً عن واقع الناس ، ولم يلتفتوا إلى شيء من ألعيب الساسة ومكر أهل الوسواس . ومرة بالظعن في توجههم وأنهم رهبان كتب لم يخرجوا من الصوامع إلى الشارع ؛ ليطلعوا على أحوال الأمة ، ويساعدوا في كشف الغمة ومحاربة الظلمة بل إنهم أحدهم سجين مكتبته !

وكرة بالظعن في منهجهم وأنهم عالة فيما يكتبون ويؤلفون على القديم ، بعيدون كل البعد عن الواقع الأليم .

وطوراً ينزرونهم بالاسم الفسوق فيقولون : إنهم أذئاب بغلة السلطان ، أو عبيد عبيد العبيد .

وأخيراً اتهموهم في عقيدتهم وأنهم مرجئة هذا العصر حتى قال قائل منهم يصف علماء السلف في هذا القرن : خوارج على الدعاة مرجئة في الحكام .

٣ - ظهرت على الساحة السلفية بعض المصطلحات التي يروج لها الذين
يبتغون شق الصف السلفي فتراهم يقولون عن أنفسهم وأتباعهم : نحن السلفية
التجديدية وعن العلماء وطلاب العلم هؤلاء سلفية تقليدية !
وقد أدغمت في هذه السطور أموراً يعرفها اللبيب بأدنى إشارة لكنني زدتها
بسطة وبياناً في كتابي « لماذا اخترت المنهج السلفي ؟ » ليكون على بصيرة من أمره
ولا يتبع كل ناعق ولا يميل مع كل ريح ، وعلى الله قصد السبيل .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

حوار مع أشهر قادة الجماعات الإسلامية في الأردن

نظراً لرؤيتنا الصراع المحتدم بين الجماعات الإسلامية على الساحة الإسلامية الذي ينخر في جسم الصف الإسلامي ، رأينا القيام بمحاولة لم تكن فريدة ، لكنها خطوة على الطريق الطويل الشاق ، لذلك ولينا وجوهاً شطراً قادة الجماعات الإسلامية في الأردن ، وقلوبنا نحو السماء تدعو الله وتتضرع إليه أن يجعل هذه المبادرة خالصةً لوجهه الكريم وأن يجعلنا سبباً لمن اهتدى ، وأن يُلْمَ الشُّلَّ ، ويرأب الصدع ؛ ليعود الصف الإسلامي عملاقاً قوياً ؛ فكان هذا اللقاء .

نقاش جاد مثمر

قمنا بزيارة قادة الجماعات الإسلامية في بيوتهم ، وتبادلنا الحديث في بعض الأمور التي تتعلق بموضوعنا ، كي نشعرهم بالخطر الرهيب المحديق بهم ، وضرورة اليقظة من هذا السبات العميق ، فأتينا مكتب الأستاذ المحامي محمد عبد الرحمن خليفه - المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين ^(١) - الكائن في وسط عمان بجوار المسجد الحسيني مساء يوم السبت الموافق : ٢٦ / ٦ / ١٩٧٨ وتناولنا أطراف الحديث الذي تضمن الأسئلة الآتية :

- س : ما رأيكم في الجماعات الإسلامية الأخرى ؟
ج : باطلة
س : لماذا نشأت ؟
ج : حباً في الزعامة ، وتقلد المناصب لدى القائمين عليها .
س : هل سعيتم لتوحيد وتسوية الصف الإسلامي ؟
ج : نعم ، مع الشيخ تقي الدين النبهاني ، ولكنه رفض .
س : إذا عرض عليكم الاجتماع مع قادة الجماعات الأخرى هل توافقون ؟
ج : طبعاً ، وأنا أؤكدكم بهذا .

(١) بقي في منصبه حتى سنة ١٩٩٤ م ثم استبدل بـ « عبد المجيد ذنبيات » .

س : إذا عرض عليكم توحيد الجماعات هل توافقون ؟

ج : نعم ، وهذا ما نتمناه .

ومن ثم ذهبنا صوب أمير جماعة التبليغ أبي مصطفى الرفاتي مساء يوم الخميس ١ / ٦ / ١٩٧٨ م . والتقينا به في مركز الجماعة المسمى مسجد مدينة الحجاج الواقع على طريق عمان الزرقاء قرب مخيم حطين للاجئين الفلسطينيين ، وسألناه عدة أسئلة :

س : ما رأيكم بالقول المقول : يجب الانضواء تحت راية الجماعة الإسلامية الأولى ؟

ج : هذا صحيح ، إذا كانت على حق .

س : فلماذا لم تنضموا لها ؟

ج : كلنا نلتقي في المستقبل إن شاء الله .

س : إن عدم الانضواء يعني أحد شيئين :

إما تكون هذه الجماعة وهي الإخوان المسلمون - زعموا - على حق ، وإما أن تكون على باطل ؟

ج : لم يجب على هذا السؤال ، بل تخلص من الإجابة بالأسلوب الحزوني .

س : ما هو رأيكم في الجماعات الأخرى ؟

ج : ينقصها الجهد والهمم على الدين والتضحية .

س : هل سعيتم لتوحيد الجماعات ؟

ج : لا .

س : هل توافقون إذا عرض عليكم توحيد الصف الإسلامي ؟

ج : نعم ، وهذا شيء محبب لقلوبنا .

في صباح يوم الجمعة ٢ / ٦ / ١٩٧٨ م التقينا مع الأستاذ محمد رأفت أحد السلفين في بيته الكائن في مخيم البقعة للاجئين الفلسطينيين وتناقشنا في بعض المسائل المتعلقة بمسألتنا ، وطرحنا عليه الأسئلة الآتية :

س : هل سعيتم لتوحيد الجماعات الإسلامية ؟

ج : كان هذا ولا يزال هم السلفيين ، فإن أحدهم التقى وزعيم إحدى الجماعات الإسلامية فقال له : نريد أن نجتمع الأمة على كلمة لا إله إلا الله ، فقال له السلفي : بمعناها ومفهومها ، فقال الآخر : نريد جمعهم ولو قولاً ؟

س : إذا عرض عليكم توحيد الصف الإسلامي فهل تشاطروننا الموافقة ؟

ج : نعم واعرضوا عليهم الاجتماع ، ونحن على أتم الاستعداد .

س : ما هو العوائق التي تحول دون الالتقاء ؟

ج : الكثير وحُبُّ الزعامة .

س : كل جماعة تقول : إنها موافقة على التوحيد والالتقاء ، فما هو رأيكم ؟

ج : اعرضوا عليهم إن كانوا صادقين .

في مساء يوم الأحد ٤ / ٦ / ١٩٧٨ م التقينا بالدكتور عبد الله عزام في مسجد عبد الرحمن بن عوف في مدينة صويلح ، وطرحنا عليه الأسئلة الآتية :

س : ما رأيكم في الجماعات الإسلامية الأخرى ؟

ج : السلفية ليست جماعة لخلوها من التنظيم ، والتبليغ رجال نحسبهم صالحين ، ولكنهم اقتصرُوا على جزء من الإسلام ، والتحرير حزب سياسي مثل الصحفي ، ولا يهتم بتربية شبابه ، فقد يكون الشاب لا يصلي ولا يحيي السنن وليس له ميزة المسلم ، فلم يبق إلا الإخوان .

س : إذا عرض عليك شخصياً الاجتماع بأعضاء الجماعات الأخرى فهل توافق ؟

ج : نعم ؟

وفي عصر يوم الأربعاء الموافق ٨ / ٦ / ١٩٧٨ م التقينا بالأستاذ أحمد محمد الداعور في بيته الكائن في جبل اللويذة في مدينة عمان ، وسألناه عدة أسئلة منها :

س : ما رأي حزب التحرير في الجماعات الأخرى ؟

ج : الجماعات الحالية تركز على جزء من الإسلام ، والواجب أخذه بشكل كلي .

س : ما هي الأسباب التي دعت لنشوء حزب التحرير ؟

ج : لمواجهة الظلم الاقتصادي والسياسي ، ولغياب الإسلام عن الساحة ،
ولإعادة دولة الخلافة .

س : ما هي الأسباب التي افضت إلى تعدد الجماعات الإسلامية ؟

ج : لاختلافهم في فهم الفكر الإسلامي .

س : إذا عرض عليكم اقتراح لتوحيد هذه الجماعات فهل توافقون ؟

ج : على الرحب والسعة ، ولكن نرجو ألا نكون أسباب فرقة .

من خلال هذه اللقاءات نستشف رغبة الجميع في رأب الصدع ، وتجديد العهد
مع الله ، وتوحيد الصف ، والعمل حسبما تقضي الشريعة السمحة ، فاستبشرنا
خيراً ، وقلنا : دعهم يلتقون لعل ذلك يكون بداية خير ، ومفتاح بركة ، فتلا ذلك
الكلام النهائي الذي نعهده محكاً للقلوب والنيات .

اتصلنا بالمراقب العام للإخوان المسلمين ، فقال ضاحكاً : أنا أوكلكم بهذه
القضية ، وأنا موافق لما تحدوده .

اتصلنا بالدكتور عبد الله عزام ووافق على الاجتماع ، وقال : أنا على أتم
الاستعداد .

اتصلنا بأمير جماعة التبليغ وعرضنا عليه الاجتماع ، فقال : أمهلونا نتشاور ،
وارجع لكم الخبر بعد شهر .

اتصلنا بالشيخ محمد رأفت فقال : لا نريد في بيوت الإخوان ، ولا في بيوت
التحرير ، واطلبوا منهم موعداً مؤكداً ، ووعدهم إياكم كلام دبلوماسي معسول .

أعدنا الكرة عليهم فإذا بالمراقب العام للإخوان المسلمين ينكص على عقبيه بعد
موافقته ، وإعطائه وعداً وميثاقاً ، فقال : لا أدري ماذا تريدون من هذا الاجتماع ؟

وعندما سمع بأن شيخنا المحدث ناصر الدين الألباني حفظه الله سيمثل السلفيين
في الاجتماع قال : ماذا يريد الشيخ ناصر هنا ؟ ليكرس جهوده في بلده خير له
وأجدى ، ثم قال : إن لدينا أموراً أهم من هذا تشغل بالنا وعقولنا .

أما أمير جماعة التبليغ فقد حاول إرجاء الوقت متعللاً بأنه لا يفقه في الإسلام

شيئاً ، وهذا الاجتماع لمناقشة الأفكار ، فدعونا ننتظر حتى يأتي أقطاب الدعوة من شبه القارة الهندية .

وعند ذلك لم يبق إلا الشيخ الداعور وكلهم متفق على أن الداعور لا يمثل حزب التحرير ، وأنه مجعد ، وعبد القديم زلوم خارج الأردن .

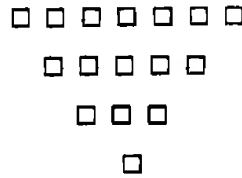
تبين لنا : أن هؤلاء القوم يعدون ولا يوفون ، ويقولون ما لا يفعلون ، فقد ظنوا أن هذه المبادرة هي التهاب عواطف شباب لا تلبث أن تخبو وتنطفئ جذوتها ، وقد تحققت نبوءتهم في بعضهم بعضاً أنهم لن يتوصلوا إلى نتيجة ، وأنهم اجتمعوا كثيراً من قبل وعادوا بخفي حنين ، ولم يتوصلوا إلى قرار معلوم ، وإنما زادت الفرقة ، وبعده الشقة ، وأشربت قلوبهم بغض بعضهم بعضاً ، ونشز من ذلك عظمهم فأصبحوا نسخاً سيرة من الفرق المتدبرة ، ثم سعت هذه الفرق لتكامل لمن أراد التوفيق والإصلاح أطنان التهم ، وأمتاراً مكعبة من القول الفاسد الفارغ .

يا زعماء الجماعات أهذا عيننا أم عيبكم ؟ هذا يُسوّد صحيفة من ؟

اتقوا الله ، وقولوا قولاً سديداً عسى ربكم أن يرحمكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ويصلح بالكم ، ويجمع شملكم .

تذكروا حديث رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أئتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »^(١) .

وفي رواية : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم »^(٢) .



(١) أخرجه الشيخان

(٢) أخرجه مسلم .

ماذا وجدنا عند قادة الجماعات الإسلامية ؟

كأي تجربة علمية لا بُدُّ للباحث فيها والدارس لدقائقها وعيناتها أن يطلعَ على خفاياها ويكتشف ملامحها ، ثم يُدوّن خلاصةً ما توصل إليه فيضغ النتائج ويقارنها بالعينات المختبرة ، وله بعد ذلك أن يستخلص السمات البارزة المشتركة التي صادفته والتي اجتذبت أكثر من غيرها ، هذا ما يحدث في التجارب المخبرية .

ولقد قمنا بتجربة حيوية على عينات من قادة الجماعات الإسلامية ، جلسنا معهم ، وتجادبنا أطراف الحديث ، وتكررت الجلسات ، وتعددت اللقاءات - كما أسلفنا - فطلعت على أذهاننا صوراً واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار .

١ . **الحقد المتبادل** : الحقد المتبادل أول ما تستشقه وتلمسه من هؤلاء القادة المسؤولين عن رقاب الآلاف من الشباب الإسلامي المتحمس والمتعطش للإسلام . إنك لا تلبث أن تجلس إلى أحد هؤلاء القادة حتى يبدأ بسرد قصةٍ منمقةٍ من الغيبة والتجريح للآخرين ممن لا يلتزمون صفةً وجماعته ، يتخلل ذلك باقات من الكذب والتزوير وأطنان من المدح والتكريم لسلوك أفراد صفه وجماعته . والمصيبة إذا استرسل في الحديث وأسهب فإن المسلم لا يستطيع أن يطيل جلسته إلا على مضض ، وكأنه يجلس على موقد من جمر .

يضاف إلى هذا الطعن الناجم عن الحقد بعض القوانين الصارمة التي سنتها بعض الجماعات كالأخوان المسلمين تحرم على أفرادها الاتصال بأي فرد من الجماعات الأخرى وبخاصة السلفيين ، بل يمنع منعاً باتاً أن يستضيف في بيته أحداً من السلفيين ، وإذا قدم عليه في بيته فليطرده ، والوثائق (رقم ١ ، ٢) دليل ذلك . إن الحقد والكراهية ليلفان ذروتها عندما تعرض على أحدهم اللقاء مع غيره من أفراد الجماعات الأخرى ، فإن مجرد ذكر ك لاسمه يعني الانطلاق في سلسلة من العبارات التي تنم عن هذا الحقد المقيت الدفين .

فيا قادة الجماعات أين أنتم من قول الله تعالى : ﴿ ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ [الحشر : ١٠] .

٢ - سوء الظن : الظن السيئ سمة لاصقة بهم كالحقد ، بل إن سوء الظن جاء نتيجة لحقدهم على بعضهم بعضاً ، لأن كل ما يتعلق بالسليبي يفسر سلبياً ، وأن الظن ليبلغ مرحلة يتطور بعدها إلى كيل الاتهامات ؛ فهذا يرتع في حقول البيت الأبيض - كَلَّه الله بالسواد - ، وذاك يولي وجهه شطر لندن - جعلها الله خراباً يباباً - وغير ذلك من الاتهامات التي غالبها مبني على الظن : « إياكم والظن فإنه أكذب الحديث »^(١) .

قال الدكتور صادق أمين : « وبعد فترة وجيزة ، فإذا بالإخوان يفاجأون بمنشورات تطرح في الأسواق باسم حزب التحرير ، ففرح الإخوان قائلين : الحمد لله أن لنا أعواناً على الحق ، فلنبحث عنهم ولنضم جهداً إلى جهدهم ، وأخذوا ينقبون عن مصدرها ، فعلموا أنه الشيخ تقي الدين ، واجتمع به مجموعة من الإخوان ، وذكره بالله ، وأنه لا مبرر لوجود هذا الحزب طالما أن هنالك جماعة إسلامية قائمة وإن كانت هناك ملاحظات على هذه الجماعة فيمكن التعاون على علاجها وتلافيها ، حتى لا يحدث الشقاق بين العاملين للإسلام ولكن الشيخ النبهاني مضى في طريقه . وطلب الإخوان في الأردن من الشهيد سيد قطب رحمه الله الذي حضر المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة ١٩٥٣ أن يجتمع بالشيخ النبهاني في القدس ، فاجتمع به ، وذكره بمغبة عمله ، وبموقفه أمام الله تعالى ، وبحالة المسلمين البئيسة التي تحتاج إلى تجميع الجهود . وعرض عليه إن أراد الإصلاح أن يعمل من خلال دعوة الإخوان في الأردن فقبل الشيخ على شرط أن يكون الإخوان في الأردن منفصلين عن قيادة الإخوان في القاهرة .

ومن العجب أن هذا الطلب وهو فصل الإخوان في الأردن عن قيادتهم في القاهرة هو نفس الطلب الذي اشترطته السلطات الأردنية ثمناً للاعتراف بالإخوان رسمياً كدعوة إلا أن الإخوان أبوا وأصروا أنهم فرع من الشجرة الباسقة التي نبتت (١) أخرجه الشيخان .

جذورها في القاهرة ، ورفض الإخوان لأن الأمر كله محاولة لتجميع الجهود .
وقال سيد آنذاك : دعوهم فسينتهون من حيث بدأ الاخوان ^(١) .
وقال حزب التحرير يصف الدكتور صادق أمين وجماعته :

« كتاب الدعوة الإسلامية كتاب يبين فيه مؤلفه ضرورة وجود تنظيم إسلامي يعمل على إقامة الخلافة أو الإمامة التي بدونها لا يتأتى للإسلام أن يكون منفذاً في حياة المسلمين ، ويرسم الطريق للحركة الإسلامية ويعين لها منهاج العمل ، ويطلب من أعضائها خلع ولائهم للحكام القائمين على واقع البشرية الفاسد ، اسم الكتاب جميل ومغر ، ودعوة مؤلفه المؤمنين لأن يخلعوا ولائهم للحكام دعوة رائعة ، ولكنها كدعوة معاوية إلى التحكيم ، وكخدعة عمرو بن العاص برفع المصاحف على السيوف ^(٢) ، ومثلما انخدع الزهاد من جماعة علي بن أبي طالب ، انخدع السذج من الناس بهذا الكتاب ، ومثلما أذن معاوية أن ترفع المصاحف لترى وتشاهد ، أذن الحكام الذين دعا الدكتور في كتابه أعضاء الجماعة المسلمة إلى خلعهم ، أذنوا بروج هذا الكتاب في الجامعة الأردنية وخاصة في كلية الشريعة ، ليطلع المدرسون والطلاب على ما فيه والسؤال الذي يرد الآن هو : لما أذنت الحكومة بروج هذا الكتاب في أعلى معاهدها في الوقت الذي يدعو مؤلفه فيه أعضاء الجماعة المسلمة لأن يخلعوا ولائهم منها ويعملوا على إقامة دولة الخلافة ؟

هل تريد الدولة في الأردن أن يخلع الناس ولائهم لها ؟ والجواب على ذلك هو أن الدولة ما زالت حريصة على ولاء الناس لها ، ولا زالت لا تطبق الإسلام ولا تحمله لأحد بل تروج دعاة الإسلام في السجون ولكنها أذنت به للآراء التي كتبها الدكتور ظناً منها أن هذه الآراء المتهاففة والمغالطات الكاذبة التي صاغها الدكتور وفقاً لرغبتها ، أنها ستسيء إلى سمعة الحزب وستكون سلاحاً ضده ، وعلماً منها أن دعوة الدكتور أعضاء الجماعة المسلمة إلى خلع ولائهم من الدولة إن هي إلا خديعة للجماهير ، إذ لو دعا إلى ذلك عضو من أعضاء حزب التحرير لكان جزاؤه السجن .

(١) « الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية » (ص ٧٧ ، ٧٨) ، ويشكك كثير من الباحثين في اللقاء المزعوم بين سيد قطب والنبهاني ، انظر مثلاً « حزب التحرير الإسلامي » لعوني جدوع العبيدي (ص ١٠٨ - ١١٠) .

(٢) هكذا يسيء حزب التحرير الأدب مع صحابة رسول الله ﷺ ، والصواب السكوت عن الفتنة التي حدثت بين الصحابة فكما أن الله طهر سيوفنا منها فينبغي أن نعصم =

هذا الدكتور الذي خجل أن يذكر اسمه ﷺ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ﷻ» (١) .

وكتب القائد محمد أسلم الباكستاني عن جماعة التبليغ :

« بدون تبرعات من أين تأتي النفقات ؟

شعبة المالية لجماعة التبليغ في السُرّ والحفاء فإن نفقات اجتماعات وحفلات الجماعة الأسبوعية والشهرية والسنوية التي يحضر فيها آلاف مؤلفة ورواتب أمراء الجماعة ونفقات مدرسة كاشف العلوم في مركز نظام الدين دهلي ونفقات مطعم مقر التبليغ فمن أين تأتي هذه النفقات وكيف ؟ فأنت تقول : إن على رأس الجماعة أثرياء الهند والباكستان وعدد غير واحد من أصحاب المصانع والمتاجر وهم من مريدي مشايخ جماعة التبليغ فكل النفقات تكون من تبرعات هؤلاء أصحاب الخير ، لكن تقف حائراً إذا تسمع أن أصحاب جماعة التبليغ لا يجمعون أي نوع من تبرعات من واحد كما أعلنوا ذلك مرات ومرات .

ولما أوقف المقدم إقبال شيئاً من عقاره لمدرسة كاشف العلوم دهلي فنهى عن ذلك نهياً باتاً .

ما قبل لحركته الدينية ولمدرسته ولإدارته أي معونة مالية فهو يقول : إن هذا - أي معونة مالية - نوع من الظلم على فإذا تدبرون لنا مثل هذه المعونة فلا نكون مستحقين نصره الله ولا نريد لنا أو لمدرستنا أي عقار .

فيقولون : إن هذه النفقات يتمها الله تبارك وتعالى فالرسول ﷺ كان يقبل هدايا الصحابة وأوقافهم في هذا العالم لإنجاز مشاريعه فهل من أحد هناك خير منه ﷺ وأحب وأقرب إلى الله ينزل عليه مطر الذهب من السماء فلو أمكن إنجاز مشاريع الدين من كنز الغيب ، لماذا شرع الله الزكاة في الإسلام ؟ ويقال إن الله يعطي ويرزق فعطاء الله وتوفيقه حق وصدق لكن هذا العطاء الإلهي والنوال الرباني كيف خص الله جماعة التبليغ فقط ؟ لعله كرامة حضرة الشيخ ؟

== ألسنتنا وأقلامنا ، وقد كرر حزب التحرير الطعن في معاوية في « دوسيتهم » .

(١) « الرد على كتاب الدعوة الإسلامية » (ص ٣ - ٤) .

سؤال :

١ - لأي سبب كان أشرف علي التهانوي الحنفي الديوبندي الجشتي النقشبندي (حكيم الأمة) يأخذ ستمائة روبية من الحكومة البريطانية ؟

٢ - ولأي هدف كانت الحكومة الهندية (البريطانية) تعطي معونة مالية لجماعة التبليغ في أول أمرها ؟ ^(١)

ثم يتطور هذا الظن إلى فقدان الثقة ببعضهم بعضاً ، وكان هذا واضحاً جلياً عندما عرضنا عليهم اللقاء .

٣ - يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون : إن الباحث في كلامهم والمدقق لأقوالهم وتطوراتها يلاحظ التناقض الغريب بين ما يقولون وما يفعلون ، فكلهم يدعي أنه على الكتاب والسنة ولكن الواقع غير هذا :

هل الكتاب والسنة يأمرانهم بالتفرق والاختلاف ؟

إن الكتاب والسنة يقضيان بالاعتصام والاتفاف والتكتل حول العروة الوثقى ، فالشدوذ عن هذا أو مخالفته هو فعل ما لم تؤمروا به .

هل الكتاب والسنة يدعوان إلى فكر المعتزلة وعقائد الشيعة وترهات الصوفية ؟

إن بعض الجماعات كالإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وحزب التحرير أقامت دينها على التصوف والاعتزال والتشيع .

لسنا مغالين كما يبدو لبعض القراء ، وإنما هو الواقع الأليم ، فنحن نقرر الحقيقة ونندون الخلاصة ، ونقول ما نعتقد أنه حق فإنهم يفعلون ما لا يؤمرون ، ويقولون ما لا يفعلون ، وصدق رسول الله ﷺ القائل : « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون ، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل » ^(٢) .

(١) « جماعة التبليغ عقيدتها وأفكارها ومشايخها » (ص ٤٤ - ٤٥) .

(٢) صحيح أخرجه أحمد والحاكم والطبراني .

٤ . اتفقوا على أن لا يتفقوا : هذه صفة جامعة شاملة لواقع قادة الجماعات الإسلامية فإنهم متفقون سلفاً على أن لا يتفقوا ، لأنهم - زعموا - اجتمعوا مراراً ولم يفلحوا .

وهذا عيبكم يا زعماء الجماعات لا يشاطركم فيه إنسان .
وفي أول اللقاء استعدوا وأعطوا وعداً على أن يجتمعوا وشررنا بهذا الأمل ،
وخالجنا شعوراً بالفرحة والشوق ، ولكنه لم يلبث أن خبا وانطفأ ؛ لأن بعضهم رجع
عن كلامه ، ونكص على عقبيه مثل مراقب الإخوان المسلمين القائل : .. ماذا تريدون
إننا لسنا مختلفين أبداً .

وقبل هذا وبعده تبقى القوقعة التي يتوصلون بداخلها : لا يمكن أن نتفق لقد
جربنا وفشلنا .

هذه هي أحوال الجماعات الإسلامية المعاصرة ، وهامهم قاداتها وأدعيائها على
صورهم وأشكالهم الحقيقية ، فلا يغتر الناظر إليهم من وراء الجدر .

أما آن الأوان يا دعاة الإسلام أن نزيل أقنعة التعصب الحزبي والانتماء الأعمى
عن أعيننا ونعود إلى الأمر الأول إخوة متعاونين على الإخلاص لله ، واتباع رسول الله
ﷺ ، بفهم صحابته الأبرار ، وتابعيه الأخيار ، وعلماء الأمة الأطهار الذين سبقونا
بالعلم والإيمان والتعاون على البر والتقوى ... فهياً أيها الأحبة إلى سعة الإسلام
ورحابة الإيمان وانبذوا الحزبية والتفوق والطغيان .

ظواهر وردود

رأيت أخي القارئ حال هذه الجماعات في تدابير وتناحر ، كل يكيل الاتهامات
لأخيه بل يترصون ببعضهم الدوائر ، ولقد قال الأستاذ المودودي فيهم كلمته : « لا
تجادلوهم دعوهم للأيام يموتوا »^(١) .

سبحان الله ! ما هذا الكلام المختلط ؟

وما هذه الترهات الفارغة ؟

(١) « الدعوة الإسلامية » (ص ٨٣) .

أهذا هو همُّهم ؟

أليس أجدى أن يشغلوا أنفسهم في إصلاح ذات البين وَلَمْ الشُّمْل من أن يقحموا أنفسهم في أمور ما أنزل الله بها من سلطان بل هي سبيل للفرقة والتشتت ؟!

١ - ادعاء باطل : وبعد هذا كُلُّه يأتي مراقبُ الإخوان المسلمين ويقول بملء فيه : « إننا لسنا مختلفين » .

ما هذا التناقض العجيب ؟

إذا كنتم غير مختلفين فلماذا تشتتم إلى جماعات وأحزاب كل حزب بما لديهم فرحون ؟

وهل الحق إلا واحد لا يتعدد ؟

وهل الفرقة الناجية إلا واحدة ؟

ما لكم كيف تحكمون ؟

إنكم والله لمختلفون رغم ما تزعمون ، وإن رفضكم للالتقاء والاجتماع دليل على أنكم مختلفون .

وما أقوالكم المتناقضة المتضاربة إلا لأنكم كذلك .

وصدق القائل :

إِلَامَ الْخُلُفَ بَيْنَكُمَا إِلَامٌ وهذه الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامٌ

فاتقوا الله ... ولا تخفوا ما الله مظهره .

إن خداعكم وألاعيبكم لا تنطلي إلا على من سفه نفسه وعطل عقله .

٢ - شبهات : إنه لمن قصر نظرهم وسوء فهمهم : أن يُغَدِّوا توحيدهم وَلَمْ شملهم في صف واحد من الأمور الجانيية ، وأن هناك أموراً أهم من هذه القضية ،

فيجب أن ننظر نظرة واقعية فنَجْمَع جهودنا لمحاربة الفساد الذي عَمَّ وطَمَّ (!)

قول غريث ورأي عجيب بعيد عن الصحة والواقع ، لأن وضعهم هذا يشجع الفساد ويقويه ، وهم لا يستطيعون بهذه الحالة أن يقاوموا الفساد ، فالشخن بالجراح والذي ينزف جرحه دماً لا يقوى على صدِّ أعدائه ... فالأجدى محاربة الفساد الذي

بين الضلوع ، والأولى ترتيب بيتنا قبل ترتيب بيوت الآخرين .

ماذا حاربتم في هذا الفساد ؟

هل قُلْتِ الحانات ؟

هل أغلقت البنوك والمؤسسات الربوية أبوابها ؟

إن كل هذا يتضاعف يوماً بعد يوم ، فقولكم السابق بعيد عن الصحة .
فاتقوا وبادروا إلى توحيد صفوفكم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم
السلف الصالح فهو الكفيل بمواجهة الفساد ، فالاتحاد قوة ، والفرقة ضعف وهوان .

٣ . اخفاء الخلاف : لا يجدي اخفاء الخلاف والظهور بمظهر الوحدة نفعاً
حيث يقبع كل أمير في بيته يجلس على أريكته ؛ يغتاب الجماعات الأخرى ويطعن
فيها ، ويأتي في النهاية ليقول : « إننا لسنا مختلفين ، وإذا أرادت الجماعات الأخرى
أن تقوم بعمل خير فنحن مستعدون أن نمدّهم بالشباب والمال » .

والعاقل الفهم يقول له : ماذا تجدي النقود ؟ وماذا يفيد الشباب دون أرض
صلبه وقاعدة متينة يقتنع بالوقوف عليها كل الأطراف فنحن لا نريد لم الصفوف
وهي مغرقة ، فيحصل فينا كما حصل لليهود ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾
[الحشر : ١٤] .

٤ . طريق الخلاص : مما سبق نتبين أن كثيراً من المسلمين في جهل مطبق
بالإسلام ، فلا يعرفون عنه إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، وركنوا إلى الحياة
الدنيا ، ونسوا الآخرة ، وانغمسوا في الملذات واللهو ، وفتنوا بالمظهر ، فأصبحوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ولا يأمرون بمعروف عرفوه ، وأصبحوا شيعاً وأحزاباً ممزقة
تذرونها رياح الفتنة والاختلاف أنى شاءت ، وصدق رسول الله ﷺ : « إذا تبايعتم
بالعينة ، وأخذتم بأذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم جهادكم ، سلط الله عليكم
ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »^(١) .

وقال ﷺ : « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب
يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما

(١) مضى تخريجه (ص ٣٩٤) .

لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(١) .

إن طريق الخلاص الذي لا مناص منه هو الرجوع إلى الدين جملة وتفصيلاً ، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ، وفهمها على فهم السلف الصالح ، لأنهما العصمة من كل ضلال ، والنجاة من كل شر ، كما قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي »^(٢) .

٥ - ما هو الحل ؟ ولكي تنجو الجماعات الإسلامية من هذا الواقع النكد التعيس الذي تعوم فيه ، ومن يرثن هذا الداء العضال الخيم عليها فلا بُدَّ من التجمع على أساس :

أ - نقاء العقيدة ووضوحها وتبني عقيدة السلف الصالح .

ب - توحيد العبادة بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ .

ت - تقبل الحق والنصح دون الالتفات إلى مصدره وقائله .

ث - العمل الجاد على تخريج دعاة صفاتهم :

الإخلاص لله ، والاتباع لرسول الله ﷺ ، وتوقير السلف الصالح وتقدير أهل العلم ، والعلم بالإسلام والفقه في الدين ، والسلوك الرشيد والحكمة والموعظة الحسنة .

وحتى يتم ذلك لابد من فتح أبواب النصح على مصراعها ، ونبد الخزية التي دمرت الدعوة والدعاة .

٦ - تنبيهات :

أ - سنتعرض للعداوة البغضاء والتشهير وسوء الظن والطعن ؛ لأننا لم نملئ أحداً ونكون أداة طيعة في أيديهم وحسبنا قول الرسول ﷺ : « لا يمنعن رجلاً هيبة

(١) أخرجه مسلم .

(٢) مضمي تخريجه (ص ٣٩٧) .

الناس أن يقول الحق إذا علمه ، أو سمعه ، أو شهدته ^(١) .
 ب - قد يقع هذا الكلام في أيدي الشيوعيين والعلمانيين الحاقدين على الإسلام
 ودعائهم ولكن هذا لا يجب أن يفت من عضدنا ، ويضعف هممنا ، لأن الحق لا بد له
 أن ينتشر ويظهر ولا يضره ما يعلق به من برائن لا تريد إلا أن تعوق مسيرته ، فإننا لا
 نكتب لهؤلاء الشرذمة لكن ننصح للقائمين على جميع المستويات أن يستفيقوا :
 ﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله أن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر :
 ٤٤] .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم وهو صحيح

الخاتمة رزقنا الله حُسْنَهَا وزيادة

إذا أرادت أمة الإسلام أن تترك بصمتها على غرة التاريخ ، وتدخل العالم من أوسع أبوابه ، وتصبح عنواناً لسفر الحق الضخم ومجلد الإنسانية العظيم - كما كان سلفهم الصالح رضوان الله عليهم - فما عليها إلا العودة الصحيحة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله الثابتة الصحيحة ، وأن تفهمها على النهج الذي فهمه سلفنا الصالح من خير القرون الثلاثة الأولى .

لذلك نرجو من إخواننا القراء : أن يفهموا هذا الكلام على أنه نصيحة للاعتبار والتغيير ، وليس للتجريح والتشهير والتعيير ، والعاقبة للتقوى .
سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك .

□ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ □

□ □ □

□

ملحق كتاب

الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وآله وصحبه
وجنده .

أما بعد : فقد نشرت مجلة « المجتمع » الكويتية في عددها (٦٠٩) الصادر
يوم الثلاثاء الموافق (٩ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ) مقالاً للمستشار سالم البهناوي
ب عنوان « سلفية حسن البنا المفترى عليها » تضمن تعليقات على ما جاء في كتابي :
« الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة » حول موقف حسن البنا رحمه الله
من عقيدة السلف والتصوف .

وقد كنت أرسلت هذه التنبيهات إلى المجلة المذكورة من أجل نشرها لأن
الرسول ﷺ قال : « إن لصاحب الحق مقالاً »^(١) ، ومن المؤسف أن تجابه هذه
التعليقات بالرفض التام من قبل القائمين على المجلة المذكورة .

وقد انبرى بعض أهل العلم للرد على تعليقات البهناوي فكتب الأستاذ عبد
العزیز بو طالب مقالاً في المجلة المذكورة عدد (٦١٥) بعنوان : « التفويض في
الأسماء والصفات ليس عقيدة السلف » لكن المجلة المذكورة طلبت من البهناوي
الرد على هذا المقال في العدد نفسه (!)

وكذلك كتب فضيلة الشيخ صالح بن فوزان رداً في مجلة « الدعوة » عدد
(٩١٦ و ٩١٧) تحت عنوان : « العقيدة السلفية ودعوة الشيخ حسن البنا » وكتب
البهناوي رداً على مقالتي الشيخ صالح بن فوزان في المجلة المذكورة آنفاً عدد
(٩٢٥) .

ومن ثم رأيت البهناوي قد أثبت تعليقاته في كتابه : « الحكم وقضية تكفير
المسلم » (ص ٣١٠ - ٣٢٠) في طبعته الجديدة الصادرة عن دار البشير - عمان .
فعلمت يقيناً بإصرار البهناوي على ما كتب ظاناً أن سكوتي إقرار لما تضمنته
تعليقاته .

(١) أخرجه البخاري .

ملاحظات لا بدّ من إدراكها :

١ - زعم الكاتب الناقد أن ما جاء في كتاب الجماعات الإسلامية وسائل غير شريفة ، وارتكاب الجريمة الغيبة والنميمة [مجلة المجتمع ص ٣٥] .

٢ - قال الناقد أن ما نسب إلى الشيخ حسن البنا رحمه الله تَقُول عليه ، ونسبة السوء إليه ، قال (ص ٣٢) : « وقيل إنه يدافع عن المذهب القائل أن آيات الصفات من التشابه حسبما جاء في كتاب الجماعات الإسلامية ... » وقال في الصفحة نفسها : « وأدلة هؤلاء على هذا الاتهام الذي جعلوه مسيلهم في توحيد الجماعات الإسلامية ... » وقال صفحة ٣٣ : « ولكن باسم الأمر بالمعروف ، وباسم توحيد العمل الإسلامي يطعن بعض الدعاة في الجماعات الأخرى وينسبون إليها ما لا يجوز بخاطرها » وأشبه ذلك في كلام الناقد كثير .

وهذا يقتضي أن الناقد لا ينازعنا في صحة ما ذهبنا إليه ، ولكن في ثبوته ، فهو اعتراف ضماني من الناقد بخطئ مذهب الخلف ، وفساد التصوف .

ونتيجة لما سبق فإن بحث الناقد خلا من الأدلة الشرعية ، إلا في مسألة التوسل فإنه نقل أقوال بعض أهل العلم دون ذكر أدلتهم .

وبدعي أن الأقوال العارية عن الدليل غير ملزمة شرعاً ، لأن العبرة بالدليل ، ولو كان أتباعه هم القليل .

٣ - ما أورده من كلام العلماء حول مسألة التوسل لا يُعَدُّ دليلاً يقوّي ما ذهب إليه ، لأن العلم الشرعي هو ما تضمنه قول الحافظ الذهبي رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله إن صح والإجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة بين الرسول وبين رأي فقيه

أولاً : الحد الفاصل بين القدح والنصح :

القول الجامع في معرفة الغيبة ما جاء من قوله ﷺ : « أتدرون ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكر أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد

بِهَتْئُهُ»^(١)

وقد اتفق أهل العلم على تحريمها لورود النص القطعي في كتاب الله المجيد : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات : ١٢] .

إذن فالغيبة نهش أعراض المسلمين ، وبخاصة الذين يظهر من سيرتهم الخير والاستقامة ، فليس من مكارم الأخلاق وصالحها أن يتجسس المسلم على أخيه المسلم ، ويتتبع عوراته ، ويظن فيه ظن السوء ، وإنما خلاف ذلك مطلوب شرعاً ، إن وجد عيباً ستر عليه ، وإن رأى خطأ أرشده بالتني هي أحسن للتي هي أقوم .

وذكرُ المسلم من خلفه بما يكره إن كان لغرض شرعي ، لا يمكن الوصول إليه إلا به فجائز ، ودليل ذلك الإجماع ، كما نقله النووي رحمه الله^(٢) ، ووافقه العلامة الشوكاني رحمه الله^(٣) فقال : « ... واستدل على جواز ذلك بل على وجوبه بالإجماع وكلامه صحيح واستدلالة بالإجماع واضح » .

وهذه الأغراض الشرعية حصرها أهل العلم في قول أحدهم :

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر

ومجاهر فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

يتبين لذي حجر أن ما يتعلق بأوضاع المسلمين الخاصة لا يجوز الحديث عنها ، وإنما يجوز النصح بشروطه المعلومة في فقه الدعوة المستنبط من الكتاب والسنة الصحيحة ، أما ما يتعلق بدين الله فلا يجوز السكوت عنه ، من ذلك : المقالات والأبحاث التي تنشر في الصحف والكتب والمجلات ، ومواقف الجماعات الإسلامية التي تخالف سنن الهدى .

ولنا في السلف الصالح أسوة وقدوة ؛ فقد صرحوا بوجوب ذكر الرواة

(١) أخرجه مسلم .

(٢) « شرح صحيح مسلم » (١٦ / ١٤٤) .

(٣) « رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة » (١ / ٥٥ ، ٥٦ - الرسائل

المنيرة) .

بأسماءهم وعيوبهم في الرواية ليُعرفوا ، فإذا عدنا لمصنفاتهم في الجرح والتعديل نجدها ملأى^(١) بذلك .

فإذا كان أئمة الهدى رحمهم الله قد جعلوا هذه السبيل من أفضل القربات إلى الله سبحانه وتعالى^(٢) ، فإننا على آثارهم سائرون ولرياضهم منتجعون .

مما سلف يتبين أن ما جاء في كتابنا « الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة » وسيلة إسلامية حكمها الوجوب ، وحيثُ فليتنق الله الكاتب الناقد قبل أن يحشرنا في زمرة من يرون الغاية تُسَوِّغ الوسيلة ، قال جل ثناؤه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة : ٨] .

ثانياً - حسن البنا والمتشابه :

نفى الكاتب الناقد أن يكون الشيخ البنا رحمه الله من القائلين : إن آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل ، وهو القائل : « معرفة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه من أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه تؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) .

ونحن لم نعتمد على عبارة التشابه المرتبطة بقوله : (وما يليق بذلك من التشابه) كما فهم الكاتب الناقد ، وإنما على الدليل الذي أتى به الشيخ حسن البنا رحمه الله وتماه يوضح المقصود ، قال جل جلاله : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

(١) انظر « ميزان الاعتدال » للذهبي (١ / ٤) ، و« تقريب التهذيب » لابن حجر

(١ / ٤ - ٥) .

(٢) انظر « مجموعة الرسائل والمسائل » لشيخ الإسلام (٤ / ١١٠) حيث نقل قول

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله .

في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴿﴾ [آل عمران : ٧] .

وفي هذا الدليل بيان أنه يرى آيات الصفات من التشابه ، فهذه الآية دليل هذا المذهب قديماً وحديثاً ، ويدل على ذلك قوله : « ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه » أي أن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يتكلموا في آيات الأسماء والصفات ولم يفسروها لأنها من التشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، ولو كان عندهم علم بذلك لبلغوه للأمة تأثماً ، فإن لم يفعل رسول الله ﷺ فما بلغ رسالة ربه ، قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

ناهيك أننا قد اعتمدنا على تصريح واضح من رسائل الاخوان المسلمين : « كذلك استواؤه على العرش من التشابه الذي نقف عنده مؤمنين به دون تعدد لحدود إدراكنا »^(١) .

وقد أبعد الكاتب الناقد النجعة ، عندما أورد الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله في القائلين : إن آيات الصفات من التشابه ، فهذا هو ابن تيمية يُصَرِّح قائلاً : « وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، أو اعتقاد أن ذلك هو التشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ... فنقول أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من التشابه الداخل في الآية ونفى أن يعلم أحد معناه »^(٢) .

فأين يصبح زعم الكاتب الناقد : « أن جمهوراً من الفقهاء قد قالوا إن آيات الصفات من التشابه ، ولم يقل أحد من أهل السنة بفساد عقيدتهم ، وقد نقل هذا عن أحمد بن حنبل والسيوطي وابن كثير والشاطبي والجصاص ... ومع هذا فإن

(١) الإخوان المسلمون ، تفسير سورة السجدة ، مطابع الشركة الصناعية - عمان (ص

عبارته لا تفيد أن آيات الصفات من التشابه « ؟! بل تفيد حسبما أوضحنا آنفاً وعبرة التشابه المرتبطة بقوله : (وما يليق بذلك من التشابه) تعود على الكلام الذي قبلها لأن اسم الإشارة متعلق بالكلام المشار إليه وهو قوله : (وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه) أي التشابه الذي يليق بآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة .

ثالثاً : حسن البنا والتفويض

يقول الشيخ حسن البنا رحمه الله عن مذهب السلف : « قد علمت أن مذهب السلف من الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يروها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها »^(١) .

وهذا القول بعيد عن الصحة فإن السلف رضوان الله عليهم تكلموا في آيات الصفات وبينوا معناها وفسروها ودليل ذلك أن مالكا سئل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة « أي معنى الاستواء معلوم ، وليس ورود لفظ الاستواء المعلوم ، وكيفيته مجهولة ، قال شيخ الإسلام : « وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول ، فليس في أهل السنة من ينكره »^(٢) لذلك فالسلف يفسرون الاستواء بالعلو ويسكتون عن الكيفية ، ومعلوم أن ما ينطبق على صفة ينسحب على كل الصفات يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا التشابه ، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر »^(٣) .

ويقول أيضاً : « فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة ، قد تكلموا في جميع نصوص الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ، ورووا عن النبي ﷺ

(١) « مجموعة رسائل حسن البنا » المؤسسة الإسلامية (ص ٤١٦) .

(٢) « رسالة الإكليل في التشابه والتأويل » ابن تيمية ، المطبعة السلفية ، (ص ٥٠) .

(٣) « مجموعة الرسائل الكبرى » (٢ / ٢٢) وقوله هذا التشابه ، فهو على افتراض

صحة ذلك ، فهو من باب الاسترسال للخصم لينقطع بالإفحام ، وقد أشار لذلك شيخ الإسلام .

أحاديث كثيرة توافق القرآن ، ولو كان معاني هذه الآيات منفيًا أو مسكوتاً عنه لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه ^(١) أ . هـ

والحقيقة التي لا مرأى فيها أن السلف لم يصرحوا أن مذهبهم السكوت ، كيف وهم أكثر كلاماً ليحموا العقيدة من سوء أريد بها ، بل هذه النسبة تَقُولُ عليهم من الخلف فقد قال ابن الجوزي رحمه الله : « وأما مذهب السلف فليس أخذها على ظاهرها ، ولكن السكوت جملة عن البحث فيها » ^(٢) فهذا القول يعتمد الشيخ البنا رحمه الله وتلاميذه على نسبة هذا المذهب إلى السلف وهم براء منه !؟ وسنوضحه في الفقرات الآتية .

لقد أراد الشيخ البنا أن يحسم الخلاف بين السلف والخلف لتوحيد الرأيين فقال : « وأهم ما يجب أن تتوجه إليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف ، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، والله حسبنا ونعم الوكيل » ^(٣) .

فلم يجد بُدّاً من حل وسط ، ولقاء في منتصف الطريق حيث يتنازل كل فريق عن بعض مذهبه قال : « لو بحثت الأمر لعلمت أن مسألة الخلف بين الطرفين لا تحتل شيئاً من هذا لو تَرَكَ كل منهما التطرف والغلو » ^(٤) .

أمام هذه الرغبة الجامحة ، لم يجد أمامه سبيلاً يسلكه إلا التفويض ، وبخاصة أنه مهياً لذلك باعتقاده أن آيات الصفات من المتشابه كما بينا آنفاً .

قال رحمه الله : « وإن البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول ، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة ، هي التفويض لله تبارك وتعالى » ^(٥) .

لكن الكاتب الناقد يرى أن ذلك خلط « بين كلمة التفويض في اللغة العربية

(١) المصدر السابق (٢ / ٣٢) .

(٢) « مجموعة رسائل حسن البنا » (ص ٤١٥) .

(٣) المصدر السابق (ص ٤١٨) .

(٤) المصدر نفسه (ص ٤١٦) .

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

والتي تعني عدم التأويل والتعطيل وترك الأمر إلى الله لقوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ وبين عبارة أهل التفويض التي تشير إلى فئة معلومة تعارفوا على تأويل الصفات .. »

والتفويض في اللغة يعني : تصوير الأمر إليه ورده وجعله الحاكم فيه ، فإذا حمل ذلك على آيات الصفات كان المراد : ترك المراد منها إلى الله وعدم تفسيرها وبيان معناها وهذا ما صرح به الشيخ حسن البنا : « ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع »^(١) وهذا يعني ترك علم معاني آيات الصفات والإيمان بألفاظ آيات الصفات وأحاديثها دون فقه لمعانيها ، وهذا شأن أهل التفويض الذين عرفوا في التأريخ الإسلامي بهذا الاسم ، وليس مذهب السلف الذين يبينون معانيها حسب دلالتها .

لكن الشيخ حسن البنا وجد بعض عبارات السلف فظنها تعني التفويض كقولهم : تمر كما جاءت^(٢) ، وفي ذلك يقول الخطابي رحمه الله بعبارة جزلة موجزة رصينة : « وقد يعبرون عنها بقولهم : تمر كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل ، ومرادهم أنه يجب إثبات الصفات دون التكييف ، وقد يظن من ينسب لهم أنهم أرادوا التفويض ، أو أنها من المتشابه وهذا ظن خاطئ »^(٣) .

ووجد أيضاً أن كثيراً من أهل التفويض الذي ذهب إلى مقاتلهم ينتسب إلى السنة والسلف فكرر وركز أنه على عقيدة السلف وأن مذهبهم السكوت والتفويض ، وقد فند شيخ الاسلام دعوى هؤلاء وقال : « فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون السنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد »^(٤) .

وهكذا يتضح أن أهل التفويض قديماً وحديثاً يدندون دائماً أنهم على مذهب السلف ، ألم يأن للكاتب الناقد ألا يتبجح بعملية التكرار والتركيز على مذهب السلف

(١) المصدر نفسه (ص ٤١٧) .

(٢) المصدر نفسه (ص ٤١٦) .

(٣) « الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية » عبد العزيز السلطان (ص ٢٣) .

(٤) انظر (ص ٢٠٢) .

قال : « إنه على الرغم من هذا التكرار والتركيز على عقيدة السلف من الشيخ حسن البنا وإعلانه أنه يدعو إلى هذه العقيدة ، إلا أن نفرأ من الدعاة إلى الإسلام كتبوا باسم عقيدة السلف أن حسن البنا وجماعته متهمون في عقيدتهم ... » نقول : ألم يأن للكاتب الناقد أن يعلم أن الأسماء لا تغير الحقائق أم أنه يتجاهل تجاهل العارف ؟! وبهذا يتبين أن المقدمة والنتيجة التي زعم الكاتب أنها خطأ على خطأ ، صحيحة لاشية فيها ، وإن حاول الناقد أن يشوش عليها دون برهان .

رابعاً : حسن البنا ومذهب الخلف :

أنكر الكاتب الناقد أن يكون الشيخ حسن البنا أراد التهوين من خطورة مذهب الخلف وهو القائل : « ... ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً ، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله ، وقد لجأ أشد الناس تمسكاً برأي السلف رضوان الله عليهم إلى التأويل^(١) في عدة مواطن وهو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ... » وقال : « ... وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعنائاً » .

قال أبو بكر الجزائري^(٢) : « ... ومن رغب عن هذه العقيدة المحققة السلامة ، والضامنة لأصحابها النجاة بإذنه تعالى ، إلى غيرها من عقائد الخلف المتنوعة ، والتي هي محفوفة بالمخاطر ، وغير مأمونة الجانب ، وأثرها في تفريق المسلمين وتشتيت شملهم معروف لا ينكر ، ومعلوم لا يجحد .

فالخلافة تعتبره شخصياً غير كامل الرشد يتعين عليها أن تستيه ثلاثاً بالعودة إلى عقيدة أهل القرون المفضلة أصحاب رسول الله والتابعين ، فإن تاب وإلا جردته من التبعية لها ، ونفته خارج حدودها ، ويومئذ لا يلومن إلا نفسه » .

(١) هذه الرواية اختلاق ليس لها من الصحة خلاق ؛ فقد فندها شيخ الإسلام في

« شرح حديث النزول » (ص ٥٥) ، طبع المكتب الإسلامي .

(٢) « مجموعة رسائل حسن البنا » (ص ٤١٧) .

(٣) « الدستور الإسلامي » (ص ٨٥) .

وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر^(١) : « حاول بعض المعاصرين كالشيخ حسن البنا والشيخ حسن أيوب وغيرهما أن يهونا من خطيئة هؤلاء الذين عرفوا باسم (الخلف) وأن يقربوا بين وجهة نظر السلف والخلف ، ولكن الحقيقة التي يجب أن تظهر وتذكر أن مذهب الخلف الزاعمين أن ظاهر الصفات غير مراد المؤولين مذهب بعيد عن الصواب ، ولا لقاء بينه وبين مذهب السلف ، ولا يشفع لهم حسن نيتهم ، فحسن النية لا يجعل الباطل حقاً » .

وما لنا نذهب بعيداً وهؤلاء أقطاب الخلف ومؤسسه اعترفوا بزيفه وأقروا بضلاله ، وأنه كسراب بقية يحسبه الظمان ماء ، وشهدوا على أنفسهم بالحيرة والندم على ما اعتقدوا في الله لما تبين لهم تناقضه ، وذلك واضح كالريابة في السماء في أقوال أئمتهم وأذكائهم كأبي الحسن الأشعري ، وأبي المعالي الجويني ووالده ، والفخر الرازي وغيرهم .

خامساً : حسن البنا والصوفية :

صرح الشيخ حسن البنا أنه نشأ صوفياً على الطريقة الحصافية^(٢) ، واعترف بذلك كبار أتباعه كما قال الشيخ سعيد حوى : « ثم إن حركة الإخوان المسلمين أنشأها صوفي ، وأخذت حقيقة التصوف دون سلبياته »^(٣) .

ودعا إليه ، وأشاد صرح الإخوان عليه ، قال : « وتستطيع القول ولا حرج عليك أن الإخوان المسلمين : دعوة سلفية ، طريقة سنية ، حقيقة صوفية » ، وقال : « ونظام الدعوة في هذا الطور صوفي بحب من الناحية الروحية ، »^(٤) .

وتلاميذ حسن البنا رحمه الله يدعون أن شيخهم أخذ حقيقة التصوف دون سلبياته كما ذكر الشيخ سعيد حوى آنفاً ، ولم يدع إلى التصوف المذموم كما زعم

(١) « العقيدة في الله » (ص ٢٠١) .

(٢) « مذكرات الدعوة والداعية » ، دار الشهاب (ص ١٩) وما بعدها .

(٣) « جولات في الفقهاء » : سعيد حوى ، دار الأرقم عمان (ص ١٥٤)

(٤) « مجموعة رسائل حسن البنا » (ص ٣٦٢) .

الكاتب الناقد (ص ٣٣) ، وقد اتخذوا تفسير البنا للحقيقة الصوفية : « لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، والحب في الله ، والارتباط على الخير » تكأة لهم .

والشيخ حسن البنا رحمه الله يعد الصوفية بلغوا مرتبة سامقة في تحقيق ما ذكره من معنى الحقيقة الصوفية ، قال : « وهذا القسم من علوم التصوف وأسميه « علوم التربية والسلوك » لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه ، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها ، والطب لها والرقى بها ، لم يبلغ إليها غيرهم من المريين ... »^(١) .

بعد هذه الفقرات التوضيحية المجملة نفترض جدلاً سلامة ما ذهب إليه هؤلاء فهو اعتراف صريح منهم أن مناهج التصوف فيها سلبيات ، وأنها تأبطت شراً للمسلمين ، فلماذا الالتفات إلى سبيل فيه انحراف ، والانصراف عن سبيل السلف الصالح في التربية والسلوك ، والذي ندعي أننا على آثارهم سائرون ... أم أن عقيدة السلف أسلم ، ومنهج التصوف أعلم وأحكم !!؟

ونضيف قائلين : إن ما قاله تلاميذ البنا رحمه الله يعني أن التصوف والتقوى وتركية النفس سيان ، وأنهما سواء في الميزان ، تالله إن هذا جدال في الحق بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، كيف وهو ينقصه الدليل ، وينقضه البرهان !!؟

أ - لم يعهد في اللغة العربية كلمة التصوف بمعنى التركية والتقوى ، وإنما المعروف المعهود التركية والزكاة أي الطهر والنماء ، وهو مأخوذ من قول العرب : « زكا الزرع إذا نما وأينع » لذلك اضطرد مجيء هذه الكلمة في الكتاب والسنة للدلالة على تطهير الأنفس وتطبييها ، وتنقيتها من قبائحها وأدرانها .

إذن فكلمة التصوف إن اطلقت واستعملت بمعنى التقوى والتركية ، مردودة على أصحابها ، لأن هذا الاشتقاق لا يستقيم لغة ، إلا إذا كان مأخوذاً من الصوف ، وهذا ما قرره محققوا العلماء^(٢) ، فالكلمة دخيلة على لغة العرب بهذا المفهوم .

(١) « مذكرات الدعوة والداعية » (ص ٢٥ - ٢٦) .

(٢) انظر (ص ١٨٥) .

٢ - على افتراض صحة قولهم الأنف واستبدال كلمة التقوى والتركية بكلمة التصوف ، فإن هذا ترك للمصطلحات القرآنية الشرعية ، واستبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير ، إن الإصرار على هذا هو موقف من يريد أن يتخذ موقفاً وسطاً بين فريقين متباعدين لكي يرضي كلا منهما ، وينجو من حملاتهما ، فيمسك العصا من وسطها ، فيقع في تناقضات بعضها فوق بعض .

٣ - إن تركية النفس ، والسمو بها إلى مكارم الأخلاق إحدى المهمات التي بعث من أجلها رسول الله ﷺ على فترة من الرسل ، قال عز وجل : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [الجمعة : ٢] .

والذي شرع الغاية لم ينس الوسيلة - حاشاه - قال تعالى : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ [مريم : ٦٤] ، فقد شرع الله الغاية وبين الوسائل ، وفصلها رسول الله ﷺ أتم تفصيل ، وأوضح بيان .

إننا عندما نستعرض شعائر الإسلام قاطبة ، ونربطها بهذه الغاية ، نبين أنه ليس للتركية أعمال خاصة من مجموع العبادات ، بل الإسلام كله أعمال غايتها ونهايتها التركية والتقوى .

إن التوحيد تركية ، ولهذا كان المشركون نجس ، قال جل ثناؤه : ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ [التوبة : ٢٨] . والصلاة تركية ، لقوله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] . والزكاة تركية ، لقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ﴾ [التوبة : ١٠٣] . والصوم تركية ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] . والحج تركية ، لقوله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] . والأخلاق الإسلامية تركية ، وجماع أمرها الصدق ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] وأقوى دليل على تحلي النفس المطمئنة بها العدل ، قال تعالى : ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة : ٨] . والحكم بما أنزل الله تركية لقوله تعالى : ﴿ ولكم في القصص حياة ﴾

يا أولي الأبواب لعلكم تتقون ﴿ [البقرة : ١٧٩] . واتباع الصراط السوي الذي يهدي إليه الرسول النبي الأمي ﷺ تركية ، قال أحكم الحاكمين : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ [الأنعام : ١٥٣] . والعبادة كلها تقوى وتركية ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿ [البقرة : ٢١] .

إذن فالطريق الموصل إلى التقوى هي العبادة ، والعبادة توقيفية بإجماع أهل العلم ، أي لا تثبت إلا بنص من القرآن أو السنة الصحيحة .

إن العبادة المقيدة بالأدلة الشرعية هي وسيلة التركية ، وليس للتركية أفعال وأعمال وعبادات خاصة كما هو حال المتصوفة كالصمت والسهر والعزلة والخلة والجوع والرقص والذكر بالاسم المفرد ... إلخ ، والتي مدحها الشيخ حسن البنا رحمه الله وجعلها لب الإسلام وصميمه ، وجعلها الأسلوب الأمثل ، والطريق الأكمل والأفضل ، الذي لا مناص عنه في تركية النفس وتربيتها ، قال : « لا شك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب ، ولكلام الصوفية في هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس »^(١) .

وأقره الشيخ سعيد حوى^(٢) : « لقد جربت كثيراً ورأيت كثيراً ونادراً ما وجدت كمالاً في النفس أو إحساناً في السلوك أو قدرة على التعامل العاقل إلا إذا وجدت تربية صوفية صافية ؛ وذلك لأن مفاتيح النفس البشرية إنما هي في هذه التربية وأصولها وقواعدها ، لأن الصوفية هم الذين ورثوا عن الرسول ﷺ تربية النفس ، وتخصصوا لذلك ، وتفرغوا له ، وفطنوا لما لم يفتن له غيرهم ، وقامت لهم أسواق من التجارب الشرة في كل عصر ، فما لم يأخذ الإنسان عنهم تبقى نفسه بعيدة عن الحال النبوية ، إن الصوفية هم الذين ملكوا العلم الذي تنهذب به النفوس البشرية) .

(١) المصدر السابق (ص ٢٦) .

(٢) « تربيتنا الروحية » (ص ٢١)

نقول : إن الإسلام كله تركية ، ولعل الدليل الذي لا يترك لبساً قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، وخلقهُ ﷺ متمثل في تطبيقه لكتاب ربه ، سأل سعد بن هشام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي التي عاشت في بيته ﷺ وترعرعت في كنفه زوجة صالحة لخاتم النبيين ، سألها عن خلق الرسول ﷺ فقالت بعبارة جزلة رصينة : « كان خلقه القرآن »^(١) وكذلك قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم (وفي رواية : صالح) الأخلاق »^(٢) .

لقد حصر الرسول ﷺ رسالته في التركية ، وهذا أعظم برهان على أن رسالة الإسلام رسالة تركية بقضها وقضيضها ، قائمة بذاتها لا تفتقر إلى وسائل وأساليب ومناهج إصلاح من تجارب البشر ، ومن البداهة بمكان إنكار هذه المناهج لأن رسالة الإسلام توفيقية .

٤ - إذن فالقواعد التي أطلق عليها الشيخ حسن البنا قواعد السلوك والتربية ، ونعتها الأستاذ سعيد حوى « بحقيقة التصوف » وسماها الكاتب الناقد « التصوف المحمود » أو « تصوف إبراهيم بن أدهم » ، من قبيل تحصيل الحاصل ، وهذا لا يجوز ، لا سيما في مثل هذا الموضع الذي فيه تزيد على شريعة الله دون مسوغ ، وكل ما لزم الباطل فهو فاسد من أصوله ، والعميق من جذوره^(٣)

شيوخ التصوف الأوائل :

قال الكاتب الناقد (ص ٣٤) : « لقد كان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة ، واقفين عند حدود الشرع ، مطاردين للبدع ، فلماذا يساء إليهم وإلى من قال فيهم كلمة خير كالإمام البنا (وذكر طائفة من أقوالهم) » .
إن هذه الأقوال التي ذكرتها تعارض أقوالهم الأخرى المخالفة للكتاب والسنة والتي ذكرنا طائفة منها^(٤) فلماذا أغفلتها وضربت صفحاً عن نفيها أو إثباتها ، وطويت كشحاً عن تفسيرها ؟!

(١) أخرجه مسلم .

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٧٠) .

(٣) وانظر لزماماً كتابي « منهج الأنبياء في تركية النفوس » .

(٤) انظر (ص ١٠٢ - ١٠٣)

واعلم أيها الأخ الناقد : أننا لن ننسج عن منوالك ، ونتشبه في ذلك بأحوالك ، وقد بينا وجه الحق منها هدايا الله وإياك لما اختلف فيه من الحق بإذنه أنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومن ثم يقول الكاتب الناقد (ص ٣٣) : « فلماذا يرفض الناقدون تعريف حسن النبا لقصده من التربية الصوفية ، وهي التربية التي تتحقق مع تصوف إبراهيم بن أدهم الذي مدحوه » .

لقد بينا لماذا نرفض هذا التصوف ، ونبين هنا أن قولنا عن إبراهيم بن أدهم « لم ينحرف كثيراً في العقيدة عن الكتاب والسنة ، وقد شهد له ابن تيمية بالاستقامة » لا يعني أننا مدحنا تصوفه وما أثر عنه في هذا المجال لأنه هو انحرافه اليسير الذي أشرنا إليه .

ومعنى كلامنا : أن علماء السلف من أهل المرح والتعديل ذكروه بخير لقاعدة عندهم في علم الحديث وهي تفريقهم بين المبتدع الداعية والمبتدع غير الداعية ، فالأول يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس ، وإن كان مجتهداً في الباطن ، وأقل عقوبته أن يهجر فلا يكون له مرتبة في الدين ، ولا يؤخذ العلم عنه ، ولا يستفتى ، ولا تقبل شهادته ، لذلك اتفق العلماء من المحدثين والفقهاء وأهل الأصول أن المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته ، وأما الذي لا يكفر بها فاختلقوا إلا أنهم ردوا رواية من يستحل الكذب في نصرة مذهبه ولأهل مذهبه - وهو ما بلوناه على كثير من الدعاة تحت شعار : مصلحة الدعوة - حكى ذلك عن الشافعي رحمه الله حيث قال : « أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطائية » لكونهم يستحلون شهادة الزور لنصرة موافقيهم ، ومن العلماء قال : « تقبل إن لم يكن داعية ، وترد إن كان داعية » قال النووي^(١) في شرحه على « صحيح مسلم » : « وهو الأعدل الصحيح » ، وقال ابن تيمية^(٢) : « لهذا لم يخرج أهل الصحيح لمن كان داعية ، لكن رووا هم وسائر أهل العلم عن كثير ممن يرى في الباطن رأي القدرية والمرجئة ، والخوارج ، والشيعة » وأشار لذلك الحافظ ابن حجر^(٣)

(١) « شرح صحيح مسلم » (١ / ٦٠) .

(٢) « الإيمان » (ص ٣٦٩) .

(٣) « تقريب التهذيب » (٦ / ٤ - ٥) .

ومن هذه القاعدة يفهم أن أهل العلم ذكروا إبراهيم بن أدهم بخير لأنه لم يكن داعية إلى تصوفه ، وأن ذلك ليس مدحاً لتصوفه ، بينما نجدهم جرحوا الحارث بن أسد المحاسبي لأنه كان داعية إلى مذهب الاستسلام ، ولأنه كان يورد كثيراً من الأحاديث الموضوعة لتأييد مذهبه ، ولذلك قال الحافظ النقاد الذهبي في « ميزان الاعتدال » (١ / ٤٣٠) : « صدوق في نفسه ، وقد نعموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه » ونهى الإمام أبو زرعة رحمه الله عن قراءة كتبه ، وهجرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

سادساً - حسن البنا والتوسل :

التوسل المشروع الذي أقره الإسلام والمستنبط من الأدلة الصحيحة ثلاثة أنواع^(١) :

أ - التوسل بأسماء الله وصفاته .

ب - التوسل بالأعمال الصالحة .

ج - التوسل بدعاء الرجل الصالح .

لو كان التوسل بالأموات جائزاً فلماذا عدل صحابة رسول الله ﷺ إلى الأحياء ، ولا شك أن رسول الله أفضل ممن استسقوا بهم ، وجأه أعظم وقدره أكبر ... نعم لماذا تركوا رسول الله ﷺ واستسقوا بغيره ؟

لا يشك ذو مسكة عقل أن التوسل لو كان جائزاً بالأنبياء وهم أموات لما تركه الصحابة ، ولكنهم رضوان الله عليهم يعلمون علم اليقين أن التوسل بالنبي بعد وفاته غير ممكن وغير جائز ، فأنى لهم أن يذهبوا إليه ويشكوا إليه حالهم ؟! ولذا لجأوا إلى صالحينهم ليدعوا الله لهم .

مما سبق يتضح أن ما عدا هذا التوسل المشروع توسلات مبتدعة لأنه لم يرد فيها دليل تقوم به الحجة ، وإنما شبهات تمحلها المجيزون وأحاديث ضعيفة أو موضوعة عليها يعتمدون ، كحديث « اللهم بحق السائلين عليك ... » وحديث « كان إذا خرج إلى

() انظر لزماماً (ص ١٩٧ - ١٩٨) .

الصلاة ... » ، وحديث « كان إذا أصبح وإذا أمسى » وحديث فاطمة بنت أسد ، وحديث استفتاح الرسول ﷺ بصعاليك المهاجرين ، وحديث توسل آدم بمحمد ﷺ ، وحديث « توسلوا بنجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، وقصة الرجل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه وتوسله بالنبي ﷺ حتى قضى حاجته التي أخرجها الطبراني في « معجميه الصغير والكبير^(١) » ، وأما شبهتهم حول حديث استسقاء عمر بالعباس فقد صححناها آنفاً .

ومما يقطع جهيزة المخالف أننا إذا جمعنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة في مسألة الدعاء لا نجد أن الدعاء إلى الله قرن بجاه فلان أو حقه أو حرمة أو مكانته .

ومما يزيد واقع المخالفين بلة أنهم يتوسلون إلى الله بالخلقين قياساً على الملوك فهم يقولون : إن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو مسؤول فهو لا يذهب إليه مباشرة ، لأنه ربما لم يلتفت إليه ، لكنه يبحث عن يعرفه ، ويكون مقرباً إليه ، أثيراً عنده ليكون واسطة بيننا وبينه ، وكذلك الله فهو ملك الملوك ونحن عصاة مذنبون ، فليس من اللائق أن ندعوه مباشرة ولكن نرجع إلى الصالحين ، لأنهم قريبون إليه سبحانه وتعالى يستجيب لهم ، ويقبل منهم إذا شفّعوا لنا لديه .

وهذا قياس للمخالق على المخلوق ، وتشبيه لأحكام الحاكمين بالحكام الغاشمين وهو شرك صريح يستتاب صاحبه وإلا قتل ، وهو معنى قولنا : « ومن أثبت وسائط بين الله وخلقه ، فهو مشرك يجب أن يستتاب ، فإن تاب كان خيراً ، وإلا قتل ردة » وهذا ليس بدعاً من الفتاوى ، فنحن مسيقون بكثير من أهل العلم إلى ذلك منهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام في رسالة « الواسطة » (ص ٥) وهو ما أنكره علينا الكاتب الناقد (ص ٣٣) وأدعى أن إجماع الفقهاء على خلافه (ص ٣٤) ، وعليه أجاز التوسل بجاه وحق فلان (ص ٣٥) قال بعد نقل أقوال المجيزين : « فإن كان هؤلاء جميعاً ومن أخذ عنهم ناقص العقيدة عند من ظنوا أنهم أحرص من هؤلاء الأئمة على التزام منهج السلف الصالح فحسبنا وحسب الإمام حسن البنا هذا السلف (١) وانظر تفاصيل هذه الجملة في كتاب شيخنا « التوسل أنواعه وأحكامه » ففيه شفاء لمن أراد الله هدايته .

الصالح » .

ويلاحظ على هذا الدليل ما يأتي :

أ - أن الكاتب الناقد مدح هذا التوسل المبتدع وأقره بينما هو في كتابه « الحكم وقضية تكفير المسلم » (ص ١٧٠) من الطبعة الأولى يرى أن هذا فهم جهلة الصوفية للتوسل ، وفي (ص ١٧١) يقول بخطلة وفساده : « وعدم الحكم بالكفر على الصوفية يرجع إلى أنهم قد اجتهدوا في الفهم وإن كنا نرى خطأهم »

ب - صحيح أن جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى جواز هذا النوع من التوسل لكن الكاتب لم يورد أدلتهم وهي واهية كما ذكرنا ، ومما هو جدير بالملاحظة أن الكاتب الناقد أوردتها بعد قوله الأنف .

ت - ادعى الكاتب الناقد أن المجيزين من أئمة السلف الصالح بينما في كتابه ، المذكور قال عنهم جهلة الصوفية والعوام .

ث - زعم الكاتب الناقد في كتابه المذكور (ص ١٧٤) أن قول الشيخ حسن البنا في الأصل الخامس عشر مخالف لها : « هذا هو رأي الصوفية ، أما الصواب فهو ما قاله الإمام الشهيد حسن البنا (وذكره) » بينما هو في مقاله يدعي أن قول حسن البنا موافق لها وأن هؤلاء سلف له ولحسن البنا !!

ج - واقع المخالفين الذين يقرنون الدعاء إلى الله بأحد من خلقه المشار إليه اعترف به الكاتب الناقد في كتابه المذكور (ص ١٧٠) ، فهل هذا الواقع شركاً أم لا ؟ وهل الشرك من مسائل العقيدة أم لا .

هذه الملاحظات تدل على أن فكر الناقد في مد وجزر ، وأن موقفه موقف من يريد أن يمسك العصا من وسطها كشيخه حسن البنا ولئن ذهبنا إلى أن المتوسلين بجاه الصالحين لا يثبتون وسائط بين الله وخلقهم كالحجاب بين الملك والرعية فإن توسلهم هذا هو المقدمة الأولى والأخيرة لإثبات وسائط بهذه الكيفية فهي على هذا الحال يريد الشرك ... وهل العمل الذي يؤدي إلى الشرك يذخل في مسائل العقيدة أم لا ؟!

ومن هنا يتبين أن ما صرح به الشيخ حسن البنا رحمه الله في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين : « والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف

فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة » ليس صحيحاً للآتي :

أ - أخرجه من دائرة العقيدة لكي يقر الخلاف فيه لأنه يعلم يقيناً أن العقيدة لا يجوز الخلاف فيها ألبتة ، وهو يريد أن يرضى الأطراف جميعها ، فليس أمامه إلا أن يخرجها من دائرة ما لا يجوز الخلاف فيه .

إن الدعاء من العقيدة بل لبها لأنه نقطة الارتكاز في دائرة العبادة بل هو العبادة بعينها لقوله : « الدعاء هو العبادة »^(١) ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وذلك لأن الدعاء تضرع والتجاء إلى الله مهما كانت المسألة المطلوبة ، وهو يظهر عبودية العبد لربه وحاجته إليه ومسكنته بين يديه وكل ذلك من مسائل العقيدة ، فلا جرم أن جاءت الآيات المحكمات والأحاديث الصحاح والحسان متضافرة في الأمر به والخض عليه ، حتى قال ﷺ : « من لا يدع الله يغضب عليه »^(٢) والمسلم عليه أن يدعو الله مهما كانت المسألة المطلوبة لقوله ﷺ : « سئلوا الله كل شيء حتى الشسع ، فإن الله عز وجل ، ان لم يسره يتيسر »^(٣) .

ب - اجتهاد في موضع النص وهو لا يجوز فإن الله سبحانه وتعالى الذي شرع عبادة الدعاء لم ينس الوسيلة وبيان كيفيتها ، فهذا صريح القرآن يوضح كيفية الدعاء قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [البقرة : ٨٦] .

ت - لأنه تقليل من شأن الخلاف في هذه المسألة بقوله : « خلاف فرعي »^(٤) وقد علمت أنه جوهرى ، مما يؤدي بالكثيرين إلى عدم البحث في هذه المسألة

(١) مضى تخريجه (ص ١٩٣) .

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهو حسن إن شاء الله .

(٣) أخرجه ابن السني وغيره بسند حسن .

(٤) وهذا تقسيم مبتدع كما ينت بطلانه في كتابي « دلائل الصواب في إبطال تقسيم

الدين إلى قشر ولباب » فانظره غير مأمور .

والتحقق منها مما يؤدي إلى استمرارهم في بدعتهم واستحسانها ومن ثم استفحال أمر هذه البدعة العقائدية الخطيرة .

وأخيراً :

إن القول ببطلان مذهب الخلف وضلاله ، وفساد طريق التصوف وسوء أحواله ، وخطأ موقف الشيخ حسن البنا وأمثاله لا يعني أن الخلفيين والصوفيّين والإخوان المسلمين جميعاً يتصفون بالحكم نفسه لأن ؛ لازم المذهب ليس بمذهب ، وعلى هذا جرى العلماء ، ولو كان لازم المذهب مذهباً لكفر أهل كل مذهب جميع المذاهب الأخرى ، قال الغنيمي شارحاً عبارة الطحاوي : « ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولا نشهر عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق » وإن كان لازم مذهبهم ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ... » أهـ^(١)

وأدلة هذه المسألة كثيرة في السنة منها قول الرسول ﷺ للرجل الذي قال : ما شاء الله وثبتت : « أجعلتني مع الله عدلاً » (وفي لفظ : ندأ !!) لا بل ما شاء الله وخده^(٢) ، فرسول الله بين له أن قوله انحراف ينبغي تصحيحه فأرشده للحق قائلاً : « قل ما شاء الله ثم ثبت » ، ولم يحكم عليه بالشرك ومن البدهي أن الذين يتخذون من دون الله أنداداً وبربهم يعدلون هم المشركون قال تعالى : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ [الانعام : ١] .

وكذلك القول في الجماعات الإسلامية المعاصرة فإن بيان خطئ مناهجها وفساد بعض تصوراتها لا ينسحب على كل أفرادها .

ومن هذا يتبين أن ما قاله الكاتب الناقد (ص ٣٢) : « ... ومع هذا استنى إليه فقبل أنه مزعزع العقيدة » وقوله : « ... إن عقيدة البنا في توحيد الصفات مضطربة » بهتان لأننا لم نصف البنا بالعبارات الآنفه التي افترأها علينا الكاتب الناقد .

وهاك عباراتنا ولتَعُدَّ إليها لتعلم أي الفريقين أهدى سبيلاً ، وأصدق قِيلاً ، وأحسن مقيلاً ، : « ليس لدى الإخوان قاعدة عقائدية أجمعوا أمرهم على تبنيها

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » للغنيمي (ص ١٣٩) .

(٢) « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (رقم ١٣٩) .

والدعوة إليها ، لذلك فهم لا يركزون على الدعوة إلى التوحيد وتصفية العقيدة »
تجدوا : « عقيدة الإخوان في توحيد الأسماء والصفات مضطربة » .

وهذه الأحكام لم تصدرها جزافاً كما يحلو لنا اتباعاً للأهواء وتعصباً للأسماء بل من واقع جماعة الإخوان المسلمين وضرربنا على ذلك أمثلة ، فقد بينا أن شيوخ الإخوان اللذين يُعدّان قطب الرحي في فكر جماعة الإخوان على طرفي نقيض فبينما يرجح البنا مذهب السلف - زعموا - يؤثر سيد قطب مذهب الخلف ... ألا فليتنق الله الكاتب الناقد ولا يكونن من الذين يحرفون الكلام عن مقاصده من بعد ما عقلموه ، ومن ثم يقول (ص ٣٣) « ... ثم يقولون إن عقيدة الإخوان مزعزعة لأن سيد قطب نقل أن أحاديث الآحاد ليست حجة في العقائد » وإليك يا مسلم يا عبد الله كلامنا بتمامه لتعلم من الذي يفترى ، قلنا (ص ١٢٥)^(١) حاشية رقم (٤) : « يوجد بين الإخوان من لا يعد خبر الآحاد حجة في العقائد كسيد قطب وسعيد حوى : « في الإسلام تبنى العقائد على النصوص المتواترة لفظاً أو معنى وعلى ما يوافقها أو فصلها من السنة الصحيحة والحسنة » ويقول : « مع أن العقائد لا تبنى إلا على القطعيات »^(٢) ، وإنما نريد القول أن وجود من يقول بعدم الأخذ بخبر الآحاد ومن يقول بجواز الأخذ في الجماعة المسلمة يؤدي إلى عدم الاتفاق على عقيدة واضحة ، وهذا أول إسفين يدق في جسم هذه الجماعة ، إن لم نقل أن مثل هذه الجماعة كم يحفر قبره بظفره » .

إن كلام الناقد الكاتب يعيد إلى الأذهان المثل العربي القائل : « رمتني بدائها وانسلت » ثم يقول : « سلفية حسن البنا المفترى عليها » .
إن كلامنا يؤدي إلى أمر واحد وهو أن اختلاف الأصول يؤدي إلى اختلاف التصورات والمفاهيم مما يؤدي إلى وأد الحركة الإسلامية قبل أن تبلغ السعي ، لأن المقدمات الخاطئة تؤدي إلى نتائج خاطئة ، إن وحدة الجماعة ينظر إليها من خلال وحدة المنهج والعقيدة وليس من خلال الأسماء واللافتات .

(١) من الطبعة الثانية .

(٢) « جولات في الفقهين » (ص ٤٦ ، ١٢٢) .

وانظر لتفنيد هذه المقالة (ص ٢٧٤ وما بعدها) .

إن كلامنا مأخوذ من واقع جماعة الإخوان المسلمين فسيد قطب وسعيد حوى لا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة بينما الدكتور صادق أمين وهو الذي كتب عن الإخوان وألبسهم هالة العصمة يعيب على حزب التحرير عدم الأنحد بحديث الآحاد في العقيدة وذلك في كتابه « الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية » ... ألا يدل هذا على أن الإخوان المسلمين ليس لديهم قاعدة عقائدية أجمعوا أمرهم على تبنيها والدعوة إليها ؟! أليست هذه الميوعة بحذافيرها .

عجباً لأمر الكاتب الناقد لماذا يرمينا بسهامه الكليلة ، ويكثر من حفر المزلق والأخاديد أمام من أراد تقويم مسار الحركة الإسلامية ، وترشيد أفكار الصحوحة الإسلامية بعقيدة التوحيد ومنهج خير القرون ، ليتم اللقاء على كلمة سواء فيعود الصف الإسلامي عملاقاً كما كان ، وينشأ جيل خلصت عقيدتهم فزكت نفوسهم فامتشقوا حسام العلم وتسنموا غارب الحق ؛ ليذبوا عن الإسلام تأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتعصب المقلدين .

والعلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان

هذا آخر ما تيسر كتابته مختصراً لضيق الوقت ، فالواجبات أكثر من الأوقات ؛ فقد كثر المطلوب وقلّ المساعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
ونترك المجال لعدول الأمة ورثة الأنبياء ، ليقولوا كلمة التقوى فهم أحق بها وأهلها .

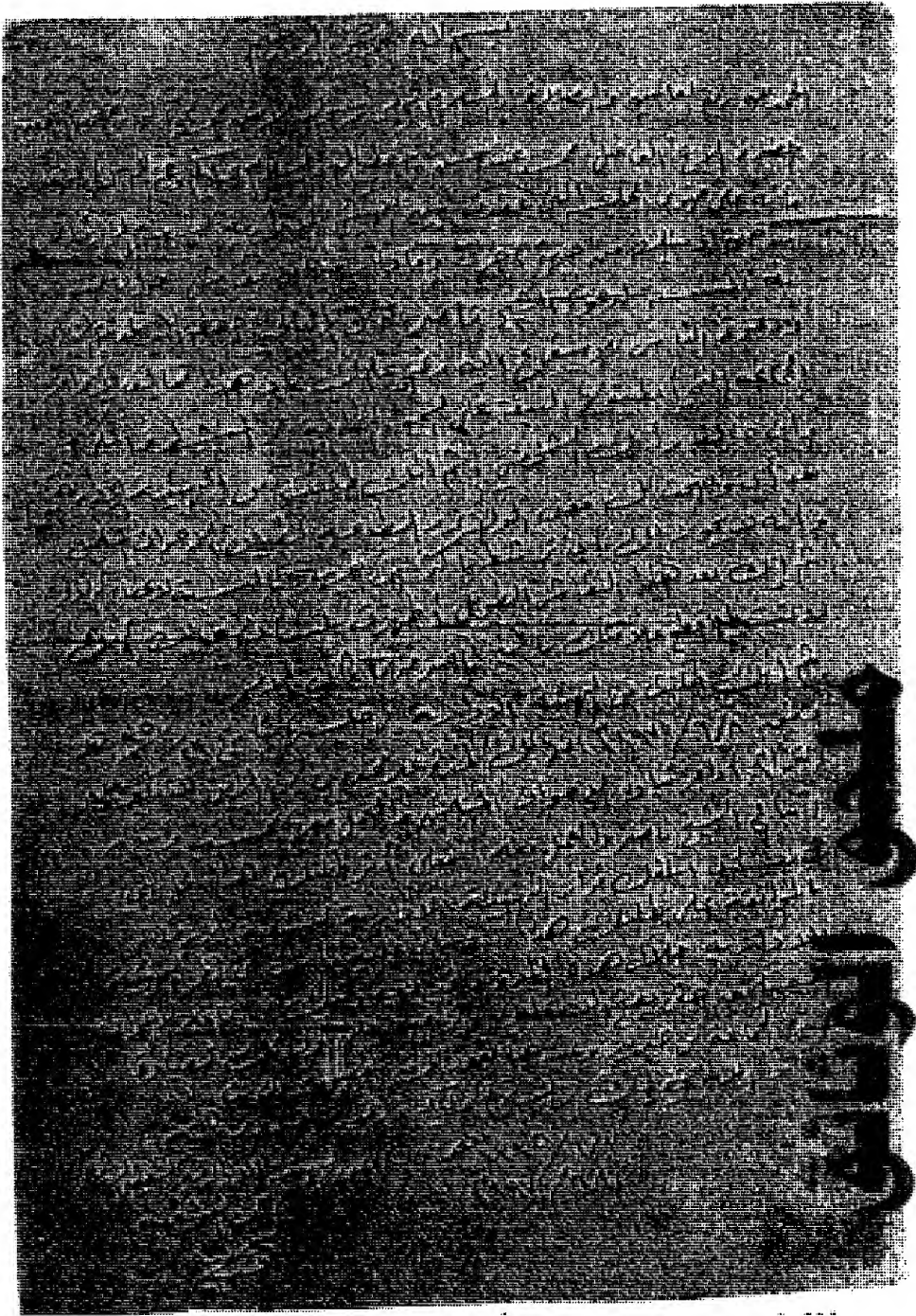
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والله الموعد

□ □ □ □ □ □

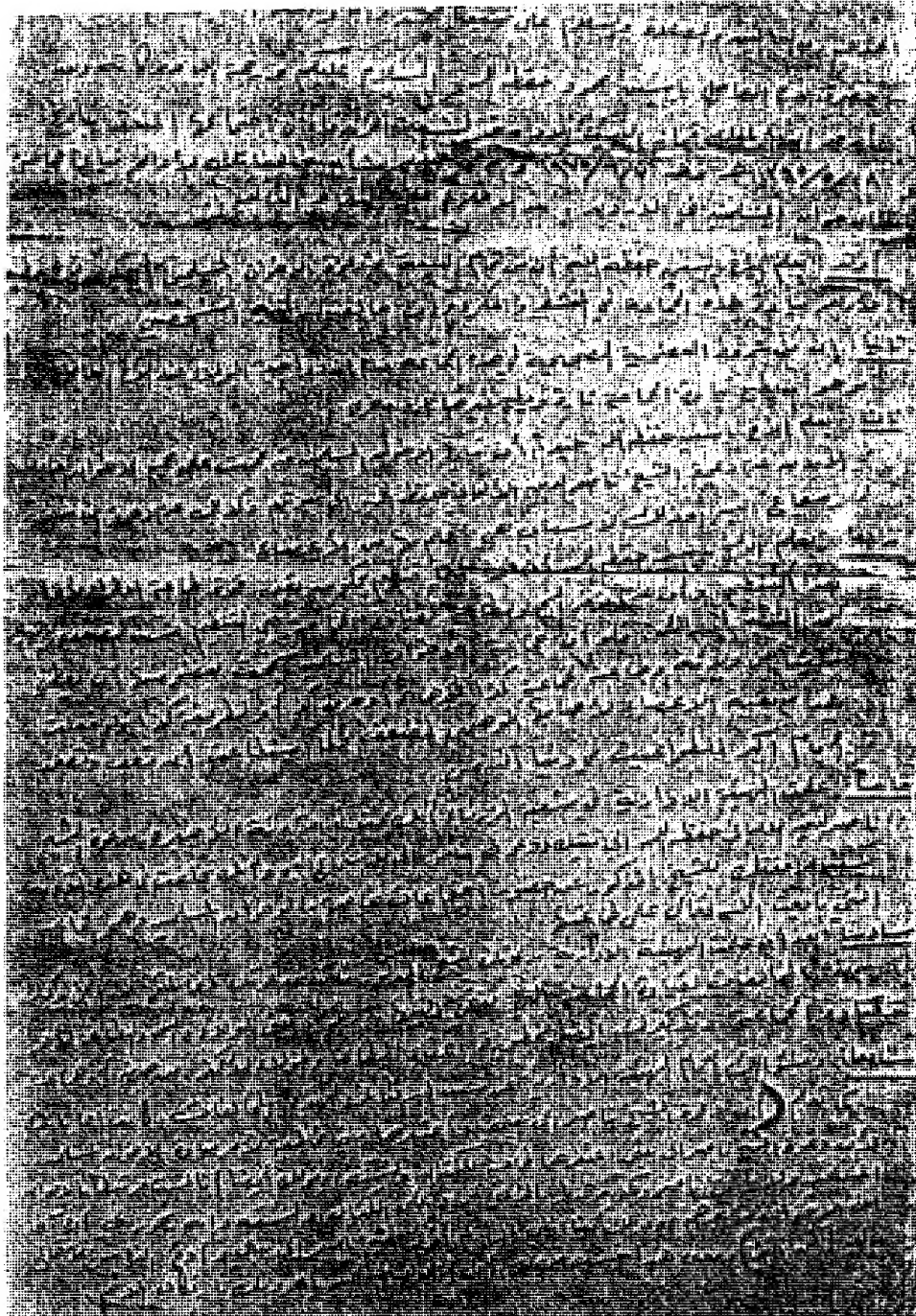
□ □ □ □ □

□ □ □

□



وثيقة رقم (١) وتتضمن قرار فصل الأخ محمد عبد حسن من جماعة الإخوان المسلمين
لاتصاله بشيخنا ناصر الدين الألباني حفظه الله .



وثيقة رقم (٢) وتتضمن قرار فصل الأخ ياسين محمود من جماعة الإخوان المسلمين
لاتصاله بشيخنا ناصر الدين الألباني حفظه الله .

[illegible]

مكتبة شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نعم القسود

التر أمدرها السيد صاحب الفميلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

في شأن جواز التعبد بذهب الشيعة الإمامية

قبل نقسبيلك :

" ان يحتر الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي يتقرب إلى الله
ومعاملته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة الممروية وليس من بينها مذهب
الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فنيلكم على هذا الرأي على أنه طلائع
فتمتعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثناعشرية مثلا .

فأجاب نقسبيلك :

١ - ان الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : ان لكل مسلم
الحق في أن يقلد ما يرى في دينه أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والدونة
أحكامها في كتب ومن قلده مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره -
أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

٢ - ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثناعشرية مذهب يجوز التعبد
به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتعلموا من العصبية بغير الحق المذاهب
معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته يتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل
مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاحتياط تعظيمهم والعمل
بطايعهم في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين السادات والمعاملات .

محمود شلتوت

السيد صاحب المسطرة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي النسي

السكرتير العام

لجنة التقريب بين المذاهب الاسلامية

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته
بصورة موقع عليها باسمي من القوي التي أصدرتها في شأن جواز التعبد
بمذهب الشيعة الإمامية ، وأجبا أن تحفظها في سجلات دار التقريب
بين المذاهب الاسلامية التي أسبغت معكم في تأليفها ورفضا للالتحقيق رسالتها .

بسلام عليكم ورحمة الله

شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

وثيقة رقم (٣) وتتضمن حث شيخ الأزهر على المذهب الشيعي الرافضي في الأزهر وهي

من وثائق دار التقريب في مصر .

استفتاء من البحرين

هل يجوز تقليد أحد المذاهب الأربعة

ساحة حجة الاسلام والمسلمين مولانا الشيخ محمد الحائري
أيده الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد تردت على أسعنا ما يصلنا عنكم من دعوتكم الى توحيد
الكلمة وجمع شتاتها من المسلمين حتى أخذت هذه الدعوة تنتشر وتدعو
الى الارتباط في نفس المذاهب حيث تفرق بين المذاهب الاسلامية ، ومن هنا
أردنا ان نقدم ساحة مولانا الامام بالذوال التالي راجين الجواب الشافي

بالاسهاب دون الإيجاز ، هذا ودمتم برعاية الله ونأيده .
البحرين - قرية عراد - من المحرق

عبدالحسين بن الحاج راشد المرادي

وكان خلاصة جوابه على هذا السؤال هو قوله () :

والخلاصة انه لا يجوز الدخول في مذهب من المذاهب الأربعة ولا تقليد
أي ميت من الأموات ما لم يرجع الى المجتهد الحي .
الكاظمية - جامعة مدينة العلم
محمد الخالصي

وثيقه رقم (٤) فتوى شيخ الرافضة وتتضمن عدم الاعتراف بالمذاهب الأربعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ عَمَّا قَوْلِ اللَّهِ
 دَعِيقُ رَّسُولِ اللَّهِ وَخَلِيفَةُ بِلَا نَصْلٍ

تحفة العوام مقبول

جديد
معافنا

مطابق فتاویٰ

- ۛ آیتہ العظمیٰ آقائے حاج سید محسن حکیم طہ البالی مجتہد المذہب اشراف۔
- ۛ آیتہ العظمیٰ آقائے حاج سید ابوالقاسم خونی نجف اشراف۔
- ۛ آیتہ العظمیٰ آقائے حاج سید روح اللہ خمینی۔
- ۛ آیتہ العظمیٰ آقائے حاج سید محمد موسیٰ الشاہ ہمدانی۔
- ۛ آیتہ العظمیٰ آقائے حاج سید محمد کاظم شریعتدار۔
- ۛ معتمد مالیناب سید العلماء، علامہ سید علی نقی النجفی مجتہد الکونین۔

مؤلفہ، دہریہ

عالی جناب تقدس باب مولانا السید منظور حسین صاحب قبلہ نقوی نزلہ العالی

علی کاپہ

افتخاریک ڈپو رجسٹرڈ، اسلام پورہ، لاہور

وثیقہ رقم (۵) وتتضمن توثیق الخميني لكتاب « تحفة عوام مقبول » الذي فيه دعاء لعن
 صني قريش ويلها الدعاء من الكتاب المذكور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
 اللَّهُمَّ الْعَيْنُ صَنَعَتْ قُرْلَيْنِ وَجَبَّتْهُمَا وَطَاعُوْنِيْهُمَا وَأَتَتْهُمَا وَأَسْتَبِيْهُمَا
 الَّذِينَ خَالَمُوا أَمْرَكَ وَأَنْكَرُوا وَحَيْكَ وَجَعَدْتَ أَعْلَامَكَ وَعَصَبِيَّتَكَ
 وَسُؤْلَكَ وَقَبِيْلَتَكَ وَحَرَّمَ كِتَابَكَ وَأَحْبَبْتَ أَعْدَائَكَ وَجَعَدْتَ
 الذِّمَّةَ وَعَقْلَكَ أَحْكَامَكَ وَأَبْطَلْتَ قُرْآنِيَّتَكَ وَالْحَدَّ فِي آيَاتِكَ وَعَادَا
 أَوْلِيَاءِكَ وَالْيَا أَعْدَائَكَ وَحَرَّمَ بِلَادَكَ وَأَفْسَدَ عِبَادَكَ اللَّهُمَّ
 أَعْنَهُمَا وَأَتْبَاعَهُمَا وَأَوْلِيَاءَهُمَا وَأَشْيَاعَهُمَا وَمُحِبِّيَهُمَا فَقَدْ أَخْرَجْنَا
 بَيْتَ الشُّبْرَةِ وَمَرَدَ مَا بَابَهُ وَنَقَضْنَا سَفْقَهُ وَالْمَعَا سَمَاءَهُ بِأَرْضِيهِ
 وَعَالِيَةِ بَنَانِيهِ وَكَلَامِيهِ بِبَاطِنِهِ وَاسْتَأْصَلَا أَمَلَهُ وَأَبَادَ النَّصَاءَ
 وَتَلَدَ أَطْفَالَهُ وَأَخْلَىا مَنْبَرَهُ مِنْ رُصِيْهِ وَوَارِثَ عِلْدِهِ وَجَعَدَا
 إِمَامَتَهُ وَأَشْرَكَا بِرِئْيسِنَا فَعِظْمُ وَنَبِيْنَا وَخَلْدُ مَنَا فِي سَقَرٍ وَمَا
 أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا يُبْقَى وَلَا تَذَرُ اللَّهُمَّ الْغَنَمُ بَعْدَ دِكْلِ مَنْكَرٍ
 أَنْوَهُ وَحَقِّ أَخْفَوُهُ وَمَنْبَرٍ عَلَوُهُ وَمُؤْمِنٍ أَرْضَوُهُ وَمَنَايِقِ وَلَوُهُ
 وَقَلْبِ الْاَوُوهِ وَطَرِيدِ الْاَوُوهِ وَصَادِقِ طَرْدُوهِ وَكَافِرٍ لَقَرُوهِ وَإِمَامِ
 مَضْرُوهِ وَمَقْرَضِ غَيْرُوهِ وَائْتِرِ أَنْكَرُوهِ وَمُتَرِ اشْرُوهِ وَدَمِ أَمْرَاقُوهِ
 وَخَيْرِ بِلَوُهُ وَكُفْرِ تَصْبُوهِ فَكَيْدُ بِلَسُوهِ وَإِزْنِ شَسْبُوهِ
 وَلَقْمِ عِيَانِ تَقْعُوهِ وَسَحْبِ أَكْلُوهِ وَخُمِسِ اسْتَحْلُوهِ وَبَاطِلِ
 اسْتَسُوهِ وَجَوْرِ لَسْطُوهِ وَنِفَاقِ اسْتَرُوهِ وَعَدْرِ رَاضَمَرُوهِ وَظَلَمِ
 لَسْرُوهِ وَوَعْدِ اخْلَفُوهِ وَأَمَانَةِ خَانُوهِ وَعَهْدِ تَقْضُوهِ وَحِلَالِ

حُرْمَةُ وَحَرَامِ أَكْلِهِ وَبَطْنِ قَتْلِهِ وَجَنِينِ اسْقَطِهِ وَصَلْعِ دَقْرِ
 رَمْلِكَ مَرْقُوهٍ وَسَمَلِ بَدَدِهِ وَهَوَيزِ أَوْلُوهِ وَذَلِيلِ أَعْرُوهِ وَ
 فَنِ سَعُوهِ وَحِذْبِ دَلْسُوهِ وَحُكْمِ تَكْبُوهِ وَإِمَامِ خَالِقُوهِ اللَّهُمَّ
 مِنْهُمْ بَعْدَ كُلِّ آيَةٍ حَرَمُوهَا وَفَرِضَةً تَرْكُوهَا وَسِتَّةَ
 تَلْبُوهَا وَأَحْكَامَ عَقْلُوهَا وَمُسُومَ قَطْعُوهَا وَصِيَّةَ بَدَلُوهَا
 وَأُمُورَ صَيَّعُوهَا وَبَيْعَةَ تَكْتُوهَا وَشَهَادَاتٍ كَتَمُوهَا وَدَعَا
 تَطْلُوهَا وَبَيْتَنَ أَنْكَرُوهَا وَحِيلَةَ أَحْدَثُوهَا وَخِيَانَةَ أَذْرُدُوهَا
 وَغَبَةَ ارْتَقُوهَا وَدَبَابِ دَخَرُوهَا وَأَزْيَابَ لَزَمُوهَا اللَّهُمَّ
 مِنْهُمْ فِي مَكْنُونِ السِّرِّ وَظَاهِرِ الْعَلَانِيَةِ لَعْنًا كَثِيرًا أَبَدًا
 وَأَيْمًا دَائِبًا سَرْمَدًا لَا انْقِطَاعَ لِعَدْوِهِ وَلَا نَفَادَ لِأَمْرِهِ لَعْنًا
 يَمُودُ أَوَّلُهُ وَلَا يَنْقُطُ خَيْرُهُ لَهُمْ وَلَا عَوَاجِزُهُمْ وَأَنْصَابُهُمْ وَ
 مَجْتَبَاهُمْ وَمَوَالِيَهُمْ وَالْمُسْلِمِينَ لَهُمْ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَالنَّافِلِينَ
 لِخَيْبَاتِهِمْ وَالشَّاهِدِينَ بِأَجْنَعَتِهِمْ وَالْمُقْتَدِرِينَ بِكَلَامِهِمْ
 الْمُصَدِّقِينَ بِأَحْكَامِهِمْ قُلْ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ اللَّهُمَّ عَذِّبْهُمْ
 مُنَابِ السَّعْيِ مِنْهُ أَهْلُ الشَّارِ أَمِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّمُ تَقُولُ
 رُبْعَ مَرَّاتٍ اللَّهُمَّ الْعَنَهُمْ جَمِيعًا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 إِلَى مُحَمَّدٍ فَأَغْنِنِي بِحَوْلِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَعِزَّنِي مِنَ الْفَقْرِ
 بِإِثْنِ آسَاتٍ وَظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَعْتَرْتُكَ تَدَلُّونِي وَهَذَا آتَا
 الْبَيْنَ يَدَيْكَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ بِضَاهَا مِنْ نَفْسِي لَكَ الْعَبْنَى لَا
 مُؤَدَّ فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ يَا مُغْفِرَ الْعُفُوكَ لِفَصْلِكَ وَجُودَكَ
 لِنَفْسِكَ وَكَرَمَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
 فَاتُوا النَّبِيِّينَ وَالْأَئِدَ الطَّيِّبِينَ الظَّاهِرِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم
 في ١٦٧٤ هـ الموافق ١٧/٧/١٣٩٧ م

١ - من الجامعة هناك جماعة من طلبة المسلمين وجماعة التبليغ فلا بد ان يعرفوا هؤلاء
 الطلبة في الجامعة التي فيها ما الاسلام هذا العلم بالي اريد ان ياب جماعة التبليغ
 انما بالدعوة الى الله وكذلك هم يتبعون السنة وسد هم الاكرام وطلبة الاتحاد على الحكيم من
 ذلك الطالب المسلم الوحيد من الذين يختصرون لغيره ان بعد هذا مع نصيرهم من اهل الاسلام
 ٢ - المهمة من العلم هي الانراف عن الصواب انما هي الكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
 وسلم الثالث: ولا جناح الاة أكل فرد من افراد الاة او كل جماعة على حدتها من جماعات
 الاة لجامعة التبليغ او جماعة اتحاد طلبة المسلمين او جماعة الاخوان المسلمين او جماعة الشبان
 المسلمين او جماعة اعمار السنة السنية او الهمية الفريضة لاجلها الكتاب والبنية السنية
 . . . الخ فكل طلبة جامعة تبليغية بل تبليغية وصيبي ولها احكام وسائر في الاحكام الفريضة
 تدور اليها وتفرحها على طريقتهم وميثاقها ان لا يفتقدوا وحمل به وتحت ارشاد الناس اليه
 وسلمهم عليه .

على كل جماعة من الجامعات الاسلامية ان تتعاون مع الاخرى فيما افلاطون من الخير وان تتفاهم
 معها فيما افلاطون على الله ان يهدي الجميع الى سوا السبل وعلى كل طائفة من مسننة
 الجامعات ان تصح للاخرى تثني عليها بانها من خير ورثة هذا الى ان يخطأ في الاحكام
 او لا يرا في العقيدة او الاخلاق او تنصر في العلم والادب ضد المصلح ولها الاستدراك
 ما فات لا يابها ويصيرها عن ان تنصب لادوية اليه تفصيل فلهذا وتسلح شانه وتحت
 القلوب على الحق وتبين بصيرة .

على هذا يمكن ان يبين له باعترافه جماعة التبليغ او جماعة لجامعة ما يدور من جملة
 ان جماعة التبليغ فيها نشاط في العمل بانتمتع به في الاخلاق وهدم اختار الناس فيها
 مسألة لغيرها لانتهاجهم فرد ولا جماعة من جدل ولا مع حكومة لجمعية اوزاع ولكنها ظلمت
 في السالبة والسلبية والاحمال في الدعوة حتى تركت الكلام في تفاصيل عقيدة التوحيد . وهو اعمل
 الاسلام وهو الذي يدأب الرسل عليهم الصلاة والسلام ومقيم وصان صوابه اسم حتى قامت
 المسألة . وازدروب بين الفريقين وكان الجهاد في سبيل الله نصرته ليدع وعلا . لقلت ولم يعرف
 علم مجرد العرج والدعوة اليه الذي هو من السادة والاسول المبرهنة على جات التبليغ ولم
 يعرف عنهم . براد السالبة بل كالمجاهدين بالحق كما يعرفون على العمل به لا يشكون ذلك لولا
 لاد ولا قضية رسمية او مكية ولو ترتب على ذلك اضطهاد وحجرة ومرب وتلك نذوب ولم يعرف حسن



وثيقه رقم (٦) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول جماعة التبليغ (برقم
 ١٦٧٤ في تاريخ ١ / ٧ / ١٣٩٧ هـ) .

جسدا الفيلق اليهم ولما جئت الرجل طويلا صلاة والسلام في الدعوة الرطاميك التريمة أوصيا
وخرجوا انسا لدهم جرد خروج واجة لمر الدعوة لايصل بين يخرج معهم الى وبي اسلاي او
معرفة بطلاصلا ه يند وليس في هذا الصاع لسة الرسل طويلا صلاة والسلام .
وباذكر شروط سيد القاتل لصال الجامة الفيلق عند هذه الطاعة وطويلا ان يصلحوا طهم
ولكنهم في الدنيا يعرفوا ذلك على صور الفريضة واجهته من طرق العمل والدعوة وفلسان
بيله وبين ما هي عليه فاجده من الفال لزيه وحده تالله على العولتين وواجده من حاله اكملت حله
وجعلت حله وانجسته بكتاب الله تعالى وحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
لا الجامة - الاخرى فسوف نصح لها ان شاء الله الطاميات كاصمتا ونصح لهم وسأل الله
التوفيق للجميع .



التاريخ :
الملاحظات :
الموضوع :

فتوى رقم وتاريخ

- للمدلة والملة والسلام على رسوله واله وصحبه وبعد :
- لقد اشكلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء على الاختلاف الفقهي من حيث هو على ساحة
الفتوى العام رقم ٦٥٦ في ١٢ / ٤ / ١٤٠١ هـ بطلبه (وبطلب السؤال في حصة امير لا غير وضال المسبب
ان يتحقق على العيوب انه صحيح)
- ١- لقد حصل من يقول للفتوى في دعوتها ان الله افناء دعاءه وسفاهة دعاءه ما حكم ذلك فربما من يشردهم
الافتاء الحقيق
- ٢- هناك من يقول ان دعاء الفاروق في الدين ولا يهتج ما بين الارض والسماء بل يهتج ما تحسست
الارض وما فوق السماء هل هذه الكلمة لها وزنها في الدعوة الى الله ؟
- ٣- هناك دعاء (جماعة التلويح) اقتضت دعاء هذه الجماعة على الفضائل في القطر الى باقي الاشياء
مثل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى مشيئة الله سبحانه وتعالى مثل الحكم بما انزل الله
ولقد اقتصر عليها في الصاجد فقط في ذلك .
- ٤- ان هذه الجماعة تطلب من الشباب المعروف معهم بحجة (في سبيل الله) للفرقة الى جهنم
ياكسبان فقد تعلم الدين والتفقه فيه وقد وجوهه يدعو الناس بالظنفة السالبة الذكر والفتنة
الفرقة يحقر في سبيل الله اذ اشياء بهذه الظنفة التي هي جزء من الدين ولم تأخذ به شاملاً
وكلا كما جاء به الرسول على الله عليه وسلم .
- ٥- وقد طلب الفرقة لعدة ايام من او شهرين كاملين يتبين الحاجة بحديث الرسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم (للفرقة فرقة في سبيل خير من الدنيا وما فيها) هل هذا الحديث الشريف يتناسب
هذا الفرقة الذي في نشره والله اعلم لا يخفى الاضطرار .
- وعنا لهذا ارجوا من فضلكم الاجابة المقتضية من الكتاب والسنة حتى يعود ان شاء الله الى الاسلام
لصحيح وان كما معلنين تصحح اخطائهم وتعود الى الصواب وان كما في هذه فتوى للفتوى كاطمية
تامة لا تهم ولا خلاف من الله كامل شاطل .
- واجابتهما اشكل علي من النقاط فيها على :
- ولا الدعوة الى الحق واجبة على كل مسلم بقدرة ما افاء الله من طم بالكتاب والسنة والله اعلم وما افاء حسن
قوة بوجاهة ونفوذ بقدرة ما هي له من سبلها وشأنه عند ما يدعو اليها الحاجة وتكون بالحكمة والبرهان
الحكمة والجدل بالحق من احسن فانه الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن) الآية .
- والداعي الذي في ماسياً وقد يكون رتباً دعاءه وقد يكون طناً او اماماً للمسلمين وقد يكون غير ذلك وربما
لقد من يقول ان دعاء لا دعاء الخير من نفسه انه يعلم برشد بعض الناس وقد كرمه ولا يلزم لهم كما
يلزم القادر احد المسلمين بما في من لم يمدد فتوى الفتوى من " افناء دعاءه " .

وثيقه رقم (٧) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول جماعة التبليغ (برقم

٦٥٦ في تاريخ ١٢ / ٤ / ١٤٠١ هـ) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العربية السورية

الرقم :

التاريخ :

المرفقات :

المرجع :

- ٢ -

ثانياً قول الداعي الذي يحث الناس على علمهم احكام الاسلام (لا يهتبا ما بين السما والارض) فيه تهجيج
وتدبير فتنه وقد ينشر بعض السامعين ويفتح باب شرطيه او طش غيره من الدعاة ويتبعن للدعاة
ان يبدوا بالشئ هي احسن وان يجتنبوا مثل هذا القول بهذا من التنبيه وتأليفا للظلم .
وتلك : (بل يهتبا ما تحت الارض) خطأ

ثالثاً و رابعاً و خامساً : جماعة التبليغ فيهم حسن سمع و دعة نفس ودعوة على العلوات ليسي
المساجد ولكن هذا جانب من الدين الاسلامي وقد تركوا جوانب اخرى من الاسلام كالدعوة الى التو
وتعليم الناس تفاصيل اركانه ومقائده الثابتة الصحيحة وارعادهم الى احكام الجهادات والمعاصيات
والدعوة الى تطبيق احكام شريعة الاسلام في السفر والافاقة وليس مجرد الخروج جهاداً في سبيل الله
ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وانما الجهاد في سبيل الله الذي حققه على الله عليه وسلم
هو الجهاد باللسان بلاغا وارشادا وتعلية ودفعاً للشبه ودحفاً للشرك والافساد والجهاد بالمال
والسلاح عقلاً للكفار وادلالاً لهم واعمالاً لشوكتهم وتذليلاً للمعانيات التي تمنع عائقاً وافية في سبيل
نشر الاسلام ليبلغ على الله عليه وسلم وارشد وطم وجاهد هو واصحابه رضي الله عنهم بالنفس والمال
والسلاح حتى غارت كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى ويز المؤمنون وذل الكافرون الى غير
ذلك من انواع الجهاد الذي زانته به سيرته وسيرة اصحابه وسارطى به جهاد النوح الاول من سلف
هذه الامة وسادتها وليس في خروج جماعة التبليغ في ذلك فخر ورجحهم طئي للشعو المعروف عنهم
بدع في القول والمعل وتحمده بدعة له بدعة وتركهم للاهل والاصال من اجل بدعة ودعواهم انفسه
جهاد في سبيل الله كذب وتعريف لنصوص الاسلام واصال الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حسن
مواضعها .

هذا وقد صدرت فتوى مفصلة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء من قبل في جماعة التبليغ
وجماعة اخرى تخبرني لك صورتها زيادة في الفائدة . . . صلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

الرئيس

نائب رئيس اللجنة

عضو

عضو

عبد الله بن قعود

عبد الله بن قعود

عبد الله بن قعود

عبد الله بن قعود

一

سلامه الى ابايكم واعزائي وابناء منكم ..
الى: ابوخي / ابي / ابيكم / ابايكم
والله - المبرور - عافاكم - صرحه ١٤٧٤هـ

[illegible]

المحرم

[illegible]

وثيقه رقم (٨) رسالة الشيخ سعد الحصين لأمير جماعة التبليغ بعدما اكتشف تصوفها ودعوتها إلى الشرك بالله عن طريق القبور وهي أربع صفحات .

[illegible][illegible][illegible]

سبحم على الناس إلى الأصول الخاضعة لها، وصيرت ليجسلا، وتقسيمها معلومة، فليكن به وصفاً قهراً، التي مع استمرارها مع الناس
تند شك هذا في رأيكم، وسيد تعلق فكله وسيد صير واستمرات أن تكون من لافته، ١٨٠٠ (١٨٠٠) (١٨٠٠)

[illegible]

المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية

1. *Chlorophyll a* (Chl *a*)

[illegible]

وتمت إلى الأمام عبيد ..
وهاولت قناني أثمار السموه بالآلة هذا المكنز موهوب من الله
ومستلكت لشيء / يا الجسم انشروني عن كل - لشيء انما فيه
الكنانة الجوفه فرب علي ما تحبوه نسفتم نعتوت في طراكم
وما لك علي احمركه علي باطله هدانا الله واهله الخيري وحججه
اننا لا يا بع الناس فبا سيرة غيره علي سراج اهل الجاه
وعلى حد فقه القاهر فانه ان كل ليدعني ما طلق اهدت منه
وبعد منها سراج الله وسنة رسول من الحقوة علي نصحه
كما تستهيه علي حد مسلك وطريق التي سلك علي علمه وتم ايسر
سما افعوا وما منهم لم ولا يفرقه من العلم افعوا بالصفة
الاطلعه اليه الجهره اليه الجهره الجهره .. الخ
وضمير اليت حق نصه الصعوف مستلا مكنزه التزلي ..
من القارة وكلما اخصاسه من كبريت هي حقه صروفه
متاوله اوقلاها لصوت عليا و نفسي نصه الصعوف
كلما الفز "الستر واقتضاهم الالاء اقلنا .. والله الجهر
فهم الصفا وحنانه منهم نكتاته السنه .. لفرزوها علي التي
الصعوف لصعوفها ولما انتظر المسكونه رصده حربه حق سيع
الصعوف ..
وقد بعد لشيء / سمل صمير جوف نكران تليف نصاف التي
لدا لظن قادرا على الالاء انه جت فيه .. ولا يكن تمدنك لانه ليس
الوصال ينشر في الاستطارة - والحق الصع .. ابله تريا لجلهم

وثيقه رقم (١٠) رسالة الشيخ سعد الحصين إلى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله وفيها بيان الوجه الآخر لجماعة التبليغ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم
التاريخ
الملاحظات

الوضوح

الذي رضى أمراء الدعوة للموت. وربه العرب لا يختلف عنه فيهم
فالدعوة الصريح واحد. وطريقه واحد. طريقه الرسول صلى الله عليه وسلم
أما التصرفات فلكل شيخ طريقه. وأما هذا صراط مستقيم فأنتم
ولا تشبهوا المسلك فتفرقه بهم منه سبله فلكم وصاكم بسلامة معونه.
وفي القام أخوه الولد الشيخ في هذا الأمر العظيم والسبحاء
الشيخ/بسمه وقسط الشيخ/الدور والتصرفات على نفس
السنة التي أخذها الشيخ/أقام الحجة على آلائه نعمة الله
وفقد من العرب بعضهم من أصل هذه الدعوة. والإطلاع على
النصوص الشرعية والخلافية في "تأليف نصاب" بعد ترجمته
منه ثم حتى يكونه الجميع على يته منه أمرهم.
على أنه هذا لا يفتر منه رأي في وجوب ناصية الدعوة والرب
عند ومنه هذا الباب نصيحة وإزالة ما لحق به من موارسة
فأما...

فأما المفضل أمراء الدعوة من الأهل فأنتم أرى أصلاً فتدبر
منها ما تهم تقر ما في الدعوة السليمة من خير وتجتهد مما يكره
ستر. والله يعلمنا جيداً دعاءه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سليمان
الملاحه الشيخ باقر

- 879 -

والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم
 رقم الوثيقة: ١٥٥
 التاريخ: ١٩٨٠/٦/١٨
 المكان: القاهرة

السيد المحترم - أستاذ -
 إلى : الوالد رئيس اللجنة الدائمة للبحوث والأبحاث
 الله الطاعة وبلغت رضاء .
 سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :
 فقد كنت تكلم قبل عام موصفاً أبنى لفظة صابغ ليلف
 بعض سنوات . في السبعينيات والخمسينيات والاربعينيات
 مركزه الرئيسي في اليمن . وكان له اليد في تنظيم
 طابقتها . وجملة من في القارة اليمنية .
 وصعد في جوارهم في أمريكا لستأهل أكثر من ذلك .
 وقد ألفت معهم كتاباً في التاريخ والسياسة الذي
 المعاداة . وإحدى والبقية في تنظيم منظم الذي
 من هذه المعاداة . وقد ألفت معهم كتاباً في
 بالظفر والناحية . وقد ألفت معهم كتاباً في
 عن كثر . وبعدهم . وقد ألفت معهم كتاباً في
 أوقات الأوقات له في معاداة (أخلاقهم) . وقد
 صعد أكثر من عامه زاد الرافض أحد أقد الجاهل
 هوذا وضعه . تركه وظفته الزمنية في هذه
 المقام حتى استطاع أن يطلع منظم منظم
 كل عام . واعتقد في ولعمري من أقد الجاهل
 صديقه للعلم الثالث - وهذا ما اعتبره قد ما
 تأتيا على منظم الزيادة لستأهل في إخلاصه لا
 في نفسه .

بسم الله الرحمن الرحيم
 رقم الوثيقة: ١٥٥
 التاريخ: ١٩٨٠/٦/١٨
 المكان: القاهرة

السيد المحترم - أستاذ -
 إلى : الوالد رئيس اللجنة الدائمة للبحوث والأبحاث
 الله الطاعة وبلغت رضاء .
 سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :
 فقد كنت تكلم قبل عام موصفاً أبنى لفظة صابغ ليلف
 بعض سنوات . في السبعينيات والخمسينيات والاربعينيات
 مركزه الرئيسي في اليمن . وكان له اليد في تنظيم
 طابقتها . وجملة من في القارة اليمنية .
 وصعد في جوارهم في أمريكا لستأهل أكثر من ذلك .
 وقد ألفت معهم كتاباً في التاريخ والسياسة الذي
 المعاداة . وإحدى والبقية في تنظيم منظم الذي
 من هذه المعاداة . وقد ألفت معهم كتاباً في
 بالظفر والناحية . وقد ألفت معهم كتاباً في
 عن كثر . وبعدهم . وقد ألفت معهم كتاباً في
 أوقات الأوقات له في معاداة (أخلاقهم) . وقد
 صعد أكثر من عامه زاد الرافض أحد أقد الجاهل
 هوذا وضعه . تركه وظفته الزمنية في هذه
 المقام حتى استطاع أن يطلع منظم منظم
 كل عام . واعتقد في ولعمري من أقد الجاهل
 صديقه للعلم الثالث - وهذا ما اعتبره قد ما
 تأتيا على منظم الزيادة لستأهل في إخلاصه لا
 في نفسه .

وثيقه رقم (١٢) رسالة الشيخ سعد الحصين إلى الشيخ عبد العزيز بن باز يبين فيها عدم
 مبالاة جماعة التبليغ بما ينتشر في صفوفها من التصوف والخرافة وشرك القبور وعمل التمايم
 والأحجية .

| الرقم | التاريخ | المرجع |
|-------|---------|--------|
| ١ | ١ | ١ |

« ان قد حرمتم » . ولكن هذه قد وجعلنا كما تأتينا من الربوبية
 في باب الحجة العريضة التي لم تألف من قبل قديراً في مستحق
 بين صغرة أو توسعة إلى الله بنظر العمل الصالح . بل لقد
 سمعت كثيراً من المتقدمين يهتفون والجواب لهم من طلبة
 هذه المسئلة فكيف ان يتقدم صغرة ويستولوا به . ان
 علماؤه من يومهم من السعويين يهتفون بظواهرهم
 على دعوتهم بغير سببه . ويهتفون من قولهم ان شركاءهم
 المتعلمين بالاولياء والصالحين انهم شركاء المستعدين
 المتعلمين بغير الرب .
 ولينظر في العلم منهم اجابة حق الله على طلبة الفقه
 في هذه الفقرة الخاطئة فافتدوا بغيره التفتت على
 الشرح والاولوية في اعتناك الحق الباطن لأهله وعلماءه
 مستعملين الاسلوب والمنهج في هذا الباب فذكر كلامه .
 وانه يشتمل الفقه على ما يلي :
 « السمع المشهود أو السامع أي سمع وأنت تفهم لغيرك
 « الضمير في المسألة الميتة على خبر الوفاة والصالحين
 « العلم بالحق أو كما قالوا في هذه المسألة انهم
 « من حوزة العلم أو كما قالوا في هذه المسألة انهم
 « والحق في ذلك تمسكاً لتقديراً على الفروع من الجماعة
 « كما ان الحق المشتمل على الأمانة والصدق والبرهان
 « والبرهان والبرهان والبرهان في مركز الجماعة
 « من جملة جميع الناس من هذا البلد أو غيره من بلاد العرب

| الرقم | التاريخ | المرجع |
|-------|---------|--------|
| ١ | ١ | ١ |

لهم انهم لم يطلعوا على ما في هذه المسألة الخاطئة ولينظر في
 جزاء من يهتفون وأما بقية من يهتفون انهم يهتفون
 انهم يهتفون في أنهم ملتزمون بالصدق وبما يهتفون على طريقه صوب
 لكن من يهتفون بغيره يهتفون به عليه وسلم وأما الفقه
 بالحقائق الشريعة التي هي العلم من المصالح والفضائل
 العامة لم يهتفون في وسعي السكون أو الاستمرار في قول الزمان
 باسمه الصالحين للعلم والصدق في العلم . يهتفون باسمه
 من السنة الفقهية ومحمد الفقه من الربوبية .
 كنت اسمع الفقه والعلوم فكيف في أعلى طوعهم أنت
 مقصود « الدار الدائمة » الفقه بآية الفقيه الزاوية فأدركت
 موطنهم إلى ما به مقصودها : ان لا يكون تهميد العلم دون
 الكمال ما يشترط لخلق الفقه الحام . وأما ان يهتفون
 بذلك عندهم . وكنت أرى الفقه داخل مذهبهم الرئيسي
 في ذلك وجعلهم الرئيسي في الدائمة في قول
 سجعهم الرئيسي في السورة فأقبل تنسيقهم للمرابطة
 حيث عطفوا على قولهم انهم يهتفون بغيره .
 أما وقد عرفت انهم يهتفون على يد سجعهم الرئيسي
 صعد الخطأ في صغرة مقصود الدائمة . ومقصود السعويين
 بوضوح في المركز الراجح في ذلك . ومقصود ربط السعويين
 ومقصود إعلاء الأمانة والصدق . والمصالح والفضائل
 بغير تارة في حالهم الرئيسي . ومقصود الأمانة والصدق في قول
 فتنهم من آحادهم في ذلك . والبرهان . والصدق . والبرهان .

إن أحد الأبدال سأل الخضر هل رأيت ولياً أعلى منك فقال : نعم كنت مره في المسجد النبوي وكان المحدث عبد الرزاق يحدث الناس أحاديث النبي ﷺ ورأيت رجلاً شاباً جالساً في ناحية المسجد واضع رأسه على ركبتيه فسألته لماذا لا تجلس مع هؤلاء الذين يسمعون أحاديث رسول الله ﷺ فلم يرفع رأسه ولم يلتفت إليّ وقال : هؤلاء اناس يسمعون الأحاديث من عبد الرزاق وهنا اناس يسمعون من الرزاق نفسه لا من عبده وقال الخضر : إذا كان قولك حقاً فقل من أنا فرفع رأسه وقال : أنت الخضر فقال الخضر : فهناك أولياء لا أعرفهم لعلو مرتبتهم .

المحتوى

| | |
|---|-----|
| فائحة القول | ٥ |
| بصائر في واقع البشرية المعاصر | ١١ |
| ثمار الواقع | ١٧ |
| أهل الحديث الانطلاقة الكبرى | ٥٢ |
| مؤشرات عالمية على ضرورة الحياة الإسلامية | ٧٤ |
| الفكر الصوفي | ٨٢ |
| نبذه تاريخيه | ٨٢ |
| صوفية لماذا ؟ | ٨٣ |
| أشهر الطرق الصوفيه | ٨٥ |
| التصوف الإسلامي ريبب التصوف الوثني | ٨٧ |
| التتبع للمصلة بين التصوف والتشيع | ٩٠ |
| التعرف على عقائد التصوف | ١٠٢ |
| العلم اللدني | ١٠٢ |
| أثر فتنه التعصب المذهبي في انتشار الصوفية | ١١٥ |
| الشريعة والحقيقة | ١١٩ |
| الحلول والاتحاد | ١٢١ |
| وحدة الوجود | ١٢٣ |
| النور المحمدي | ١٢٧ |
| التربية الصوفية | ١٣٢ |
| الشيخ المرشد | ١٣٢ |

| | |
|--|-----|
| الرياضة والمجاهدة | ١٣٨ |
| الذكر | ١٤١ |
| طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفاً | ١٤٤ |
| أصول لا بد من معرفتها | ١٤٧ |
| الإخوان المسلمون | ١٥٣ |
| نبذه تاريخية | ١٥٣ |
| هل الإخوان المسلمون جماعة المسلمين | ١٥٣ |
| حملات الطعن والتشكيك | ١٦٤ |
| الحجر الفكري والقرار الجائر | ١٦٥ |
| البيعة والإمامة | ١٧٠ |
| الاعتداء على المنشقين | ١٧١ |
| الميوعة العقائدية | ١٧٧ |
| التصوف | ١٧٩ |
| موالد صوفية | ١٨٧ |
| صوفية طرقية | ١٨٩ |
| دعوة قبورية | ١٩٣ |
| تبصرة | ١٩٥ |
| تكميل | ١٩٧ |
| نفي الصفات | ١٩٨ |
| التفويض عند البناء | ١٩٨ |
| التأويل عند سيد قطب | ٢٠٣ |
| سيد قطب وتفسيره | ٢١٤ |

| | |
|--|-----|
| التمذهب | ٢٢٠ |
| الاخوان المسلمون والشيعة الروافض | ٢٢٦ |
| قول الشيعة بتحريف القرآن | ٢٣٠ |
| موقف الشيعة من الصحابة | ٢٣٥ |
| جملة من عقائد الشيعة | ٢٣٨ |
| الشدوذ الفقهي ونكاح المتعة | ٢٣٨ |
| جماعة التقريب الرافضية ودارها | ٢٤١ |
| الاستقطاب في التنظيم | ٢٤٨ |
| قضية الحكم والسياسة عند الإخوان المسلمين | ٢٦٣ |
| قضية المسلمين في فلسطين | ٢٦٤ |
| حزب التحرير | ٢٦٧ |
| نبذه تاريخيه | ٢٦٧ |
| قضية الفكر وثمارها | ٢٦٧ |
| التفريق بين العقيدة والأحكام الشرعية | ٢٧٤ |
| خبر الآحاد والعقيدة | ٢٨٠ |
| مسألة تبني الأحكام | ٢٩٥ |
| مبدأ النصره | ٢٩٧ |
| القضاء والقدر | ٣٠٢ |
| صفات الله | ٣١٥ |
| الشدوذ الفقهي | ٣١٨ |
| القتال تحت راية الكفر والعملاء | ٣١٨ |
| نظام العقوبات | ٣٢٢ |

| | |
|-----------|--------------------------------------|
| ٣٢٥ | الزواج من المحارم |
| ٣٢٧ | أمثلة متفرقة |
| ٣٢٨ | التهافت السياسي |
| ٣٣٠ | ثورة الشيعة البائسة |
| ٣٣٥ | جماعة التبليغ |
| ٣٣٥ | أصول جماعة التبليغ |
| ٣٤٠ | الخروج التبليغي والسياحة في الأرض |
| ٣٥٤ | الصفات الستة |
| ٣٥٥ | تحقيق الكلمة الطيبة |
| ٣٦٣ | الصلاة ذات الخشوع والخضوع |
| ٣٦٥ | العلم مع الذكر |
| ٣٧٤ | إكرام المسلمين |
| ٣٧٥ | تصحيح النية من اخلاصها |
| ٣٧٥ | الخروج في سبيل الله |
| ٣٧٥ | تجزئة الإسلام وفصل الدين عن الحياة |
| ٣٧٦ | فتاوى العلماء في جماعة التبليغ |
| ٣٨٤ | واقع الجماعات الإسلامية |
| ٣٨٨ | المنهج السلفي |
| ٣٨٨ | السلف والسلفية لغة واصطلاحاً وزماناً |
| ٣٩٣ | المنهج السلفي ومستقبل الإسلام |
| ٣٩٤ | وسائل المنهج السلفي في التغيير |
| ٣٩٦ | الأسس العامة للتربية الربانية |

| | |
|-----|---|
| ٣٩٧ | ضوابط التربية الربانية |
| ٤٠٤ | الأصول العلمية للمنهج السلفي |
| ٤٠٨ | فقه التعاون الشرعي |
| ٤٠٨ | زوابع في وجه التيار السلفي |
| ٤١١ | حوار مع أشهر قادة الجماعات الإسلامية في الأردن |
| ٤١٦ | ماذا وجدنا عند قادة الجماعات الإسلامية |
| ٤٢١ | ظواهر وردود |
| ٤٢٦ | الخاتمة |
| ٤٢٧ | ملحق كتاب الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة |
| ٤٢٩ | ملاحظات لا بد من إدراكها |
| ٤٢٩ | الحد الفاصل بين القدح والنصح |
| ٤٣١ | حسن البنا والمتشابه |
| ٤٣٣ | حسن البنا والتفويض |
| ٤٣٦ | حسن البنا ومذهب الخلف |
| ٤٣٧ | حسن البنا والصوفية |
| ٤٤٣ | حسن البنا والتوسل |
| ٤٤٧ | وأخيراً |
| ٤٥٠ | ملحق الوثائق |
| ٤٧٩ | المحتوى |